



٦٥١



التَّبَيَّاتُ

في

تَفْسِيرِ الشَّيْخِ الرَّائِدِ

مُؤَلِّفِ

شَيْخِ الطَّائِفَةِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنِ الْحَسَنِ الطُّوسِيِّ

الْجُزْءُ الثَّانِي

مُخَفَّفٌ

مُؤَسَّسَةُ الشَّيْخِ الْإِسْلَامِيِّ

الْقَائِمَةِ بِجِهَادَةِ الْمَكْتَرِبِينَ بِقَعْمِ الْمَدِينَةِ



التَّبَيَّاتُ

في

تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

مُؤَلَّفِ

شَيْخِ الطَّائِفَةِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الطُّوسِيِّ

لِجُلْعِ الثَّانِي

تَحْقِيقُ

مُؤَسَّسَةِ النُّشْرِ الْإِسْلَامِيِّ

الَّتَابِعَةِ لِمَجْمَعَةِ الْمَدِينَةِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسَةِ



التبيان
في
تفسير القرآن
(ج ٢)

- شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي
- مؤسسة النشر الإسلامي
- تفسير
- ١٠٠٠ نسخة
- الأولى
- محرم الحرام ١٤١٧ هـ

- تأليف:
- تحقيق ونشر:
- الموضوع:
- الكمية:
- الطبعة:
- التاريخ:

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[قوله تعالى]:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١﴾ آية.

القراءة:

أفصح اللغات فتح الهاء بـ «أيهـا»، وبعض بني مالك من بني أسد
رهط شقيق بن سلمة يقولون: يا أيه الناس ويا أيته المرأة ويا أيه الرجل،
ولا يقرأ بها^(١). ومن رفعها توهما آخر الحروف، وقد حذفت الألف في
الكتابة من ثلاثة مواضع: «أيه المؤمنون»^(٢) و«يا أيه الساحر»^(٣) و«أيه
الثقلان»^(٤)، وسنذكر خلاف القراءة في التلفظ بها.

(١) لاحظ التيسير في القراءات: ص ١٦١.

(٢) النور: ٣١.

(٣) الزخرف: ٤٩.

(٤) الرحمن: ٣١.

النزول:

وروي عن علقمة^(١) والحسن: أن كل ما في القرآن «يأياها الذين آمنوا» نزل بالمدينة وما فيه «يأياها الناس» نزل بمكة^(٢).

واعلم أن «أيا» اسم مبهم ناقص جعل صلة الى نداء ما فيه الألف واللام، ويلزمه «ها» التي للتنبيه لابهامه ونقصه، وأجاز المازني^(٣) «يأأي الظريف» قياساً على «يازيد الظريف» ولم يحزه غيره، لأن «أيا» ناقص. والنصب عطفاً على الموضع بالحمل على المعنى ولا يحمل على التأويل إلا بعد التمام، وهذا هو الصحيح عندهم.

(١) وهو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك، روى عن علي عليه السلام وعمر وعثمان، ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومات سنة ٦٢ هـ. (تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٢٧٦، وتقريب التهذيب: ج ٢ ص ٣١).

(٢) اسباب النزول: ص ١٣، ولم نعر على رواية الحسن.

(٣) وهو أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية البصري النحوي اللغوي، سيد أهل العلم بالنحو والعربية واللغة بالبصرة، ومقدمته مشهورة بذلك. كان من علماء الامامية ومن تلاميذ اسماعيل بن ميثم وأخذ الأدب عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد وغيرهم، وأخذ عنه أبو العباس المبرد وبه انتفع، وله عنه روايات كثيرة.

وحكي عن القاضي بكار بن أبي قتيبة الحنفي المصري قال: ما رأيت نحويّاً قط يشبه الفقهاء إلاّ حيان بن الهلال والمازني، وكان في غاية الورع.

له مصنفات كثيرة في النحو والتصريف والعروض والقوافي وغير ذلك. وعن تعليقات الشهيد على الخلاصة، قال ابن داود نقلاً عن رجال الكشي: انه -يعني المازني- ثقة، توفي بالبصرة سنة ٢٤٩ أو ٢٤٨ هـ. (الكنى والألقاب: ج ٣ ص ١٣٢) وذكر قوله الزجاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٢٨.

المعنى:

وهذه الآية متوجهة الى جميع الناس مؤمنهم وكافرهم، لحصول العموم فيها، إلّا من ليس بشرائط التكليف من المجانين والأطفال، وروي عن ابن عباس أنه قال: قوله: «اعبدوا ربكم» أي وحدوه^(١).

وقال غيره: ينبغي أن يحمل على عمومته في كل ما هو عبادة لله من معرفته ومعرفة أنبيائه، والعمل بما أوجبه عليهم ونهيه اليه، وهو الأقوى.

وقوله: «لعلكم تتقون» أي تتقون عذابه بفعل ما أوجبه عليكم كما قال: «واتقوا النار التي أعدت للكافرين»^(٢).

وقوله: «والذين» في موضع نصب، لأنّه عطف على الكاف والميم في قوله: «خلقكم» وهو مفعول به.

«من قبلكم» أي من تقدم زمانكم من الخلائق والبشر، وقال مجاهد: «تتقون» تطيعون^(٣)، والأول أقوى.

والخلق هو الفعل على تقدير، وخلق الله السماوات فعلها على تقدير ما تدعو اليه الحكمة من غير زيادة ولا نقصان، ومثله الرزق، والخلق الطبع، والخلقة الطبيعة، وخلق به شبيهه به، والخلق النصيب، والاختلاق افتعال الكذب، والخلق البالي، والأخلق الأملس.

ومعنى «لعلكم تتقون» قال الشاعر:

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا نكف ووثقتم لنا كل موثق

(١) تفسير ابن عباس: ص ٥.

(٢) آل عمران: ١٣١.

(٣) نقله عنه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٢٥.

فلما كففنا الحرب كانت عهودكم كلمح سراب في الملا متألق^(١)
يعني قلمت لنا: كفوا لنكف، لأنه لو كان شاكاً لما كانوا وثقوا كل موثق، ويقول القائل: اقبل قولي لعلك ترشد، وادخاله (لعل) تريق للموعظة وتقريب لها من قلب الموعوظ، يقول القائل لأجيره: اعمل لعلك تأخذ الاجرة، وليس يريد بذلك الشك وإنما يريد لتأخذ أجرتك .
وقال سيبويه^(٢): إنما ورد ذلك على شك المخاطبين، كما قال تعالى: «فقلوا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى»^(٣) وأراد بذلك الإيهام على موسى وهارون .

وفائدة ايراد لفظة (لعل) هو ان لا يحل العبد ابداً محل الأمن المدل، لكي يزداد حرصاً على العمل وحذراً من تركه، واكثر ما جاءت (لعل) وغيرها من معاني التشكيك فيما يتعلق بالآخرة في دار الدنيا، فاذا ذكرت الآخرة مفردة جاء اليقين، وهذه الآية يمكن الاستدلال بها على ان الكفار مخاطبون بالعبادات، لدخولهم تحت الاسم .

وقال بعضهم: معنى قوله: «لعلكم تتقون» لكي تتقوا النار في ظنكم ورجائكم؛ لأنهم لا يعلمون انهم يوقون النار في الآخرة، لأن ذلك من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله. قال: «لعلكم تتقون» ذلك في ظنكم ورجائكم واجرى (لعل) على العباد دون نفسه تعالى الله عن ذلك^(٤). وهذا قريب مما حكيناه عن سيبويه .

(١) لم نقف على قائلها، ونقلها الطبري في التفسير: ج ١ ص ١٢٥ .

(٢) لم نعثر عليه .

(٣) طه: ٤٤ .

(٤) في تفسير ابن عباس: ص ٥، نقلاً بالمعنى .

و«لعل» في الآية، يجوز أن تكون متعلقة بالتقوى، ويجوز أن تكون متعلقة بالعبادة في قوله: «اعبدوا»، وهو الأقوى .

[قوله تعالى:]

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [آية واحدة] .

«الذي» في موضع نصب، لأنه نعت لقوله: «ربكم» في قوله:

«اعبدوا ربكم» وهي مثل الذي قبلها ؛ فانها جميعاً نعتان لـ «ربكم» .

«فراشاً» يعني مهاداً أو وطاءً لا حزنة غليظة لا يمكن الاستقرار عليها ، وتقديره: اعبدوا ربكم الخالق لكم والخالق للذين من قبلكم، الجاعل لكم الارض فراشاً، فذكر بذلك عباده نعمه عليهم وآلاءه لديهم ليدذكروا اياديه عندهم فيثبتوا على طاعته تعظفاً منه بذلك عليه، ورأفة منه بهم، ورحمة لهم من غير حاجة منه الى عبادتهم، ليتم نعمته لعلهم يهتدون .

وسمّي السماء سماء لعلوها على الأرض، وعلو مكانها من خلقه، وكل شيء كان فوق شيء فهو لما تحته سماء، لذلك قيل لسقف البيت: سماء لأنه فوقه ، وسمّي السحاب سماء، ويقال: سمى فلان لفلان اذا أشرف له وقصد نحوه عالياً عليه، قال الفرزدق:

سَمَوْنَا لِنَجْرَانَ الْيَمَانِي وَاهِلَهُ وَنَجْرَانَ أَرْضَ لَمْ تُدَيِّثْ مَقَاوِلُهُ^(١)
وقال النابغة الذبياني:

سمت لي نظرة فرأيت منها تحيت الخدر واضعة القرام^(٢)

(١) شرح ديوان الفرزدق: ج ٢ ص ٣٣٨.

(٢) ديوانه: ص ٩٣. والخدر هنا الهودج، والqram سترقيق فيه رقم ونقوش.

يريد بذلك أشرفت لي نظرة وبدت . وقال الزجاج^(١): كل ما على الأرض فهو بناء لامسك بعضه بعضاً، فيأمنوا بذلك سقوطها. فخلق السماء بلا عمد وخلق الأرض بلا سند يدل على توحيده وقدمه، لأنّ المحدث لا يقدر على مثل ذلك . وإنما قابل بين السماء وبين الفراش لأمرين : أحدهما : ما حكاه أبو زيد: أن بنيان البيت سماؤه وهو أعلاه وكذلك بناءؤه، وانشد :

بني السماء فسوّاهم ببنيتهما ولم تمدّ بأطناب ولا عمد^(٢)
يريد ببنيتهما علوّها .

والثاني: أن سماء البيت لما كان قد يكون بناء وغير بناء اذا كان من شعر أو وبر أو غيره، قيل: جعلها بناء ليدل على العبرة برفعها، وكانت المقابلة في الأرض والسماء باحكام هذه بالفرش، وتلك بالبناء^(٣) . وقوله: «من السماء» أي من ناحية السماء، قال الشاعر:

أمنك البرق أرقبه فهاجا^(٤)

أي من ناحيتك . فبناء السماء على الأرض كهيئة القبة، وهي سقف على الأرض، وإنما ذكر السماء والأرض فيما عدّ عليهم من نعمه التي أنعمها عليهم، لأنّ فيها أقواتهم وأرزاقهم ومعايشهم، وبها قوام دنياهم، وأعلمهم أن الذي خلقهما وخلق جميع ما فيها من أنواع النعم هو الذي يستحقّ العبادة والطاعة والشكر دون الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع .

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٩٩.

(٢) لم نعرّ عليه .

(٣) تلخيص البيان للرضي: ص ١١٥ .

(٤) لم نهتد لقائله ومن نقله .

وقوله : «وأنزل من السماء ماء» يعني مطراً فأخرج بذلك المطر مما أنبتوه في الأرض من زرعهم وغرسهم ثمراتٍ رزقاً لهم وغذاءً وقوتاً، تنبيهاً على أنه هو الذي خلقهم، وأنه الذي يرزقهم ويكفلهم دون من جعلوه نداءً وعدلاً من الأوثان والآلهة، ثم زجرهم أن يجعلوا له نداءً مع علمهم بأن ذلك كما أخبرهم، وأنه لا نداء له ولا عدل ولا لهم نافع ولا ضار ولا خالق ولا رازق سواه بقوله: «فلا تجعلوا لله أنداداً» .

والند العدل والمثل، قال حسان بن ثابت^(١):

أتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِنَدٍّ فَشَرَكَمَا لَخَيْرِكَمَا الْفِدَاءُ^(٢)

أَي لَسْتُ لَهُ بِمِثْلٍ وَلَا عَدْلٍ، وَقَالَ جَرِيرُ:

أَتِيَا تَجْعَلُونِ إِلِي نَدًّا وَمَا تِمَ لَنَدِي حَسْبَ نَدِيدٍ^(٣)

وقال مفضل بن سلمة^(٤): الند الضد، والندود الشرود كما يند البعير،

(١) وهو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الانصاري الخزرجي، شاعر جاهلي اسلامي، يقال له: شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك لتقطيعه أعراض المشركين وانبرائه لشعرائهم بكل قواه، حتى قال له النبي صلى الله عليه وآله: «أنت مؤيد بروح القدس ما دمت مادحنا أهل البيت»، إلا أنه ارتكب هفوات كبيرة بعد ذلك. منها: اشتراكه في تلفيق حديث الإفك، حيث جلده النبي صلى الله عليه وآله عليها ثمانين جلدة، وكان أيضاً قد عرّض مرةً بالمهاجرين وكادت الفتنة ان تقع لو لم يتداركها النبي صلى الله عليه وآله. عاش حسان ستين سنة في الجاهلية وستين في الاسلام. توفي في زمن معاوية بعد أن عمي في أواخر أيامه.

(أسد الغابة: ج ٢ ص ٤، والشعر والشعراء: ص ١٧٠، والاغانى ج ٤ ص ١٣٤).

(٢) ديوانه: ص ٢٨. اصدار دار كرم دمشق.

(٣) ديوانه: ص ١٢٩، وشرح الديوان: ص ١٢٦ وفيه «أَتِيَمٌ» بدل «أَتِيَا».

(٤) وهو أبو طالب، المفضل بن سلمة، لغوي عالم بالأدب، الفقيه الشافعي البغدادي الضبي، صاحب التصانيف المشهورة في فنون الأدب ومعاني القرآن، وكان كوفي المذهب، له من

ويوم التناد يوم التنافر، والتنديد التقليل، والفراش البساط، والفرش البسط، فرش يفرش فرشاً وافترش افتراشاً، وفراش الرأس طرائق رفاق من القحف، والفراش فراش القاع والطين بعد ما ييس على وجه الأرض. والفراش الذي يطير ويتهافت في السراج، وجارية فريش قد افترشها الرجل، والفرش صغار النعم، ورجل فراشة خفيف، والفرش من الشجر دقه. واصل الماء موه، لأنّه يجمع أمواها ويصغر مويه، وماهت الركبة تموه موها واماها صاحبها اذا أكثر ماءها إماتهة .

وروي عن ابن مسعود وغيره من الصحابة أن معنى الآية: لا تجعلوا لله أكفأ من الرجال تطيعونهم في معصية الله^(١). قال ابن عباس: إنه خاطب بقوله: «ولا تجعلوا لله أنداداً وانتم تعلمون» جميع الكفار من عبّاد الاصنام واهل الكتابين، لأن معنى قوله: «وانتم تعلمون» أنه لا رب لكم يرزقكم غيره، وإن ما تعبدون لا يضر ولا ينفع^(٢). وروي عن مجاهد: أنّه عني بذلك أهل الكتابين لأنهم الذين كانوا يعلمون أنه لا خالق لهم غيره ولا منعم عليهم سواه، والعرب ما كانت تعتقد وحدانيته تعالى^(٣).

والأول أقوى؛ لأنّ الله تعالى قد أخبر أن العرب قد كانت تعتقد وحدانيته تعالى؛ فقال تعالى حكاية عنهم: «ولئن سألتهم من خلق

الكتب: كتاب البارخ في اللغة، وكتاب ضياء القلوب في معاني القرآن وغيرها. اختلف في وفاته، فقال بعض: توفي سنة ٢٩٠ هـ. وقال المرزباني: أنّه توفي سنة ٢٥٠ هـ. وقيل غير ذلك .
(وفيات الاعيان: ج ٣ ص ٣٤٣، والأعلام: ج ٥ ص ٢٧٩).

(١) رواه الطبري في التفسير: ج ١ ص ١٢٧.

(٢) لم نقف عليه في تفسيره، ونقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٢٧.

(٣) نقله السيّد المرتضى عنه في أماليه: ج ٢ ص ١٨٩.

السموات والأرض ليقولن الله»^(١)، «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله»^(٢)، وقال تعالى: «قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل ألا تتقون»^(٣) فحمل الآية على عمومها أولى ويطابق أول الآية، وقد بينا أن خطابه لجميع الخلق.

واستدل أبو علي الجبائي بهذه الآية على أن الأرض بسيطة ليست كرة، كما يقول المنجمون^(٤)، والبلخي بأن قال: جعلها فراشاً والفراش البساط بسط الله تعالى إياها، والكرة لا تكون مبسطة، قال: والعقل يدل أيضاً على بطلان قولهم، لأن الأرض لا يجوز أن تكون كروية مع كون البحار فيها لأن الماء لا يستقر إلا فيما له جنبان يتساويان، لأن الماء لا يستقر فيه كاستقراره في الأواني، فلو كانت له ناحية في البحر مستعلية على الناحية الأخرى لصار الماء من الناحية المرتفعة إلى الناحية المنخفضة، كما يصير كذلك إذا امتلأ الاناء الذي فيه الماء^(٥). وهذا لا يدل على ما قاله، لأن قول من قال: الأرض كروية معناه إن جميعها شكل الكرة.

وقوله: «وانتم تعلمون» يحتمل أمرين:

أحدهما: إنكم تعلمون أنه لا خالق لكم ولا منعم بما عدده من أنواع النعم سوى الله، وإن من أشركتم به لا يضر ولا ينفع.

(١) لقمان: ١٢٥، والزمر: ٣٨.

(٢) الزخرف: ٨٧.

(٣) يونس: ٣١.

(٤) أمالي المرتضى: ج ٢ ص ١٨٧.

(٥) لم نعر على قول البلخي في المصادر المتوفرة لدينا.

والثاني: إنه أراد وأنتم علماء بأُمور معاشكم وتدبير حروبكم ومضاركم ومنافعكم، لستم باغفال ولا جهال .
[قوله تعالى]:

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ آية بلا خلاف .

الحجة:

هذه الآية فيها احتجاج الله تعالى لنبه محمد صلى الله عليه وآله على مشركي قوم من العرب والمنافقين، وجميع الكفار من أهل الكتابين، وغيرهم، لأنه خاطب أقواماً عقلاء ألباء في الذروة العليا من الفصاحة، والغاية القصوى من البلاغة واليهم المفرع في ذلك، فجاءهم بكلام من جنس كلامهم وجعل عجزهم من مثله حجة عليهم، ودلالة على بطلان قولهم ووبخهم وقرعهم وأمهلهم المدة الطويلة. وقال لهم: «فأتوا بعشر سور مثله مفتريات»^(١)، ثم قال: «فأتوا بسورة مثله»^(٢) وقال في موضع آخر: «بسورة من مثله». وأخبرهم أن عجزهم إنما هو عن النظم والجنس مع أنه ولد بين أظهرهم ونشأ معهم، ولم يفارقهم في سفر ولا حضر، وهو من لا يخفى عليهم حاله لشهرته وموضعه، وهم أهل الحمية والانفة يأتي الرجل منهم بسبب كلمة على القبيلة، فبذلوا أموالهم ونفوسهم في إطفاء أمره ولم يتكلفوا معارضته بسورة ولا خطبة فدل ذلك على صدقه. وذكرنا ذلك في الأصول^(٣).

(١) هود: ١٣.

(٢) يونس: ٣٨.

(٣) تمهيد الاصول: ص ٣٢٥-٣٢٧.

المعنى :

وقوله: «بسورة من مثله» قال قوم: إنها بمعنى التبعض، وتقديره: فأتوا ببعض ما هو مثل له وهو سورة^(١) وقال آخرون: هي بمعنى تبين الصفة كقوله: «فاجتنبوا الرجس من الاوثان»^{(٢)(٣)}. وقال قوم: إن «من» زائدة، كما قال في موضع آخر: «بسورة مثله» يعني مثل هذا القرآن^(٤). وقال آخرون: أراد ذلك من مثله في كونه بشراً أمياً، طريقته مثل طريقته^(٥).

والأول أقوى، لأنه تعالى قال في سورة أخرى: «بسورة مثله»^(٦) ومعلوم أن السورة ليست محمداً صلى الله عليه وآله ولا له بنظير، ولأن في هذا الوجه تضعيفا لكون القرآن معجزة، ودلالة على النبوة.

وقوله: «وادعوا شهداءكم من دون الله»، قال ابن عباس: أراد أعوانكم على ما أنتم عليه، إن كنتم صادقين^(٧). وقال الفراء: أراد ادعوا آلهتكم^(٨). وقال مجاهد وابن جريج^(٩): أراد قوماً يشهدون لكم بذلك ممن

(١) ابن عباس في تفسيره: ص ٥، والفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ١٩.

(٢) الحج: ٣٠.

(٣) الفريد في اعراب القرآن المجيد للهمداني: ج ١ ص ٢٤٧.

(٤) حكاية الزجاج في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٥٥٢، عن أبي الحسن الاخفش.

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٢٩، ومعاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ١٠٠.

(٦) يونس: ٣٨.

(٧) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٣٠.

(٨) معاني القرآن: ج ١ ص ١٩.

(٩) تفسير مجاهد: ص ١٩٨، وتفسير الطبري: ج ١ ص ١٣٠.

يقبل قولهم . وقول ابن عباس أقوى .

وقوله: «مثله» أراد به ما يقاربه في الفصاحة ونظمه وحسن ترصيفه وتأليفه، ليعلم أنه إذا عجزوا عنه ولم يتمكنوا منه أنه من فعل الله تعالى، جعله تصديقاً لنبيه، وليس المراد أن القرآن له مثل عند الله، ولولاه لم يصح التحدي لأن ما قالوه لا دليل عليه، والاعجاز يصح وإن لم يكن له مثل أصلاً، بل ذلك أبلغ في الاعجاز لأن ذلك جار مجرى قوله: «هاتوا برهانكم»^(١) وإنما أراد نفي البرهان أصلاً، والدعاء أراد به الاستعانة، قال الشاعر:

وقبلك رب خصم قد تمالوا عليّ فما جزعت ولا دعوت
وقال آخر:

فلما التقت فرساننا ورجاهم دعوا بالكعب واعتزينا العامر^(٢)
يعني انتصروا بكعب واستغاثوا بهم.

وشهداء جمع شهيد مثل شريك وشركاء وخطيب وخطباء، والشهيد يسمى به الشاهد على الشيء لغيره بما يحقق دعواه، وقد يسمى به المشاهد للشيء، كما يقال: جليس فلان، يريد به مجالسه ومنادمه. فعلى هذا تفسير ابن عباس أقوى وهو أن معناه استنصروا أعوانكم على أن يأتوا بمثله، وشهداء كم الذين يشاهدونكم ويعاونونكم على تكذيب الله ورسوله، ويظاهرونكم على كفركم ونفاقكم إن كنتم محقين .

وما قاله مجاهد وابن جريج في تأويل ذلك لا وجه له، لأن القوم على ثلاثة أصناف: فبعضهم أهل إيمان صحيح، وبعضهم أهل كفر صحيح،

(١) البقرة: ١١١.

(٢) كتاب سيبويه: ج ٢ ص ٣٨٠، والقاتل هو «الراعي».

وبعضهم أهل نفاق. فأهل الايمان اذا كانوا مؤمنين بالله ورسوله، فلا يجوز ان يكونوا شهداء للكفار على ما يدّعون. واما أهل النفاق والكفر فلا شك أنهم اذا دعوا الى تحقيق الباطل وابطال الحق سارعوا اليه مع كفرهم وضلالتهم. فن أي الفريقين كانت تكون شهداء، لكن يجري ذلك مجرى قوله: «قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً»^(١). وقد أجاز قوم هذا الوجه أيضاً قالوا: لأنّ العقلاء لا يجوز أن يحملوا نفوسهم على الشهادة بما يفتضحون به في كلام أنه مثل القرآن ولا يكون مثله، كما لا يجوز ان يحملوا نفوسهم على ان يعارضوا ما ليس بمعارض في الحقيقة.

ومعنى الآية: إن كنتم في شك من صدق محمد صلى الله عليه وآله فيما جاءكم به من عندي، فأتوا بسورة من مثله، فاستنصروا بعضكم بعضاً على ذلك إن كنتم صادقين في زعمكم حتى إذا عجزتم وعلمتم انه لا يقدر على ان يأتي به محمد صلى الله عليه وآله ولا أحد من البشر يتضح عندكم انه من عند الله تعالى.

[قوله تعالى]:

فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٢٤﴾ آية.

المعنى:

معنى «فان لم تفعلوا» لم تأتوا بسورة من مثله، وقد تظاهرت انتم

وشركاؤكم عليه وأعوانكم، وقد تبين لكم بامتحانكم واختباركم عجزكم وعجز جميع الخلق عنه وعلمتم انه من عندي، ثم اقمتم على التكذيب به .

وقوله: «ولن تفعلوا» لا موضع له من الاعراب، وانما هو اعتراض بين المبتدأ والخبر، كقولك: زيد - فافهم ما أقول - رجل صدق . وانما لم يكن له موضع اعراب، لأنه لم يقع موضع المفرد . ومعنى «ولن تفعلوا» اي لن تأتوا بسورة من مثله ابدأ، لأن «لن» تنفي على التأبيد في المستقبل، وفي قوله: «ولن تفعلوا» دلالة على صحة نبوته، لأنه يتضمن الأخبار عن حالهم في المستقبل بأنهم لا يفعلون، ولا يجوز لعاقل أن يقدم على جماعة من العقلاء يريد تهجينهم فيقول: انتم لا تفعلون إلا وهو واثق بذلك، ويعلم ان ذلك متعذر عندهم، وينبغي ان يكون الخطاب خاصاً لمن علم الله انه لا يؤمن، ولا يدخل فيه من آمن فيما بعد وإلا كان كذباً .

وقوله: «فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة»، الوقود - بفتح الواو - اسم لما يوقد، والوقود - بضمها - المصدر، وقيل: إنها بمعنى واحد في المصدر واسم الخطب حكاه الزجاج^(١) والبلخي^(٢)، والأول أظهر .

«اتقوا الله» - مشددة - لغة أهل الحجاز، وبنو أسد وتميم يقولون: «تقوا الله» خفيف بحذف الألف .

«الحجارة» قيل: إنها حجارة الكبريت لأنها أحرش شيء اذا حميت، وروي ذلك عن ابن عباس^(٣) وابن مسعود^(٤) . والظاهر إن الناس

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ١٠١ .

(٢) لا يوجد لدينا كتابه .

(٣) تفسير ابن عباس: ص ٥ .

(٤) نقله سفيان بن عيينة في تفسيره: ص ٢٠٥، والطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٣١ .

والحجارة وقود النار وحطبها كما قال: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم»^(١) تهيباً وتعظيماً بأنها تحرق الحجارة والناس .

وقيل: إن أجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقدها النار بالقدح. وقال قوم: معناه أنهم يعذبون بالحجارة المحماة مع النار^(٢)، والأول أقوى وأليق بالظاهر.

وانما جاز أن يكون قوله: «فاتقوا النار» جواب الشرط مع لزوم الاتقاء من النار كيف تصرفت الحال، لأنه لا يلزمهم الاتقاء على التصديق بالنبوة إلا بعد قيام المعجزة؛ فكأنه قال: فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقد قامت الحجة، ووجب اتقاء النار بالمخالفة .

وقوله: «أعدت للكافرين» لا يمنع من اعدادها لغير الكافرين من الفساق كما قال: «وإن جهنم لمحيطة بالكافرين»^(٣) ولم يمنع ذلك من إحاطتها بالفساق والزناة والزبانية. وقال قوم: هذه نار مخصوصة للكافرين لا يدخلها غيرهم، والفساق لهم نار أخرى^(٤) .

وقد استدل بهذه على بطلان قول من حرم النظر والحجاج العقلي، بأن قيل: كما احتج الله تعالى على الكافرين بما ذكره في هذه الآية وألزمهم به تصديق النبي صلى الله عليه وآله والمعرفة بأن القرآن كلامه، لأنه قال: إن كان هذا القرآن كلام محمد فأتوا بسورة من مثله، ودلهم بعقولهم أنه لو كان كلام محمد لتهيا لهم مثل ذلك، لأنهم الذين يؤخذ عنهم اللغة، وإذا كان لم

(١) الانبياء: ٩٨.

(٢) رواه الطبري في تفسيره عن ابن جريج: ج ١ ص ١٣١.

(٣) التوبة: ٤٩.

(٤) انظر تفسير الطبري: ج ١ ص ١٣٢.

يتيأ لهم ذلك علموا بعقولهم أنه من كلام الله، وهذا هو معنى الاحتجاج بالعقول، فيجب ان يكون ذلك صحيحاً من كل واحد .

[قوله تعالى:]

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ
وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾
آية .

اللفظة:

البشارة هو الإخبار بما يسرّ المخبر به إذا كان سابقاً لكلّ خبر سواه، لأنّ الثاني لا يسمى بشارة، وقد قيل: إن الإخبار بما يغم ايضاً يسمى بشارة^(١). كما قال تعالى: «فبشرهم بعذاب أليم»^(٢). والأولى أن يكون ذلك مجازاً، وهي مأخوذة من البَشَرَة وهي ظاهر الجلد لتغييرها بأول الخبر، ومنه تبشير الصبح أوله، وكذلك تبشير كل شيء، المبشرات الرياح التي تحييء بالسحاب، والبشر الانسان، والبشرة أعلى جلدة الجسد، والوجه من الانسان، والمباشرة ملاصقة البشرة، والبشر قشر الجلد .

والجنان جمع جَنَّة، والجنة البستان. والمراد بذكر الجنة ما في الجنة من اشجارها واثمارها وغروسها دون أرضها، فلذلك قال: «تجري من تحتها الأنهار» لأنه معلوم انه أراد الخبر عن ماء انهارها انه جار تحت الاشجار والغروس والثمار لا أنه جار تحت أرضها، لأن الماء إذا كان تحت الأرض

(١) قاله الجوهري في الصحاح: مادة «بشر» ج ٢ ص ٥٩٠.

(٢) آل عمران: ٢١.

جارياً فلا حظ فيه للعيون إلا بكشف الساترينه وبينها، على أن الذي يوصف به أنهار الجنة انها جارية في غير أحاديده. روي ذلك عن مسروق^(١)، رواه عنه ابو عبيدة وغيره^(٢).

الإعراب:

«وجنات» منصوب بأن، وكسرت التاء لأنها تاء التأنيث في جمع السلامة وهي مكسورة في حال النصب بالتحفص. وموضع «ان» نصب بقوله: «وبشر الذين». وقال الخليل والكسائي^(٣): موضعه الجر بالباء، كأنه قال: وبشرهم بأن لهم.

المعنى:

وقال الفضل: الجنة كل بستان فيه نخل، وإن لم يكن شجر غيره، وإن كان فيه كرم فهو فردوس، كان فيه شجر غير الكرم أم لم يكن. «من ثمرة»: من زائدة، والمعنى: كلما رزقوا ثمرة، و«منها» يعني من الجنات، والمعنى: أشجارها، وتقديرها: كلما رزقوا من أشجار البساتين التي

(١) وهو أبو عائشة، مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الحمداني الوادعي الكوفي. روى عن علي عليه السلام.

قال الشعبي: ما علمت أحداً كان أطلب للعلم منه، وكان من عبّاد أهل الكوفة. ذكره ابن حبان في الثقات.

توفي بالكوفة سنة ٦٢ أو ٦٣ للهجرة، وله ثلاث وستون سنة.

(طبقات الحفاظ: ص ١٤، وتهذيب التهذيب: ج ١٠ ص ١٠٩).

(٢) روى ذلك الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٣٢.

(٣) اعراب القرآن للنحاس: ج ١ ص ٢٠١.

اعدها الله للمؤمنين . وقال الرماني: هي بمعنى التبعض^(١)، لأنهم يرزقون بعض الثمرات في كل وقت، ويجوز أن تكون بمعنى تبين الصفة وهو أن يبين الرزق من أي جنس هو.

وقوله: «هذا الذي رزقنا من قبل» روي عن ابن عباس وابن مسعود وجاعة من الصحابة انه الذي رزقنا في الدنيا^(٢). وقال مجاهد: معناه اشبهه به^(٣). وقال بعضهم: إن ثمار الجنة إذا جنت من اشجارها عاد مكانها، فإذا رأوا ما عاد بعد الذي جني اشتبه عليهم، فقالوا: هذا الذي رزقنا من قبل، وهذا قول أبي عبيدة ويحيى بن أبي كثير^(٤). وقال قوم: هذا الذي رزقنا وعدنا به في الدنيا. وقد بينا فيما تقدم أن الرزق عبارة عما يصح الانتفاع به على وجه لا يكون لأحد المنع منه. وقال الفضل: ذلك يخص الأقوات^(٥). وقال قوم: هذا الذي رزقنا من قبل لمشابهته في اللون وإن خالفه في الطعم^(٦).

واقوى الأقوال قول ابن عباس وأن معناه هذا الذي رزقنا في الدنيا، لأنه قال: «كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل» فعمّ ولم يخص. فأول ما أتوا به لا يتقدّر هذا القول فيه إلا بأن يكون إشارة إلى ما تقدم رزقه في الدنيا، لأننا فرضناه أولاً وليس في الآية تخصيص، ويكون التقدير هذا الذي رزقنا في الدنيا لأنّ ما رزقوه أولاً قد عدم وأقام

(١) لم نعر عليه في المصادر المتوفرة لدينا.

(٢) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٣٣.

(٣) تفسير مجاهد: ص ١٩٨.

(٤) و(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ١١٣.

(٦) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٤، وتفسير ابن عباس: ص ٦.

المضاف إليه مقام المضاف، كما أن القائل اذا قال لغيره: أعددت لك طعاماً، ووصفه له يحسن أن يقول: هذا طعام كل وقت، يريد مثله ومن جنسه ونوعه .

وقوله: «وأتوا به متشابهاً» قال الضحاك : إذا رأوه، قالوا: هو الأول في النظر واللون، وإذا طعموا وجدوا له طعماً غير طعم الأول^(١)، وقوله : «وأتوا به» معناه جيئوا به وليس معناه أعطوه، وقال قوم: «وأتوا به متشابهاً» أي يشبه بعضه بعضاً إلا في المنظر والطعم، أي كل واحد منه له من الفضل في نحوه مثل الذي للآخر في نحوه، ذكره الأخفش^(٢). وهذا كقول القائل: وقد جيء بأثواب أو أشياء رآها فاضلة فاشتبهت عليه في الفضل، فقال: ما أدري ما اختار منها كلها عندي فاضل، قال الشاعر:

من تلقَ منهم ثقلَ لاقيتُ سيدهم مثلَ النجوم التي يسري بها الساري^(٣)
يعني أنهم تساوا في الفضل والسؤدد. وروي هذا عن الحسن وابن جريج^(٤). وقال قتادة: معناه يشبه ثمار الدنيا غير أنها أطيب^(٥). وقال ابن زيد والاشجعي: إن التشابه في الاسماء دون الألوان والطعوم، فلا يشبه ثمار الجنة شيء من ثمار الدنيا في لون ولا طعم^(٦). وأولى هذه الاقوال أن يكون المراد به متشابهاً في اللون والمنظر على ان

(١) حكاه الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «شبه» ج ٦ ص ٩٢ عن جماعة من المفسرين.

(٢) معاني القرآن: ج ١ ص ٢١٤.

(٣) لم نجد البيت فيما لدينا من المصادر.

(٤) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٣٤، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ٨٦.

(٥) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٣٥.

(٦) حكى قولها الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٣٥، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٨٦.

الطعم مختلف لما قدمناه من أن هذا يقولونه في أول الحال أيضاً، وما يقدر عليه غيره، وبعد هذا قول من قال: معناه أن كلها جياذ لا رذال فيه .
وقال بعض المتأخرين في قوله: «هذا الذي رزقنا من قبل»: معناه هذا الذي أعطينا بعبادتنا من قبل^(١) .

وقال ابو علي: معناه ذلك ما يؤتون به في كل وقت من الثواب مثل الذي يؤتى في الوقت الذي قبله من غير زيادة ولا نقصان، لأنه لا بد أن تتساوى مقادير الاستحقاق في ذلك، وقال أيضاً: يجب أن يسوي بينهم في الأوقات في مقدار ما يتفضل به عليهم في وقت ويزدادون في وقت آخر، قال: لأن ذلك يؤدي الى أن التفضل أعظم من الثواب^(٢) .

وهذا الذي ذكره غير صحيح، لأن العقل لا يدل على مقادير الثواب في الأوقات ولا يعلم ذلك غير الله، بل عندنا لا يدل العقل على دوام الثواب وإنما علم ذلك بالسمع والاجماع، وأما التفضل فلا شك أنه يجوز أن يزيد في وقت على ما يفضل في وقت آخر ولا يؤدي ذلك الى مساواته للثواب، لأن الثواب يتميز من التفضل لمقارنة التعظيم له والتبجيل، ولأجل ذلك يتميز كل جزء من الثواب من كل جزء من التفضل ولا زيادة هناك .

وقوله: «ولهم فيها ازواج مطهرة» قيل: في الأبدان والأخلاق والأفعال ولا يحضن ولا يلدن ولا يذهبن الى غائط، وهو قول جماعة المفسرين^(٣) .
وقوله: «وهم فيها خالدون» أي دائمون يبقون ببقاء الله لا انقطاع

(١) لم نهند لقائله.

(٢) لم نعر عليه في المصادر المتوفرة لدينا.

(٣) القمي في تفسيره: ج ١ ص ٣٤، وابن عباس في تفسيره: ص ٦، والطبري في تفسيره: ج ١

ص ١٣٦. وتفسير الماوردي: ج ١ ص ٨٧.

لذلك ولا نفاذ .

قوله تعالى:

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي
بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿١٦﴾ آية واحدة .

سبب النزول :

اختلف أهل التأويل في سبب نزول هذه الآية؛ فروي عن ابن
مسعود^(١) وابن عباس^(٢): أن الله تعالى لما ضرب هذين المثلين للمنافقين
وهو قوله: «كمثل الذي استوقد ناراً» وقوله: «أو كصيب من السماء» قال
المنافقون: الله أجل من «أن يضرب مثلاً» الى آخر الآية .

وقال الربيع بن أنس: هذا مثل ضربه الله للدنيا، لأن البعوضة تحيا ما
جاعت فاذا سمنت ماتت، فشبّه الله تعالى هؤلاء بأنهم اذا امتلأوا أخذهم
الله، كما قال تعالى: «فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليه ابواب كل شيء
- الى أن قال- حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون»^(٣)^(٤) .
وقال قتادة: معناه أن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما
فوقها، أي لا يستحيي من الحق أن يذكر منه شيئاً ما قل أو كثر، إن الله

(١) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٣٨ .

(٢) اسباب النزول للواحدي: ١٣ .

(٣) الأنعام: ٤٤ .

(٤) نقله عنه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٣٨، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٨٨ .

تعالى حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة: ما ذا أراد الله من ذكر هذا؟ فأنزل الله تعالى: «ان يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها...» الآية^(١).

وكل هذه الوجوه حسنة، واحسناها قول ابن عباس، لأنه يليق بما تقدم، وبعده ما قال قتادة.

وليس لأحد أن يقول: هذا المثل لا يليق بما تقدم، من حيث لم يتقدم للبعوضة ذكر، وقد جرى ذكر الذباب والعنكبوت في موضع آخر في تشبيه آلهتهم بها وان يكون المراد بذلك اولى وذلك أن قوله: «ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فافوقها» انما هو خبر منه تعالى انه لا يستحيي تعالى أن يضرب مثلاً في الحق من الأمثال صغيرها وكبيرها، لأن صغير الأشياء عنده وكبيرها بمنزلة واحدة من حيث لا يتسهل الصغير ولا يصعب الكبير، وإن في الصغير من الإحكام والا تقان ما في الكبير، فلما تساوى الكل في قدرته جاز أن يضرب المثل بما شاء من ذلك، فيقرب بذلك المؤمنون ويسلمون وإن ضلّ به الفاسقون بسوء اختيارهم، وهذا المعنى مروى عن مجاهد^(٢).

وروي عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام انه قال: إنما ضرب الله بالبعوضة، لأن البعوضة على صغر حجمها خلق فيها جميع ما في الفيل على كبره وزيادة عضوين آخرين، فأراد الله أن ينبّه بذلك المؤمنين على لطف خلقه وعجيب عظم صنعه^(٣).

(١) نقله الواحدي في أسباب النزول: ص ١٤، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ٨٨.

(٢) تفسير مجاهد: ص ١٩٨.

(٣) روضة الكافي: ص ٢٤٨ ح ٣٤٨.

القراءة والمعنى :

و«يستحيي» لغة أهل الحجاز وعامة العرب بياثين، وبنو تميم يقولون بياء واحدة أخصر، كما قالوا: ألم يك، ولا أدر^(١).

ومعنى «يستحيي» قال بعضهم: إنه لا يخشى ان يضرب مثلاً، كما قال: «وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه»^(٢) معناه: تستحي الناس والله أحق أن تستحييه، فيكون الاستحياء بمعنى الخشية، والخشية بمعنى الاستحياء^(٣).

وقال الفضل بن سلمة: معناه لا يمتنع^(٤). وقال قوم: لا يترك^(٥)، وهو قريب من الثاني.

واصل الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفاً من مواجهة القبيح، والاستحياء والانخزال والانقماع والإرتداع متقاربة المعنى، وضد الحياء القحة، ومعنى الاستحياء في الآية انه ليس في ضرب المثل بالحقير عيب يستحي، وكأنه قال: لا يحل ضرب المثل بالبعوضة محل ما يستحي منه فوضع قوله: «إن الله لا يستحيي... الآية» موضعه، إختاره الرمانى^(٦).

(١) معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٢١٤.

(٢) الأحزاب: ٣٧.

(٣) حكاية الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٣٩، ونهجه الى بعض المنسوين الى المعرفة بلفظ العرب، وقال: كان يتأول معنى: «ان الله لا يستحيي» ولم نقف على قائل لهذا القول.

(٤) نقله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٨٧.

(٥) تفسير ابن عباس: ص ٦.

(٦) لا يوجد لدينا كتابه.

وقوله: «ان يضرب مثلاً» فهو ان يصف ويمثل ويبين، كما قال تعالى: «ضرب لكم مثلاً من انفسكم»^(١) معناه وصف لكم، كما قال الكمي^(٢):

وذلك ضرب أخماس أريدت لأسداس عسى أن لا تكونا^(٣)
والمعنى وصف أخماس، وضرب المثل بمثله، يقال: أيّ ضرب هذا؟ أي
من أيّ جنس ولون.

والضروب الأمثال، والمثل الشبه، ويقال: مثل ومثّل، كما قالوا:

(١) الروم: ٢٨.

(٢) وهو أبو المستهل الكمي بن زيد الأسدي، من أشعر شعراء الكوفة المتقدمين في عصره. ولد أيام مقتل الامام الحسين عليه السلام سنة ستين للهجرة، كان معروفاً بالتشيع مشهوراً بذلك، كانت بنو أسد تقول: فينا فضيلة ليست في العالم. ليس منزل منا إلا وفيه بركة وراثة الكمي؛ لأنه رأى النبي صلى الله عليه وآله في النوم فقال له: أنشدني، طربت وما شوقاً الى البيض أطرب. فأنشده، فقال له: بورك وبورك قومك .

كان في صغره ذكياً لؤذعياً وقف يوماً على الفرزدق وهو ينشد والكمي يومئذ صبي فقال له الفرزدق: أيسرُك أني أبوك؟ فقال الكمي: أما أبي فلا أريد به بدلاً ولكن يسرني أن تكون أُمي. فحصر الفرزدق وقال: ما مربي مثلها قط. كان الكمي فقيه الشيعة، وحافظ القرآن وكان جدلياً وهو أول من ناظر في التشيع مجاهرأ بذلك .

دخل يوماً على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليها السلام في أيام التشريق بمنى، فقال له: جعلت فداك إني قلت فيكم شعراً أحب أن أنشدك، فقال: هات، وبعث أبو عبد الله عليه السلام الى أهله فحضر فأنشده فكثر البكاء حتى أتى على قوله:

يُصيب به الرامون عن قوسٍ غيرهم فيأ آخرأ أسدى له الغني أولُ
فرفع أبو عبد الله عليه السلام يديه، فقال: اللهم اغفر للكمي، من بدائع شعره الهاشميات وهي معروفة مشهورة. استشهد - رحمه الله - في خلافة مروان سنة ١٢٦هـ.

(الشعر والشعراء: ص ٣٦٨، والأعلام: ص ٢٣٣، أعيان الشيعة: ج ٩ ص ٣٣).

(٣) تهذيب اللغة: مادة «خس» ج ٧ ص ١٩٢.

شبهه وشبهه، كقول كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لنا مثلاً وما مواعيده إلا الأباطيل^(١)
يعني شهباً، فعنى الآية: إن الله لا يستحي أن يصف شهباً لما شبه به .

الاعراب:

وإما إعراب «بعوضة» فنصب من وجهين على قول الزجاج:
أحدهما: أن تكون «ما» زائدة، كأنه قال: إن الله لا يستحي أن
يضرب بعوضة مثلاً أو مثلاً بعوضة وتكون «ما» زائدة، نحو قوله: «فما رحمة
من الله»^(٢) .

والثاني: أن تكون «ما» نكرة، ويكون المعنى أن الله لا يستحي أن
يضرب مثلاً شيئاً بعوضة، فكان بعوضة في موضع نصب، كأنه قال:
يستحي أن يضرب مثلاً شيئاً من الأشياء بعوضة فيما فوقها^(٣) .

قال الفراء: يجوز أن يكون معنى «ما» بين بعوضة الى ما فوقها كما يقول
القائل: مطرنا ما زبالة فالثعلبية، وله عشرون ما ناقة وجملأ، وهي أحسن
الناس ما قرنا فقدما^(٤)، يعنون ما بين في جميع ذلك .

وقال بعضهم: «ما» بمعنى الذي، ويكون التقدير الذي هو بعوضة لأنها
من صلة الذي، فأعرها بأعرابه^(٥)، كما قال حسان بن ثابت :

(١) ديوان كعب بن زهير: ص ٨.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) معاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ١٠٣.

(٤) معاني القرآن: ج ١ ص ٢٢.

(٥) معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٢٢، ومعاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٢١٥.

فكفى بنا فخراً على من غيرنا حب النبي محمد ايانا^(١)
فأعرب (غيرنا) باعراب (من) ويجوز ذلك في من وما، لأنها يكونان
تارة معرفة وتارة نكرة .

والبعوضة من صغار البق .

وقوله: «فأفوقها» في الصغر والقلّة، كما يقول القائل: إن هذا الأمر
لصغير، فيقول المجيب: وفوق ذلك، أي هو أصغر مما قلت .

وكلاهما جائز فن قال بالأول، قال: لأن البعوضة غاية في الصغر، ومن
قال بالثاني، قال: يجوز أن يكون ما هو أصغر منها .

وحكي عن رؤبة بن العجاج أنه رفع بعوضة، وانشد بيت النابغة:

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا أو نصفه فقد^(٢)
بالرفع فأعمل ما ولم يعمل ليت، قال: وهي لغة تميم يعملون آخر
الأداتين^(٣) .

وقال الزجاج: الرفع كان يجوز وما قرئ به اذا كانت «ما» بمعنى
الذي، ويقدر بعدها هو، ويكون تقديره مثلاً الذي هو بعوضة، كما قرأ
تماماً على الذي هو أحسن وقد قرئ به وهو ضعيف عند سيبويه وفي
الذي أقوى لأنه أطول، ولأنها لا تستعمل إلا في الاسماء^(٤) .

وقوله: «فأما الذين» لغة العرب جميعاً بالتشديد، وكثير من بني عامر

(١) سيبويه: ج ١ ص ٣١٣، ومعاني القرآن للفرّاء: ج ١ ص ٢١ .

(٢) ديوانه: ص ٢٧، والكتاب لسيبويه: ج ١ ص ٣٢٩ .

(٣) نقله أبو عبيدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٣٥ .

(٤) معاني القرآن: ج ١ ص ١٠٤ .

وتميم يقولون: أيما فلان ففعل الله به، وانشد بعضهم :

مبتلة هيفاء أيما وشاحها فيجري وإيما الحجل منها فلا يجري^(١)
 «آمنوا فيعلمون أنه الحق» الفاء جواب «أما» وفيها معنى الشرط
 والجزاء، والمعنى: أن المؤمنين بالله على الحقيقة يعلمون أن هذا المثل حق من
 عند الله وأنه من كلامه .

«واما الذين كفروا» يعني الجاحدين «فيقولون ما ذا أراد الله بهذا
 مثلاً» على ما بيناه .

وانتصب «مثلاً» عند ثعلب بانه قطع، وعند غيره انه تفسير. وقال قوم:
 إنه نصب على الحال و«ذا» مع «ما» بمعنى الذي أي شيء الذي أراد الله بهذا
 مثلاً، فعلى هذا يكون الجواب رفعاً، كقولك البيان لحال الذي ضرب له
 المثل، ويحتمل أن يكون «ذا» و«ما» بمنزلة اسم واحد فيكون
 الجواب نصباً، كقولك البيان لحال الممثل به، وورد القرآن بهما جميعاً،
 قال تعالى: «ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً»^(٢) وفي موضع آخر: «ماذا أنزل
 ربكم قالوا أساطير الأولين»^(٣) ذكرهما سيبويه^(٤) والأخفش^(٥) وهذا
 إشارة الى المثل .

ومثلاً ما؛ نون التنوين تدغم في الميم عند جميع القراء، ويكره الوقف
 فيها على قوله: «لا يستحيي»، ثم يقول: «أن يضرب مثلاً» وكذلك على

(١) لم تعرف قائله .

(٢) النحل: ٣٠ .

(٣) النحل: ٢٤ .

(٤) الكتاب: ج ١ ص ٢٧٤-٢٧٥ .

(٥) معاني القرآن: ج ١ ص ٢١٦ .

قوله: «والله لا يستحيي» ثم يقول: «(من الحق)» .

وقوله: «يضل به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين» .

إن قيل: أليس تقولون: إن الله لا يضل أحداً، ولا يهدي خلقاً، وإن العباد هم يضلّون أنفسهم وهدونها، وهم يضلّون من شأؤوا وهدون من شأؤوا، وقد قال الله تعالى في غير موضع من كتابه نحو قوله: «يضل من يشاء وهدي من يشاء»^(١)، ولا يمكنكم ان تقولوا: إن المراد بالاضلال العقوبة والتسمية، لأنه لو قال: يضل كثيراً وهدي كثيراً، كان ذلك ممكناً، لكنه قال: «يضل به» و«يهدي به» والهاء راجعة الى القرآن، والمثل الذي ضربه فيه، ولا يجوز أن يعاقب بالمثل، ولا أن يسمى بالمثل، فعلم بذلك أنه أراد أنه لبس عليهم، وجعله حيرة لهم؟

قلنا: أول ما في ذلك إنا لا نطلق أن الله لا يضل أحداً ولا يهدي أحداً، ومن أطلق ذلك فقد أخطأ. ولا نقول أيضاً: إن العباد يضلّون أنفسهم وهدونها مطلقاً أو يضلّون غيرهم وهدونهم، فان إطلاق جميع ذلك خطأ، بل نقول: إن الله يضلّ من يشاء وهدي من يشاء، ونقول: إن من أضله الله فهو الضال، ومن هداه فهو المهتدي، ولكن لا نريد بذلك ما يريده المخالف مما يؤدي الى التظليم والتجوير لله في حكمه، والمخالف يقول: إن الله يضلّ كثيراً من خلقه بمعنى انه يصدّهم عن طاعته، ويحول بينهم وبين معرفته، ويلبس عليهم الأمور، ويحيرهم ويغالطهم ويشكّكهم ويوقفهم في الضلالة، ويحيرهم عليها، ومنهم من يقول: يخلقها فيهم، ويخلق فيهم قدرة موجبة له، ويمنعهم الأمر الذي به يخرجون منها، فيصفون الله تعالى بأقبح الصفات

وأخسها، وقالوا فيه بشرّ الأقوال^(١).

وقلنا نحن: إن الله قد هدى قوماً وأضل آخرين، وأنه يفضل من يشاء، غير أن لفضله وكرمه وعدله ورحمته، لا يشاء أن يفضل إلا من ضل وكفر وترك طريق الهدى، وإنه لا يشاء أن يفضل المهتدين والمتمسكين بطاعته، بل شاء أن يهديهم ويزيدهم هدى، فانه يهدي المؤمنين بأن يخرجهم من الظلمات الى النور، كما قال تعالى: «والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم»^(٢) وقال: «ومن يؤمن بالله يهد قلبه»^(٣) وقال: «الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور»^(٤) وقال: «يفضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يفضل به إلا الفاسقين» الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون» وقال: «ويضل الله الظالمين»^(٥)، والاضلال على وجوه كثيرة:

منها: ما نسبته الله تعالى الى الشيطان وهو الصّدّ عن الخير والرشد، والدعاء الى الفساد والاضلال وتزيين ذلك والحث عليه، وهذا ينزه الله تعالى عنه.

ومنها: تشديد الامتحان والاختبار اللذين يكون عندهما الضلال ويعقبها، ونظير ذلك في اللغة أن يسأل الرجل غيره شيئاً نفيساً خطيراً يثقل

(١) الملل والنحل للشهرستاني: ج ١ ص ٨٥.

(٢) محمد: ١٧.

(٣) التغابن: ١١.

(٤) البقرة: ٢٥٧.

(٥) إبراهيم: ٢٧.

على طبّاعه بذله ، فاذا بخل به قيل له : نشهد لقد بخل به فلان ، وليس يريدون بذلك عيب السائل وإنما يريدون عيب الباخل المسؤول ، لكن لما كان بخل المسؤول ظهر عند مسألة السائل جاز أن يقال في اللغة : انه بخلك .

ويقولون للرجل اذا أدخل الفضة النار ليعلم فسادها من صلاحها وظهر فسادها : أفسدت فضتك ، ولا يرون أنه فعل فيها فساداً ؛ وإنما يريدون ان فسادها ظهر عند محنته .

ويقرب من ذلك قولهم : فلان أضلّ ناقته ، ولا يريدون انه أراد أن يضل ، بل يكون قد بالغ في الاستتار منها ، وإنما يريدون ضلّت منه لا من غيره .

ويقولون : افسدت فلانة فلانا ، واذهبت عقله وهي لا تعرفه ، لكنه لما فسد وذهب عقله من أجلها ، وعند رؤيته إياها قيل : قد افسدت واذهبت عقله .

ومنها : التخلية على جهة العقوبة وترك المنع بالقهر والاجبار ، ومنع اللطاف التي يؤتيها المؤمنين جزاء على إيمانهم ، كما يقول القائل لغيره : افسدت سيفك ، اذا ترك أن يصلحه ، لا يريد أنه أراد أن يفسد أو أراد سبب فساده أو لم يجب صلاحه لكنه تركه فلم يحدث فيه الاصلاح - في وقتٍ - بالصقل والاحداد . وكذلك قولهم : جعلت اظافيرك سلاحاً ، وإنما يريدون تركت تقليمها .

ومنها : التسمية بالاضلال والحكم به كافراً ، يقال : أضله اذا سمّاه ضالاً ، كما يقولون : أكفره اذا سمّاه كافراً ونسبه اليه ، قال الكميّ :

وطائفة قد أكفروني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب^(١)
ومنها: الاهلاك والتدمير، قال الله تعالى: «أإذا ضللنا في الأرض»^(٢)
أي هلكنا .

فيجوز أن يكون أراد بالآية حكم الله على الكافرين وبراءته منهم ولعنه
إياهم إهلاكاً لهم، ويكون اضلاله إضلالاً^(٣) كما كان الضلال هلاكاً .
وإذا كان الضلال ينصرف على هذه الوجوه، فلا يجوز أن ينسب الى الله
تعالى اقبحها وهوما أضافه الى الشيطان، بل ينبغي أن ينسب اليه أحسنها
وأجلها .

وأذا ثبتت هذه الجملة، رجعنا الى تأويل الآية، وهو قوله: « يضل به
كثيراً » معناه أن الكافرين لما ضرب الله لهم الامثال قالوا: ما الحاجة
اليها؟ قال الله تعالى: فيها أعظم الفائدة لأنها محنة واختبار وبها يستحق
الثواب ويوصل إلى النعيم . فسمي المحنة اضلالاً وهداية، لأن المحنة إذا
اشتدت على المتحن وثقلت فضلّ عندها جاز أن تسمى اضلالاً، فإذا
سهلت فاهتدى عندها سميت هداية، كما أن الرجل يقول لصاحبه: ما
يفعل فلان؟ فيقول: هوذا يسخي قوماً ويخل قوماً آخرين، أي يسأل قوماً
فيشتدّ عليهم للتعطاء فيبخلون، ويسأل آخرين فيسهّل عليهم فيعطون
ويجودون، فسمي سؤاله باسم ما يقع عنده ويعقبه .

فغنى قوله: «يضلّ به كثيراً وهدى به كثيراً» أي يمتحن به عباده
فيضل به قوم كثير وهتدي به قوم كثير، ولا يجب على ذلك أن يكون أراد

(١) القصائد الهاشميات: ص ٢٩ .

(٢) السجدة: ١٠ .

(٣) كذا في النسخة الخطية والحجرية، والصحيح «إهلاكاً» فلاحظ .

إضلالهم، كما لا يجب ذلك في السائل الذي لا يريد بخل المسؤول بل يريد إعطاءه .

فان قيل: أليس الله تعالى امتحن بهذه الأمثال المؤمنين كما امتحن بها الكافرين، فيجب أن يكون مضلاً لهم ؟

قلنا: إنما سمي المحنة الشديدة إضلالاً اذا وقع عندها الضلال، كما أن السؤال يسمى تبخيلاً اذا وقع عنده البخل .

وقال قوم: معنى قوله: «يضل به كثيراً» يعني يضل بالكذب بهذه الأمثال كثيراً ويهدي بالايان كثيراً، لأنه لو كان سبباً للضلال لما وصفه الله بأنه هدى وبيان وشفاء لما في الصدور، وحذف التكذيب والاقرار اختصاراً، لأن في الكلام ما يدل عليه، كما يقول القائل: نزل السلطان فسد به قوم وشقي به آخرون. وانما يراد به سعد باحسانه قوم وشقي باساءته آخرون، لا بنزول جيشه، لأن نفسه لا يقع به سعادة ولا شقاء. وكما قال: «وأشربوا في قلوبهم العجل»^(١) وانما أراد حب العجل، وذلك كثير^(٢) .

وقد بينا أن الاضلال والهداية يعبر بهما عن العذاب والثواب، فعلى هذا يكون تقدير الآية: يضل أي يعذب بتكذيب القرآن والأمثال كثيراً، ويهدي أي يثيب بالاقرباره كثيراً .

والدليل على ما قلناه قوله: «وما يضلّ به إلا الفاسقين» فلا يخلو أن يكون أراد ما قلناه من العقوبة على التكذيب، أو أراد به الحيرة والتشكيك، وقد ذكرنا انه لا يفعل الحيرة المتقدمة التي بها صاروا ضلّالا

(١) البقرة: ٩٣.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٤١.

فساقاً لم يفعلها الله إلا بحيرة قبلها، وهذا يوجب ما لا نهاية له من حيرة قبل حيرة لا إلى أول، أو إثبات إضلال لا إضلال قبله، فان كان الله قد فعل هذا الضلال الذي لم يقع قبله ضلال فقد أضل من لم يكن فاسقاً، وهذا خلاف قوله: «وما يضل به إلا الفاسقين» ثبت أنه أراد أنه لا يعاقب إلا الفاسقين، كما قال: «ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء»^(١).

وحكى الفراء وجهاً آخر مليحاً، قال: قوله: «ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً» حكاية عمن قال ذلك، كأنهم قالوا: ماذا أراد بهذا مثلاً يضل به كثيراً، أي يضل به قوم ويهدي به قوم، ثم قال الله: «وما يضل به إلا الفاسقين» فبين عز وجل الاضلال، وأنه لا يضل إلا ضالاً فاسقاً، واقتصر على الاخبار عنهم وبيان ما بين الاضلال دون ما أراد بالمثل^(٢) وهذا وجه حسن تزول معه الشبهة.

وأصل الفسق في اللغة^(٣) الخروج عن الشيء، يقال منه: فسقت الرطبة إذا اخرجت من قشرها، ومن ذلك سميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها، ولذلك سمي المنافق والكافر فاسقين لخروجهما عن طاعة الله، ولذلك قال الله تعالى في صفة إبليس: «إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه»^(٤) يعني خرج من طاعته واتباع أمره.

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) معاني القرآن: ج ١ ص ٢٣.

(٣) راجع جهرة اللغة: مادة «فسق» ج ٣ ص ٣٧، والعين: مادة «فسق» ج ٥ ص ٨٢، ومقاييس

اللغة: مادة «فسق» ج ٤ ص ٥٠٢، والصاحح: مادة «فسق» ج ٤ ص ١٥٤٣.

(٤) الكهف: ٥٠.

قوله تعالى :

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٧﴾ آية

واحدة .

اللغة :

العهد العقد، والاصر مثله، والعهد الموثق، والعهد الالتقاء يقال: ما لفلان عهد بكذا، وهو قريب العهد بكذا. والعهد له معان كثيرة، وسمي المعاهد - وهو الذمي - بذلك لأنه بايع على ما هو عليه من إعطاء الجزية والكف عنه. والعُهدَة كتاب الشراء، وجمعه عُهَد. وإذا أقسم بالعهد تعلق به عندنا كفارة الظهار، وقال قوم: كفارة يمين^(١)، وقال آخرون: لا كفارة عليه^(٢).

المعنى :

و«عهد الله» قال قوم: هو ما عهد الى جميع خلقه في توحيده وعدله، وتصديق رسوله بما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته، وعهد إليهم في أمره ونبيه، وما احتج به لرسله بالمعجزات التي لا يقدر على الاتيان بمثلها الشاهدة لهم على صدقه^(٣)، ونقضهم ذلك: تركهم الاقرار بما قد ثبت لهم صحته بالأدلة، وتكذيبهم الرسل والكتب .

(١) احكام القرآن للجصاص: ج ٢ ص ٤٥٦.

(٢) احكام القرآن للجصاص: ج ٢ ص ٤٥٤.

(٣) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٤٢، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٨٩.

وقال قوم: هو وصية الله الى خلقه، وأمره على لسان رسله إياهم فيما أمرهم به من طاعته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه، ونقضهم تركهم العمل به (١).

وقال قوم: هذه الآية نزلت في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم، وإياهم عنى الله عز وجل بقوله: «إن الذين كفروا سواء عليهم... الآية» (٢)، وقوله: «ومن الناس من يقول آمنا بالله» (٣) وكل ما في هذه الآية من اللوم والتوبيخ متوجه إليهم. وعهد الله الذي نقضوه بعد ميثاقه هو ما أخذه عليهم في التوراة من العمل بما فيها، واتباع محمد صلى الله عليه وآله إذا بعث، والتصديق بما جاء به من عند ربهم، ونقضهم ذلك جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته (٤) وانكارهم ذلك، وكتمانهم ذلك عند الناس بعد إعطائهم إياه تعالى من أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتُمونه، وإيمانهم أنهم متى جاءهم نذير آمنوا به، فلما جاءهم النذير ازدادوا نفوراً، ونبذوا ذلك وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً، وهذا الوجه اختاره الطبري (٥).

ويقوي هذا قوله: «واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من

(١) حكاه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٤٢، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٨٩.

(٢) البقرة: ٦.

(٣) البقرة: ٨.

(٤) كذا في النسخة الخطية والحجرية، وفي المطبوع «بحقيقته».

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٤٣.

الشاهدين»^(١) والاصر العهد أيضاً، وقال في موضع آخر: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها»^(٢)، وقال: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا»^(٣).

وقال قوم: انما عني بذلك العهد الذي أخذه الله حين أخرجهم من صلب آدم الذي وصفه في قوله: «واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم ...» الى آخر الآية^(٤) ^(٥).

وهذا الوجه عندي ضعيف؛ لأن الله تعالى لا يجوز ان يحتج على عباده بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه، وما ذكره غير معلوم اصلاً، والآية سنين القول فيها اذا انتهينا اليه إن شاء الله.

والقطع هو الفصل بين الشيئين أحدهما من الآخر، والأصل أن يكون في الأجسام ويستعمل في الأعراض تشبيهاً به، يقال: قطع الحبل والكلام. والأمر هو قول القائل لمن دونه: افعل، وهو ضد النهي.

والوصل هو الجمع بين الشيئين من غير حاجز. وقال قوم: الميثاق هو التوثيق^(٦)، كما قال: «انبتكم من الارض نباتاً»^(٧)، كقولهم: اعطيتم عطاء، يريد اعطاء.

(١) آل عمران: ٨١.

(٢) الأنعام: ١٠٩.

(٣) فاطر: ٤٢.

(٤) الاعراف: ١٧٢.

(٥) كقول الزجاج في ماني القرآن: ج ١ ص ١٠٦.

(٦) راجع تهذيب اللغة للأزهري: مادة «وثق» ج ٩ ص ٢٦٦، وتفسير الطبري: ج ١ ص ١٤٤.

(٧) نوح: ١٧.

الاعراب :

وقوله : «ان يوصل» بدل من الهاء التي في «به» تقديره: ما أمر الله بأن يوصل، وهو في موضع خفض. و«الذين» موضعه نصب، لأنه صفة للفاسقين، «أولئك» رفع بالابتداء، و«الخاسرون» خبره، و«هم» فصل عند البصريين وعماد عند الكوفيين^(١). ويجوز أن يكون «هم» ابتداء ثانياً، والخاسرون خبره، والجملة في موضع خبر «أولئك»، والنقض ضد الابرام.

اللغة :

والميثاق والميعاد والميقات متقاربة المعنى، يقال: وثق يثق ثقةً، وأوثق إثاقاً، وتوثق توثقاً، ويقال: فلان ثقة للذكر والأنثى، والواحد والجمع بلفظ واحد، فإذا جمع قيل: ثقات في الرجال والنساء .
و«من» لابتداء الغاية في الآية، وقيل: إنها زائدة^(٢). والهاء في قوله: «ميثاقه» يحتمل ان تكون راجعة الى اسم الله تعالى. وقال قتادة بقوله: «ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل» هو قطيعة الرحم والقربة^(٣). وقال غيره: معناه الأمر بأن يوصل كل من أمر الله بصلته من اوليائه^(٤).
والقطع البراءة من اعدائه، وهذا أقوى لأنه أعم من الأول، ويدخل

(١) معاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ١٠٦.

(٢) معاني القرآن للأخفش. ج ١ ص ٣٧٨، والفريدي في اعراب القرآن: ج ١ ص ٢٦٠.

(٣) نقله عنه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٤٤، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٩٠.

(٤) إعراب القرآن للزجاج: ج ٢ ص ٥٧٧، ولاحظ تفسير ابن عباس: ص ٦.

فيه الأول. وقال قوم: أراد صلة رسوله وتصديقه فقطعوه بالتكذيب، وهو قول الحسن^(١). وقال قوم: أراد أن يوصل القول بالعمل فقطعوا بينها بأن قالوا ولم يعملوا. وما قلناه أولاً أولى، لأننا إذا حملناه على عمومته دخل ذلك فيه. وقوله: «يفسدون في الأرض» قال قوم: استدعائهم إلى الكفر. وقال قوم: إخافتهم السيل وقطعهم الطريق. وقال قوم: أراد كل معصية تعدى ضررها إلى غير فاعلها.

والخسران هو النقصان، قال جرير:

إن سليطاً في الخسارانه أولاد قوم خُلِقُوا أَقْنَه^(٢)
يعني بالخسار ما ينقص من حظوظهم وشرفهم. وقال قوم: الخسار هاهنا الهلاك يعني هم الهالكون. وقال قوم: كلما نسب الله من الخسار إلى غير المسلمين فانما عني به الكفر وما نسب به إلى المسلمين انما عني به الدنيا، روي ذلك عن ابن عباس^(٣).

قوله تعالى:

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ
ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٨﴾ آية .

المعنى:

«كيف» موضوعة للاستفهام عن الحال، والمعنى هاهنا التوبيخ، وقال

(١) تفسيره: ج ١ ص ٧٩.

(٢) ديوان جرير: ص ٥٩٨.

(٣) لاحظ تفسير ابن عباس: ص ٦، وراجع أيضاً تفسير الطبري: ج ١ ص ١٤٥ مع اختلاف في المعنى في كلا المصدرين.

الزجاج: هو التعجب للخلق وللمؤمنين، أي اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم .

ومعنى «وكنتم» أي وقد كنتم، الواو واو الحال، واضمار (قد) جائز إذا كان في الكلام ما يدل عليها، كما قال: «حصرت صدورهم» أي قد حصرت صدورهم، وكما قال: «إن كان قيصه قد من دبر»^(١) أي قد قد من دبر. ومن قال هوتويخ، قال: هو مثل قوله: «فأين تذهبون»^(٢). وقال قتادة: «وكنتم امواتاً فأحياكم» كما كانوا امواتاً في أصلاب آبائهم يعني نطفاً فأحياهم الله بأن أخرجهم ثم أماتهم الله الموتة التي لا بد منها ثم أحياهم بعد الموت، وهما حياتان وموتان^(٣). وعن ابن عباس وابن مسعود أن معناه لم تكونوا شيئاً فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة^(٤).

وروى ابو الأحوص^(٥) عن عبد الله في قوله: «امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين»^(٦) قال: هي كالتي في البقرة: «كنتم امواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم» وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين^(٧).

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ١٠٧.

(٢) التكوين: ٢٦.

(٣) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ١٤٦.

(٤) تفسير ابن عباس: ص ٦ بالمعنى، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ٩١.

(٥) وهو سلام بن سليم الحنفي مولاهم الكوفي الحافظ، قرأ القرآن على حمزة، وحدث عن زياد بن علاقة وسماك بن حرب وغيرهم، عده ابن حبان في الثقات، وقال عنه ابن سعد: كان كثير الحديث مات سنة ١٤٩ هـ على رواية البخاري.

(٦) تهذيب التهذيب: ج ٤ ص ٢٨٢، تذكرة الحفاظ: ج ١ ص ٢٥٠، طبقات الحفاظ: ص ١٠٦.

(٧) غافر: ١١.

(٧) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٤٥.

وروي عن أبي صالح أنه قال: «كنتم امواتاً» في القبور فأحياكم فيها ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة^(١).

وقال قوم: «كنتم امواتاً» يعني خاملين الذكر دارسي الأثر فأحياكم بالظهور والذكر ثم يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم للبعث^(٢) قال أبو نخيلة السعدي^(٣):

فأحييت لي ذكري وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنه من بعض^(٤) وهذا وجه مريح غير أن الالتيق بما تقدم قول ابن عباس وقتادة.

وقال قوم: معناه أن الله تعالى أحياهم حين أخذ الميثاق منهم وهم في صلب آدم وكساهم العقل ثم أماتهم ثم أحياهم وأخرجهم من بطون أمهاتهم^(٥)، وقد بينا أن هذا الوجه ضعيف في نظائره، لأن الخبر الوارد بذلك ضعيف.

(١) رواه الطبري بإسناده عن أبي صالح في ج ١ ص ١٤٦، وفيه يحييكم في القبر ثم يميتكم.

(٢) انظر تفسير الطبري: ج ١ ص ١٤٦.

(٣) وهو أبو نخيلة الشيباني، ويكنى أبو الجنيد، وأبو نخيلة اسمه لا كنيته، كان أبو نخيلة عاقاً بأبيه، فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج إلى الشام وأقام هناك إلى أن مات أبوه، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه، مطعوناً عليه انقطع إلى بني هاشم، ولقب نفسه شاعر بني هاشم، ومدح الخلفاء من بني العباس وهجا بني أمية فأكثر.

وكان طامعاً، فحمله ذلك على أن قال في المنصور أرجوزة يفرح فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهدي، فوصله المنصور بألف درهم، وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى بن موسى ففعل، فطلبه عيسى فهرب منه وبعث في طلبه مولى له، فأدركه في طريق خراسان، فذبحه وسلخ جلده سنة ١٤٥ هـ.

(٤) الأغاني: ج ١٨ ص ١٤١ ط. دار صعب، الاعلام: ج ٨ ص ١٥.

(٥) الأغاني: ج ١٨ ص ١٤٢، ط. دار صعب.

(٥) حكى ذلك الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٤٦ عن جملة من المفسرين.

والأقوى في معنى الآية أن يكون المراد بذلك تعنيف الكفار واقامة الحجة عليهم بكفرهم وجحودهم ما انعم الله تعالى عليهم، وانهم كانوا أمواتاً قبل ان يخلقوا في بطون امهاتهم واصلاب آبائهم يعني نظفاً والنظفة موات، ثم أحياءهم فاخرجهم الى دار الدنيا احياء، ثم يحييهم في القبر للمساءلة، ثم يبعثهم يوم القيامة للحشر والحساب وهو قوله تعالى: «ثم اليه ترجعون» معناه ترجعون للمجازاة على الاعمال، كقول القائل: طريقك عليّ ومرجعك الي، يريد اني مجازيك ومقتدر عليك، وسمى الحشر رجوعاً الى الله، لأنه رجوع الى حيث لا يتولى الحكم فيه غير الله فيجازيكم على أعمالكم، كما يقول القائل: امر القوم الى الأمير أو القاضي، ولا يراد به الرجوع من مكان الى مكان وانما يراد به انّ النظر صار له خاصة دون غيره .

فان قال قائل : لم يذكر الله احياء في القبر فكيف تثبتون عذاب القبر؟ قلنا: قد بينا أن قوله: «ثم يحييكم» المراد به احيائهم في القبر للمساءلة، وقوله: «ثم اليه ترجعون» معناه احيائهم يوم القيامة وحذف «ثم يميّتكم» بعد ذلك لدلالة الكلام عليه، على ان قوله: «ثم يحييكم» لو كان المراد به يوم القيامة لم يمنع ذلك من احياء في القبر واماته بعده، كما قال تعالى: «ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياءهم»^(١) ولم يذكر حياة الذين أحيوا في الدنيا بعد ان ماتوا. وقال في قوم موسى: «فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون» ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون»^(٢) ولم يذكر حياتهم في الدنيا، ولم يدل

(١) البقرة: ٢٤٣.

(٢) البقرة: ٥٥ و٥٦.

ذلك على أنهم لم يحييوا في الدنيا بعد الموت .

وكذلك أيضاً لا تدل هذه الآية على ان المكلفين لا يحيون في قبورهم للثواب والعقاب على ما أخبر به الرسول عليه السلام، وقول من قال: لم يكونوا شيئاً، ذهب الى قول العرب للشيء الدارس الخامل: إنه ميت، يريد خموله ودرسه، وفي ضد ذلك يقال: هذا أمر حي يراد به بأنه ^(١) متعلم في الناس، ومن اراد الاماتة التي هي خروج الروح من الجسد فانه اراد بقوله: «وكنتم امواتاً» انه خطاب لأهل القبور بعد احيائهم فيها، وهذا بعيد لأن التوبيخ هنالك انما هو توبيخ على ما سلف وفطر من اجرامهم لا استعتاب واسترداع، وقوله: «كيف تكفرون بالله وكنتم امواتاً» توبيخ مستعتب وتأنيب مسترجع من خلقه من المعاصي الى الطاعة، ومن الضلالة الى الانابة، ولا انابة في القبر ولا توبة فيها بعد الوفاة .

واحسن الوجوه مما قدمنا ما ذكر ابن عباس وبعده قول قتادة .

قوله تعالى:

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٩١﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

«هو» كناية عن الله عز وجل في قوله: «تكفرون بالله» وأراد به تأكيد الحجة فقال: «كيف تكفرون بالله» الذي احياكم بعد موتكم «ثم يمتيكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون» .

(١) كذا في النسخة وفي المطبوع «كانه» .

«الذي خلق لكم ما في الأرض» يعني الذي في الارض.

و«ما» في موضع نصب، لأن الأرض وجميع ما فيها نعمة من الله لخلقه
اما دينية فيستدلون بها على معرفته، واما دنيوية فينتفعون بها بضروب النفع
عاجلا.

وقوله: «ثم استوى الى السماء» فيه وجوه:

أحدها: ما قاله الفراء: من ان معناه أقبل عليها، كما يقول القائل:
كان فلان مقبلاً على فلان يشتمه، ثم استوى اليّ يشتمني، واستوى عليّ
يشاتمني^(١) قال الشاعر:

اقول وقد قطعن بنا شروري ثواني واستوين من الضجوع^(٢)
أي أقبلن وخرجن من الضجوع، وقال قوم: ليس معنى البيت ما قاله
وانما معناه استوين على الطريق من الضجوع خارجات بمعنى استقمن
عليه^(٣).

وقال قوم: معنى استوى قصدها لتسويتها، كقول القائل: قام الخليفة
يدبر أمر بني تميم، ثم استوى وتحول الى بني ربيعة، فأعطاهم وقسم لهم أي
قصد اليه^(٤). ويقال: مرّ فلان مستوياً الى موضع كذا ولم يعدل أي قصد

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٢٥.

(٢) البيت تميم بن أبي مقبل، ذكر في كتاب معجم ما استعجم: ص ٧٩٥، والشروري: جبل في
طريق مكة للقادم من الكوفة، «والضجوع» - بفتح الضاد - موضع، وفي نسخة «سوامد» بدل
«ثواني» بمعنى دوايب.

(٣) قاله الطبري في التفسير: ج ١ ص ١٥٠.

(٤) معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٢١٨، وتلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي:

اليها .

وقال قوم: معنى استوى اي استولى على السماء بالقهر، كما قال: «لتستووا على ظهوره»^(١) أي تقهروه، ومنه قوله تعالى: «ولما بلغ أشده واستوى»^(٢) أي تمكّن من أمره وقهرهواه بعقله فقال: «ثم استوى الى السماء» في تفرّده بملكها، ولم يجعلها كالارض ملكا لخلقه^(٣)، ومنه قول الشاعر:

فلما علونا واستويننا عليهم تركناهم صرعى لنسروكاسر
وقال آخر:

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهبraq^(٤)
وقال الحسن: ثم استوى امره وصنعه الى السماء، لأن أوامره وقضاياه تنزل من السماء الى الأرض^(٥)، وقال بعضهم: استوى بمعنى استوت به السماء، كما قال الشاعر:

اقول له لما استوى في ترائه على أي دين قتّل الناس مصعب^(٦)
وأحسن هذه الوجوه أن يحمل على أنه علا عليها فقهرها، وارتفع فدبرها بقدرته، وخلقهن سبع سماوات، فكان علوه عليها علوم ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال، وبعد ذلك قول من قال: قصد اليها فخلقها، ولا يقدر في

(١) الزخرف: ١٣.

(٢) القصص: ١٤.

(٣) راجع تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي: ص ١٥٤.

(٤) الصحاح: مادة «سوا» ج ٦ ص ٢٣٨٥.

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٥٠.

(٦) رواه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٥٠.

الأول علوه تعالى على الأشياء فيما لم يزل، لأنه وإن كان كذلك لم يكن قاهرًا لها بخلقها، لأن ذلك متجدد، وإنما قال: إلى السماء ولا سماء هناك، كما يقول القائل: اعمل هذا الثوب وإنما معه غزل.

وقال قوم: إنما سواهن سبع سماوات بعد أن كانت دحاناً^(١) والأول أملح.

وقال الرماني: السماوات غير الأفلاك؛ لأن الأفلاك تتحرك وتدور وأما السماوات لا تتحرك ولا تدور لقوله تعالى: «إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا»^(٢) وهذا ليس بصحيح، لأنه لا يمتنع أن تكون السماوات هي الأفلاك وإن كانت متحركة، لأن قوله تعالى: «يمسك السماوات والأرض أن تزولا» معناه لا تزول عن مراكزها التي تدور عليها، ولولا امساكه لهُوت بما فيها من الأعمادات سفلاً.

ومعنى «سواهن» أي هيأهن وخلقهن وقومهن ودبرهن، والتسوية التقويم والاصلاح، يقال: سوى فلان لفلان هذا الأمر أي قومه واصلحه، وقال الفراء: السماء واحدة تدل على الجمع، فلذلك قال: «ثم استوى إلى السماء» فذكرها بلفظ الواحد، ثم أخبر عنها بلفظ الجمع في قوله: «فسواهن»^(٤)، وقال الأخفش: السماء اسم جنس يدل على القليل والكثير كقولهم: اهلك الناس الدينار والدرهم^(٥). وقال بعضهم: السماء جمع، واحده

(١) إعراب القرآن للزبيح: ج ١ ص ١٠١-١٠٢.

(٢) فاطر: ٤١.

(٣) لم نثر على قوله في المصادر المتوفرة لدينا.

(٤) معاني القرآن: ج ١ ص ٢٥.

(٥) معاني القرآن: ج ١ ص ٢١٧.

سماوة مثل: بقرة وبقر، ونخلة ونخل، وثمره وثمر ولذلك أنثت ف قيل: هذه سماء، وذكّرت أخرى ف قيل: «السماء منفطر به»^(١) كما يفعل ذلك بالجمع الذي لا فرق بينه وبين واحد غير دخول الهاء وخرجها، فيقال: هذا نخل وهذه نخل، وهذا بقر وهذه بقر^(٢). ومن قال بالأول قال: إذا ذكرت فأنما هو على مذهب من يذكر المؤنث، كقول الشاعر:

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض ابقل ابقالها^(٣)
وقال أعشى بني ثعلبة:

فأما ترى لمتي بدلت فإن الحوادث أزرى بها^(٤)
وقال قوم: إن السماوات وإن كانت سماء فوق سماء، وأرضاً فوق أرض فهي في التأويل واحدة، وتكون الواحدة جماعاً، كما يقال: ثوب أخلاق وأسمال؛ ورمه أعشار، للمتكررة، وبرمه اكسار واجبار وأخلاق، أي نواحيه أخلاق، ويقال: أرض اعقال وأرض اخصاب، والمعنى أن كل ناحية منها كذلك، فجمع على هذا، ولا ينافي ذلك قول من قال: إن السماء كانت دخاناً قبل أن يسوها سبع سماوات ثم سبغاً بغير استوائه عليها، وذلك أنه يقول: كن سبغاً غير مستويات، فسوّاها الله تعالى^(٥).
فان قيل: قوله: «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى

(١) المزمل: ١٨.

(٢) معاني القرآن للقرطبي ج ١ ص ١٢٨، وحكاها الطبري في التفسير: ج ١ ص ١٥١.

(٣) البيت أورده الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ١٢٧ بقوله: انشدني بعضهم، ونسبه سيويه في الكتاب: ج ١ ص ٢٧٩ لعامر بن جوين الطائي.

(٤) ديوانه: ص ٢٥، ط. دار الكتاب اللبناني.

(٥) حكاها الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٥١.

«السماء» ظاهره يوجب أنه خلق الأرض قبل السماء، لأن «ثم» للتعقيب وللتراخي، وقال في موضع آخر: «انتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها»^(١) ثم قال: «والأرض بعد ذلك دحاها»^(٢) هذا ظاهر التناقض .

قلنا: المعنى في ذلك خلق الارض قبل السماء غير أنه لم يدحها، فلما خلق السماء دحاها بعد ذلك . ودحوها بسطها ومدّها ، ومنه ادحية النعام، سميت بذلك ، لأنها تبسطها لتبيض فيها .

وجوز أن لا يكون معنى «ثم» و«بعد» في هذه الآيات الترتب في الأوقات والتقدم والتأخر فيها، انما هو على جهة تعداد النعم والاذكار لها، كما يقول القائل لصاحبه: أليس قد اعطيتك، ثم حملتك، ثم رفعت في منزلتك، ثم بعد ذلك كله خلطتك بنفسي وفعلت بك^(٣). وربما يكون بعض الذي ذكره في اللفظ متقدما كان متأخرا، لأن المراد لم يكن الاخبار عن اوقات الفعل، وانما المراد الذكر والتنبيه عليها .

فان قيل: أي نسبة بين قوله: «ثم استوى الى السماء» وبين قوله: «وهو بكل شيء عليم» وكان يجب ان يقول: «وهو على كل شيء قدير» . قيل: انما جاز ذلك، لأن الله لما وصف نفسه بما يدل على القدرة والاستيلاء وصل ذلك بما يدل على العلم، إذ بهما يصح وقوع الفعل على وجه الاحكام والاتقان، وأيضا أراد أن يبين انه عالم بما يؤول اليه حاله، وحال المنعم به عليه، فيستحق بذلك النعمة .

(١) النازعات: ٢٧-٢٨.

(٢) النازعات: ٣٠.

(٣) كذا في النسخة وفي المطبوعة «وفعلت بك وفعلت».

وتلخيص معنى الآية ان الله تعالى هو الذي خلق لكم الارض وما فيها من الجبال والمياه والاشجار، وما قدر فيها من الأقوات، ثم قضى خلق السماء بعد خلقه الأرض. ومعنى استوى أي عمد لها وقصد الى خلقها، وسواها سبع سماوات فبناهنّ وركبهنّ كذلك، ونظير ذلك قوله: «أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في أربعة أيام»^(١) يعني يومين بعد اليومين الأولين حتى صار بذلك اربعة أيام ثم استوى الى السماء .

فمعنى قوله: «خلق لكم ما في الأرض جميعاً» هو الذي بينه بقوله: «وجعل فيها رواسي من فوقها... الآية» وجعل ذكره لذلك في الآية الأولى تأكيد الحجة على عباده لئلا يكفروا به، ولأن يؤمنوا به ويشكروه . وقوله: «كيف تكفرون» يدلّ انه تعالى ما اراد الكفر منهم، لأنه لو اراده منهم وخلقهم فيهم لما قال ذلك، كما لا يحسن أن يقول: لم كنتم سوداً وبيضاً وطوالاً وقصاراً .

وقوله: «وهي دخان» فالذي روي في الاخبار أن الله تعالى لما خلق الأرض خلقها بعد الماء فصعد منها بخار وهو الدخان، فخلق الله منه السماوات^(٢) . وذلك جائز لا يمنع منه مانع .

وقوله: «وهو بكل شيء عليم» معناه عالم وفيه مبالغة، وانما أراد اعلامهم أنه لا يخفى عليه شيء من أفعالهم الظاهرة والباطنة والسر

(١) فصلت: ٩-١٠ .

(٢) رواه بلفظه البيهقي في السنن الكبرى: ج ٩ ص ٣، وعيون اخبار الرضا: ج ١ ص ٢٤١، بالمعنى .

والعلانية .

قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ آية .

المعنى:

قال أبو عبيدة: «إذا» زائدة، والتقدير: «قال ربك للملائكة» وهي تحذف في مواضع، قال الاسود بن يعفر^(١) :

واذا وذلك لامهاه لذكره والدهري يعقب صالحاً بفساد
معناه: وذلك لامهاه لذكره، قال عبدمناة بن يربع^(٢) وقيل: ابن ربيع الهذلي :

حتى اذا أسلكوهم في قتائده شلاً كما تطرد الجمالة الشردا
ومعناه: حتى أسلكوهم^(٣)، والقتائد الموضع الذي فيه قتاد كثير،
والشل الطرد، والجمالة الجمالون، والشرد الابل التي تشرد عن مواضعها
وتقصده غيرها وتطرد عنها .

(١) وهو أبو نهشل، وأبو الجراح الأسود بن يعفر النهشلي الدارمي التيمي يقال له: أعشى بني نهشل شاعر جاهلي، من سادات تميم من أهل العراق. كان فصيحاً جواداً. نادم النعمان بن المنذر. ولما أسن كفت بصره. توفي سنة ٢٢ هجري .

(الأعلام: ج ١ ص ٣٣٠).

(٢) كذا في النسخة الخطية وفي المطبوعة «مربع».

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج ١ ص ٣٦-٣٧، وأما المرتضى: ج ١ ص ٣ وج ٢ ص ٣١٠.

وهذا الذي ذكره ليس بصحيح، لأن «إذا» حرف يأتي بمعنى الجزاء ويدلّ على مجهول من الوقت، ولا يجوز إبطال حرف كان دليلاً على معنى في الكلام إلّا لضرورة، وليس المعنى في البيتين على ما ظن، بل لو حمل «إذا» في البيتين على البطلان بطل معنى الكلام الذي أراد الشاعر، لأن الأسود أراد بقوله: «واذا» الذي نحن فيه وما مضى من عيشنا، وأراد بقوله: «ذلك» الإشارة الى ما تقدّم وصفه من عيشه الذي كان فيه لا مهاه لذكره، يعني لا طعم له ولا فضل لإعقاب الدهر ذلك بفساد.

ومعنى قول عبد مناة بن يربع: حتى اذا اسلكوهم في قتائده، إن قوله: اسلكوهم مثلاً يدلّ على معنى محذوف، واستغنى عن ذكره بدلالة «اذا» عليه فحذف، كما قال نربن تولب^(١):

فإنّ المنية من يخشها فسوف تصادفه أينما^(٢)
يريد أينما ذهب، وكما يقول القائل: من قبل ومن بعد، يريد من قبل ذلك ومن بعد ذلك، ويقول القائل: اذا اكرمك أخوك فأكرمه واذا فلا يريد واذا لم يكرمك فلا تكرمه، ومن ذلك قول الشاعر:
فاذا وذلك لا يضرك ضرة في يوم أسأل نائلاً أو انكد^(٣)

(١) النربن تولب من عُكَل، كان شاعراً جواداً، ويُسمى الكيس لحسن شعره، وهو جاهلي أدرك الاسلام فأسلم. وهو القائل لرسول الله صلى الله عليه وآله:

إِنَّا أَتَيْنَاكَ وَقَدْ طَالَ السَّفَرُ نَقَوْذُ خَيْلاً ضُفِّرَ فِيهَا عَسَرُ
نُطْعِمُهَا الشَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ وَالخَيْلُ فِي إِطْعَامِهَا اللَّحْمَ ضَرَزُ
عاش الى أن خرف وأهتر، توفي سنة ٢٥ هـ.

(الشعر والشعراء: ص ١٧٣).

(٢) مختارات ابن الشجري: ج ١ ص ١٦.

(٣) لم نقف على قائله، واستشهد به الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٥٤.

وكذلك لو حذف «إذا» في الآية لاستحالت عن معناها الذي تفيدُه
 «إذا»، لأن تقديره: ابتدأ خلقكم اذ قال ربك للملائكة .
 قال الزجاج والرماني: أخطأ أبو عبيدة، لأن كلام الله لا يجوز أن يحمل
 على اللغو مع امكان حمله على زيادة فائدة قال: ومعنى «إذ» الوقت وهي اسم
 كيف يكون لغو؟ قال: والتقدير الوقت والحجة في «إذ» أن الله عز وجل
 ذكر خلق الناس وغيرهم، فكأنه قال: ابتدأ خلقك اذا قال ربك
 للملائكة^(١).

وقال الفضل: لما امتن الله بخلق السماوات والأرض، ثم قال: «وإذ
 قلنا للملائكة» ما قلناه فهو نعمة عليكم وتعظيم لأبيكم. واختار ذلك
 الحسين بن علي المغربي^(٢) وقال الرماني والزهري: اذكر اذ قال ربك
 للملائكة^(٣).

[والملائكة] جمع غير أن واحدهم بغير همز أكثر في حذفون الهمزة ويحركون
 اللام التي كانت ساكنة لو همز الاسم الى اللام، فاذا اجمعوا رده الى
 الأصل وهمزوا، كما يقولون: رأي، ثم يقولون: يرى بلا همز، وذلك كثير. وقد
 جاء مهموزاً في واحده قال الشاعر:

فلست بأنسي ولكن ملائكا تنزل من جو السماء يصوب^(٤)
 وقد يقال في واحدهم: مأك، مثل قولهم: جذب وجذب فيقلبونه،
 وشأمل وشمأل، ومن قال: مأك يجمعه ملائك بلا هاء مثل اشعث

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ١٠٨.

(٢) لم نعر عليه.

(٣) لا توجد لدينا كتبها.

(٤) تهذيب اللغة: مادة «ألك» ج ١٠ ص ٣٧٠، ومقاييس اللغة: مادة «صوب» ج ٣ ص ٣١٨.

واشاعت، قال أمية بن أبي الصلت :

وفيها من عباد الله قوم ملائك ذلّلوا وهم صعاب^(١)
واصل الملائك الرسالة، قال عدي بن زيد العبادي:

ابلغ النعمان عني ملاكاً أنه قد طال حبسي وانتظاري^(٢)
وقد ينشد ملائكا ومألكا على اللغة الأخرى، فن قال: ملائكا فهو مفعول
من لأك اليه يليك إذا أرسل اليه رسالة، ومن قال: مألكا فهو مفعول من
ألكت اليه إلأكة اذا ارسلت اليه مألكة والوكا، وكما قال لبيد بن ربيعة :
وغلام ارسلته أمه بألوك فبذلنا ما سأل^(٣)
وهذا من ألكت، ويقال: لأك يلاؤك وألك يالك اذا أرسل، قال عبد
بني الحسحاس^(٤) :

ألكني اليها عمرك الله يافتي بآية ما جاءت اليها تهاديا^(٥)
يعني: أبلغها رسالتي، فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة، لأنها رسل
الله بينه وبين أنبيائه، ومن أرسل من عباده .
هذا عند من يقول: إنّ جميع الملائكة رسل فاما ما يذهب اليه اصحابنا

(١) ديوانه: ص ١٩.

(٢) الأغاني: ج ٢ ص ١١٤، ط دار احياء التراث العربي.

(٣) ديوانه: ص ١٤٠.

(٤) وهو سحيم بن نفاعة، وكان عبداً أسود نوبياً اعجبياً، شاعراً مطبوعاً في الشعر، فيه لكمة شديدة
فاشتهر بنو الحسحاس فكان راعياً في إبلهم، خان أسياده فتعرض لنسائهم وشب بهن واكثر
من الشعر الماجن فبهن فاجعوا على قتله والخلاص من شرّه فقتلوه، وقيل: إنهم حفروا له أخدود
فالقوه فيه ثم القوا عليه الحطب فاحرقوه وذلك في خلافة عثمان .

(الأغاني: ج ٢ ص ٣٠٣، والشعر والشعراء: ص ٨٣).

(٥) ديوانه: ص ١٩.

أن فيهم رسلاً وفيهم من ليس برسلاً فلا يكون الاسم مشتقاً، بل يكون علماً أو اسم جنس. وانما قالوا: إن جميعهم ليسوا رسل الله لقوله تعالى: «يصطفى من الملائكة رسلاً»^(١) فلو كانوا جميعاً رسلاً، لكانوا جميعاً مصطفىين، لأن الرسول لا يكون إلا مختاراً مصطفى، وكما قال: «ولقد اخترناهم على علم على العالمين»^(٢).

وقوله: «إني جاعل» أي فاعل وخالق، وهما يتقاربان. قال الرماني: حقيقة الجعل تصيير الشيء على صفة، والاحداث حقيقة إيجاد الشيء بعد أن لم يكن موجوداً^(٣)، والخلقة الفعيلة من قولهم: خلف فلان فلاناً في هذا الأمر اذا قام مقامه فيه بعده، لقوله تعالى: «ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون»^(٤) يعني بذلك: أبدلكم في الأرض منهم فجعلكم خلفاً في الأرض من بعدهم. وسمي الخليفة خليفة من ذلك، لأنه خلف من كان قبله فقام مقامه.

الخلف -بتحريك اللام- يقال: فيمن كان صالحاً -وبتسكين اللام- اذا كان طالحاً، قال الله تعالى: «فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة»^(٥). وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ينقل هذا العلم من كل خلف عدوله^(٦).

(١) الحج: ٧٥.

(٢) الدخان: ٣٢.

(٣) لا يوجد لدينا كتابه.

(٤) يونس: ١٤.

(٥) مريم: ٥٩.

(٦) النهاية «لابن الاثير»: ج ٢ ص ٦٥، وتهذيب اللغة: مادة «خلف» ج ٧ ص ٤١٦، وفيها

«يحمل» بدل «ينقل».

وقال قوم: سمي الله تعالى آدم خليفة، لأنه جعل آدم وذريته خلفاء الملائكة، لأن الملائكة كانوا من سكان الأرض .

وقال ابن عباس: انه كان في الأرض الجن، فافسدوا فيها، وسفكوا الدماء فاهلكوا، فجعل الله آدم وذريته بدلهم^(١) .

وقال الحسن البصري: إنما أراد بذلك قومًا يخلف بعضهم بعضاً من ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم في إقامة الحق وعمارة الأرض^(٢) .

وقال ابن مسعود: أراد أني جاعل في الأرض خليفة يخلفني في الحكم بين الخلق وهو آدم ومن قام مقامه من ولده^(٣). وقيل: انه يخلفني في انبات الزرع وإخراج الثمار وشق الانهار.

وقيل: ان الأرض أراد بها مكة، روي ذلك عن ابن سابط^(٤) أن النبي صلى الله عليه وآله قال: دحيت الأرض من مكة ولذلك سميت أم القرى، قال: دفن نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم والمقام^(٥). وقال قوم: انها الأرض المعروفة^(٦)، وهو الظاهر.

وقوله: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» وروي أن خلقاً

(١) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٥٧.

(٢) تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٨١.

(٣) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٥٧.

(٤) ابن سابط: وهو عبد الرحمان بن سابط، ويقال: عبد الرحمان بن عبد الله بن سابط بن أبي حبيضة الجمحي، أرسل عن النبي صلى الله عليه وآله، وروى عن عمرو سعد بن أبي وقاص وغيرهم، قال الواقدي: مات سنة ١١٨ هـ.

(٥) تهذيب التهذيب: ج ٦ ص ١٨٠.

(٥) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٥٦.

(٦) حكاه الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «أرض» ج ١٢ ص ٦٢، عن ابن السكيت.

يقال لهم: الجان كانوا في الأرض فافسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله تعالى ملائكة أجلتهم من الأرض^(١).

وقيل: ان هؤلاء الملائكة كانوا سكان الأرض بعد الجان فقالوا: يا ربنا أتجعل في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء، على وجه الاستخبار منهم والاستعلام عن وجه المصلحة والحكمة لا على وجه الإنكار، كأنهم قالوا: ان كان هذا كما ظننا فعرفنا وجه الحكمة فيه^(٢).

وقال قوم: المعنى فيه ان الله أعلم الملائكة انه جاعل في الأرض خليفة وان الخليفة فرقة تسفك الدماء وهي فرقة من بني آدم فأذن الله للملائكة أن يسألوه عن ذلك وكان إعلامه أياهم هذا زيادة على التثبيت في نفوسهم انه يعلم الغيب، فكأنهم قالوا: أتخلق فيها قوماً يسفكون الدماء ويعصونك، وانما ينبغي انهم اذا عرفوا انك خلقتهم ان يسبحوا بحمدك كما نسبح ويقدسوا كما نقدر، ولم يقولوا هذا إلا وقد أذن لهم لأنهم لا يجوز ان يسألوا ما لا يؤذن لهم فيه ويؤمنون به^(٣)، لقوله: «ويفعلون ما يؤمرون»^(٤).

فان قيل: من اين لكم أنهم كانوا علموا ذلك؟

قيل: ذلك محذوف لدلالة الكلام عليه، لأننا علمنا أنهم لا يعلمون الغيب وليس اذا فسد الجن في الأرض وجب أن يفسد الانس، وقوة السؤال تدل على أنهم كانوا عالمين، وجرى ذلك مجرى قول الشاعر:

(١) و(٢) معاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ١٠٨.

(٣) ذكره الزجاج في معاني القرآن: ج ١ ص ١٠٩، وراجع تنزيه القرآن للمقاضي عبد الجبار:

ص ٢١.

(٤) النحل: ٥٠.

فلا تدفنوني إن دفني محرم عليكم ولكن خامري أم عامر^(١)
 فحذف قوله: دعوني للتي يقال لها إذا أريد صيدها خامري أم عامر،
 فكأنه قال: إني جاعل في الأرض خليفة يكون من ولده افساد في الأرض
 وسفك الدماء.

وقال ابو عبيدة والزجاج: إنهم قالوا ذلك على وجه الایجاب وإن خرج
 مخرج الاستفهام^(٢)، كما قال جرير:

ألستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح^(٣)
 فعلى هذا الوجه قال قوم: إنما أخبروا بذلك عن ظنهم وتوهمهم، لأنهم
 رأوا الجن من قبلهم قد افسدوا في الأرض وسفكوا الدماء فتصوروا أنه إن
 استخلف غيرهم كانوا مثلهم.

فقال تعالى منكرًا لذلك: «إني اعلم ما لا تعلمون» وهذا قول قتادة
 وابن عباس وابن مسعود^(٤).

وقال آخرون: إنهم قالوه يقيناً لأن الله كان أخبرهم انه يستخلف في
 الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء، فاجابوه بعد علمهم بذلك بأن قالوا:
 «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» وانما قالوه استعظاماً لفعلهم أي
 كيف يفسدون فيها ويسفكون الدماء، وقد انعمت عليهم واستخلفتهم فيها
 فقال: «إني اعلم ما لا تعلمون»^(٥).

(١) البيت للشنفرى نقله الأصبهاني في الأغاني: ج ٢١ ص ١٨٢، وفيه «أبشري» بدل «خامري».

(٢) معاني القرآن: ج ١ ص ١٠٩، ومجاز القرآن: ج ١ ص ٣٥.

(٣) ديوانه: ص ٧٧.

(٤) ذكر قولهم الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٦٠-١٦٢.

(٥) أمالي المرتضى: ج ٢ ص ٧١.

وقال قوم: إنهم قالوا ذلك متعجبين من استخلافه لهم أي كيف يستخلفهم وقد علم انهم «يفسدون فيها ويسفكون الدماء»؟ فقال: «إني أعلم ما لا تعلمون»^(١).

والسفك صب الدماء خاصة دون غيره من الماء وجميع المايعات، والسفح مثله لأنه مستعمل في جميع المايعات على وجه التضييع، ولذلك قالوا في الزنا: انه سفاح لتضييع مائه فيه.

والملائكة المذكورون في الآية، قال قوم: هم جميع الملائكة. وقال آخرون -وهو المروي عن ابن عباس والضحاك -: إنه خطاب لمن اسكنه من الملائكة الأرض بعد الجآن وقبل خلق آدم، وهم الذين أجلاوا الجان عن الأرض^(٢). وقال قتادة في قوله: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء»: وقد علمت الملائكة من علم الله أنه لا شيء عند الله أكبر من سفك الدماء والافساد في الأرض، قال الله تعالى: «إني أعلم ما لا تعلمون» من أنه سيكون من الخليفة رسل وانبياء وقوم صالحون وساكنو الجنة^(٣).

واقوى هذه الوجوه قول من قال: إن الملائكة إنما قالت: «أتجعل فيها من يفسد فيها» على وجه التعجب من هذا التدبير لا إنكاراً له، ولكن على وجه التألم والتوجع والاغتمام والاستعلام لوجه التدبير فيه، فقال: «إني أعلم ما لا تعلمون» من وجه المصلحة في خلقهم، وما يكون منهم من الخير

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٦٥.

(٢) انظر تفسير الطبري: ج ١ ص ١٥٨، وتفسير ابن عباس: ص ٦.

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٦٢.

والرشد والعلم وحسن التدبير والحفظ والطاعة ما لا تعلمون .
فان قيل : الملائكة بم عرفت ذلك ، اذا لم يمكنها أن تستدرك ذلك
بالنظر والفكر ؟

قلنا : قد يجوز أن لا يكون خطر بياها ذلك إلا عندما أعلمهم الله ، فلما
علموا ذلك فزعوا الى المسألة عنه ، لأن المسألة لم يتوقع سرعة جوابه أو يوثق
بعلمه وخبره يقوم مقام النظر والفكر .

وقوله : «أتجعل فيها من يفسد فيها» يريدون من ولد آدم الذين ليسوا
أنبياء ، ولا أئمة معصومين لا آدم نفسه ومن يجري مجراه من الأنبياء
والمعصومين ، فكأنه قال تعالى : إني جاعل في الأرض خليفة يكون له ولد
ونسل يفعلون كيت وكيت ، فقالوا : «أتجعل فيها من يفسد فيها» يريدون
الولد . وقد بينا أن الخليفة من يخلف من تقدمه ، جماعة كانوا أو واحداً فلما
أخبر الله تعالى الملائكة أنه يخلق في الأرض عبداً هم آدم وولده ويكونون
خليفة لمن تقدمهم من الجن أو غيرهم ، قالوا ما قالوا .

ويحتمل أن يكون قوله : «من يفسد فيها» يريدون البعض لا الكل ، كما
يقال : بنو شيبان يقطعون الطريق ، ويراد بعضهم دون جميعهم .

وقوله : «ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك» والتسبيح هو التنزيه من
السوء على وجه التعظيم وكل من عمل خيراً قصد به الله فقد سبح ، يقال :
فرغت من سبحتي أي من صلاتي ، وقال سيبويه : معنى سبحان الله براءة
الله وتنزيهه من سوء^(١) ، قال اعشى بني ثعلبة :

أقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر^(٢)

(١) الكتاب: ج ١ ص ٣٢٤ .

(٢) ديوان الأعشى : ٩٤ .

أي براءة من علقمة الفاخر. وهو مشتق من السبح الذي هو الذهاب، قال الله تعالى: «إن لك في النهار سبحاً طويلاً»^(١) ولا يجوز أن يسبح غير الله وإن كان منزهاً، لأنه صار علماً في الدين على أعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها سواه، كما أن العبادة غاية في الشكر لا يستحقها سواه.

وقال ابن عباس^(٢) وابن مسعود^(٣): «نحن نسبح بحمدك» بمعنى نصلي لك، كما قال: «فلولا أنه كان من المسبحين»^(٤) أي من المصلين.

وقال مجاهد: معناه نعظمك بالحمد والشكر على نعمك^(٥). وقال قتادة: هو التسبيح المعروف^(٦). وقال الفضل: هو رفع الصوت بذكر الله^(٧). قال جرير:

قَبَّحَ الإله وجوه تغلب كلما سَبَّحَ الحجيح وهلَّلوا إهلالاً^(٨)
واصل التقديس التطهير، ومنه قوله: الأرض المقدسة أي المطهرة، قال الشاعر:

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس^(٩)
أي المطهر، وقال قوم: معنى نقّدتس لك نصلي لك. وقال آخرون:

(١) المزمل: ٧.

(٢) تفسير ابن عباس: ص ٦، وكذلك ص ٣٧٩.

(٣) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٦٧.

(٤) الصافات: ١٤٣.

(٥) تفسير مجاهد: ص ١٩٩.

(٦) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٦٧.

(٧) لم نعثر عليه.

(٨) ديوان جرير: ص ٣٦١.

(٩) الشعر لأمري القيس، ديوانه: ص ١١٦.

نقدس انفسنا من الخطايا والمعاصي . وقال قوم: نطهرك من الادناس أي لا نضيف اليك القبائح^(١) .

والقدس السطل الذي يتطهر منه أي يتقدس، ويوصف تعالى بأنه قدوس سبوح أي سبحانه أن يكون شريكاً لغيره طاهر من كل عيب .

وقوله: «إني اعلم ما لا تعلمون» قال قوم: أراد ما أظهره إبليس من الكبر والعجب والمعصية لما أمر الله تعالى لآدم، ذهب اليه ابن مسعود وابن عباس^(٢)، وقال قتادة: أراد من في ذرية آدم من الانبياء والصالحين^(٣)، وقال قوم: أراد به ما اختص بعلمه من تدبير المصالح^(٤) .

فان قيل: لو كان آدم قادراً على أن لا يأكل من الشجرة، لكان قادراً على نقض ما دبره الله فيه، لأنه لو لم يأكل منها للبث في الجنة، والله تعالى إنما خلقه ليجعله خليفة في الأرض فهذا يدل على أنه لم يكن بد من المخالفة . قلنا عن هذا جوابان :

أحدهما : ان الجنة التي خلق الله تعالى فيها آدم لم تكن جنة الخلد، وإنما كانت في الأرض حيث شاء الله، وانه حيث كان في الأرض، كان خليفة في الأرض وفي هذا سقط السؤال .

والثاني : ان الله تعالى علم أن آدم سيخالف، وانه يهبط الى الأرض فيستخلفه فيها فأخبر الله تعالى بما علم، وقولهم: إنه لو كان قادراً على أن لا يخالف لكان قادراً على نقض تدبيره جهل، لأن الله تعالى قد أمره بأن

(١) ذكر أقوالهم الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٦٧، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٩٧ .

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٦٩ .

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٦٩ .

(٤) أمالي المرتضى: ج ٢ ص ٦٩ .

لا يقرب الشجرة، فهل يجب بأن يكون أمره بأن ينقض تدبيره؟ فإذا قالوا: لا، قيل: وكذلك الله قد أقدره على ألا يخالف فيلبث في الجنة، ولا يجب بذلك أن يكون أقدره على نقض تدبيره.

وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أن الملائكة سألت الله أن يجعل الخليفة منهم، وقالوا: نحن نقديسك ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: فلما أُجيبوا بما ذكر الله في القرآن، علموا أنهم قد تجاوزوا ما ليس لهم فلاذوا بالعرش استغفاراً، فأمر الله آدم بعد هبوطه أن يبني لهم في الأرض بيتاً يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة المقربون، فقال الله تعالى: إني اعرف بالمصلحة منكم، وهو معنى قوله: «إني أعلم ما لا تعلمون»^(١).

قوله تعالى:

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ [آية واحدة بلا خلاف].

روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: خلق الله آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض - وقيل: قبضها ملك الموت - فجاء بنو آدم على قدر ذلك: منهم الأسود، والأحمر، والأبيض، والسهل، والحزن، والخبيث، والطيب^(٢).

اللغة:

وقال أبو العباس: في اشتقاق آدم قولان:

(١) الكافي: ج ٤ ص ١٨٧، نقلت بالمعنى في أحاديث الباب.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج ٤ ص ٤٠٠، وسنن الترمذي: ج ٥ ص ٢٠٤، ح ٢٩٥٥، وسنن البيهقي:

أحدهما: انه مأخوذ من أديم الأرض، قال: فاذا سميت به في هذا الوجه ثم نكرته صرفته .

والثاني: انه مأخوذ من الأدمة على معنى اللون والصفة، فاذا سميت به في هذا الوجه، ثم نكرته لم تصرفه .

والأدمة والسمرة والدكنة والورقة متقاربة المعنى في اللغة. وقال صاحب العين: الأدمة في الناس شربة من سواد، وفي الابل والظباء بياض، وأدمة الأرض وجهها^(١)، والمؤدم من الجلد خلاف المبشر، وأدما أنثى، وآدم ذكر وهي الأدم في الجماعة، وآدم أبو البشر، والأدم ما يؤتم به وهو الادم، والأدم جماعة الأديم، وأديم كل شيء وجهه .

و(كلّ) لفظة عموم على وجه الاستيعاب، وقال الرماني: حذّه الاحاطة بالابحاض، يقال: أبعض القوم جاءك أم كلهم؟ وتكون تأكيداً مثل أجمعين، غير أنه يبتدأ في الكلام بكل، كقوله تعالى: «فسجد الملائكة كلهم أجمعون»^(٢) لأن كلاً قد تلي العوامل ويبتدأ وأجمعون لا تكون إلا تابعة^(٣). ويقال: عرض عرضاً، قال صاحب العين: عرض علينا فلان المتاع يعرض عرضاً للشراء أو الهبة^(٤) .

وقال الزجاج: العرض أصله في اللغة الناحية من نواحي الشيء فمن ذلك العرض خلاف الطول^(٥) .

وعرض الرجل، قال بعضهم: ما يمدح به أو يذم. وقيل: عرضه خليقته

(١) العين للفراهيدي: مادة «أدم» ج ٨ ص ٨٨.

(٢) الحجر: ٣٠.

(٣) لم نعر عليه في المصادر المتوفرة لدينا.

(٤) العين للفراهيدي: مادة «عرض» ج ١ ص ٢٧١.

(٥) لم نعر عليه.

المحمودة. وقيل: عرضه حسبه. وقال الرماني: هي ناحيته التي يصونها عن المكروه، وحقيقة العرض الاظهار للشيء ليتصفح^(١).

والإنباء والإعلام والإخبار واحد، قال صاحب العين: النبأ (مهموز) هو الخبر النبئ والخبر، ولفلان نبأ أي خبر، ويقال: نبأته وأنبأته واستنبأته والجمع الأنباء.

والنبوة اذا أخذت من الانباء فهي مهموزة لكن روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لا تنبز بإسمي لرجل قال له: يانبيء الله. والنبئ (بالهمز) الطريق الواضح، يأخذ بك الى حيث تريد، والنبأ صوت الكلاب، تنبأ به نبأ^(٢).

وحقيقة الأنباء الاظهار للخبر، قال الشاعر:

أدان وانبأه الأولون بأن المدان ملي وفي^(٣)
والفرق بين الأخبار والاعلام: إن الاعلام قد يكون بخلق العلم
الضروري في القلب كما خلق الله من كمال العقل والعلم بالمشاهدات،
وقد يكون بنصب الأدلة للشيء.

والاخبار هو إظهار الخبر علم به أو لم يعلم، ولا يكون مخبراً بما يحدثه من العلم في القلب كما يكون معلماً بذلك.

المعنى:

وقوله: «ثم عرضهم على الملائكة» إنما لم يقل: ثم عرضها، اذ كانت

(١) لا يوجد لدينا كتابه.

(٢) العين للفرايدي: مادة «نبأ» ج ٨ ص ٣٨٢.

(٣) الشعر لأبي ذؤيب، تهذيب اللغة: مادة «دان» ج ١٤ ص ١٨٤.

الاسماء لا تعقل لأنه أراد أصحاب الاسماء وفيهم ما لا يعقل، كما يقلب المذكر اذا اجتمع مع المؤنث، لأنهم يقولون: إن أصحابك وإماءك جاؤوني.

وروي عن ابن عباس أنه قال: عرض الخلق، وقال مجاهد: عرض أصحاب الاسماء^(٢).

وقوله: «وعلم آدم الاسماء كلها» معناه أنه علّمه معاني الاسماء، من قبل أن الاسماء بلا معان لا فائدة فيها، ولا وجه لا يثارة الفضيلة بها، وقد نبّه الله الملائكة على ما فيه من لطيف الحكمة، فأقروا عند ما سئلوا عن ذكرها والاختبار عنها أنهم لا علم لهم بها، فقال: «يا آدم أنبئهم بأسمائهم».

وقول قتادة^(٢) وظاهر العموم يقتضي أنه علّمه الاسماء، وبه قال ابن عباس^(٣) ومجاهد^(٤) وسعيد بن جبير وقتادة، وأكثر المتأخرين: كالبلخي والجبائي^(٥) وابن الأخشاد^(٦) والرماني وقال الطبري^(٧) بما يحكى عن

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٧٢.

(٢) كذا في النسخة الخطيّة والطبوعة، والظاهر أنّ هذه العبارة زائدة فلاحظ.

(٣) تفسير ابن عباس: ص ٧.

(٤) قال مجاهد في تفسيره: ص ١٩٩، وعلم آدم الأسماء يعني: ما خلق الله كلّ.

(٥) وهو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام المعروف بالجبائي، أحد أئمة المعتزلة، أخذ عن أبي يوسف وهو رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره، مات سنة ٣٠٣ هـ.

(٦) وفيات الاعيان: ج ٣ ص ٣٩٨، والاعلام: ج ٦ ص ٢٥٦.

(٧) وهو أبو بكر أحمد بن علي الاخشاد من شيوخ المعتزلة، له من الكتب الكثير في الفقه والعربية والاصول، وله كذلك اختصار على تفسير الطبري مات سنة ٣٢٦ هـ.

(الفهرست لابن النديم: ص ٢٢٠).

(٧) وهو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، عن أبي جريح وغيره، له من المصنفات

الربيع وابن زيد: انها قالوا: علّمه الله اسماء ذريته واسماء الملائكة، وقال: هو الاختيار دون قول ابن عباس، وقال: إن قولهم: «عرضهم» إنما يكون لم يعقل في الأظهر من كلام العرب وهذا غلط لما بيناه من التغليب وحسنه، كما قال تعالى: «والله خلق كلّ دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع»^(١)^(٢) وهذا يبطل ما قاله، ويبقى اللفظ على عموميه وظاهر الآية وعمومها يدل على انه علّمه جميع اللغات، وبه قال الجبائي والرماني .

فأخذ عنه ولده اللغات، فلما تفرّقوا تكلم كل قوم منهم بلسان ألفوه واعتادوه وتطاول الزمان على ما خالف ذلك فنسوه، ويجوز أن يكونوا عالمين بجميع تلك اللغات الى زمن نوح فلما أهلك جميع الخلائق إلّا نوحاً ومن معه، كانوا هم العارفين بتلك اللغات، فلما كثرُوا وتفرّقوا اختار كل قوم منهم لغة تكلموا بها وتركوا ما سواها وانقرض ونسوه .

والخبر الذي يروى - أن الناس امسوا ولغتهم واحدة ثم اصبحوا وقد تغيّرت ألسنتهم وكان لا يعرف كل فريق منهم إلّا كلام من كان على لغتهم^(٣) - خبر ضعيف، وأيضاً فلا يجوز أن ينسى العاقل ما كان في أمسه من جلائل الأمور مع سلامة عقله .

قالوا: واللغات جميعاً إنما سمعت من آدم، وعنه أخذت، وقال ابن

الكثير. منها في التاريخ والتفسير .

(الفهرست لابن النديم: ص ٢٩١، وتذكرة الحفاظ: ص ٣٠٧).

(١) النور: ٤٥ .

(٢) اختاره الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٧١ بعد ذكره للأقوال التي ذكرها الماتن .

(٣) لم نعث عليه في المصادر المتوفرة لدينا .

الاخشاد: إن الله فتح لسان اسماعيل بالعربية ولذلك صار اصلاً للعرب من ولده، لأنه تكلم بها على خلاف النشوء والعادة، بل على أنه ابتداءها وألهمه إياها^(١).

فان قيل: ما معنى قوله: «انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين» ما الذي أدعي حتى قيل هذا؟

قيل عن ذلك أجوبة كثيرة للعلماء:

أحدها: إن الملائكة لما أخبرهم الله عز وجل أنه جاعل في الأرض خليفة هجس في نفوسها أنه لو كان الخليفة منهم بدلاً من آدم وذريته، لم يكن فساد ولا سفك دماء، كما يكون من ولد آدم، وإن ذلك أصلح لهم، وإن كان الله عز وجل لا يفعل إلا ما هو أصلح في التدبير والأصوب في الحكمة، فقال الله تعالى: «انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين» فيما ظننتم في هذا المعنى ليدلهم على أنهم إذا لم يعلموا باطن ما شاهدوا، كانوا من أن يعلموا باطن ما غاب عنهم أبعد.

والثاني: إنه وقع في نفوسهم أنه لم يخلق الله خلقاً إلا كانوا أفضل منهم في سائر أبواب العلم، فقليل: إن كنتم صادقين في هذا الظن فاخبروا بهذه الاسماء^(٢).

والثالث: قال ابن عباس: إن كنتم تعلمون لم أجعل في الأرض خليفة فـ «انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين» لأن كل واحد من الأمرين من علم الغيب، فكما لا تعلمون ذا لا تعلمون الآخر^(٣).

(١) لم نثر عليه.

(٢) راجع تفسير الطبري: ج ١ ص ١٧٠-١٧١.

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٧٢.

والرابع: ما ذكره الأخفش^(١) والجبائي وابن الأخشاد: إن كنتم صادقين فيما تخبروني به من اسمائهم، كقول القائل للرجل: أخبرني بما في يدي إن كنت صادقاً، أي إن كنت تعلم فاخبر به، لأنه لا يمكن أن يصدق في مثل ذلك إلا إذا أخبر عن علم منه، ولا يصح أن يكلف ذلك إلا مع العلم به، ولا بد إذا استدعوا الى الاخبار عما لا يعلمون من أن يشترط بهذا الشرط، ووجه ذلك التنبيه كما يقول العالم للمتعلم: ما تقول في كذا، ويعلم أنه لا يحسن الجواب لينبهه عليه ويحثه على طلبه والبحث عنه، فلو قال له: اخبر بذلك إن كنت تعلم، أو قال له: ان كنت صادقاً لكان حسناً، فاذا نبهه على أنه لا يمكنه الجواب أجابه، حينئذ فيكون جوابه بهذا التدرج أثبت في قبله وأوقع في نفسه .

وقوله: «انبئوني» قال قوم: هو امر مشروط، كأنه قيل: إن امكنكم أن تخبروا بالصدق فيه فافعلوا^(٢) .

وقيل: إن لفظه لفظ الامر ومعناه التنبيه^(٣)، على ما بيّناه في سؤال العالم للمتعلم ولا يجوز أن يكون ذلك تكليفاً، لأنه لو كان تكليفاً، لم يكن تنبيهاً لهم على أن آدم يعرف من اسماء هذه الاشياء بتعريف الله اياه ذلك ما لا يعرفون، فلما أراد تعريفهم ما خص به آدم، من ذلك علمنا أنه ليس بتكليف .

ومعنى قوله: «إن كنتم صادقين» شرط، كأنه قيل: إن كنتم صادقين في الاخبار بذلك .

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٢٢٠ .

(٢) أمالي المرتضى: ج ٢ ص ٦٨ .

(٣) أمالي المرتضى: ج ٢ ص ٦٩ .

وليس «إن» بمعنى «إذ» على ما حكاها الكسائي عن بعض المفسرين^(١)؛ لأنها لو كانت كذلك، لكانت «أن» بفتح الهمزة، وتقديره: ان كنتم محققين إيمانكم فافعلوا كذا وكذا؛ لأن «إذ» إذا تقدمها فعل مستقبل صارت علة للفعل وسبباً له، كقولك: إذ قت أي من أجل ان قت، فلو كانت «إن» في الآية بمعنى «إذ» كان التقدير: أنبئوني بأسماء هؤلاء من أجل انكم صادقين. وإذا وضعت «إن» مكان ذلك وجب أن تفتح الألف، وذلك خلاف ما عليه القراء والأنباء.

قال قوم: أصله الاعلام، كقولهم: انبأت عمرأ زیداً أخاك، بمعنى اعلمت، ولا يصلح هاهنا أخبرت إلا أنه يتناول انبئوني هاهنا بمعنى اخبروني على وجه المجاز والتوسع لتقارب المعنى في الإخبار والانباء، لأن الله تعالى عالم بالاشياء فيما لم يزل، فلا يجوز أن يقول: علموني لما هو عالم به، ومن قال أصله الاخبار تعلق بظاهر القرآن.

وفي كيفية عرضهم قولان:

أحدهما: إنه عرضهم بعد أن خلقهم^(٢).

والثاني: إنه عرضهم بأن صورهم لقلوب الملائكة^(٣).

وفي هذه الآية دليل على شرف العلم من حيث أن الله تعالى لما أراد تشريف آدم اختصه بعلم أبانه به من غيره، وجعل له الفضيلة فيه.

وفي كيفية تعليم الله آدم الاسماء، قال البلخي: ويجوز أن يكون أخبره بذلك فوعاه في وقت قصير بما أعطاه الله من الفهم والحفظ، أو بأن دله ومكنه ورسم به رسماً، فابتدع هو لكل شيء اسماً يشاكله، ولا بد أن

(١) انظر تفسير الطبري: ج ١ ص ١٧٤.

(٢) و(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٧٢، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٠٠.

يكون إعلامه به بلغة قد تقدمت المواضعة عليها حتى يفهم بالخطاب المراد به، وقال: المواضعة لا بد ان تستند الى سماع عند قوم، وعند أبي هاشم^(١) واصحابه لا يصح ذلك^(٢).

فأما الذي عرض على الملائكة، قال قوم: عرضت الاسماء دون المسميات^(٣).

وقال قوم آخرون: عرضت المسميات بها^(٤). وهو الأقوى لقوله: «ثم عرضهم» وفي قراءة ابن مسعود: ثم عرضهن^(٥). وفي قراءة أبي^(٦):

(١) أبو هاشم، عبد السلام بن أبي علي الجبائي محمد بن عبد الوهاب، من شيوخ المعتزلة ومتكلميها. صنف كثيراً من الكتب على مذاهبهم، والجبائي نسبة الى قرية من قرى البصرة سكن بغداد الى ان توفي فيها في شعبان سنة ٣٢١ هـ.
(الأنساب للسمعاني: ج ٢ ص ١٧).

(٢) لا يوجد لدينا كتابه.

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٧٢.

(٤) أمالي المرتضى: ج ٢ ص ٧٥.

(٥) نقل ذلك الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٦، والسيد المرتضى في أماليه: ج ٢ ص ٧٥.
(٦) أبي بن كعب بن قيس، ويكنى أبا المنذر وأبا الطفيل، كان قارئاً للقرآن، يقال: انه كان يكتب في الجاهلية قبل الاسلام، وكانت الكتابة في العرب قليلة. قال أبي بن كعب يوماً لعمر بن الخطاب: مالك لا تستعملني؟ قال: أكره أن يدنس دينك، قال جندب بن عبد الله البجلي: أتيت المدينة ابتغاء العلم فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فاذا الناس فيه حلق يتحدّثون حتى أتيت الى رجل شاحب عليه ثوبان، فسألت عنه فقالوا: هذا سيد المسلمين أبي بن كعب فتبعته الى منزله، فقال لي: ممن أنت. قلت: من أهل العراق، قال: أكثر مني سؤالاً، قال: فغضبت من كلامه فجثوت على ركبتي ورفعت يدي، وقلت: اللهم شكوهم اليك إنا نثيق نفقاتنا وننصب أبداننا ونرحل مطايانا ابتغاء العلم فاذا لقيناهم تجهموا لنا... مات سنة ٣٠ هـ.

(الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٣ ص ٤٩٨).

عرضها^(١) .

وقال قوم: إنه عرضهم بعد أن خلق المسميات واحضرها لقوله: «اسماء هؤلاء» وذلك إشارة الى الحاضر^(٢) .

وقال آخرون: إنه صوّرهم لقلوب الملائكة ثم عرضهم قبل خلقهم^(٣) ، وقيل: إن قوله: [هؤلاء] إشارة الى الاسماء التي علمها آدم^(٤) .

القراءة:

و«انبئوني» اكثر القراء بهمز، وروي عن الأعمش ترك الهمز فيه، وهي لغة قریش^(٥) .

«هؤلاء» لغة قریش ومن جاورهم باثبات الف بين الهاء والواو ومد الألف الأخيرة. وتميم وبكر وعامة بني أسد يقصرون الألف الأخيرة وبعض العرب يسقط الألف الأولى التي بين الهاء والواو ويمد الأخيرة، وانشد:

تجلد لا يقل هؤلاء هذا بكى لما بكى اسفاً وعيباً
وحقق الهمزة ابن عامر واهل الكوفة اذا اتفقا من كلمتين، وقرأ أبو عمرو واحمد بن صالح^(٦) عن قالون بتحقيق الأولى وحذف

(١) نقل ذلك الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٦، والسيد المرتضى^١ في أماليه: ج ٢ ص ٧٥.

(٢) لم نعر عليه.

(٣) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٠٠.

(٤) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٧٢.

(٥) السبعة في القراءات: ص ١٥٣.

(٦) هو أحمد بن صالح المصري أبو جعفر، مقرأء عالم بالحديث وعلمه، ولد بمصر سنة ١٧٠ هـ،

الثانية^(١)، وقرأ ورش وقنبل وابو جعفر وأويس بتحقيق الأولى وتليين الثانية، وقرأ ابن كثير إلّا قنبلاً ونافع إلّا ورشاً وأحمد بن صالح بسكون الأولى وتحقيق الثانية في المكسوريتين والمضمومتين، وفي المفتوحتين بتحقيق الأولى وحذف الثانية.

قوله تعالى:

قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ آية.

المعنى:

هذه الآية فيها إخبار من الله تعالى عن ملائكته بالرجوع اليه والأوبة والتسليم إنهم لا يعلمون إلّا ما علمهم الله.

وقوله: «سبحانك» نصب على المصدر ومعناه نسبحك، وسبحانك مصدر لا ينصرف، وقدّمنا في ما مضى أن معنى التسبيح التزني، ومعناه هاهنا تبرأ منهم أن يعلموا الغيب، وإقراراً أنه المختص به تعالى دون غيره.

وقوله: «العليم الحكيم» معنى عليم أنه عالم وفيه مبالغة، ومن صفات ذاته، وإذا كانت كذلك أفادت أنه عالم بجميع المعلومات ويوصف به في ما لم يزل؛ لأن ذلك واجب في العالم نفسه.

وقوله: «الحكيم» يحتمل امرين:

أحدهما: أنه عالم، لأن العالم بالشيء يسمى بأنه حكيم، فعلى هذا يكون من صفات الذات مثل العالم وقد بيّناه.

زار بغداد واجتمع بابن حنبل وحدث بدمشق وبأنطاكية، وتوفي بمصر سنة ٢٤٨ هـ.

(الأعلام: ج ١ ص ١٣٧).

(١) إعراب القرآن للزجاج: ج ١ ص ٣٦٨.

والثاني: أن يكون من صفات الأفعال، ومعنى ذلك أن أفعاله محكمة متقنة وصواب ليس فيها وجه من وجوه القبح ولا التفاوت، ولا يوصف بذلك في ما لم يزل .

وروي عن ابن عباس انه قال: العليم الذي كمل علمه، والحكيم الذي كمل في حكمته^(١). وقد قيل في معنى حكيم: انه المانع من الفساد، ومنه سميت حكمة اللجام؛ لأنها تمنع الفرس من الجري الشديد^(٢)، قال جرير:

ابني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم ان أغضبا^(٣)
أي امنعوهم، والإحكام والاتقان والاتساق والانتظام متقاربة. والحكمة نقيض السفه، يقال: حكم حكماً وأحكم إحكاماً، ويقال: أحكم فلان عمله إذا بالغ فيه فأصاب حقيقته، والحكمة هي التي تقف بك على مرّ الحق الذي لا يخطئه باطل والصدق الذي لا يشوبه كذب، ومنه قوله: «حكمة بالغة»^(٤)، والحكم بين الناس هو الذي يرضى به ليقف الاشياء مواضعها، ومنه قوله: «فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها»^(٥)، والحاكم القاضي بين الناس ليقفهم على الحق، ويقال: رجل حكيم اذا كان ذلك شأنه وكانت معه أصول من العلم والمعرفة، واذا أحكم بين

(١) نقل قوله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٧٥.

(٢) انظر تهذيب اللغة: مادة «حكم» ج ٤ ص ١١٢، ومعجم مقاييس اللغة: مادة «حكم» ج ٢

ص ٩١.

(٣) ديوان جرير: ص ٤٧.

(٤) القمر: ٥.

(٥) النساء: ٣٥.

الرجلين يقال: أحكم يحكم، وإذا صار حكيماً قيل: حكم يحكم، وأمر مستحكم إذا لم يكن فيه مطعن، وفي الحديث: «في رأس كل عبد حكمة إذا هم بسيئة وشاء الله أن يقده بها قدعة»^(١) يعني منعه. والحكم في الإنسان هي العلم الذي يمنع صاحبه من الجهل.

ومعنى قول الملائكة: «سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا» يحتمل أمرين:

أحدهما: ما قدمناه وهو قول ابن عباس قال: «سبحانك» تنزيهاً لله من أن يكون أحد يعلم الغيب سواه.

والثاني: أنهم أرادوا أن يخرجوا مخرج التعظيم لله، فكأنهم قالوا: تنزيهاً لك عن القبائح، فعلى هذا الوجه يحسن وإن لم يعلقه بعلم الغيب كما علق في الأول.

وفي الناس من استدلت بهذه الآية على بطلان الأحكام في النجوم. وهذا يمكن أن يكون دلالة على من يقول: إنها موجبات لا دلالات، فأما من يقول: إنها دلالات على الأحكام نصبها الله، فانه يقول: نحن ما علمنا إلا ما علمنا الله، إنه الذي جعل النجوم أدلة لنا كما أن ما علمناه استدلال غير ضرورة مضاف إليه أيضاً من حيث نصب الدلالة عليه.

واستدل جماعة من المفسرين بهذه الآية، والآيتين قبلها على صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعلوها من جملة معجزاته إذ كان إخباراً بما لا يعلمه العرب ولا يوصل إليه إلا بقراءة الكتب، والنبي عليه السلام لم يعرف بشيء من ذلك مع العلم بمنشأه ومبتدأ أمره ومنتهاه^(٢).

(١) أورد ابن الأثير شطراً منه في نهايته: ج ٤ ص ٢٤.

(٢) ذكر ذلك الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٧٥.

وهذا يمكن أن يذكر على وجه التأكيد والتقوية لآياته ومعجزاته من غير أن يكون لو انفرد لكفى في باب الدلالة؛ لأنّ لقائل أن يقول: إنه قرأ الكتب سرّاً، وأخذ عمن قرأها خفياً فلا طريق للقطع على ذلك وإنما يغلب في الظن .

فان قيل : ما الفائدة في الجواب بقولهم : «لا علم لنا إلّا ما علمتنا» ؟
قلنا : لو اقتصروا على قولهم : «لا علم»، لكان كافياً، لكن أرادوا أن يضيفوا إلى ذلك التعظيم والاعتراف بأن جميع ما يعلمونه من تعليمه، وإن هذا ليس من جملة ذلك واختصروا وذلك أدل على الشكر لنعمه .
وقيل في معنى «عليم» أمران :

أحدهما : انه عليم بغير تعليم، بدلالة انه أثبتوا لله ما نفوه عن انفسهم بقولهم : «لا علم لنا إلّا ما علمتنا» أي نحن معلّمون وانت العليم غير المعلّم .

والثاني : انه العليم الحكيم . وكلاهما حسن، والأول أحسن؛ لأنه أكثر فائدة وأولى في تقابل البلاغة، وقد تضمّنت الآية الدلالة عليه انه لا علم لأحدٍ إلّا ما علمه الله اما بالضرورة وإما بالدلالة .
قوله تعالى :

قَالَ يَتْلُوا آيَاتِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ
غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١٣٢﴾ آية

بلا خلاف .

اللغة:

روى الداجوني^(١) عن هشام: انبيهم ونبيهم، في الحج والقمر، فقلبت الهمزة وكسرت الهاء. وروى الزيني^(٢) من طريق المالكي^(٣) والعطار كسر الهاء وتحقيق الهمزة، الباقر بضم الهاء وتحقيق الهمزة.

قال ابو علي: من ضم الهاء حملها على الأصل، لأن الأصل أن تكون هاء الضمير مضمومة مثل قولهم: ضرهم وأنبأهم، وإنما تكسر الهاء اذا وليها كسرة أو ياء نحو: بهم وعليهم، ومع هذا يضمه قوم حملاً على الأصل، ومن كسر الهاء التي قبلها همزة مخففة فانه اتبع كسرة الهاء الكسرة التي قبلها واذا كان بينهما حاجز، كما قالوا: هذا المرء ومررت بالمرء فاتبعوا مع هذا الفصل.

وحكي عن أبي زيد أنه قال: قال رجل من بكر بن وائل: أخذت هذا منه ومنها، وكسر الهاء في الادراج والوقف، وحكي عنه: لم أعرفه ولم

(١) وهو أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن سليمان الرمي الداجوني، نسبة الى داجون وهي قرية من قرى الرملة من أرض فلسطين على ما يظن السمعاني في الأنساب، مقرر من أهل العلم.

(الأنساب للسمعاني: ج ٢ ص ٤٣٥، واللباب: ج ١ ص ٤٨١).

(٢) هو أبو الفوارس طراد بن محمد بن علي الهاشمي الزيني البغدادي العباسي، نقيب النقباء ومستند العراق، توفي في شوال سنة ٤٩١ هـ.

(شذرات الذهب: ج ٣ ص ٣٩٦، كشف الظنون: ج ٢ ص ١١٧٨).

(٣) هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمان بن عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري الوقاصي المدني ويقال له: المالكي نسبة الى جدّه أبي وقاص مالك، توفي في خلافة هارون الرشيد.

(تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ١٣٣)

أضر به، فكسر وقال: لم أضرهما، فكسر الهاء مع الباء. ويحتمل أن يكون ما اعتد بالحاجز بين الكسرة والهاء لسكونها فكأن الكسرة وليت الهاء .

المعنى:

ومعنى «انبئهم» خطاب لآدم، يعني اخبر الملائكة، لأن الهاء كناية عنهم وموضعهم النصب .

«باسمائهم» يعني باسماء الذين عرضهم على الملائكة، والهاء والميم في اسمائهم كناية عن المرادين بقوله: «باسماء هؤلاء» وقد مضى بيانه .

وقوله: «واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون» فالابداء والاعلان والاظهار بمعنى واحد، يقال: بدا وعلن وظهر، وضد الابداء الكتمان، وضد الاظهار الابطان، وضد الاعلان الاسرار، يقال: بدا يبدو من الظهور، وبدأ يبدأ بداء (بالهمز) بمعنى استأنف .

قال صاحب العين: بدا الشيء يبدو بدواً اذا ظهر وبداء له في الأمر بدء وبداء (بالهمز) بمعنى استأنف، والبادية اسم الأرض التي لا حصر فيها، واذا خرج الناس من الحضر الى الصحراء والمرعى، يقال: بدوا واسمه البدو، ويقال: اهل البدو واهل الحضر^(١) .

واصل الباب الظهور، والخفاء نقيض الظهور، وقال الرماني: حدّ الظهور الحصول على حقيقة يمكن أن تعلم بسهولة^(٢) . والله ظاهر بأدلته باطن عن احساس خلقه، وكل استدلال فانما هو ليظهر شيء بظهور غيره .

(١) العين: مادة «بدو» ج ٨ ص ٨٣.

(٢) لا يوجد لدينا كتابه.

والكتمان نقيض إعلان السر ونحوه، وناقة كتوم وهي التي لا ترغوا إذا ركبها صاحبها أي لا تصيح، والكاتم من القسي التي لا ترن إذا انتضيت .
الألف في قوله: «ألم أقل لكم» ألف تنبيه، كقول القائل: أما ترى اليوم ما أطيبه، لمن يعلم ذلك إلا أنك تريد أن تحضر ذهنه وإن ليس مثله ما يخفى عليه، كقوله: «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير»^(١) وحكي عن سيويه: أما ترى أي برق هاهنا، وهي الف تنبيه اصلها الاستفهام، ومن الناس من قال: إن معناه التوبيخ، ومن لم يجز على الملائكة المعصية منع من ذلك .

فان قيل: ما الفائدة في انباء آدم عليه السلام الملائكة بذلك دون إعلامه إياهم بذلك ؟
قلنا: أراد الله بذلك تكرمة آدم عليه السلام وتشريفه، وإجلال المنّة عليه وتعظيم النعمة لديه، وجميع قصة آدم تؤذن بذلك .
فان قيل: ما معنى «غيب السماوات والأرض» والله لا يغيب عنه شيء ؟

قيل في معناه: إنه يعلم ما غاب عنهم فلم يشاهدوه كما يعلم ما حضرهم فشاهدوه .

وقوله: «واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون» قيل في معناه أقوال:
أحدها: انه يعلم سرهم وعلاانيتهم، وذكر ذلك تنبيهاً لهم على ما يحيلهم عليه من الاستدلال، لأن الاصول الأول لم يستدل بها، إنما تذكر على وجه التنبيه ليستخرج بها غيرها، فيستدل بعلم الغيب انه خلق عباده

على ما خلقهم عليه للاستصلاح وما توجبه الحكمة^(١).

والثاني: ما يسرون بمعنى ما أضمره إبليس من المعصية والمخالفة، وما يعلنون قولهم: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء»^(٢).

قال الرماني: وهذا الوجه غلط؛ لأن إبليس ليس من الملائكة، ولأن القول على العموم لا يجوز أن يصرف إلى الخصوص بغير دلالة^(٣). وهذا الوجه اختاره الطبري^(٤)، وقال: هو بمنزلة قولهم: قتل الجيش وهزموا، وإنما قتل البعض.

قال الرماني: إنما يقال ذلك إذا حل قتل الواحد محل قتل الجميع، مثل قتل الرئيس أو من يقوم مقامه، ولا يقال أيضاً إلا والدلالة عليه ظاهرة وليس كذلك في الآية^(٥)، وقد روي روايات^(٦) في هذا المعنى، والوجه في هذا أن إبليس لما دخل معهم في الأمر بالسجود، جاز أن يستثنى من جملتهم.

والثالث: قيل: إن الله تعالى لما خلق آدم مرت به الملائكة قبل أن ينفخ فيه الروح، ولم تكن رأته مثله قبل، فقالت: لن يخلق الله خلقاً إلا كنا أكرم منه وأفضل عنده فزعم أن هذا الذي أخفوه في نفوسهم وإن الذي أبدوه قولهم: «أتجعل فيها من يفسد فيها» روي ذلك عن الحسن^(٧) والوجه

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٧٦ نحوه.

(٢) نفس المصدر.

(٣) و(٥) لا يوجد لدينا كتابه.

(٤) تفسيره: ج ١ ص ١٧٧.

(٦) أخرج الروايات الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٧٦.

(٧) تفسيره: ج ١ ص ٨٣-٨٤.

الأول أقوى، لأنه اعم، ويدخل فيه هذا الوجه ولا دلالة يقطع بها على تخصيص الآية .

فان قيل : ما وجه ذكره تعالى لهم الاسرار من علم الغيب ؟
قلنا : على وجه الجواب فيما سألو عنه من خلق من يفسد ويسفك
الدماء وذلك على وجه التعريض بالجواب دون التصريح ، لأنه لو صرح به
لقال : خلقت من يفسد ويسفك الدماء لما اعلم في ذلك من المصلحة لجملة
عبادي فيما كلفتهم اياه وأمرتهم به؛ فدلّ في الاحالة في الجواب على العلم
بباطن الأمور وظاهرها أنه خلقهم لأجل علمه بالمصلحة في ذلك ، ودلهم
بذلك على أن عليهم الرضا والتسليم لقضاء الله؛ لأن الله يعلم من الغيب ما
لا يعلمونه، ويعلم من مصالحهم ما لا يعلمونه في دينهم ودنياهم .

فان قيل : وأي شيء في تعلم آدم الاسماء كلها مما يدل على علم
الغيب ؟

قلنا : لأنه علمه الاسماء كلها بما فيها من المعاني التي تدل عليها على جهة
فتق لسانه بذلك والهامه إياه، وهي معجزة أقامها الله تعالى للملائكة تدلّ
على جلالته وارتفاع قدره بما اختصّه به من العلم العظيم الذي لا يصل اليه
إلا بتعليم الله إياه، فبان بذلك الإعجاز بالاطلاع على ما لا سبيل الى علمه
إلا من علام الغيوب .

ففيه من المعجزة أنه فتق لسانه بها على خلاف مجرى العادة، وأنه علّمه
من لطائف الحكمة فيه ما لا تعلمه الملائكة مع كثرة علومها وانها أعرف
الخلف برّبها، فعرفوا ما دلّهم على علم الغيب بالمعجزة مؤكداً لما يعلمونه من
ذلك بالادلة العقلية؛ ولذلك نبّههم فقال: «ألم أقل لكم اني أعلم غيب

السموات والارض» أي قد دلتكم على ذلك من قبل وهذه دلالة^(١) بعد.
وقيل: افتتح الله الدلالة على الاعجاز بالكلام في آدم، ثم ختم به في محمد
عليه السلام.

قوله تعالى:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ
مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾ آية واحدة.

القراءة:

ضمَّ التاء^(٢) من الملائكة ابو جعفر وحده، وحيث وقع اتبع ضمه
الجم^(٣). وقيل: انه نقل ضمة الهمزة وابتدأ بها، والأول أقوى؛ لأنَّ الهمزة
الف وصل تسقط في الدرج فلا يبقى فيها حركة تنقل، فالوجه الأول هو
المعتمد عليه، والصحيح ما عليه القراء من كسر التاء بلام الجر.
و«ابليس» نصب بالاستثناء من الاثبات، ويكره الوقف على قوله:
«فسجدوا» وعلى «إلا» حتى يقول: «إلا إبليس» وكذلك كل استثناء.

المعنى:

وظاهر الآية يقتضي ان الأمر كان لجميع الملائكة بالسجود لعمومها،
وقال قوم: إن الامر كان خاصاً بطائفة من الملائكة كانوا مع ابليس طهر

(١) في النسخة الخطية هكذا «وهذه دلالة قبل وبعد» وهو تصحيف ظاهره والصحيح ما أثبتناه.

(٢) في النسخة الخطية «الهاء»، والصحيح ما أثبتناه.

(٣) نقله الزجاج في معاني القرآن: ج ١ ص ١١١.

الله بهم الارض من الجن، والأول أقوى .

اللغة:

والسجود والخضوع والتذلل بمعنى واحد في اللغة^(١). ونقيض التذلل التكبر، يقال: سجد يسجد سجوداً، واسجد اسجداً إذا خفض رأسه من غير وضع لجهته، قال الشاعر:

وكلتاها خرت واسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف^(٢)
والسجود في الشرع عبارة عن عمل مخصوص في الصلاة - والركوع والقنوت كذلك - وهو وضع الجهة على الأرض، ويقال: سجدنا لله سجوداً، وقوم سجد ونساء سجد، والسجدة من النساء الفاترات الأعين، قال الشاعر:

أغرّك مني أنّ دلك عندنا واسجاد عينيك الصيودين رابح^(٣)
وعزائم السجود من ذلك، وقوله: «وإن المساجد لله»^(٤) قيل: إنه السجود. وقيل: إنه المواضع من الجسد التي يسجد عليها واحدها مسجد، والمسجد اسم جامع لجميع المسجد وحيث لا يسجد بعد ان يكون أخذ لذلك، فاما المسجد من الارض فهو موضع السجود بعينه. وقال قوم: معنى السجود في أصل اللغة الخضوع والانحناء. وقيل: التذلل^(٥)، قال الشاعر:

(١) الصحاح في اللغة: مادة «سجد» ج ٢ ص ٤٨٣.

(٢) الكتاب لسيبويه: ج ٢ ص ٣٤ والبيت لأبي الأخرز الحماني.

(٣) البيت لكثير عزة، انظر ديوانه: ص ٦٩.

(٤) الجن: ١٨.

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٣٨، في تفسير آية (٥٨) من سورة البقرة.

بجمع يقل البلق في حجراته ترى الاكم فيه سجداً للحوافر^(١)
كأنه قال: مذلة للحوافر.

والسجود على أربعة اقسام: سجدة الصلاة وسجدة التلاوة وسجدة
الشكر وسجدة السهو.

وقوله: «أبى» معناه ترك وامتنع، والاباء والامتناع والترك بمعنى،
ونقيض أبى أجاب، يقال: أبى يأبى إباء وتأتى تأتياً، قال صاحب العين:
أبى يأبى إباء إذا ترك الطاعة ومال الى المعصية، كقوله: «فكذب وأبى»
وكل من ترك أمراً ورده فقد أباه، ورجل أبى وقوم أبيون وأبأة، قال الشاعر:
* أبى الضيم من قوم أبأة^(٢) *

وليس الاباء بمعنى الكراهة؛ لأن العرب تتمدح بأنها تأبى الضيم
ولا تتمدح في كراهة الضيم وإنما المدح في المنع منه، كقوله: «وبأبى الله إلا
أن يتم نوره»^(٣) أي يمنع الكافرين من اطفاء نوره.

والاستكبار والتكبر والتعظم والتجبر نظائر، وضدها التواضع، يقال:
كبر كبراً، وأكبر اكباراً، واستكبر استكباراً، وتكبر تكبراً، وتكابر تكابراً
وكابره مكابرة، وكبّره تكبيراً. قال صاحب العين: الكبر العظمة، والكُبر
والكُبر الاثم الكبير جعل اسماً من الكبيرة كالخطيئة والخطيء، وكُبر كل
شيء معظمه، والكبر مصدر الكبير في السن من جميع الحيوان؛ فاذا أردت
الأمر العظيم قلت: كُبر هذا الأمر كباره، والكُبار في معنى الكبير، ويقال:
أكبرت الشيء إذا أعظمته^(٤)، ومنه قوله: «فلما رأيته أكبرنه»^(٥)،

(١) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٠٢، وفيه «تَقِيلُ» بدل «يَقِلُّ».

(٢) العين: مادة «أبى» ج ٨ ص ٤١٩. (٤) العين: مادة «كبر» ج ٥ ص ٣٦١.

(٣) التوبة: ٣٢. (٥) يوسف: ٣١.

والتكبير في الصلاة تفعيل من قولهم: الله أكبر.

وأصل الباب الكبر وهو العظم، ويقال على وجهين: كبر الجثة وهو الأصل؛ وذلك لا يجوز عليه تعالى، وكبر الشأن والله تعالى الكبير من كبر الشأن، وذلك يرجع الى سعة مقدوره ومعلومه، وتحقيقه أنه قادر على ما لا يتناهى من جميع الاجناس المقدورات، وعالم بكل معلوم .
والاستكبار الأنفة مما لا ينبغي أن يؤنف منه .

الاعراب:

وموضع «إذ» من قوله: «وإذ قلنا» نصب، لأنه عطف على «إذ» الأولى، كأنه قال: وإذ أراد، وقال أبو عبيدة: لا موضع لها من الاعراب لأنها زائدة، وأنشد:

حتى اذا أسلكوهم في قتائدة شلاً كما تطرد الجمالة الشردا^(١)
وقال: المراد واستشهد به على وجهين كل واحد منهما نقيض الآخر، فأحد الوجهين قوله: «حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها»^(٢) فلم يأت لـ «إذ» جواب. والوجه الآخر فيه على زيادة «إذ» في هذا الموضع، وكلا الوجهين خطأ عنده، لأن الجواب في قوله: قتائدة هو قوله: شلاً بوقوعه موقع شلوهم شلاً، كما يقول القائل: إذا أتيت الحرب فضربا وطعنا، وأما الزيادة فقد بيّنا وجه الخطأ فيها فيما تقدّم .

(١) مجاز القرآن: ج ١ ص ٣٧.

(٢) الزمر: ٧٣.

التفسیر:

واختلفوا في أمر الملائكة والسجود لآدم على وجهين:
قال قوم: انه امرهم بالسجود له تكرمة وتعظيماً لشأنه^(۱).
وهو المروي في تفسيرنا واخبارنا^(۲) وهو قول قتادة وجماعة من أهل العلم^(۳). واختاره ابن الاخشاد والرماني وجرى ذلك مجرى قوله: «وخرؤا له سجدا»^(۴) في اولاد يعقوب.

ولأجل ذلك جعل اصحابنا هذه الآية دلالة على أن الانبياء أفضل من الملائكة من حيث أمرهم بالسجود له والتعظيم على وجه لم يثبت ذلك لهم بدلالة امتناع ابليس من السجود له وانفته من ذلك، وقوله: «قال أرايتك هذا الذي كرمت عليّ لئن اخرتني الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً»^(۵) ولو كان ذلك على وجه كونه قبله لما كان لذلك وجه، ولا فيه أنفة، ولا يحسن أن يؤمر الفاضل بتعظيم المفضول على نفسه، لأن ذلك سفه به. وسنبن قول من خالف فيه وشبههم.

وقال الجبائي والبلخي وجماعة: أنه جعله قبله لهم فأمرهم بالسجود الى قبلتهم، وفيه ضرب من التعظيم له^(۶). وهذا ضعيف؛ لأنه لو كان على وجه

(۱) تفسير الطبري: ج ۱ ص ۱۸۱، وأحكام القرآن للجصاص: ج ۱ ص ۳۱.

(۲) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ۱ ص ۲۶۳ ح ۲۲.

(۳) كما نقل ذلك الطبري في تفسيره: ج ۱ ص ۱۸۱، والجصاص في أحكام القرآن: ج ۱ ص ۳۱.

(۴) يوسف: ۱۰۰.

(۵) الإسراء: ۶۲.

(۶) لم نعر عليه في المصادر المتوفرة لدينا.

القبلة لما امتنع ابليس من السجود، ولما استعظمته الملائكة، ولكن لما أراد ذلك تعظيماً له على وجه ليس بثابت لهم، امتنع ابليس وتكبر.

واختلفوا في ابليس هل كان من الملائكة أم لا؟ فقال ابن عباس وابن مسعود وابن المسيب وقتادة وابن جريج^(١) والطبري^(٢): إنه كان منهم بدلالة استثنائه من جملتهم هاهنا في قوله: «إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين» وقال: «ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك»^(٣) مع قوله: «واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام^(٤)، والظاهر في تفاسيرنا.

ثم اختلف من قال: إنه كان منهم، فمنهم من قال: إنه كان خازناً على الجنان^(٥)، ومنهم من قال: كان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض^(٦)، ومنهم من قال: إنه كان يسوس ما بين السماء إلى الأرض^(٧). وقال الحسن البصري وقتادة في رواية ابن زيد والبلخي والرماني وغيره من المتأخرين: أنه لم يكن من الملائكة^(٨) وإن الاستثناء في الآية استثناء منقطع، كقوله تعالى: «ما لهم به من علم إلا اتباع الظن»^(٩) وقوله:

(١) حكى ذلك عنهم الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٧٨، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٠٢.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٨٠.

(٣) الأعراف: ١٢.

(٤) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٥.

(٥) تهذيب اللغة: مادة «جن» ج ١٠ ص ٤٩٨، وتفسير الطبري: ج ١ ص ١٧٨.

(٦) و(٧) و(٨) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٧٩، وقال الأزهرى في تهذيب اللغة: مادة «جن» ج ١٠ ص ٤٩٨، وأكثر ما جاء في التفسير أن ابليس من غير الملائكة.

(٩) النساء: ١٥٧.

«فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون» إلا رحمة منا»^(١) وكقوله: «لا عاصم اليوم من امر الله إلا من رحم»^(٢) وكقول الشاعر-وهو النابغة:-
وقفت فيها أصيلاً كي أسألهما أعيت جواباً وما بالريع من أحد
إلا الأواري لأياً ما أبينها والنوي كالحوض بالظلومة الجلد^(٣)
وأنشد سيبويه:

والحرب لا يبقى لها حمها التخيل والمراح
إلا الفتى الصبار في الد جدات والفرس الوقاح^(٤)
وقال آخر:

وبلدة ليس بها انيس إلا الينعافير وإلا العيس^(٥)
واستدل الرقائي على أنه لم يكن من الملائكة بأشياء:
منها: قوله: «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»^(٦) فنفي
عنهم المعصية نفيّاً عاماً .
والثاني: انه قال: «إلا إبليس كان من الجن»^(٧) ومتى اطلق لفظ
الجن لم يميز أن يعنى به إلا الجنس المعروف المباين لجنس الانس
والملائكة .

(١) يس: ٤٣، ٤٤ .

(٢) هود: ٤٣ .

(٣) ديوانه: ١٩ .

(٤) الكتاب لسبويه: ج ٢ ص ٣٢٤ .

(٥) الكتاب لسبويه: ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٦) التحريم: ٦ .

(٧) الكهف: ٥٠ .

والثالث: ان ابليس له نسل وذرية، قال الحسن^(١): ابليس أبو الجن كما أن آدم أبو الانس، وابليس مخلوق من النار، والملائكة روحانيون خلقوا من الريح في قول أبي علي.

وقال الحسن: خلقوا من النار لا يتناسلون ولا يطعمون ولا يشربون، وقال الله في ابليس وولده: «أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو»^(٢).

والرابع: وهو اقوى ما عنده، قوله تعالى: «جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع»^(٣) فعمها بالوصف بالرسالة، ولا يجوز على رسل الله أن يكفروا أو يفسقوا كالرسل من البشر.

والجواب عما ذكره أولاً: إن قوله: «لا يعصون الله ما أمرهم» صفة لحزنة النيران لا جميع الملائكة، يدل على ذلك قوله: «يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤْمرون»^(٤)، وليس إذا كان هؤلاء معصومين وجب ذلك في جميعهم.

والجواب عما ذكره ثانياً: ان قوله: «كان من الجن» معناه صار، ذكر ذلك الأخفش وجماعة من أهل اللغة^(٥). وقيل أيضاً: إن ابليس كان من

(١) تفسيره: ج ١ ص ٨٥.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) فاطر: ١.

(٤) التحريم: ٦.

(٥) تهذيب اللغة: مادة «جن» ج ١٠ ص ٤٩٨.

طائفة من الملائكة يسمون جنأ من حيث كانوا خزنة الجنة^(١). وقيل: سمو بذلك لاختفائهم عن العيون^(٢)، كما قال اعشى قيس بني ثعلبة:

ولو كان شيء خالداً أو معمرأ لكان سليمان البريء من الدهر
براه إلهي واصطفاه عباده وملكه ما بين ثريا الى مصر
وسخر من جنّ الملائك تسعة قياماً لديه يعملون بلا أجر^(٣)
وقد قال الله تعالى: «وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا»^(٤)، لأن قرشأ
قالت: الملائكة بنات الله .

والجواب عما ذكره ثالثاً: من أن إبليس له نسل، طريقه الآحاد، ولو كان صحيحاً لم يمنع ان يكون الله ركب فيه شهوة النكاح تغليظاً عليه في التكليف وإن لم يكن ذلك في باقي الملائكة، فلا وجه لاستبعاده .
والجواب عما ذكره رابعاً: قوله: «جاعل الملائكة رسلاً أولي إجنحة»
فعارض بقوله: «الله يصطفي من الملائكة رسلاً»^(٥) فان كان ظاهر تلك يقتضي العموم فظاهر هذه يقتضي التخصيص، لأن (من) للتبعيض، ولو لم يكن كذلك لجاز لنا أن نخص هذا العموم بقوله: «إلا إبليس» لأنّ حمل الاستثناء على أنه منقطع حمل على المجاز، كما أن تخصيص العموم مجاز، وإذا تعارضاً سقطا .

(١) حكاه الازهري في تهذيب اللغة: مادة «جن» ج ١٠ ص ٤٩٨، وذكره الطبري أيضاً في تفسيره: ج ١ ص ١٧٨ .

(٢) أنظر تهذيب اللغة: مادة «جن» ج ١٠ ص ٤٩٦ .

(٣) ملحقات ديوان الأعشى: ص ٢٤٣ .

(٤) الصافات: ١٥٨ .

(٥) الحج: ٧٥ .

فأما ما روي عن ابن عباس ان الملائكة كانت تقاتل الجن، فسيب
إبليس وكان صغيراً مع الملائكة فتعبد معها، فلما أمروا بالسجود لآدم
سجدوا إلا إبليس أبى، فلذلك قال الله تعالى: «إلا إبليس كان من
الجن»^(١) فانه خبر واحد لا يصح .

والمعروف عن ابن عباس ما قلناه: أنه كان من الملائكة فأبى واستكبر
وكان من الكافرين .

ومن قال: إن إبليس خلق من نار ومن مارج، والملائكة لم يخلقها من
ذلك^(٢) فقلوه ضعيف، لأنه لا يمنع أن يكون الله تعالى خلق الملائكة
اصنافاً: صنفاً من نار، وصنفاً من نور، وصنفاً من غير ذلك، وصنفاً آخر
لا من شيء، فاستبعاد ذلك ضعف معرفة .

الاعراب:

و«إبليس» قال الزجاج والرماني وغيرهما من النحويين: إنه ليس
بأخوذ من الابل اس، كقلوه «مبلسون»^(٣) أي: آيسون من الخير، قالوا: لأنه
أعجمي معرب، بدلالة أنه لا ينصرف للعجمة والتعريف^(٤) . وقال
الطبري: هو مشتق من الابل اس ووزنه افعيل، وأنشد العجاج:

(١) روى مضمونه الحاكم في المستدرک: ج ٢ ص ٢٦١، وأخرجه كذلك الطبري في تفسيره: ج ١
ص ١٧٩ عن سعد بن مسعود.

(٢) أنظر تهذيب اللغة: مادة «جن» ج ١٠ ص ٤٩٦.

(٣) الانعام: ٤٤.

(٤) معاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ١١٤.

ياصاح هل تعرف رسماً مكرباً قال نعم أعرفه وأبلساً^(١)
وقال رؤية :

وحضرت يوم الخميس الأخماس وفي الوجوه صفرة وإبلاس^(٢)
يعني اكتئاباً وكسوفاً، وقال: إنما لم يجر استثقلاً من حيث كان اسماً
لا نظير له من أسماء العرب فشبه بأسماء العجم التي لا تنصرف، وزعم أن
اسحاق لا ينصرف وهو من أسحقه الله اسحاقاً، وأن أيوب من آب يؤوب
على زنة فعول كقيوم من قام يقوم^(٣).

قال الرماني: غلط في جميع ذلك، لأنها الفاظ أعربت من العجمية
ووافقت الفاظ العربية، وكان ابن السراج يمثل ذلك -على جهة التبعيد-
بمن زعم أن الطير ولد الحوت، وغلط أيضاً في قوله انه لا نظير له في أسماء
العرب، لأنهم يقولون: إزميل للشفرة^(٤)، قال الشاعر:

هم منعوا الشيخ المناجي بعدما رأى حمة الازميل فوق البراجم^(٥)
والاعريض الطلع، واحريض صبغ أحمر، وقالوا: هو العصفر، وسيف
اصليت ماض كثير الماء، وثوب اضريح مشبع الصبغ، وقالوا: هو من
الصفرة خاصة. وسبيل (إبليس) سبيل (أنجيل) في انه معرب غير مشتق.

(١) تهذيب اللغة: مادة «بلس» ج ١٢ ص ٤٤٢، والصاحح للجوهري: مادة «بلس» ج ٣ ص ٩٠٩.

(٢) تهذيب اللغة: مادة «بلس» ج ١٢ ص ٤٤٢، وجمهرة اللغة: مادة «ب س ل» ج ١ ص ٢٨٨.

(٣) راجع تفسير الطبري: ج ١ ص ١٨٠.

(٤) مؤلفاته غير متوفرة لدينا.

(٥) لم نعرف قائله.

المعنى:

وحدة الاستكبار الرفع للنفس الى منزلة لا تستحق .
قوله: «وكان من الكافرين» قال قوم: يدل على أنه كان قبله قوم كفّار من الجن^(١). وقال آخرون: لا يدل، ويجري ذلك مجرى قول القائل: كان آدم من الانس، ولم يكن قبله انسي، وكان إبليس من الجن ولم يكن قبله جني، ومعناه: صار من الكافرين^(٢).

ومن قال: ان ابليس كان من جملة الملائكة، قال: كان من جملة المأمورين بالسجود لآدم، بدلالة قوله: «ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك»^(٣)، ولأنه استثناء من جملتهم ولم يكن منهم، علماً أنه كان من جملة المأمورين، كقول القائل: أمر أهل البصرة بدخول الجامع فدخلوا إلا رجلاً من أهل الكوفة؛ فانه يعلم بهذا ان غير أهل البصرة كان مأموراً بدخول الجامع، غير أنّ أهل البصرة كانوا أكثر فلذلك خصّوا بالذكر، وكذلك القول في الآية .

ومن استدلّ بهذه الآية على أن أفعال الجوارح من الايمان من حيث لولم يكن كذلك لوجب ان يكون ابليس مؤمناً بما معه من المعرفة بالله وان فسق بابائه، فقد أبعد؛ لأنّ المخالف يقول: اذا علمت كفره بالاجماع علمت انه لم يكن معه إيمان اصلاً، كما اذا رأيت انه يصلي للشمس علمت ان معه كفراً، وان كانت صلاته للشمس ليست كفراً .

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٨١.

(٢) تهذيب اللغة: مادة «جن» ج ١٠ ص ٩٨ نقلاً عن أبي إسحاق وغيره.

(٣) الأعراف: ١٢.

فان قيل : اذا كانت «إذ» لما مضى فما معنى قوله : «واذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله»؟^(١) وكيف قال : «واذ يتحاجون في النار»؟^(٢) قيل : معنى ذلك كله على تقدير الاستقبال ؛ لأن ما تحقق بمنزلة ما قد كان ، كما قال : «ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة»^(٣) .

قوله تعالى :

وَقُلْنَا يٰٓأَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ [آية بلا خلاف] .

اللغة :

السكون والثبوت والهدوء نظائر ، ومثله الاستقرار والاطمئنان والثبات . والمسكن والمأوى والثوى بمعنى ، تقول : سكن يسكن سكونا إذا لبث في المكان ، وسكن إذا سكت ، ويقال : سكنت الريح ، وسكن المطر ، وسكن الغضب . والسكن هم العيال وهم أهل البيت ، قال سلامة بن جندل :

ليس بأسفى ولا أفنى ولا سفلى يسقى دواء في السكن مريب^(٤)
والمسكن المنزل ، والسكن السكان ، والسكنى أن يسكن إنسان منزلاً بلا كراء ، والسكنية الوداعة والوقار ، والسكنى الرحمة والبركة ، كقوله : «إن

(١) المائدة : ١١٦ .

(٢) غافر : ٤٧ .

(٣) الأعراف : ٥٠ .

(٤) لم نعر عليه .

صلا تك سكن لهم»^(١) والمسكين الذي لا شيء له -عند أبي عبيدة-،
والفقير الذي له شيء وإن كان قليلاً^(٢)، قال الشاعر:
أما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد^(٣)
وقوله تعالى: «أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر»^(٤) قال
ابو حاتم^(٥): -أحسنه- أنهم كانوا شركاء في سفينة لا يملكون سواها، فهذا
يخالف أبا عبيدة، وسكان السفينة معروف عربي اشتقاقه من أنها تسكن به
عن الحركة والاضطراب.

ومعنى: «اسكن أنت وزوجك الجنة» اجعله مأوى تأوي فيه وتسكن
إليه، وقد اعظم الله النعمة على آدم بما اختصه من علمه، وأسجد له
ملائكته، واسكنه جنته، وتلك نعمة على ولده، فالزمهم الشكر عليها
والقيام بحقها.

والجنة التي اسكن فيها آدم، قال قوم: هي بستان من بساتين الدنيا؛
لأن جنة الخلد لا يصل إليها إبليس ووسوسته، واستدل البلخي على أنها لم
تكن جنة الخلد بقوله تعالى حكاية عن إبليس لما أغوى آدم، قال له: «هل

(١) التوبة: ١٠٣.

(٢) نقله ابن السكيت في تهذيب الالفاظ: ص ١٥ عن يونس.

(٣) البيت لمراعي، انظر تهذيب اللغة: مادة «فقر» ج ٩ ص ١١٤، ومقاييس اللغة: مادة «فقر»

ج ٤ ص ٤٤٤، وتهذيب الألفاظ (لابن السكيت): ص ١٥.

(٤) الكهف: ٧٩.

(٥) هو سهل بن محمد بن عثمان الجشعي السجستاني وكان عالماً باللغة، كثير التأليف فيها، توفي
في البصرة سنة ٢٤٨ هـ.

(الأنساب للسماعي: ج ٣ ص ٢٢٥، الفهرست: ص ٦٤).

أدّلك على شجرة الخلد»^(١) فلو كانت جنة الخلد لكان عالماً بها، فلم يحتج الى دلالة .

وقال الحسن البصري وعمرو بن عبيد^(٢) وواصل بن عطاء^(٣) وأكثر المعتزلة كأبي علي والرماني وأبي بكر بن الاخشاد وعليه أكثر المفسرين: انها كانت جنة الخلد؛ لأن الألف واللام للتعريف وصار كالعلم عليها، قالوا: ويجوز ان يكون وسوسة ابليس من خارج الجنة، فيسمعان خطابه ويفهمان كلامه، قالوا: وقول من يقول: ان جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها، لا يصح؛ لأن معنى ذلك إذا استقر اهل الجنة في الجنة للثواب، وأهل النار فيها للعقاب لا يخرجون منها، واما قبل ذلك فانها تفتى لقوله تعالى: «كل شيء هالك إلا وجهه»^(٤) .

(١) طه: ١٢٠.

(٢) وهو أبو عثمان بن عبيد بن باب، مولى بني العدوية من بني تميم، كان صديقاً لأبي جعفر المنصور، وله مع هشام بن الحكم رضوان الله عليه مناظرة مشهورة في مسجد البصرة نقلتها كتب الحديث والرجال وهشام حينذاك شاب وكان من أصحاب الامام الصادق عليه السلام، الكافي: ج ١ ص ١٦٩، ولعمرو بن عبيد كتباً في التفسير والعدل والتوحيد وغيرها، مات في طريق مكة من البصرة سنة ١٤٤ هـ .
(الفهرست لابن النديم: ص ٢٠٣).

(٣) وهو أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال من موالي بني ضبة، رأس المعتزلة، سُمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري ومنهم طائفة تنسب اليه، تسمى «الواصلية» وهو الذي نشر مذهب «الاعتزال» في الآفاق، له تصانيف، منها «أصناف المرجئة» و«المنزلة بين المنزلتين» و«معاني القرآن» وغيرها، مات سنة ١٣١ هـ .

(الفهرست لابن النديم: ص ٢٠٢، والأعلام: ج ٨ ص ١٠٨)

(٤) القصص: ٨٨.

«وزوجك الجنة» الزوج بطرح الهاء، قال الأصمعي^(١): هو أكثر كلام العرب. وقال الكسائي: أكثر كلام العرب بالهاء، وطرح الهاء لغة لأزد شنوءة، ولفظ القرآن لم يجيء إلا بطرح الهاء. وقال المبرد^(٢): الوجه طرح الهاء من الزوجة وأنشد:

وأراكم لدى الحمامة عندي مثل صوت الرجال للزواج^(٣)
جمع زوج، ولا يجوز أن يكون جمع زوجة. وقال الرماني: قول الاصمعي أجود، لأن لفظ القرآن عليه، والعلة في ذلك انه لما كانت الاضافة تلزم الاسم في أكثر الكلام كانت مبيّنة له، وكانت بطرح الهاء اوضح وأخف، مع الاستغناء^(٤) بدلالة الاضافة عن دلالة هاء التأنيث^(٥).

وقوله تعالى: «وكلا» فالأكل والمضغ واللقم متقاربة، وضد الأكل الازم. وسأل عمر بن خطاب الحارث بن كعدة طبيب العرب، فقال له:

(١) وهو أبو سعيد عبد الملك بن قريش، المعروف بالأصمعي الباهلي كان الأصمعي صاحب لغة ونحو، وعالم بالاخبار والنوادر والغرائب له من التصانيف كتاب «خلق الانسان» و«الأجناس» وكتاب «الحيل» وله في الشعر والأراجيز والنوادر وغيرها، مات بالبصرة سنة ٢١٦ هـ.

(وفيات الأعيان: ج ٢ ص ٣٤٤، والاعلام: ج ٤ ص ١٦٢)

(٢) وهو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي الثمالي البصري المعروف بالمبرد النحوي، عالماً بالنحو واللغة، وله من التأليف «الكامل في اللغة والادب» و«الروضة»، أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني، توفي سنة ٢٨٠ هـ.

(وفيات الأعيان: ج ٣ ص ٤١)

(٣) لم نهند لقائله.

(٤) كذا في المطبوعة، وفي الخطية «الاستثناء» وهو تصحيف.

(٥) مؤلفات الرّماني غير متوفرة لدينا.

يا حارماً الدواء؟ فقال: لازم، أي ترك الأكل. والأكلة مرة، والأكلة اسم كاللقمة، والاكولة الشاة والغنم التي ترعى للأكل لا للنسل، والأكال أن يتأكل عود أو شيء، وأكيل الرجل مواكله، واكيل الذئب الشاة وغيرها إذا أردت معنى المأكولة، وإذا أردت به إسماً قلت: اكلة ذئب، والمأكلة ما جعل للإنسان لا يحاسب عليه، ورجل وامرأة أكل كثير الأكل، والمأكل كالمطعم والمشرب، والمأكل المطعم. وأصل الباب الأكل وهو المضغ لذي الطعم. ويقال لذي اللذة الذي يشترك الحيوان كله فيه سوى الملائكة: المأكل والمنكح والمشرب^(١).

و«الرغد» النفع الواسع الكثير الذي ليس فيه عناء. وقال صاحب العين: عيش رغد ورغيد رفيعه، وقوم رغد ونساء رغد^(٢)، قال امرؤ القيس بن حجر^(٣):

(١) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٤٦.

(٢) العين: مادة «رغد» ج ٤ ص ٣٩٢.

(٣) وهو سليمان بن حجر الكندي والغالب عليه لقبه «امرؤ القيس» أشعر شعراء الجاهلية وأشرفهم أصلاً، يتصل نسبه بملوك كندة من أهل نجد، يقال: إن أباه كان ملك بني اسد فمسفهم سفأ شديداً، فتمالؤا عليه وقتلوه، وقد كان طرد ابنه إمراً القيس لتشبيهه في النساء في شعره وتنقله في أحياء العرب يستتبع صعايلهم وذؤبانهم، وله وقائع كثيرة مات على الجاهلية بجبل عسيب، ودفن بأنقرة.

وقد سمّاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الملك الضليل، وروى الخطيب البغدادي في تاريخه إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: إن إمراً القيس قائد الشعراء إلى النار. أشهر شعره معلقته التي يتصّدرها:

قفأ نبيك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وحكي انه اتصل بقيصر ومدحه فوشى به احد بني اسد، وقال لقيصر: إن إمراً القيس

بينما المرء تراه ناعماً يأمن الأحداث في عيش رغد^(١)
والرغيدة الزبدة في بعض اللغات، وأرغد الرجل ماشيته إذا تركها
وسومها .

والمشيئة والارادة بمعنى واحد، وكذلك المحبة والاختيار وان كان لها
شروط ذكرناها في الأصول^(٢) .

«ولا تقربا» القرب والدنو والمجاورة متقاربة المعنى، وضد القرب البعد، يقال:
قرب يقرب قرباً واقترب اقتراباً. قال صاحب العين: القرب طلب الماء،
يقال: قرب الماء يقرب وقد قربه قرباً إذا طلبه ليلاً ولا يقال لطالب الماء
نهاراً: قارب، والقرب للسيف والسكين، والفعل منه قربت قرباً، وقيل:
قربت أقرباً، والقربان ما تقربت به الى الله تعالى، وقربان الملك وقربينه
وزراؤه، والقربى حق ذي القرابة، وقرب فلان اهله اذا غشيها قربانا، وما
قربت هذا الأمر ولا فلاناً قرباناً وقربى^(٣) .

و«الشجرة» كل ما قام على ساق من النبات، وهو اسم يعمّ النخلة
والكرمة وغيرهما، وما لم يقم على ساق لا يسمى شجراً كالبقول والحشيش.
واما اليقطين كالقرع والبطيخ فقد سمي شجراً، قال الله تعالى: «وانبتنا
عليه شجرة من يقطين»^(٤)، قال صاحب العين: الشجرة واحدة تجمع على

شتمك ، فصنقه قصير وألبسه حُلّة مسمومة قتله، وذلك بين سنة ٥٣٠ و٥٤٠ م .

(الكنى والألقاب: ج ٢ ص ٥٦، الشعر والشعراء: ص ٣٧).

(١) لم نجد البيت في ديوانه المطبوع، ونقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٨٣.

(٢) راجع تمهيد الاصول في علم الكلام: فصل في كونه تعالى مريداً ص ٤٩.

(٣) العين: مادة «قرب» ج ٥ ص ١٥٢.

(٤) الصافات: ١٤٦.

الشجر والشجرات والأشجار^(١).

واختلفوا في الشجرة التي نهى الله آدم عنها، فقال ابن عباس: هي السنبل^(٢). وقال ابن مسعود والسدي وجعفر بن زهير: هي الكرم^(٣). وقال ابن جريج: هي التينة^(٤)، وروي عن علي عليه السلام انه قال: شجرة الكافور^(٥). وقال الكلبي: شجرة العلم على الخير والشر. وقال ابن جدعان^(٦): هي شجرة الخلد التي كان يأكل منها الملائكة^(٧). والأقاويل الثلاثة الاولى اقرب.

«فتكونا من الظالمين» الظلم والجور والعدوان متقاربة، وضد الظلم الانصاف، وضد الجور العدل، واصل الظلم انتقاص الحق لقوله تعالى: «كلتا الجنتين أتت اكلها ولم تظلم منه شيئاً»^(٨) أي لم تنقص. وقيل:

(١) العين: مادة «شجر» ج ٦ ص ٣١.

(٢) رواه ابن عيينه عن ابن عباس، تفسير سفيان بن عيينه: ص ٢٠٦.

(٣) نقل اقوالهم الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٨٤، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٠٥.

(٤) حكاه القاضي في تنزيه القرآن: ص ٢٣، ونقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ١٨٤.

(٥) نقله البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٣٤.

(٦) وهو أبو الحسن علي بن زيد بن جدعان - بالدال المهملة - التيمي أصله من مكة، ولد وهو لا يبصره أحتجوا بأن رواياته ضعيفة لا يحتاج بها ومع ذلك فقد أخذوا برواياته، قال عنه أبو حاتم: ليس بقوي وكان يتشيع، وقال الترمذي: صدوق، وقال ابن عدي: لم أر أحداً من البصريين وغيرهم. امتنع من الرواية عنه وكان يغلو في التشيع، ومع ضعفه يُكتب حديثه، توفي سنة ١٢٩ هـ.

(تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٣٢٤).

(٧) نقله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٠٥، ولم ينسبه الى أحد.

(٨) الكهف: ٣٣.

أصله وضع الشيء في غير موضعه من قولهم: من أشبه أباه فما ظلم، أي فما وضع الشبه في غير موضعه^(١) وكلاهما مطرد.

وعلى الوجهين فالظلم اسم ذم، ولا يجوز أن يطلق إلّا على مستحق اللعن، لقوله: «ألا لعنة الله على الظالمين»^(٢) ولا يجوز إطلاقه على أنبياء الله تعالى ولا الأئمة المعصومين. وظالم ومسيء وجائر اسماء ذم وهو فاعل لما يستحقّ به الذم من الضرر، وضدّها عادل ومنصف ومحسن وهي من صفات المدح. ويقول المعتزلة لصاحب الصغيرة: ظالم لنفسه. ومن نفى الصغيرة عن الانبياء من الامامية قال: يجوز أن يقال: ظالم لنفسه اذا بخسها الثواب، كقوله: «ظلمت نفسي»^(٣)، وقوله: «إني كنت من الظالمين»^(٤) حكاية عن يونس من حيث بخس نفسه الثواب بترك المندوب اليه.

والظلم هو الضرر المحض الذي لا نفع فيه وعليه عاجلاً ولا آجلاً، ولا فيه دفع ضرر اعظم منه ولا هو واقع على وجه المدافعة، ولا هو مستحق، فما هذه صفته يستحقّ به الذم اذا وقع من مختار عالم أو متمكن من العلم به.

وروي ان الله تعالى ألقي على آدم النوم وأخذ منه ضلعاً فخلق منه حواء^(٥). وليس يمتنع أن يخلق الله حواء من جملة جسد آدم بعد أن

(١) نقله عن الأصمعي في تهذيب اللغة: مادة «ظلم» ج ١٤ ص ٣٨٣.

(٢) هود: ١٨.

(٣) القصص: ١٦.

(٤) الانبياء: ٨٧.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٥، وتفسير الطبري: ج ١ ص ١٨٢، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٠٤.

لا يكون جزء، أو مما لا يتم كون الحي حياً إلا معه؛ لأن ما هذه صفته لا يجوز أن ينقل الى غيره أو يخلق منه حي آخر، من حيث يؤدي الى أن لا يصل الثواب الى مستحقه، لأن المستحق لذلك الجملة بأجمعها، وهذا قول الرمامي وغيره من المفسرين ولذلك قيل للمرأة: ضلع أعوج .

وقيل: سميت امرأة لأنها خلقت من المرء، فأما تسميتها حواء لما أدخل آدم الجنة وأخرج منها إبليس ولعن وطرده فاستوحش، فخلقت ليسكن اليها، فقالت له الملائكة تجربة لعلمه: ما اسمها؟ قال: حواء، قالوا: لم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حي^(١) .

وقال ابن اسحاق^(٢): خلقت من ضلعه قبل دخوله الجنة، ثم دخلا جميعاً الجنة لقوله تعالى: «يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة» التي كان فيها آدم في السماء، لأنه أهبطهما منها^(٣) . وقال ابو مسلم محمد بن يحيى: هي في الأرض، لأنه امتحنها فيها بالنهي عن الشجرة التي نهاهما عنها، دون غيرها من الثمار^(٤) .

و«حيث» مبنية على الضم كما تبني الغاية نحو: من قبلُ ومن بعدُ؛ لأنه منع من الاضافة كما منعت الغاية من الاضافة الى مفرد .

(١) رواه بتمامه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٨٢، وقسم منه في علل الشرائع: ص ١٦.

(٢) وهو أبو بكر محمد بن اسحاق بن يسار المدني صاحب المغازي والسير، عده الشيخ في رجاله من أصحاب الامام الصادق عليه السلام ورد مدحه في كلمات علماء العامة فعن مختصر الذهبي: انه كان صدوقاً من بحور العلم، وعن الشافعي: من أراد ان يتبحر في المغازي فهو عيال محمد بن اسحاق الى غير ذلك، توفي ببغداد سنة ١٥١ هـ، ودفن في مقبرة الخيزران .

(الكنى والألقاب: ج ١ ص ٢١١، الوافي بالوفيات: ج ٢ ص ١٨٨).

(٣) نقله عنه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٨٢، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٠٤.

(٤) لم نعر عليه.

وقوله: «ولا تقربا هذه الشجرة» صيغته صيغة النهي والمراد به الندب عندنا؛ لأنه دل الدليل على أن النهي لا يكون نهيّاً إلا بکراهته المنهية عنه، والله تعالى لا يكره إلا القبيح، والانبیاء لا يجوز عليهم القبائح صغیرها ولا کبیرها .

وقالت المعتزلة: إن تلك كانت صغيرة من آدم على اختلافهم في انه كان منه عمداً أو سهواً أو تأویلاً .

وانما قلنا لا يجوز عليهم القبائح؛ لأنها لو جازت عليهم لوجب أن يستحقوا بها ذمّاً وعقاباً ولعنةً وبراءةً؛ لأنّ المعاصي كلها كبائر عندنا، والاحباط باطل، ولو جاز ذلك لنفرعن قبول قولهم، وذلك لا يجوز عليهم كما لا يجوز كلّ منقر عنهم من الكبائر والخلق المشوهة والأخلاق المنقّرة .

ولا خلاف أن النهي يتناول الأكل دون القرب، كأنه قال: لا تقربا بالأكل لأنه لا خلاف أن المخالفة وقعت بالأكل لا بالدنو منها، ولذلك قال: «فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما» (١) .

الإعراب :

وقوله : «فتكونا» يحتمل أن يكون جواباً للنهي فيكون موضعه نصباً . وهو الأقوى، ويحتمل أن يكون عطفاً على النهي فيكون موضعه جزمّاً . وكلاهما جيد محتمل . ومتى كان جواباً كان تقديره: إن قربنا كنتما من الظالمين، لأنه يتضمن معنى الجواب وإذا كان عطفاً على النهي فكأنه قال: لا تكونا من الظالمين .

التفسير:

واجاز البصريون من أهل العدل أن يستدئ الله الخلق في الجنة فينعمهم فيها تفضلا منه لا على وجه الثواب، لأن ذلك نعمة منه تعالى، كما أن خلقهم وتكليفهم وتعريضهم للثواب نعمة منه وله أن يفعل ما يشاء من ذلك . وقال ابو القاسم البلخي: لا يجوز خلقهم في الجنة ابتداء، لأنه لو جاز ذلك لما خلقهم في دار المحنة، ولما ابتلى من يعلم أنه يكفر ويصير الى عذابه .

وانما لم يجوز أن يخلقهم ابتداء في الجنة؛ لأنه لو خلقهم فيها لم يخل إما أن يكونوا متعبدين بالمعرفة لله والشكر أو لا يكونوا كذلك، فلو كانوا غير متعبدين كانوا مهملين وذلك لا يجوز، ولو كانوا متعبدين لم يكن بد من ترغيب وترهيب ووعد ووعيد ولو كانوا كذلك كانوا على ما هم عليه في دار الدنيا وكان لابد من دار أخرى يجازون فيها ويخلدون .

وأجاب عن ذلك الأولون؛ بان قالوا: لو ابتدأ خلقهم في الجنة لاضطرهم الى معرفته، وألجأهم الى فعل الحسن وترك القبيح، ومتى راموا القبيح منعوا منه، فلا يؤدي ذلك الى ما قاله، كالحور العين والاطفال والبهايم اذا حشرهم يوم القيامة .

قوله تعالى:

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ آية بلا خلاف .

القراءة:

قرأ حمزة وحده «وأزالهما» بألف وتخفيف اللام، الباقون بتشديد اللام وحذف الألف^(١).

اللغة:

الزلة والمعصية والخطيئة والسيئة بمعنى واحد، وضد الخطيئة الاصابة. ويقال: زل زلة وأزله وإزالا واستزله استزالا. وقال صاحب العين: زل السهم عن النزع زليلا وزل فلان عن الصخر زليلا، فاذا زلت قدمه قلت: زل زلا، فاذا زل في مقالة أو خطبة قلت: زل زلة^(٢) قال الشاعر:

* هلا على غير جعلت الزله^(٣) *

وأزله الشيطان عن الحق إذ أزاله، والمزلة المكان الدحض، والمزلة الزلل في الدحض، والزلل مثل الزلة في الخطأ، والازلال الأنعام. وفي الحديث: «من أزلت إليه نعمة فليشكرها»^(٤) بمعنى أسديت، قال كثير^(٥):

(١) التيسير في القراءات السبع: ص ٧٣ وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٥٣.

(٢) العين: مادة «زل» ج ٧ ص ٣٤٨.

(٣) نقله الأزهرى في تهذيب اللغة: مادة «زل» ج ١٣ ص ١٦٤ من انشاد الليث، وتماهه: هلا على غيري جعلت الزله فسوف أعلووا بالحسام القلله

(٤) رواه البيهقي في شعب الايمان: ج ٦ ص ١٥٦ ح ٩١١٥، والنهاية لابن الاثير: ج ٢ ص ٣١٠.

(٥) وهو أبو صخر كثير بن عبد الرحمان بن الأسود، المشهور بكثير عزة، وهو من فحول شعراء

وإني وإن صددت لمثنٍ وصادق عليها بما كانت إلينا أزلت^(١)
ويقال: أزلت إلى فلان نعمة، فأنا أزلها إزالاً. فالأصل في ذلك
الزوال. والزلة زوال عن الحق.

ومعنى: «أزلها» نحاها من قولك: زلت عن المكان إذا تنحيت منه.
والوجه ما عليه القراء لأن هذا يؤدي إلى التكرار، لأنه قال بعد ذلك:
«فأخرجهما» فيصير تقدير الكلام: فأخرجهما الشيطان عنها فأخرجهما،
وذلك لا يجوز. ويحسن أن يقول: استزلها فأخرجهما.
ومن قرأ: «أزلها» أراد المقابلة بين قوله: «أزلها» وبين قوله:
«اسكن»، لأن معناه: اسكن واثبت أنت وزوجك، وتقديره: اثبتا، فأراد
أن يقابل ذلك فقال: «فأزلها» فقابل الزوال بالثبات.
وإنما نسب الزوال والخراج إلى الشيطان لما وقع ذلك بدعائه
ووسوسته وإغوائه.

ولم يكن إخراجهما من الجنة على وجه العقوبة، لأننا قد بينا أن الأنبياء
لا يجوز عليهم القبائح على حال، ومن أجاز عليهم العقاب فقد أعظم الفرية

الاسلام، وجعله ابن سلام في طبقات الشعراء في الطبقة الأولى منهم، وقرن به جريراً
والفرزدق والأخطل والزاعي، وقال عنه: اشعر أهل الأسلام، كان شيعياً امامياً، قال عنه
الاصفهاني في الأغاني: وكان غالباً في التشيع ويقول بالرجعة، وقال عنه ابن قتيبة في الشعر
والشعراء: وكان رافضياً، والمشهور عنه في كتب التواريخ انه نظر رجل إلى كثير ركباً والامام
الباقر عليه السلام يمشي إلى جنبه، فقال له: اتركه وابوجعفر يمشي؟ فقال: هو أمرني
بذلك، وأنا بطاعته في الركوب أفضل مني في عصياني إياه بالمشي.

توفي رضوان الله على سنة ١٠٥ هـ وحضر تشييعه الامام الباقر عليه السلام.

(طبقات الشعراء: ص ١٦، الشعر والشعراء: ص ٣١٦، الأغاني: ج ٩ ص ٤)

وقبح الذكر على الأنبياء. وإنما أخرجهم من الجنة لأنه تغيرت المصلحة لما تناول من الشجرة، واقتضى التدبير والحكمة تكليفه في الأرض وسلبه ما ألبسه الله تعالى من لباس الجنة.

وقال قوم: إن لباس الله له ثياب الجنة كان تفضلاً^(١). وللمفضل أن يمنع ذلك تشديداً للمحنة، كما يفقر بعد الغنى، ويميت بعد الاحياء، ويسقم بعد الصحة.

فان قيل: كيف وصل إبليس الى آدم حتى أغواه ووسوس اليه، وآدم كان في الجنة، وإبليس قد أخرج منها حين تأبى من السجود؟
قيل: عن ذلك أجوبة:

أحدها: إن آدم كان يخرج الى باب الجنة وإبليس لم يكن ممنوعاً من الدنومنه، وكان يكلمه ويفويه.

و[الثاني]: قال آخرون: انه كلمهما من الأرض بكلام فهماه منه وعرفاه.

والثالث: قال قوم: إنه دخل في فقم الحية، وخاطبها من فقمها^(٢). والفقم: جانب الشدق.

والرابع: قال قوم: راسلها بالخطاب. وظاهر الكلام يدل على أنه شافهما بالخطاب.

والخامس: وقال قوم: يجوز أن يكون قرب من السماء فكلمهما.
فأما ما روي عن سعيد بن المسيب: أنه كان يحلف ولا يستثني أن آدم

(١) في النسخة الخطية «تفضيلاً» والصحيح ما أثبتناه.

(٢) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٨٢ عن ابن عباس وابن مسعود.

ما أكل من الشجرة وهو يعقل لكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر، قادتة اليها فأكل^(١) فانه خبر ضعيف .

وعند اصحابنا إن الخمرة كانت محرمة في سائر الشرائع، ومن لم يقل ذلك، يقول: لو كان كذلك، لما توجه العتب على آدم ولا كان عاصياً بذلك، والأمر بخلاف ذلك؛ وانما قلنا ذلك لأن النائم غير مكلف في حال نومه لزوال عقله، وكذلك المغشى عليه وكذلك السكران. وانما يؤاخذ السكران بما يفعله في شرعنا، لما ثبت تحريم ما يتناوله اسم السكر، والا فحكمه حكم النائم عقلاً. وقد قلنا: إن أكلهما من الشجرة كان على وجه الندب دون أن يكون ذلك محظوراً عليهما، لكن لما خالفا في ترك المندوب اليه تغيرت المصلحة واقتضت إخراجهما من الجنة. وقد دللنا على ذلك في ما مضى .

وقال قوم: تعتمد ذلك . وقال قوم آخرون: نهى عن جنس الشجرة، واخطأ^(٢). وقال قوم: إنه تأول النهي الحقيقي، فحملة على الندب وأخطأ. وقد قدمنا ما عندنا فيه .

فان قيل : كيف يكون ذلك ترك الندب مع قوله: «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه» ؟

قلت: التوبة هي الرجوع، ويجوز أن يرجع تارك الندب عن ذلك، والعزم على ألا يعود مثله، فيكون تائباً، ومن قال: وقعت معصيته محبطة

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٨٨.

(٢) نقله السيد المرتضى في تنزيه الانبياء: ص ٧ عن أبي علي الجبائي، والقاضي في تنزيه القرآن:

يقول: انه تاب توبة صحيحة لان بها يخرج عن الاصرار. كما تجدد التوبة بعد التوبة وان كانت الأولى اسقطت العقاب .

فإن قيل: كيف يكون ذلك ندباً أو صغيرة وإبليس يقول لهما: «ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين»^(١) .

قيل: ما قبل ذلك من إبليس، ولو قبله لكانت المعصية أعظم، فلما لم يعاتبها الله على ترك ذلك دلّ على انها لم يقبلها. وهذا جواب من يقول: انه كان صغيراً، أو كان ناسياً .

وعلى ما قلناه - إن ذلك كان ندباً - لا يحتاج الى ذلك، بل نقول: دليل العقل أمنا من وقوع قبيح من آدم والانباء، فلو كان صريحاً لتركنا ظاهره لقيام الدليل على خلافه. على أنه لا يمنع أن يقاسمهما إنه لمن الناصحين في ترك الندب، وإنما ظاهر النهي تركه يوجب أن يصيرا من الخالدين .

وقوله: «مما كانا فيه» يحتمل أن يكون أراد: من لباسهما حتى بدت لهما سواتهما. ويحتمل أن يكون من الجنة حتى أهبطا. ويحتمل أن يكون أراد من الطاعة الى المعصية .

اللغة:

وقوله: «اهبطوا» فالهبوط والنزول والوقوع نظائر. ونقيض الهبوط والنزول الصعود، يقال: هبط يهبط اذا انحدر في هبوط من صعود، والهبوط اسم كالحدور، وهو الموضع الذي يهبط من أعلى الى أسفل، والهبوط

المصدر، قال ابن دريد: هبطته واهبطته^(١) .

والعداوة والبراءة والمباعدة نظائر، وضد العدو الولي، والعدو الخضر (خفيف) والعدو (ثقل) يقال في التعدي وقرئ «فيسبوا الله عذواً وعذواً» .
 بغير علم^(٢)، والعدوان الظلم، والعدوى طلبك الى وال ليعديك على من .
 ظلمك أي ينتقم لك، والعدو اسم جامع للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، فاذا جعلته نعتاً قلت: الرجلان عدواك، والرجال اعداؤك، والمرأتان عدواتك، والنسوة عدواتك . وأصل الباب المجاوزة، يقال: لا يعدونك هذا الأمر أي لا يتجاوزنك .

المعنى:

وقوله: «اهبطوا» انما قال بالجمع، لأنه يحتمل أشياء :

أحدها: أنه خاطب آدم وحواء وابليس فيصلح ذلك، وان كان ابليس أهبط من قبلها، يقال: أخرج جمع من الجيش وان خرجوا متفرقين، اختار هذا الزجاج^(٣) .

والثاني: أنه أراد آدم وحواء والحية .

والثالث: آدم وحواء وذريتهما .

والرابع: قال الحسن: إنه أراد آدم وحواء والوسوسة^(٤) .

وظاهر القول وان كان أمراً فالمراد به التهديد، كما قال: «اعملوا ما

(١) جهرة اللغة: مادة «هبط» ج ١ ص ٣١١ .

(٢) الانعام: ١٠٨، ونقل القراءتين الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «عدا» ج ٣ ص ١٠٨ .

(٣) معاني القرآن: ج ١ ص ١١٥ .

(٤) نقله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٠٧، ولم ينسبه الى أحد .

شتم»^(١).

وقوله: «مستقر» قرار لقوله: «جعل لكم الأرض قراراً»^(٢)، وقيل: مستقر في القبور^(٣). والأول أقوى وأحسن.

اللغة:

والقرار الثبات، والبقاء مثله، وضد القرار الانزعاج، وضد الثبات الزوال، وضد البقاء الفناء، ويقال: قرَّ قراراً، والاستقرار الكون أكثر من وقتٍ واحد على حال. والمستقرّ يحتمل أن يكون بمعنى الاستقرار، ويحتمل أن يكون بمعنى المكان الذي يستقرُّ فيه.

وقوله: «ومتاع الى حين» والمتاع والتمتع والتلذذ والمتعة مقاربة المعنى وضدها التألم، يقال: أمتعته به إمتاعاً، وتمتّع تمتعاً، واستمتع استمتاعاً، ومتعه تمتعاً، ومتع النهار متوعاً وذلك قبل الزوال، والمتاع من أمتعة البيت ما يتمتع به الانسان من حوائجه، وكل شيء تمتعت به فهو متاع، ومنه متعة النكاح، ومتعة المطلقة، ومتعة الحج.

وقوله: «إلى حين» فالحين والمدة والزمان مقاربة. والحين الهلاك، حان يحين، وكل شيء لم يوفق للرشاد فقد حان حيناً، والحين الوقت من الزمان وجمعه أحيان، وجمع الجمع أحيان، ويقال: حان يحين حينونة، وحيئت الشيء جعلت له حيناً، وحينئذ تبعيد لقولك: الآن، فاذا باعدوا بين الوقتين باعدوا بـ«إذ» فقالوا: حينئذ، والحين يوم القيامة. وأصل

(١) فصلت: ٤٠.

(٢) غافر: ٦٤.

(٣) أنظر تفسير الطبري: ج ١ ص ١٩٢.

الباب الوقت، والحين وقت الهلاك ، ثم كثر فسمي الهلاك به، والحين الوقت الطويل .

المعنى:

وقيل: الـ«حين» في الآية يعني الموت^(١). وقيل: إلى يوم القيامة^(٢).
وقيل: إلى أجل^(٣). وقال ابن السراج: إذا قيل: «ولكم في الأرض مستقر ومتاع» لظن أنه غير منقطع، فقال: «إلى حين» انقطاعه، والفرق بين قول القائل: هذا لك حيناً وبين قوله: إلى حين؛ أن (إلى) تدل على الانتهاء، ولا بد أن يكون له ابتداء وليس كذلك الوجه الآخر.

معنى قوله: «بعضكم لبعض عدو» قال الحسن: يعني بني آدم وبني إبليس^(٤). وليس ذلك بأمر على الحقيقة بل هو تحذير؛ لأن الله لا يأمر بالعداوة، وفي الآية دلالة على أن الله تعالى لا يريد المعصية، ولا يصدُّ أحداً عن طاعته، ولا يخرجها عنها، ولا تنسب المعصية إليه؛ لأنه نسب ذلك إلى الشيطان، وهو يتعالى عما عاب به الأبالسة والشياطين .

* * *

(١) تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٢٢٤.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٣، والعين: مادة «حين» ج ٣ ص ٣٠٤، وكذا ذكره الزجاج في معاني القرآن: ج ١ ص ١١٦، والأزهري في تهذيب اللغة: مادة «حان» ج ٥ ص ٢٥٥.

(٣) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٩٢، والزجاج في معاني القرآن: ج ١ ص ١١٦.

(٤) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٠٨.

قوله تعالى:

فَلَقَّيْنَاهُ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ آية .

القراءة:

قرأ ابن كثير «آدم» بنصب الميم، «كلمات» برفع التاء^(١).

اللغة والمعنى والاعراب:

يقال: لقي زيد خيراً فيتعدى الفعل الى مفعول واحد، ومنه قوله: «فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب»^(٢)، وقوله: «إذا لقيتم فئةً فاثبتوا»^(٣) و«لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً»^(٤) فاذا ضعفت العين تعدى إلى مفعولين، تقول: لقيت زيدا خيراً، قال الله تعالى: «ولقاهم نصرةً وسروراً»^(٥)، وتقول: لقيت بعض متاعك على بعض؛ فتعدي إلى مفعول واحد لأنه بناء مفرد لا لأنه منقول ليتعدى إلى مفعولين، وتقول: لقيته لقيه واحدة في التلاقي واللقاء، ولقيته لقاءً ولقياناً ولقاءً. وقوله: «تحييهم يوم يلقونه سلام»^(٦) معناه يلقون ثوابه بخلاف قوله: «يلقون غيا»^(٧).

(١) التيسير في القراءات السبع: ص ٧٣، وكتاب السبعة في القراءات: ص ١٥٣، والخُجّة في

القراءات السبع: ج ٢ ص ١٨.

(٢) محمد: ٤.

(٣) الانفال: ٤٥.

(٤) الكهف: ٦٢.

(٥) الدهر: ١١.

(٦) الاحزاب: ٤٤.

(٧) مريم: ٥٩.

ومعنى «تلقى آدم من ربه كلمات» تعلمها، يقال: تلقيت هذا من فلان أي قبله فهمي من لفظه، قال أبو عبيدة^(١): قال أبو مهبدة^(٢): وتلا عليه الآية قال: تلقيتها من عمي تلقاها من أبي هريرة^(٣) تلقاها من رسول الله صلى

(١) أبو عبيدة معمر بن مثنى البصري النحوي اللغوي، كان متبحراً في علم اللغة وإيام العرب واخبارها، ويحكى انه يقول: ما التقي فرسان في جاهلية واسلام الا عرفتها وعرفت فارسها، وهو أول من صنف غريب الحديث، وكان أبو نؤاس الشاعر يتعلم منه، كان يرى رأي الخوارج، مات سنة ٢٠٩ هـ وقد بلغ نحواً من مائة، ولم يحضر جنازته أحد من الناس بالمصلى حتى اكثري لها من يحملها ولم يكن يسلم عليه شريف ولا وضيع إلا تكلم فيه .

(الكنى واللقاب: ج ١ ص ١١٩، والفهرست لابن النديم: ص ٥٨)

(٢) أبو مهبدة: أعرابي صاحب غريب، يروي عنه البصريون، وكان تهيج به المرة في كل سنة مدة مديدة، ولا مصتف له .

(الفهرست لابن النديم: ص ٥٢).

(٣) أبو هريرة: عبد الرحمان بن صخر، اختلف في اسمه على نيف وثلاثين قولاً على ما قاله الفيروزآبادي في القاموس. وذكر ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة في الجزء الرابع عن شيخه أبي جعفر الاسكافي: ان معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية اخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، منهم أبو هريرة وعمر بن العاص والغيرة بن شعبة الى ان قال: وقال ابو جعفر: وابو هريرة عند شيوينا غير مرضي الرواية ضربه عمر بالدرة .

كان ابو هريرة يلعب بالشطرنج، قال الاميري: والمروي عن ابي هريرة من اللعب به مشهور في كتب الفقه، وروى بعضهم قال: رأيت أبا هريرة يلعب بالسدر والسدر لعبة يقامر بها. وعن شعبة قال: كان أبو هريرة يدلس، وروي انه سأله أصبغ بن نباتة في محضر معاوية فقال: يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني احلفك بالله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة وبحق حبيبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إلا أخبرتي أشهدت غدير خم؟ فقال: بلى شهدته، قلت: فما سمعته يقول في علي عليه السلام؟ قال سمعت يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من

الله عليه وآله (١) وأصل الملاقة الملاصقة، لكنه كثر حتى قيل: لاقى فلان فلاناً إذا قاربه وإن لم يلاصقه، وكذلك تلاقى الجيشان، وتلاقى الفرسان، ويقال: تلاقى الخطان أي تماسا، وتقول: تلقيت الرجل بمعنى استقبلته، وتلقاني استقبلي .

فعلى هذا يجوز في العربية رفع «آدم» ونصبه مع رفع الـ «كلمات» والاختيار قراءة الاكثر، لأن معنى التلقي هاهنا القبول، فكأنه قال: قبل آدم من ربه كلمات، وإنما جاز نصب آدم، لأن الأفعال المتعدية الى المفعول به على ثلاثة أقسام:

أحدها: يجوز أن يكون الفاعل له مفعولا به والمفعول به فاعلا، نحو: أكرم بشرُ بشراً، وشم زيد عمراً .

ثانيها: ومنها لا يكون المفعول به فاعلاً، نحو: أكلت الخبز، وسرقت درهماً، وأعطيت ديناراً، وأمكنني الغرض .

وثالثها: ما يكون إسناده الى الفاعل في المعنى كإسناده الى المفعول، نحو: أصبت ونلت وتلقيت، تقول: نالني خيرٌ، ونلت خيراً، وأصابني خيرٌ، وأصبت خيراً، ولقيني زيدٌ، ولقيت زيدا، وتلقاني، وتلقيته . وقال تعالى: «وقد بلغني الكبر» (٢)، وقال: «وقد بلغت من الكبر عتياً» (٣) فعلى هذا

خذه، قلت له: فانت اذاً واليت عدوه وعاديت وليه، فتنفَس أبو هريرة الصعداء وقال: إنا لله وإنا اليه راجعون .

(الكنى والألقاب: ج ١ ص ١٧٩)

(١) مجاز القرآن: ج ١ ص ٣٨.

(٢) آل عمران: ٤٠ .

(٣) مريم: ٨ .

الرفع والنصب في المعنى واحد في الآية، وإنما أُجيز رفع آدم لأن عليه الأكثر وشواهد أكثر، كقوله «تلقونه بألسنتكم»^(١). وأسند الفعل الى مخاطبين والمفعول به كلام متلقى، كما أن الذي تلقى آدم كلام متلقى، وكما اسند الفعل الى مخاطبين فجعل التلقي لهم كذلك يلزم ان يسند الفعل إلى آدم فيجعل التلقي له دون الكلمات.

واما على ما قال أبو عبيدة^(٢): معناه قبل الكلمات، فالكلمات مقبولة، فلا يجوز غير الرفع في آدم. ومثل هذا في جواز اضافته تارة الى الفاعل وأخرى الى المفعول، كقوله: «لا ينال عهدي الظالمين»^(٣). وفي قراءة ابن مسعود: «لا ينال عهدي الظالمون»^(٤).

والكلمات جمع كلمة، والكلمة اسم جنس لوقوعه على الكثير والقليل، يقولون: قال امرؤ القيس في كلمته يعني في قصيدته، وقال قس في كلمته يعنون في خطبته، فوقوعها على الكثير نحو ما قلناه.

ووقوعها على القليل قال سيبويه: قال قد أوقعها على الاسم المفرد والفعل المفرد والحرف المفرد.

فأما الكلام فان سيبويه قد استعمله فيما كان مؤلفاً من هذه الكلم، فقال: لو قلت: إن تضرب ناساً لم يكن كلاماً، وقال أيضاً: انما، فقلت، ونحوه، ما كان كلاماً [بل] قولاً، ووقع الكلام على المتألف. والذي حرره المتكلمون، ان حذ الكلام ما انتظم من حرفين فصاعداً من هذه

(١) النور: ١٥.

(٢) مجاز القرآن: ج ١ ص ٣٨.

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) الحجة في القراءات السبع: ج ٢ ص ٣٤.

الحروف المنقولة إذا وقع ممن يصح منه أو من قبله الافادة، ثم ينقسم قسمين: مفيد ومهمل، فالذي أراد سبويه أنه لا يكون كلاماً انه لا يكون مفيداً، وذلك صحيح، فأما تسميته بأنه كلام صحيح؛ وكيف لا يكون صحيحاً وقد قسموه الى قسمين: مهمل ومفيد، فأدخلوا المهمل الذي لا يفيد في جملة الكلام .

اللغة :

والكلمة والعبارة والابانة نظائر، وبينها فروق، والفرق بين الكلمة والعبارة: إن الأظهر في الكلمة هي الواحدة من جملة الكلام وان قالوا في القصيدة أنها الكلمة، والعبارة تصلح للقليل والكثير. وأما الابانة فقد تكون بالكلام، والحال وغيرهما من الأدلة كالاشارة والعلامة وغير ذلك .

وأما النطق فيدل على إدارة اللسان بالصوت، وليس كذلك الكلام، ولهذا يقولون: ضربته فما تكلم، ولا يقولون: فما نطق اذا كان صاح، وكذلك لا يجوز أن يقال في الله: إنه ناطق .

وأما اللفظ فهو من قولك: لفظت الشيء إذا أخرجه من فك، وليس في الكلام مثل ذلك، ويقال: كلمته تكليماً وكلاماً، وتكلم تكلماً، ولذلك لا يجوز أن يقال فيه تعالى: لَفَظَ ولا أنه لافظ .

والكلم الجرح، والجمع الكلوم، يقال: كلمته أكلمه كلاً فأنا كالم وهو مكلوم، وكليمك الذي يكلمك، ويقال: كلمة وكلم لغة تميمية، وقيل: إنها حجازية. وتميم حكى عنها كلمة بكسر الكاف وتسكين اللام، وحكى تسكين اللام مع فتح الكاف^(١) .

وأصل الباب أنه أثّر دالٌّ، والكلم أثّر دال على الجارج، والكلام أثّر دال على المعنى الذي تحته، والمتكلم من رفع ما سميناه كلاماً بحسب دواعيه وأحواله، وربما عبّر عنه بأنه الفاعل للكلام، وليس المتكلم من حله^(١) الكلام؛ لأن الكلام يحلّ اللسان والصدر، ولا يوصفان بذلك. وقد بينا فساد الكلام [النفسي]^(٢) في كتاب العدة في أصول الفقه^(٣)، وقلنا: إن اختصر ذلك، هل هو إلّا الخبر، أو ما معناه معنى الخبر، وإن كان لكل قسم معنى يخصه.

المعنى:

والكلمات التي تلقاها آدم قال الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد^(٤): «ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»^(٥) فإن في ذلك اعترافاً بالخطيئة، ولذلك وقعت موقع الندم، وحقيقته الانابة. وحكي عن مجاهد أنه قال: هي قول آدم: اللهم لا إله إلّا أنت سبحانك وبمحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلّا أنت سبحانك وبمحمدك، رب إني ظلمت نفسي فارحمي، إنك أنت أرحم الراحمين، اللهم لا إله إلّا أنت سبحانك وبمحمدك، رب إني ظلمت

(١) في المخطوطة «من جملة» وهو تصحيف والصحيح ما أثبتناه.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة الخطية وأثبتناه من المطبوعة.

(٣) لم يتعرّض الشيخ لهذا البحث في كتاب «العدة» وتعرّض له مفصلاً في تمهيد الأصول في علم الكلام: ص ١١٧-١٢٧.

(٤) رواه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٩٣، والحسن البصري في تفسيره: ج ١ ص ٨٩.

(٥) الأعراف: ٢٣.

نفسى فتب علي إنك أنت التواب الرحيم^(١).
 وروى مثل ذلك عن أبي جعفر عليه السلام^(٢). وحكي عن ابن عباس: أن آدم قال لربه إذ عصاه: أرايت إن تبت وأصلحت؟ فقال له تعالى: إني راجعك إلى الجنة وكانت هذه الكلمات^(٣).
 وروى في أخبارنا: أن الكلمات هي توسله بالنبي عليه السلام وأهل بيته^(٤). وكل ذلك جائز.

اللغة:

قوله: «فتاب عليه» فالتوبة والانابة والاقلاع نظائر في اللغة، وضد التوبة الاصرار، يقال: تاب يتوبُ توبةً وتوباً واستتاباً، والله تعالى يوصف بالتواب، ومعناه: أنه يقبل التوبة عن عباده، وأصل التوبة الرجوع عما سلف والندم على ما فرط، والله تعالى تائب على العبد بقبول توبته، والعبد تائب الى الله بمعنى نادى على معصيته، والتائب صفة مدح كقوله: «التائبون العابدون»^(٥).

[بحث في التوبة]

والتوبة شرطها الندم على ما مضى من القبيح، والعزم على أن لا يعود

(١) نقله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٠٩.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٤١ ح ٢٥.

(٣) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٩٣.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٤١، ومعاني الأخبار: ص ١٢٥.

(٥) التوبة: ١١٢.

الى مثله من القبيح؛ لأن هذه التوبة هي المجمع على سقوط العقاب [عندها]^(١)، وما عداها فمختلف فيه. وقد يقول القائل: قد ثبت من هذا الأمر يعني عزمت على ألا أفعله، وصرت بمنزلة التائب، وذلك مجاز.

وكل معصية لله تعالى فانه يجب التوبة منها، والتوبة يجب قبولها لأنها طاعة، فأما إسقاط العقاب عندها فتفضل منه تعالى، وقالت المعتزلة ومن وافقها: وذلك واجب. وقد بينا الصحيح من ذلك في شرح الجمل^(٢).

والتوبة اذا كانت من ترك ندب عندنا تصح، وتكون على وجه الرجوع الى فعله، وعلى هذا تحمل توبة الانبياء كلهم في جميع ما نطق به القرآن؛ لأنه قد بينا أنه لا يجوز عليهم فعل القبيح. والمطبوع على قلبه له توبة، وبه قال أهل العدل، وقالت البكرية: لا توبة له، وهو خطأ، من قبل انه لا يصح تكليفه إلا وهو متمكن من أن يتخلص من ضرر عقابه، وذلك لا يتم إلا بأن يكون له طريق الى إسقاط عقابه. وقد وعد الله بذلك - وإن كان تفضلاً - إذا حصلت التوبة.

واختلفوا في التوبة من الغضب، هل تصح مع الإقامة على منع المغضوب؟ فقال قوم: لا تصح. وقال آخرون: تصح، وهو الأقوى إلا أن يكون فاسقاً بالمنع، فيعاقب^(٣) عقاب المانع، وإن سقط عنه عقاب الغضب.

والصحيح إن القاتل عمداً تصح توبته، وقال قوم: لا تصح، والتوبة من القتل الذي يوجب القود، قال قوم: لا تصح إلا بالاستسلام لولي

(١) ما بين المعقوفين ساقط من النسخة الخطية وأضفناها تقوياً للمتن.

(٢) تمهيد الأصول (شرح جمل العلم والعمل للسيد المرتضى): ص ٢٧١.

(٣) في النسخة «يعاقب» بدون الفاء.

المقتول وحصول الندم والعزم على أن لا يعود، وقال قوم آخرون: تصح التوبة من نفس القتل، ويكون فاسقاً بترك الاستسلام. وهذا هو الأقوى، واختاره الرماني .

فاما التوبة من قبيح بفعل آخر فلا تصح على أصلنا، كالتائب من الالحاد بعبادة المسيح، وقال قوم: تصح، وأجراه مجرى معصيتين يترك باحداهما الأخرى، فانه لا يؤاخذ بالمتروكة .

وقال قوم: التوبة من اعتقاد جهالة إذا كان صاحبها لا يعلم انها معصية بأنه يعتقد انه لا محجوج إلا عارف، فانه يتخلص من ضرر تلك المعصية إذا رجع عنها الى المعرفة وإن لم يوقع معها توبة. وقال آخرون: لا يتخلص إلا بالتوبة، لأنه محجوج فيه، مأخوذ بالنزوع عن الإقامة عليه، وهو الأقوى .

فأما ما نسي من الذنوب، فانه يجري مجرى التوبة منه على وجه الجملة، وقال قوم: لا يجري، وهو خطأ؛ لأنه ليس عليه في تلك الحال أكثر مما عمل. فأما ما نسي من الذنوب مما لو ذكرنا عليه^(١)، لم يكن عنده معصية. وهل يدخل في الجملة إذا أوقع التوبة من كل خطيئة؟ قال قوم: يدخل فيها. وقال آخرون: لا يدخل فيها، لكنّه يتخلص من ضرر المعصية؛ لأنه ليس عليه أكثر مما علم في تلك الساعة. والأول أقوى، لأن العبد إذا لم يذكر صرف توبته الى كل معصية هي في معلوم الله معصية .

فأما المشرك إذا كان يعرف قبل توبته بفسق إذا تاب من الشرك هل يدخل فيه التوبة من الفسق في الحكم، وإن لم يظهر التوبة منه؟ قال قوم:

(١) كذا في الخطيئة، وفي المطبوعة «مما لو ذكر لم يكن ...» .

لا يزول عنه حكم الفسق، وهو قول أكثر المعتزلة. وقال قوم: يزول عنه حكم الفسق. وقال ابن الاخشاد: القول في هذا باجتهاد، والذي يقوى في نفسي انه يزول؛ لأن الاسلام الأصل فيه العدالة الى ان يتجدد منه بعد الاسلام ما يوجب تفسيقه^(١).

فأما التوبة من قبيح مع الاقامة على قبيح آخر يعلم ويعتقد قبحه، فعند أكثر من تقدم صحيحة، وقال أبو هاشم واصحابه: لا تصح، وقد قلنا ما عندنا في ذلك في شرح الجمل^(٢)، واعتمد الأولون على أن قالوا: كما يجوز ان يمتنع من قبيح لقبحه ويفعل قبيحاً آخر وإن علم قبحه، كذلك جاز أن يندم من القبيح مع المقام على قبيح آخر يعلم قبحه. وهذا إلزام صحيح معتمد.

واختلفوا في التوبة عند ظهور اشرار الساعة، هل تصح أم لا؟ فقال الحسن: يحجب عنها عند الآيات الست، ورواه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: بادروا الأعمال قبل ست: طلوع الشمس من مغربها والدجال والدُّخان ودابة الأرض وخويصة أحدكم - يعني الموت - وأمر العامة يعني القيامة^(٣). وقال قوم: لاشك أن بعض الآيات يحجب، وباقيها محجور، وهو الأقوى.

* * *

(١) أوائل المقالات: ص ١٠١.

(٢) تمهيد الأصول: ص ٢٧١-٢٨٥.

(٣) سنن ابن ماجة: باب الآيات من كتاب الفتن، ج ٤٠٥ ص ١٣٤٨، ومسنند احمد بن حنبل:

التفسير:

وقوله: «فتاب عليه» يعني قبل توبته؛ لأنه لما عرضه للتوبة بما ألقاه من الكلمات فعل التوبة، وقبلها الله تعالى منه، فقال: اللهم تب عليّ أي وفقني للتوبة.

وقوله: «إنه هو التواب الرحيم» إنما ذكر الرحيم ليدل بذلك على أنه متفضل بقبول التوبة ومنعم به، وأن ذلك ليس هو على وجه الوجوب على ما يقوله المخالف، ومن خالف في ذلك يقول: لما ذكر التواب بمعنى الغفار بإسقاط العقوبة وصل ذلك بذكر النعمة، ليدل على أنه مع إسقاط العقوبة لا ينجلي العبد من النعمة الحاصلة ترغيباً له في الانابة والرجوع اليه بالتوبة. و«تواب» بمعنى أنه قابل التوبة لا يطلق إلا عليه تعالى، ولا يطلق في الواحد منها، وإنما قال: «فتاب عليه» ولم يقل: فتاب عليها، لأنه اختصر، كما قال: «والله ورسوله أحق أن يرضوه»^(١) ومعناه أن يرضوهما، كذلك معنى الآية: فتاب عليها، ومثل ذلك قوله: «وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها»^(٢) وقال الشاعر:

رماني بأمر كنت منه والدي بريئاً، ومن جول الطّوي رماني^(٣)
وقال آخر:

(١) التوبة: ٦٢.

(٢) الجمعة: ١١.

(٣) الكتاب لسبويه: ج ١ ص ٥١، ومعاني القرآن للفرّاء: ج ١ ص ٤٥٨، ومعاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٢٥٣. والبيت لابن أحر الباهلي.

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف^(١)
 وحكي عن الحسن انه قال : لم يخلق الله آدم إلا للأرض، ولو لم يعص
 لخرج على غير تلك الحال^(٢). وقال غيره: يجوز أن يكون خلقه للأرض إن
 عصى ولغيرها ان لم يعص، وهو الأقوى؛ لأن ما قاله لا دليل عليه. وروي
 عن قتادة: ان اليوم الذي قبل الله توبة آدم فيه يوم عاشوراء^(٣)، ورواه
 ايضاً أصحابنا^(٤).

قوله تعالى:

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

قد بينا معنى الهبوط فيما مضى بما فيه كفاية، وقال الجبائي: الهبوط
 الأول هو الهبوط من الجنة الى السماء، وهذا الهبوط من السماء الى
 الأرض^(٥). وقد يستعمل في غير النزول من مكان عال الى أسفل، يقال:
 هبط فلان الى أرض كذا اذا أتاها، وإن لم يرد به النزول فبه استعمال إلا
 أن فيه إيحاء الى هبوط المنزل، قال لبيد:

(١) البيت لقيس بن الخطين، أنظر ديوانه: ص ١١٥، ونسب الى غيره أيضاً، ذكره الأزهري في
 تهذيب اللغة: مادة «قعد» ج ١ ص ٢٠١، وسيبويه في الكتاب: ج ١ ص ٥٠.

(٢) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١١٠.

(٣) المصنف للصنعاني: ج ٤ ص ٢٩١، نقلاً عن عكرمة.

(٤) رواه الصدوق في أماليه: ج ١ ص ١١٠.

(٥) لم نعر عليه.

كُلُّ بَنِي حَرَّةٍ مُصِيرِهِمْ قُلْ وَإِنْ أَكْثَرُوا مِنَ الْعَدَدِ
 إِنْ يَغْطِبُوا يَغْطِبُوا وَإِنْ أَمَرُوا يَوْمًا فَهُمْ لِلْفَنَاءِ وَالْفَنَدِ^(١)
 الْفَنَدُ الْهَرَمُ. وَالْأَتْيَانُ وَالْمَجْيَاءُ وَالْأَقْبَالُ نِظَائِرٌ، وَنَقِيضُهُ الْذَهَابُ
 وَالْإِنْصِرَافُ، يُقَالُ: أَتَى أَتْيَانًا، وَأَتَى أَتْيَاءً، وَأَتَى تَأْتِيًا، وَأَتَى تَأْتِيَةً، وَأَتَيْتَ
 فَلَانًا عَلَى أَمْرِهِ مُؤْتَةً، وَلَا يُقَالُ: آتِيَةٌ إِلَّا فِي لُغَةٍ قَبِيحَةٍ لَتَمِ .

الاعراب:

ودخلت «ما» في قوله مع «إن» التي للجزء ليصح دخول النون التي
 للتوكيد في الفعل، ولو أسقطت «ما» لم يجز دخول النون؛ لأنها لا تدخل في
 الخبر الواجب إلا في القسم أو ما أشبه القسم، كقولك: زيدٌ ليأتينك، ولو
 قلت بغير اللام لم يجز، وكذلك تقول: بعينٌ ما أرينتك، ولو قلت: بعينِ
 أرينك، بغير ما لم يجز، فدخل «ما» ها هنا كدخول اللام في أنها تؤكد أول
 الكلام وتؤكد النون آخره. والأمر والنهي والاستفهام تدخل النون فيه وإن لم
 يكن معه «ما»، إذا كان الأمر والنهي مما تشتد الحاجة إلى التوكيد فيه،
 والاستفهام مشبه به إذا كان معناه أخبرني، والنون إنما تلحق للتوكيد
 فلذلك كان من موضعها.

قال الله تعالى: «وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غداةً»^(٢).

فان قيل: أين جواب أما؟ وأين جواب من؟

قيل: الجزء وجوابه بمنزلة المبتدأ والخبر، لأن الشرط لا يتم إلا بجوابه،

(١) ديوانه: ص ٥٠.

(٢) الكهف: ٢٣.

كما لا يتم المبتدأ إلا بخبره، ألا ترى أنك لو قلت: إن تقم، وسكت لم يجز، كما لو قلت: زيد، لم يكن كلاماً حتى تأتي بالخبر. ولك أن تجعل خبر المبتدأ جملة، وهي أيضاً مبتدأ وخبر، كقولك: زيد أبوه منطلق. وكذلك «إن» التي للجزاء إذا كان الجواب بالفاء ووقع بعد الفاء الكلام مستأنفاً صلح أن يكون جزاءً وغير جزاء، تقول: إن تأتي فأتني فأت محمودة، ولك أن تقول: إن تأتي فتن يكرمك أكرم، وإن تأتي فتن يبغضك فلا وضعية عليه.

وقوله: «إما يأتينكم» شرط، وجوابه الفاء، وما بعد قوله: «فمن» شرط آخر، وجوابه الذي بعده من قوله: «فلا خوف عليهم». وهو نظير المبتدأ والخبر الذي يكون خبره مبتدأ وخبراً. وهذا في مقدمات القياسات يسمى الشرطية المركبة، وذلك أن المقدم فيها إذا وجب، وجب التالي المرتب عليه.

التفسير:

والهدى المذكور في الآية يحتمل أمرين: أحدهما: البيان والدلالة. والآخر: الأنبياء والرسل. وعلى القول الأخير يكون قوله: «قلنا اهبطوا» لآدم وحواء وذريتهما، كما قال: «فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين»^(١) أي أتينا بما فينا من الخلق طائعين.

اللغة:

وقوله: «فمن تبع هداي» فالاتباع والافتداء والاحتذاء نظائر، ونقيض

الاتباع الابتداع تقول: تبعه تبعاً، وأتبعه إتباعاً، وتابعه متابعةً، وتبع تبعاً، واستتبع استتباعاً، والتابع التالي ومنه التتبع، والتبعية ما تبع أثر شيء فهو يتبعه، والتتبع فعلك شيئاً بعد شيء، تقول: تتبع عليه آثاره، وفي الحديث: القادة والأتباع^(١). والقادة السادة، والأتباع القوم الذين يتبعونهم، والقوائم يقال لها: تبع. والتبعية من ولد البقر العجل؛ لأنه تبع أمه يعدو، وثلاثة أتباعه الجمع، وبقرة متبع خلفها تبعية، وخادم متبع معها ولدها يتبعها حيثما أقبلت وأدبرت، وأتبع فلان فلاناً، وأتبعه الشيطان إذا تتبعه يريد به شراً، كما تبع فرعون موسى، قال الله تعالى: «فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين»^(٢) وفلان يتبع فلاناً إذا تتبع مساوئه في مهلة، والتتابع من الأشياء إذا فعل هذا في أثر هذا بلا مهلة، ومنه تتابعت الأمطار وتتابعت الأشياء، والتبع الظل.

وأصل الباب كله الاتباع وهو أن يتلوشى شيء شيئاً.

قوله: «(فلا خوف عليهم)» فالخوف والجزع والفرع نظائر، ونقيض الخوف الأمن، تقول: خافه يخافه خوفاً، وأخافه إخافة، وتخوف تخوفاً، وخوفه تخويفاً، وطريق مخوف يخافه الناس، وطريق مخيف يخيف الناس، والتخوف التنقص، يقال: تخوفناهم تنقصناهم، ومنه قوله: «أو يأخذهم على تخوف»^(٣)، أي على تنقص.

وأصل الباب الخوف الذي هو الفرع، والخوف كله من الضرر، يقال: فلان يخاف الأسد أي يخاف ضرره، ويخاف الله أي يخاف عقابه.

(١) لم نثر عليه.

(٢) الأعراف: ١٧٥.

(٣) النحل: ٤٧.

[قوله: «ولا هم يحزنون»] والحزن والهم والغم نظائر، ونقيضه السرور، يقال: حزن حزناً، وحزنه حزناً، وتحزن تحزناً، وحزن تحزناً، والحزن والحزن لغتان^(١)، وحزني وأحزني لغتان، وأنا محزون ومحزن. وإذا أفردوا الصوت أو الأمر قالوا: محزن لا غير، والحزن من الأرض والدواب ما فيه خشونة، والأنثى حزنة. والفعل: حزن حُزونة، وقولهم: كيف حشمك وحُزانتك؟ أي كيف من تتحزن بأمره. وأصل الباب غُلظ الهم.

المعنى:

وقوله: «فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون». عمومه يقتضي أنه لا يلحقهم خوف أهوال القيامة، وهو قول الجبائي^(٢)، وقال ابن الأخشاد^(٣): لا يدل على ذلك، لأن الله تعالى وصف القيامة بعظم الخوف. قال الله تعالى: «إن زلزلة الساعة شيء عظيم - إلى قوله - شديد»^(٤). ولأنه روي أنه يلجم الناس العرق^(٥)، وغير ذلك من الشدائد.

وهذا ليس بمعتمد؛ لأنه لا يمتنع أن يكون هؤلاء خارجين من ذلك الغم.

وأما الحزن فلا خلاف أنه لا يلحقهم، ومن أجاز الخوف فرق بينه

(١) العين: مادة «حزن» ج ٣ ص ١٦٠، وتهذيب اللغة: مادة «حزن» ج ٤ ص ٣٦٤.

(٢) و(٣) لم نعثر على قوليهما.

(٤) الحج: ٢١.

(٥) مسند أحمد بن حنبل: ج ٥ ص ٢٥٤.

وبين الحزن؛ لأن الحزن إنما يقع على ما يغلظ ويعظم من الغم والهَم، فلذلك لم يوصفوا بذلك، ولذلك قال تعالى: «لا يحزنهم الفزع الأكبر»^(١) لأن ما يلحقهم لا يثبت ويزول وشيكاً. قالوا: ويدلك على أن الحزن ما ذكرنا، أنه مأخوذ من الحزن وهو ما غلظ من الأرض وكأنه ما غلظ من الهَم. فأما لحوق الحزن والخوف في دار الدنيا، فلا خلاف أنه يجوز أن يلحقهم؛ لأن من المعلوم أن المؤمنين لا ينفكون منه.

و«هَداي» بتحريك الياء، وروى عن الأعرج^(٢) «هَداي» بسكون الياء. وهي غلط، إلا أن ينوي الوقف.

وإنما كرر «اهبطوا» لأن أحدهما كان من الجنة إلى السماء والثاني من السماء إلى الأرض عند أبي علي^(٣)، وقيل: المعنى واحد وكرر تأكيداً. وقيل: هو على تقدير اختلاف حال المعنى لا اختلاف الأحوال، كما يقول: اذهب مصاحباً، اذهب سالماً معافى، وكأنه على تقدير ذهاب يجمع ذهاباً وإن كان حقيقة واحدة.

وإنما كرر «اما» في قوله: «إما شاكراً وإما كفوراً»^(٤) ولم يكرر هاهنا، لأنها هناك للعطف وهاهنا للجزاء، وإنما هي (إن) ضم إليها (ما)،

(١) الانبياء: ١٠٣.

(٢) الأعرج، عبد الرحمن بن هرمز الأعرج أبو داود المدني، مولد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، يقال: إنه كان كثير النقل للحديث، وكان عالماً بالأنساب، مات بالاسكندرية سنة ١١٧ هـ وقيل: سنة ١١٠ هـ.

(تهذيب التهذيب: ج ٦ ص ٢٩٠).

(٣) لم نقف على قوله فيما لدينا من المصادر.

(٤) الدهر: ٣.

كقوله: «وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء»^(١) وهداي مثل هواي، وهي لغة قريش وعامة العرب^(٢)، وبعض بني سليم^(٣) يقولون: هوَيّ مثل عليّ ولدي^(٤)، قال أبو ذؤيب:

سبقوا هوَيّ واعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع^(٥)
وروي هديّ في الآية عن الجحدري وابن أبي إسحاق وعيسى،
والصواب ما عليه القراء.

والفرق بين هوَيّ^(٦) ولدي وعليّ، وهو أن إليّ وعليّ ولديّ مما يلزمها
الاضافة وليست بمتمكنة، ففصلوا بينها وبين الأسماء المتمكنة كما فصلوا
بين ضمير الفاعل وضمير المفعول، حين قالوا: ضربت فسكنوا لأجل التاء،
ولم يسكنوا في ضربك، إذ الفاعل يلزم الفعل.

قوله تعالى:

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾
آية.

المعنى:

قد بينا فيما مضى معنى الكفر والتكذيب فلا وجه لاعادته.

(١) الأنفال: ٥٨.

(٢) الحجة في القراءات السبع: ج ١ ص ١٣٩.

(٣) بنو سليم: بضم السين، قبيلة عظيمة من قيس عيلان والنسبة إليهم سلمى، وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفضة بن قيس، قيل: كانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر.
(نهاية الأرب: ص ٢٧٣)

(٤) راجع الحجة في القراءات السبع: ج ١ ص ١٣٩، ومعاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٢٣٥.

(٥) لسان العرب: مادة «هوا» ج ١٥ ص ١٦٨.

(٦) كذا في النسخة الخطية والمطبوعة والحجرية.

والاستدلال بهذه الآية على أنَّ من مات مصرّاً على الكفر غير نائب منه وكذب بآيات ربه فهو مغلّد في نار جهنم صحيح؛ لأنّ الظاهر يفيد ذلك والاستدلال بها على أن عمل الجوارح من الكفر، من حيث قال: «وكذبوا بآياتنا» فبعيد؛ لأنّ التكذيب نفسه وإن لم يكن كفراً وهو لا يقع إلّا من كافر فهو دلالة عليه كالسجود للشمس وغيره .

اللغة :

وقوله: «أصحاب» فالاصطحاب والاجتماع والاقتران نظائر، وكذلك الصاحب والقرين، ونقيضه الافتراق، يقال: صحبه صحبةً، وأصحابه أصحاباً، واصطحبوا اصطحاباً، وتصاحبوا تصاحباً، واستصحبوا استصحاباً، وصاحبه مصاحبة، والصحب جماعة، والصُحب والأصحاب جماعة الصاحب. ويقال أيضاً: الصحبان والصحبة والصحاب، والصحابة مصدر قولك: صحبك الله يعني بالسلامة وأحسن صحابتك، ويقال للرجل عند التوديع: معاناً مصاحباً ومصحوب ومصاحب، ومن قال: مصاحب معان، فانما معناه: أنت المصاحب المعان، والصحبة مصدر صحب يصحب، وقد أصحب الرجل إذا صار صاحباً. ويقال: قد أصحب الرجل وقد أشطأ إذا بلغ ابنه مبلغ الرجال، الذي صار ابنه مثله، وأشطأ الزرع إذا لحقته فراخه، ويقال له: الشطأ .

قال أبو عبيدة وابن دريد: قوله: «ولاهم منا يُصحبون» أي لا يُحفظون^(١)، وأديم مصحب إذا دبغته وتركته عليه بعض الصوف

(١) جهرة اللغة لابن دريد: مادة «بَح صَ» ج ١ ص ٢٢٤، نقلاً عن أبي عبيدة.

والشعر، وأصل الصحبة المقارنة. والصاحب هو الحاصل مع آخر مدة؛ لأنه إذا اجتمع معه وقتاً واحداً لا يقال: صاحب، ولكن يقال: صحبه وقتاً من الزمان ثم فارقه .

والفرق بين المصاحبة والمقارنة: إنَّ في المصاحبة دلالة على المبالاة، وليس ذلك حاصلًا في المقارنة. واتباع الرئيس أصحابه .

التفسير:

و«آيات الله» دلالته وكتبه التي أنزلها على أنبيائه. والآية الحجة، والدلالة والبيان والبرهان واحد في أكثر المواضع وإن كان بينها فرق في الأصل، لأنك تقول: دلالة هذا الكلام كذا، ولا تقول: آيته ولا علامته، وكذلك تقول: دلالة هذا الاسم، ولا تقول: برهانه .

و«أصحاب النار» هم الملازمون لها، كما تقول: أصحاب الصحراء يعني القاطنين فيها، الملازمين لها .

والخلود معرّف من العرف يدل على الدوام، لأنهم يقولون: ليست الدنيا دار خلود، وأهل الجنة مخلصون، يريدون الدوام، فأما في أصل الوضع فانه موضوع لطول الحبس .

فان قيل: لم دخلت الفاء في قوله: «والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين»^(١) في سورة الحج، ولم يقل هاهنا في قوله: «أولئك أصحاب النار»؟

قيل: لأن ما دخلت فيه الفاء من خبر الذي وأخواته مشبه بالجزاء، وما

لم يكن فيه فاء فهو على أصل الخبر، وإذا قلت: مالي فهو لك، جاز على وجه ولم يجز على وجه، فإن أردت أن معنى (ما) الذي فهو جائر، وإن أردت أن مالي تريد به المال ثم تضيفه إليك، كقولك: غلامي لك، لم يجز، كما لم يجز غلامي فهو لك .

الاعراب:

وموضع «أولئك» يحتمل ثلاثة أشياء :
أحدها : أن يكون بدلاً من الذين، أو يكون عطف بيان، وأصحاب الناريين عن «أولئك» مجراه مجرى الوصف والخبر «هم فيها خالدون» .
والثاني : أن يكون ابتداءً وخبراً في موضع الخبر الأول .
والثالث : أن يكون على خبرين بمنزلة خبر واحد، كقولهم: حلو حامض .

قوله تعالى:

يَبْنِيْ اِسْرَءِيْلَ اذْكُرْ وَاَنْعَمْتَ اِلَيَّْ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَوْفُوا بِعَهْدِيْ اَوْفِ بِعَهْدِكُمْ
وَلِئَلَّا يَفْزَهُبُوْنَ ﴿٤٠﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

«يا» حرف نداء. «بني» جمع ابن، والابن والولد والنسل والذرية متقاربة المعاني، إلا أن الابن يقع على الذكر، والولد يقع على الذكر والأنثى، والنسل والذرية تقع على جميع ذلك . وأصله من البناء، وهو وضع الشيء على الشيء، والابن مبني على الأب تشبيهاً للبناء على الأصل؛ لأن

الأب أصل والابن فرع، ويقال: تبنى تبنيًا، وبني بناءً، وابتنى ابتناءً، وباناه مبانة .

والبنوة مصدر الابن، وإن كان من البناء كما قالوا: الفتوة [مصدر الفتى] ^(١) وثنوا الفتى فتيان، ويقال: فلان ابن فلان على التبني. ولا يطلق ذلك إلا على ما كان من جنسه وشكله تشبيهاً بالابن الحقيقي، ولهذا لا يقولون: تبني زيد حماراً، لما لم يكن من جنسه، ولا تبني شاب شيخاً، لما لم يكن ذلك فيه .

والفرق بين اتخاذ الابن وبين اتخاذ الخليل: إن اتخاذ الخليل يكون به خليلاً على الحقيقة؛ لأن بالمحبة والاطلاع على الأسرار المهمة يكون خليلاً على الحقيقة، وليس كذلك الابن؛ لأن البنوة في الحقيقة إنما هي الولادة للابن .

الإعراب:

و«بني» في موضع نصب، لأنه منادى مضاف .
و«إسرائيل» في موضع جر، لأنه مضاف إليه، وفتح لأنه أعجمي لا ينصرف، لأن «إسرا» معناه: عبد، و«ئيل» هو الله بالعبرانية، فصار مثل عبد الله، وكذلك جبرائيل وميكائيل. ومن حذف الألف من جبرائيل حذفه للتعريب كما يلحق الاسماء التغير إذا أعربت فيلخصون حروفها على العربية .



(١) ما بين المعقوفين ساقط من النسخة الخطية، وأثبتناه من المطبوعة.

القراءة:

وفي «إسرائيل» خمس لغات: حكي الأُخفش: إسرائيل - بكسر الهمزة - من غير ياء، وحكي: أسرال - بفتح الهمزة - ويقول بعضهم: إسرائيل، فيميلون^(١). وحكي قطرب: سرال من غير همز ولا ياء، واسراين - بالنون - والخامس: إسرائيل، قراءة إلیاس، وحمة وحده مدّ بغير ألف .

المعنى:

وقال أكثر المفسرين: إن المعنى بـ«يابني إسرائيل» أحبار اليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله^(٢). وهو المحكي عن ابن عباس^(٣). وقال الجبائي: المعنى به بنو إسرائيل من اليهود والنصارى^(٤). ونسبهم إلى الأب الأعلى، كما قال: «يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد»^(٥).

اللغة:

قوله: «اذكروا» فالذكر والتنبيه والتيقظ نظائر، ونقيضه التغافل، يقال: ذكره يذكره ذكراً، وأذكره إذكارةً، واستذكره استذكارةً، وتذكره

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٢٤٢.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٩٧.

(٣) تفسير ابن عباس: ص ٨ و ٢٩.

(٤) لا يوجد لدينا كتابه.

(٥) الأعراف: ٣١.

تذكر، وذكره تذكيراً، وأذكر أذكّاراً، وقال صاحب العين: الذكر الحفظ
للشيء تذكره، تقول: هو متي على ذكر، والذكر جري الشيء على
لسانك، تقول: جرى منه ذكر، والذكر الشرف والصيت لقوله: «وإنه
لذكر لك ولقومك»^(١). والذكر الكتاب الذي فيه تفصيل الدين، وكل
كتاب من كتب الأنبياء ذكر، والذكر الصلاة والدعاء.

وقيل: كانت الأنبياء إذا حزنهم أمر فزعوا إلى الذكر أي الصلاة،
يقومون فيصلون، وذكر الحق هو الصك، والذكرى هو اسم للتذكير،
والذكر ذكر الرجل معروف، والجمع الذكرة، ولهذا سمي ما ينسب إليه
(المذاكير) ولا يفرد، وإن أفرد فذكر، مثل مقدم ومقادير.

والذكر خلاف الانثى، وجمعه ذكور وذكران، ومن الدواب ذكورة
لا غير، والذكر من الحديد أبيضه وأشدّه؛ ولذلك يسمى السيف مذكر،
وامرأة مذكورة وناقّة مذكورة إذا كانت خلقتها تشبه خلقة الذكر وأشبهته في
شماثلها، وامرأة مذكّارة إذا أكثرت ولادة الذكور، وعكسه مثنّاة، ويقال
للحبل: أيسرت وأكثرت أي يسر عليها وولدت ذكوراً^(٢).

والذكر ضد النسيان، ورجل ذكر شهم من الرجال ماهر في أموره،
وأصل الباب الذكر الذي هو التنبيه على الشيء، والذكر الوصف بالمدح
والثناء أو بالمدح والهجاء.

التفسير:

وقوله: «نعمتي» المراد بها الجماعة، كما قال تعالى: «وإن تعدّوا نعمة

(١) الزخرف: ٤٤.

(٢) العين للفراهيدي: مادة «ذكر» ج ٥ ص ٣٤٦.

الله لا تحضوها» (١) والنعمة وإن كانت على أسلافهم جاز أن تضاف إليهم، كما يقول القائل إذا فاخره غيره: هزمناكم يوم ذي قار، وقتلناكم يوم الفجار، وبددنا جمعكم يوم النار، والمراد بذلك جميع النعم الواصلة إليهم مما اختصوا به دون آبائهم أو اشتركوا فيه معهم، وكان نعمة على الجميع .

فمن ذلك تبقيّة آبائهم حتى تناسلوا فصاروا من أولادهم ومن ذلك خلقه إياهم على وجه يمكنهم الاستدلال على توحيدِهِ والوصول إلى معرفته، فيشكروا نعمه ويستحقوا ثوابه، ومن ذلك ما لا يحلّون منه في كل وقت من منفعة ودفع مضرة .

فالقول الأول: هو التذكير بالنعمة عليهم في أسلافهم . والقول الثاني: تذكير جميع النعم عليهم والنعم التي على أسلافهم، ما ذكر في قوله تعالى: «واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وأتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين» (٢) .

الإعراب واللغة :

وقوله: «أوف بعهدكم» في موضع جزم، لأنه جواب الأمر .

قال صاحب العين: تقول:وفيت بعهدك وفاءً، ولغة أهل تهامة: أوفيت

بعهدك (٣) وهي القرآن، قال الشاعر في الجمع بين اللغتين:

أما ابن عوفٍ فقد أوفى بدمته كما وفي بقلاص النجم حاديها (٤)

(١) إبراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨ .

(٢) المائدة: ٢٠ .

(٣) العين: مادة «وفي» ج ٨ ص ٤٠٩ .

(٤) الخصائص لابن جني: ج ١ ص ٣٧٠، ومعاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ١٢٢، والشاعر هو

«طفيل الغنوي» .

يعني به الدبران وهو التالي، وتقول: وفي يني وفاءً، وأوفي يوفي ايفاءً، واستوفى استيفاءً، وتوفى توفياً، ووفى توفيةً، وتوفى توافياً، ووافاه موافاةً، وكل شيء بلغ تمام الكلام فقد وفي وتم، وكذلك درهمٌ وافيٌ، لأنه درهم وفي مثقالاً، وكيل وافيٌ، ورجل وفا ذووفاء، وأوفى فلان على شرفٍ من الأرض اذا أشرف فوقها، وتقول: أوفيته حقّه، ووفيته أجره، والوفاة المنية توفى فلان، وتوفاه الله اذا قبض نفسه .

واصل الباب الوفاء وهذا هو الالتمام. ومن اكرم اخلاق النفس الوفاء، ومن ادونها وأرذلها الغدر.

المعنى:

ومعنى قوله: «أوفوا بعهدي اوف بعهدكم» قال ابن عباس: اوفوا بما أمرتكم من طاعتي ونهيتكم عن معصيتي في النبي صلى الله عليه وآله وغيره^(١).

«أوف بعهدكم» اي أرضى عنكم وادخلكم الجنة وسمي ذلك عهداً؛ لأنه تقدم بذلك اليهم في الكتب السابقة، كما قال: «يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون»^(٢).

والعهد هو العقد عليهم في الكتاب السابق بما امروا به ونهوا عنه. قال بعضهم: انما جعله عهداً لتأكيد به منزلة العهد الذي هو اليمين^(٣) قال الله تعالى: «واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس

(١) تفسير ابن عباس: ص ٨.

(٢) البقرة: ١٤٦.

(٣) راجع تهذيب اللغة: مادة «عهد» ج ١ ص ١٣٦.

ولا تكتمونه» (١).

وقال الحسن: العهد الذي عاهدهم عليه حيث قال: «خذوا ما آتيناكم بقوة» أي بجدة «واذكروا ما فيه» أي ما في الكتاب في قوله: «ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي...» إلى آخر الآية (٢).
وقال الجبائي: جعل تعريفه إياهم نعمه عهداً عليهم وميثاقاً؛ لأنه يلزمهم القيام بما يأمرهم به من شكر هذه النعمة كما يلزمهم الوفاء بالعهد والميثاق الذي يأخذ عليهم (٣).
والقول الأول أقوى، لأن عليه أكثر المفسرين وبه يشهد القرآن.

الاعراب:

قوله: «وإياي» ضمير منصوب، ولا يجوز أن يكون منصوباً بقوله: «فارهبون» لأنه مشغول، كما لا يجوز في قولك: زيداً فاضربه، أن يكون منصوباً بقوله: فاضربه، لكنه يكون منصوباً بفعل دلّ عليه ما هو مذكور في اللفظ، تقديره: وإياي ارهبوا، ولا يظهر ذلك للاستغناء عنه بما يفسره، وإن صح تقديره. ولا يجوز في مثل ذلك الرفع على أن يكون الخبر «فارهبون» إلا على تقدير محذوف، كما أنشد سيبويه:
وقائلة: حولان فانكح فتاتهم وأكرومة الحيين خلّو كما هيا (٤)

(١) آل عمران: ١٨٧.

(٢) تفسيره: ج ١ ص ٩٠.

(٣) لا توجد لدينا مؤلفاته.

(٤) كتاب سيبويه: ج ١ ص ١٣٩.

تقديره: وقائلة: هذه خولان، وعلى هذا حل قوله: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما»^(١) وقوله: «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما»^(٢) تقديره مما يتلى عليكم السارق والسارقة، وفيما فرض عليكم الزانية والزاني .

اللغة :

وقوله: «فارهبون» فالرهبة والخشية والخافة نظائر، وضدها: الرغبة، تقول: رهب رهبة، وأرهبه إرهاباً، ورهبه ترهيباً، واسترهب استرهاباً، ويقال: رهب فلانٌ يرهب رهباً ورهباً ورهبة إذا خاف من شيء، ومنه اشتقاق الراهب، والاسم الرهبة، ومن أمثالهم (رهبوتٌ خير من رحمت) أي ترهب خير من أن ترحم، والترهب التعبّد في صومعة، والجمع الرهبان، والرهبانية خطباء .

والفرق بين الخوف والرهبة: ان الخوف هوشك في أن الضرر يقع أم لا، والرهبة معها العلم بأن الضرر واقع عند شرط، فان لم يحصل ذلك الشرط لم يقع .

القراءة :

واختير تحريك الياء في قوله: «نعمتي التي أنعمت» لأنه لقيها ألف ولا م فلم يكن بدّ من اسقاطها أو تحريكها، وكان التحريك أولى؛ لأنه أدل

(١) المائدة: ٣٨ .

(٢) النور: ٢ .

على الأصل وأشكل بما يلزم اللام في الاستئناف من [فتح] ألف الوصل .
واسكان الياء في قوله: «يا عبادي الذين اسرفوا»^(١) أجود؛ لأن من حق
ياء الاضافة ألا تثبت في النداء، واذا لم تثبت فلا سبيل الى تحريكها .

وقوله: «فبشّر عبادي الذين يستمعون»^(٢) الاختيار حذف الياء لانه
رأس آية ورؤوس الآي لا يثبت فيها الياء؛ لانها فيه أصل ينوى فيها
الوقف، كما يفعل ذلك في القوافي، ومثل قوله: «نعمتي التي» قوله: «أخي
أشدد»^(٣) في ان الاختيار تحريك الياء، وان كان مع الالف واللام اقوى،
لما تقدم ذكره مع المشاكلة والرد الى الأصل، وفي «أخي اشدد» سبب
واحد، وهو أنه ادل على الاصل .

واجمعوا على اسقاط الياء من قوله: «فارهبون» الا ابن كثير فانه اثبتها
في الوصل دون الوقف^(٤)، والوجه حذفها لكرهية الوقف على الياء، وفي
كسر النون دلالة على ذهاب الياء .

قوله تعالى:

وَأَمِنُوا بِمَا آَنَزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ، وَلَا تَشْتَرُوا
بِعَاقِبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنقُوزِنِ ﴿٤١﴾ آية واحدة بلا خلاف .

المعنى:

«آمنوا» معناه صدّقوا؛ لأننا قد بينا أن الايمان هو التصديق .

(١) الزمر: ٥٣ .

(٢) الزمر: ١٧-١٨ .

(٣) طه: ٣٠-٣١ .

(٤) راجع التيسير في القراءات السبع: ص ٦٩، ونقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ١٩٩ .

«بما أنزلت» يعني بما أنزلت على محمد صلى الله عليه وآله من القرآن .
 وقوله: «مصدقاً» يعني ان القرآن مصدق لما مع اليهود من بني اسرائيل
 من التوراة، وأمرهم بالتصديق بالقرآن واخبرهم أن فيه تصديقهم بالتوراة؛
 لأن الذي في القرآن من الامر بالاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وآله
 وتصديقه نظير الذي في التوراة والانجيل، وموافق لما تقدم من الاخبار به،
 فهو مصداق ذلك الخبر.

وقال قوم: معناه انه مصدق بالتوراة والانجيل الذي فيه الدلالة على أنه
 حق (١).

والأول الوجه؛ لأن على ذلك الوجه حجة عليهم دون هذا الوجه .

الاعراب:

ونصب «مصدقاً» على الحال من الهاء المحذوفة، كأنه قال: أنزلته
 مصدقاً، ويصلح ان ينصب بـ«آمنوا» كأنه قيل: آمنوا بالقرآن مصدقاً .
 والمعني بقوله: «آمنوا» أهل الكتاب من بني اسرائيل؛ لأنه في
 ذكرهم، وفيه احتجاج عليهم، اذا جاء بالصفة التي تقدمت بها بشارة
 موسى وعيسى عليها السلام. وهو أمر بالاقرار بالنبوة وما جاءت به من
 الشريعة .

اللغة:

وانما وخذ «كافراً» في قوله: «ولا تكونوا أول كافر»، وقبله جَمَعَ لما

ذكره الفراء^(١) والأخفش^(٢): وهو أنه ذهب مذهب الفعل، كأنه قال: أول من كفر به، ولو أراد الاسم لما جاز إلا الجمع ومثل ذلك قول القائل للجماعة: لا تكونوا أول رجل يفعل ذلك .

قال المبرد: هذا الذي ذكره الفراء خارج عن المعنى المفهوم، لأن الفعل هاهنا والاسم سواء إذا قال القائل: زيد أول رجل جاء فعناه أول الرجال الذين جاؤوا رجلاً رجلاً، ولذلك قال: أول كافر وأول مؤمن، ومعناه: أول الكافرين وأول المؤمنين لا فصل بينهما في لغة ولا قياس، ألا ترى أنك تقول: رأيت مؤمناً ورأيت كافراً كما تقول: رأيت رجلاً لا يكون إلا ذلك؛ لأنك إنما رأيت واحداً، كما تقول: رأيت زيداً أفضل مؤمن، وزيدٌ أفضل حرّ، وزيدٌ أفضل رجل وانبل غلام، وليس بين ذلك اختلاف، ولكن جاز «ولا تكونوا أول» قبيل «كافره» وأول حزب كافره، وهو مما يسوغ فيه النعت ويبين به الاسم؛ لأنك تقول: جاءني قبيلٌ صالح، وجاءني حيٌّ كريم، فينعت به الجمع، إذا كان الجمع اسماً واحداً لجميعه كقولك: نفر وقبيل وحزب وجمع، ولا تقول: جاءني رجل كريم، وانت تريد برجل نفراً، كما تقول: نفر كريم؛ لأنّ النعت جارٍ على المنعوت والاسم منفرد بنفسه، ونظير قوله: «أول كافر»، قول الشاعر:

فاذا هم طعموا فألأم طاعم واذا هم جاعوا فشرّ جِيع^(٣)

المعنى:

ومعنى قوله: «ولا تكونوا أول كافر به» قال قوم: يعني بالقرآن من أهل

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٣٢.

(٢) لم نثر عليه.

(٣) البيت استشهد به الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٣.

الكتاب؛ لأن قريشاً كفرت به قبلهم بمكة. وقيل: معناه: لا تكونوا أول كافر به أي لا تكونوا أول السابقين بالكفر فيه فيتبعكم الناس، أي لا تكونوا أئمة في الكفر به. وقيل: لا تكونوا أول كافر به أي أول جاحد به إن صفته في كتابكم (١).

والأول والسابق والمتقدم نظائر، ويقال: أول وآخر وأول وثنان، والأول هو الموجود قبل الآخر. والأول قبل كل شيء يناقض الوصف بأنه محدث، ويعلم ذلك ضرورة.

والهاء في قوله: «به» قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يعود الى «ما» في قوله: «بما أنزلت» وهو الأجود.

والثاني: لا تكونوا أول كافر به أي بمحمد صلى الله عليه وآله.

والثالث: أول كافر بما معكم من كتابكم؛ لانهم إذا جحدوا ما فيه من صفة النبي صلى الله عليه وآله فقد كفروا به.

والأول قول ابن جريج (٢)، وإنما كان هو الأجود لأنه اشكل بما تقدم، والثاني قول أبي العالية (٣). والثالث حكاة الزجاج وقواه بأنهم كفروا بالقرآن (٤) وإنما قيل: لا تكونوا أول كافر بكتابكم أي صفة محمد صلى الله عليه وآله فيه. وقال الرماني: وإنما عظم أول الكفر لانهم إذا كانوا أئمة فيه وقدوة في الضلالة كان كفرهم اعظم (٥)، كما روي عن النبي صلى

(١) راجع تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٠٠.

(٢) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٠٠.

(٣) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٠٠.

(٤) معاني القرآن: ج ١ ص ١٢٢.

(٥) لا توجد لدينا مؤلفاته.

الله عليه وآله: من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة^(١). وليس في نهيه عن أن يكونوا أول كافر دلالة على انه يجوز ان يكونوا آخر كافر؛ لأن المقصود من الكلام النهي عن الكفر على كل حال، وخص الأول بالذكر لما قدمنا من عظم موقعه، كما قال الشاعر:

من أناس ليس في أخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع^(٢)
وليس يريد ان فيهم فحشاً آجلاً.

اللغة:

وقوله: «ثمناً قليلاً» فالثمن والعوض والبدل نظائر، وبينها فرق، فالثمن هو البدل في البيع من العين أو الورق، واذا استعمل في غيرها كان مشبهاً بها ومجازاً، والعوض هو البدل الذي ينتفع به كائناً ما كان، واما البدل فهو الجعل للشيء مكان غيره، ويقال: ثمنه ثميناً، وثامنه ماثمة، ويجمع الثمن اثماناً واثمناً، ويروى بيت زهير:

وعزّت أثمنُ البدن^(٣).

جمع ثمن، ومن روى أثمنَ البدن أراد الثمينه منها أي أكثرها ثمناً، والثمن جزء من الثمانية اجزاء من اي مال كان، وثوب ثمين اذا كان كثير الثمن.

(١) صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٠٣ و ١٠٤، مع اختلاف يسير.

(٢) لم نعر عليه.

(٣) ديوان زهير: ص ١٠٥، والبيت هكذا:

مَنْ لَا يُذَابُ لَهُ شَحْمُ السَّدِيفِ إِذَا زَارَ الشَّتَاءَ وَعَزَّتْ أَثْمَنُ الْبُذُنِ

والفرق بين الثمن والقيمة: إن الثمن قد يكون وفقاً، وقد يكون بخساً، وقد يكون زائداً، والقيمة لا تكون إلا مساوية المقدار للمثمن من غير نقصان ولا زيادة، وكل ما له ثمن فهو مال، وليس كل ملك له ثمن .

والقليل والحقير واليسير نظائر، وضده الكثير، تقول: قلّ يقلّ قلّةً، وقل منه اقلاً، واستقل استقلالاً، وتقلّ تقلّلاً، وقلّله تقلّليلاً، وقليل وقلال بمعنى، ورجل قليل أي قصير، وقلّ الشيء أقله، والقلّة والقل لغتان، والقلّة رأس كل شيء، والرجل يقلّ شيئاً يحمله، وكذلك يستقلّه، واستقل الطائر اذا ارتفع، وقلّة الجبل أعلاه وهي قطعة تستدير في أعلاه وهي القلّة، والقلّة التي جاءت في الحديث «مثل قلال هجر»^(١). قيل: إنها جرار عظام. والقلّة النقصان من العدد. وقيل: في الصغر.

وقوله: «ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً» فأدخل الباء في الآيات دون الثمن، وفي سورة يوسف في الثمن، في قوله: «وشروه بثمانٍ بخس»^(٢) قال الفراء: إنما كان كذلك؛ لأن العروض كلها أنت مخير فيها في إدخال الباء، إن شئت قلت: اشتريت الثوب بكساءٍ، وإن شئت قلت: اشتريت بالثوب كساءً. أيها جعلته ثمناً لصاحبه جاز، فاذا جئت الى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثمن، كقوله: «بثمانٍ بخس» لأن الدراهم ثمن أبداً^(٣).

وروي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً» قال عليه السلام: كان ليحيى بن أخطب وكعب بن أشرف وآخرين منهم مأكلة على اليهود في كل سنة، فكرهوا بطلانها بأمر النبي

(١) تهذيب اللغة للزهرى: مادة «قلل» ج ٨ ص ٢٨٨.

(٢) يوسف: ٢٠.

(٣) معاني القرآن: ج ١ ص ٣٠.

عليه السلام فحرفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره، فذلك الثمن القليل الذي أريد به في الآية (١).

وتقييده بـ «لا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً» لا يدل على أنه إذا كان كثيراً يجوز مشترئ به؛ لأنَّ المقصود من الكلام أن أي شيء باعوا به آيات الله كان قليلاً، وأنه لا يجوز أن يكون له ثمن يساويه، كقوله: «ومن يدع مع الله أهلاً آخر لا برهان له به» (٢) إنما أراد بذلك نفي البرهان عنه على كل حال، وأنه لا يجوز أن يكون عليه برهان، ومثله قوله: «ويقتلون النبيين بغير حق» (٣) وأما أراد أن قتلهم لا يكون إلا بغير الحق، ونظائر ذلك كثيرة، ومثله قول الشاعر:

على لاحب لا يهتدى بمناره (٤)

وأما أراد لا منار هناك فيهتدى به، ولذلك نظائر نذكرها إذا انتهينا إليه إن شاء الله .

قوله تعالى:

وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٤٢﴾ آية واحدة

بلا خلاف .

اللغة:

اللبس والستر والتغطية والتعمية نظائر، والفرق بين التعمية والتغطية:

(١) لم نعر عليه .

(٢) المؤمنون: ١١٧ .

(٣) آل عمران: ٢١ .

(٤) القائل هو إمرؤ القيس، انظر ديوانه: ص ٩٥ وعجز البيت هكذا:

إذا سافه العودُ النُّباطيُّ جَرَجَرا

إن التعمية قد تكون بالنقصان والزيادة، والتغطية تكون بالزيادة. وضد الستر الكشف، وضد اللبس الايضاح، يقال: لبس لبساً، وألبسه إلباساً، والتبس التباساً، وتلبس تلبساً، ولبسه تلبساً، ولا بسه ملابسةً، واللباس ما وارت به جسدك . ولباس التقوى الحياء، والفعل: لبس يلبس، واللبس خلط الأمور بعضها ببعض إذا التبت، واللبوس الدروع، وكل شيء تحصنت به فهو لبوس، قال الله تعالى: «وعلمناه صنعة لبوس لكم»^(١)، قال الشاعر:

إلبس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بؤسها^(٢)
وثوبٌ ليس، وجمعه ألبس، واللبة ضربٌ من اللباس، والفعل: لبس يلبس لبساً ولبة واحدة، ويقال: لبست الأمر ألبسه إذا عميته، ومنه قوله: «وللبسنا عليهم ما يلبسون»^(٣)، ولا بست الرجل ملابسةً إذا عرفت دخلته، وفي فلان ملبس إذا كان فيه مستمع، وفي أمره لبسة أي ليس بواضح .

وأصل اللبس الستر، قال الأخطل:

وقد لبست لهذا الدهر أعصره حتى تجلّ رأسي الشيب فاشتعل^(٤)
والفرق بين اللبس والاختفاء والريب والاشكال: إن الاختفاء يمكن أن يدرك معه المعنى، ولا يمكن إدراك المعنى مع اللبس، والريب معه تهمة المشكوك فيه، والاشكال قد يدرك معه المعنى إلا أنه بصعوبة، لأجل

(١) الأنبياء: ٨٠.

(٢) إصلاح المنطق: ص ٣٣٣، وقائله: بيهس الفزاري.

(٣) الانعام: ٩.

(٤) ديوانه: ص ٢١٩.

التعقيد .

وأسباب الالباس كثيرة، منها: الاشتراك ، ومنها: الاختلاف، ومنها: الاختزال وهو حذف مقدمه وشرطه أو ركنه، ومنها: الاختلاط والبسط وهو المنع من إدراك الشيء تشبيهاً بما يمنع من إدراكه بالستر والتغطية، ومنه قول النبي عليه السلام للحارث بن حوط: يا حارث إنه ملبوس عليك ، إن الحق لا يعرف بالرجال، إعرف الحق تعرف أهله (١) .

والبطلان والفساد والكذب والنزور والبهتان نظائر، وضد الحق الباطل، يقال: بطل بطولاً، وبطلاً وبطلاناً إذا تلف، وأبطلته ابطلاً إذا أتلفته، والبطل والباطل واحد، وبطل الرجل بطولة إذا صار بطلاً، ويقال: رجل بطل، ولا يقال: إمراًة بطلة، وبطل بطالة إذا هزل وكان بقالاً، والأباطل جمع إبطالة وأبطولة، والباطل ضد الحق، وأبطلته جعلته باطلاً. وأبطل فلان إذا جاء بباطل، والبطل الشجاع الذي يبطل جراحاته، لا يكثر لها، ولا تكفه عن نجدته .

وأصل الباطل الخبر الكذب، ثم كثر حتى قيل لكل فاسد. ويقال: فعل باطل أي قبيح، وبناء باطل أي منتقض، وزرع باطل أي محترق تالف .

المعنى :

ومعنى لبسهم الحق بالباطل أنهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض،

(١) لم نعرف في مصادرنا الحديثية، ورواه الطبرسي في مجمع البيان: ج ١- ٢ ص ٩٥ عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال للحارث بن حوط، فلاحظ .

فخلطوا الحق بالباطل؛ لأنهم جحدوا صفة محمد صلى الله عليه وآله فذلك الباطل، وأقرّوا بغيره مما في الكتاب على ما هو به، وذلك حق .

وقال ابن عباس: لا تخلطوا الصدق بالكذب^(١). وقال الحسن: كتموا صفة محمد صلى الله عليه وآله ودينه وهو الحق، وأظهروا دين اليهودية والنصرانية^(٢). وقال ابن زيد: الحق التوراة التي أنزلها الله على موسى، والباطل ما لبسوه بأيديهم^(٣).

واللبس في الآية قيل معناه: التعمية^(٤). وقيل: خلط الحق بالباطل، عن ابن عباس^(٥)، ومنه قوله: «وللبسنا عليهم ما يلبسون»^(٦) أي لخلطنا عليهم ما يخلطون، قال العجاج:

لما لبس الحق بالتجني عيين واستبدلن زيدا مني^(٧)
وقال بعضهم: الحق إقرارهم بأن محمداً صلى الله عليه وآله مبعوث إلى غيرهم، والباطل إنكارهم أن يكون بعث إليهم^(٨) وهذا ضعيف؛ لأنه إن جاز ذلك على نفر يسير لم يجز على الخلق الكثير، مع إظهار النبي صلى الله عليه وآله وتكذيبهم فيه، وإقامة الحجّة عليهم .

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٠١.

(٢) تفسيره: ج ١ ص ٩٢.

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٠٢.

(٤) تلخيص البيان للرضي: ص ١١٥.

(٥) تفسير ابن عباس: ص ٨.

(٦) الأنعام: ٩.

(٧) ديوانه: ص ٦٥.

(٨) راجع تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٠١.

الإعراب:

وقوله: «وتكتموا الحق» يحتمل أمرين من الإعراب:
أحدها: الجزم على النفي، كأنه قال: لا تلبسوا الحق ولا تكتموه.
والآخر: النصب على الظرف، كأنه قال: لا تجمعوا اللبس والكتمان،
كما قال الشاعر:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم^(١)
ومثله: لا يسعني شيء، ويعجز عنك. وعند الخليل^(٢) وسيبويه^(٣)
والاخفش^(٤): ينصب مثل ذلك باضمار أن، ويكون تقدير
الكلام: لا يكن منكم لبس الحق وكتمان، ودلّ «تلبسوا» على اللبس
و«تكتموا» على الكتمان، كما تقول: من كذب كان شراً له، وكذب دليل
على الكذب، فكأنه قال: من كذب كان الكذب شراً له.

المعنى:

قوله: «وأنتم تعلمون» قال قوم: هو متوجه إلى رؤساء أهل الكتاب،
ولذلك وصفهم بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه للتلبس على أتباعهم،
قالوا: وهذا تقبيح لما يفعلونه^(٥)، وكذلك قوله: «وتكتمون الحق» أي

(١) المقتضب: ج ٢ ص ٢٦.

(٢) راجع الجمل في النحو للفراهيدي: ص ٦٨.

(٣) الكتاب: ج ١ ص ٤٩٧.

(٤) معاني القرآن: ج ١ ص ٢٢٩.

(٥) تفسير مجاهد: ص ٢٠١، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٢٠٣.

تتركون الاعتراف به، وأنتم تعرفونه أي تجحدون ما تعلمون. وجحد المعاند أعظم من جحد الجاهل .

ومن قال هذا لا يلزمه ما يتعلق به أهل التعارف من هذه الآية، من قولهم: إن الله أخبر أنهم يكتُمون الحق وهم يعلمون؛ لأنه إذا خصَّ الخطاب بالرؤساء - وهم نفر قليل - فقد جَوَّز على مثلهم العناد والاجتماع على الكتمان، وإنما يمنع مع ذلك في الجماعة الكثيرة، لما يرجع إلى العادات واختلاف الدواعي، كما قيل في الفرق بين التواطي والاتفاق في العدد الكثير. وقال بعضهم: وأنتم تعلمون البعث والجزاء .

فان قيل: كيف يصح ذلك على أصلكم الذي تقولون: إن من عرف الله لا يجوز أن يكفر؟ وهؤلاء إذا كانوا كفاراً، وماتوا على كفرهم، كيف يجوز أن يكونوا عارفين بصفة محمد، وأنه حق بما معهم من التوراة، وذلك مبني على معرفة الله، وعندكم ما عرفوا الله؟

[قلنا]: إن الذي يمنع أن يكفر من عرف الله، إذا كان معرفته على وجه يستحقُّ بها الثواب فلا يجوز أن يكفر؛ لأنه يؤدي إلى اجتماع الثواب الدائم على إيمانه والعقاب الدائم على كفره، والاحباط باطل. وذلك خلاف الاجماع، ولا يمتنع أن يكونوا عرفوا الله على وجه لا يستحقُّون به الثواب؛ لأن الثواب إنما يستحق بأن يكونوا [نظروا من الوجه الذي وجب عليهم، فأما إذا نظروا]^(١) بغير ذلك، فلا يستحقون الثواب فيكونوا على هذا عارفين بالله وبالكتاب الذي أنزله على موسى، وعارفين بصفات النبي صَلَّى الله عليه وآله، لكن لا يؤمنون [ولا يكونوا] مستحقين الثواب. وعلى هذا يجوز

(١) ما بين المعقوتين ساقط من النسخة الخطية وأثبتناه من المطبوعة.

أن يكفروا .

وفي الناس من قال: استحقاقهم الثواب على إيمانهم مشروط بالموافاة، فإذا لم يوافوا به لم يستحقوا الثواب، فعلى هذا أيضاً يجوز أن يكونوا عارفين، وإن لم يكونوا مستحقين لثواب يبطل بالكفر. والمعتمد الأول .

وقال قوم: الآية متوجهة إلى المنافقين منهم، وكان خلطهم الحق بالباطل ما أظهرها بلسانهم من الإقرار بالنبي صلى الله عليه وآله بما يستبطنونه من الكفر. وهذا يمكننا الاعتماد عليه، ويكون قوله: «وأنتم تعلمون» معناه أنكم تعلمون أنكم تظهرون خلاف ما تبطنونه. وهذا أسلم من كل وجهٍ على أصلنا .

ويمكن أن يقال: معنى قوله: «وأنتم تعلمون» أي عند أنفسكم؛ لأنهم إذا كانوا يعتقدون أنهم عالمون بالتوراة وبأنه من عند الله وفيها ذكر النبي فهم عالمون عند أنفسهم بنبوته لكن يكابرون .

قوله تعالى:

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ آية بلا خلاف .

اللغة:

الصلاة في أصل اللغة الدعاء، قال الشاعر:

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي نوماً فان لجنب المرء مضطجعاً^(١)
أي دعوت، وقال آخر:

وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم^(٢)

(١) البيت للأعشى، انظر ديوانه: ص ١٠٦.

(٢) البيت أيضاً للأعشى، انظر ديوانه: ص ١٩٦ من قصيدة يمدح فيها قيس بن معد يكرب. وأما

أي ودعا، وقيل: أصلها اللزوم من قول الشاعر:
 لم أكن من جناتها علم الله واني لحرتها اليوم صال^(١)
 أي ملازم لحرها، فكان معنى الصلاة ملازمة العبادة على الحدة الذي أمر
 الله عز وجل، وقيل: بل أصلها الصلا وهو عظم العجز لرفعه في الركوع
 والسجود، من قول الشاعر:

فآب مصلوهم بعين جليّة وغودر بالجولان حزم ونائل^(٢)
 أي الذين جاؤوا في صلا السابق. والقول الأول أقرب إلى معنى الصلاة في
 الشرع، وقد بيّنا معنى إقامة الصلاة فيما مضى^(٣)، فلا وجه لاعادته.

وقوله: «وأتوا الزكاة» فالزكاة والنماء والزيادة نظائر في اللغة، ونقيض
 الزيادة النقصان، ويقال: زكا يزكو زكاء، وتركى تركيةً، قال صاحب
 العين: الزكاة زكاة المال وهو تطهيره، ومنه زكى يزكي تركيةً، والزكاة زكاة
 الصلاح، تقول: رجل تقي زكي، ورجال أتقياء أذكاء، والزرع زكا زكأً
 (ممدود) وكل شيء يزداد وينمو فهو يزكو زكاء، وتقول: هذا لا يزكو بفلان
 أي لا يليق به^(٤)، قال الشاعر:

المال يزكوبك مستكثراً يختال قد أشرق للمناظر^(٥)
 ومصدر الزكاة ممدود، ويقال: إن فلاناً لزكا النقد أي حاضره وعتيده،

عبارة «وقال آخر» فهي مثبتة في الخطبة والمطبوعة، ولعلّ «آخر» زيادة من النسخ.

(١) الأغاني: ج ٤ ص ١٤٥، وقائله الحارث بن عباد.

(٢) البيت للناطقة الديباني، انظر ديوانه: ص ٢١٢.

(٣) راجع الجزء الأول: ص ٣٧٢.

(٤) العين: مادة «زكو» ج ٥ ص ٣٩٤.

(٥) تهذيب اللغة: مادة «زكا» ج ١٠ ص ٣٢٠.

والزكا الشفع، قال الشاعر:

كانوا خساً أوزكاً من دون أربعة لم يخلقوا وجدود الناس تعتليج^(١)
والخسا الوتر. وأصل الباب النمو، والزكاة تنمي المال بالبركة التي يجعل
الله فيه. وسُمي بالزكاة في الشريعة، ما يجب إخراجها من المال؛ لأنه نماء ما
يبقى ويثمر. وقيل: بل مدح لما يبقى لأنه زكي أي مطهر، كما قال: «أقتلت
نفساً زكية بغير نفس»^(٢) أي طاهرة.

وقوله: «واركعوا» فالركوع والانحناء والانخفاض نظائر في اللغة، يقال:
ركع ورفع، قال الشاعر:

لا تهين الفقير علك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه^(٣)
قال أبو زيد: الراكع الذي يكبوع على وجهه، ومنه الركوع في
الصلاة^(٤)، قال الشاعر:

وأفلت حاجب فوق العوالي على شقاء تركع في الطراب^(٥)
والركعة الهوة في الأرض - لغة يمانية. قال صاحب العين: كل شيء
ينكب لوجهه فتمس ركبته الأرض أولاً تمس بعد أن يطأ طيء رأسه فهو
راكع^(٦) قال الشاعر:

ولكني أنص العيس تدمى أياطلها وتركع بالحرزون^(٧)

(١) البيت منسوب للدبيرة، ذكره الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «خسا» ج ٧ ص ٤٨٥.

(٢) الكهف: ٧٤.

(٣) البيت للأصمطي بن قريع الأسدي، انظر تهذيب اللغة: مادة «ركع» ج ١ ص ٣١٢.

(٤) جمهرة اللغة: مادة «رَعَكَ» ج ٢ ص ٣٨٥، ولم ينسبه لأحد.

(٥) قاله «بشر بن أبي حازم الاسدي» انظر جمهرة اللغة: مادة «رَعَكَ» ج ٢ ص ٣٨٥.

(٦) العين: مادة «ركع» ج ١ ص ٢٠٠.

(٧) نسبة في العين مادة «ركع» ج ١ ص ٢٠١ للبيد، ولم نجده في ديوانه المطبوع.

وقال لبيد:

أخبر أخبار القرون التي مضت أدب كأني كلما قمت راع (١)
 وقيل: إنه مأخوذ من الخضوع، ذهب اليه الفضل بن سلمة (٢)
 والأصمعي (٣) (٤)، قال الشاعر:
 لا تهين الفقير علك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه
 والأول أقوى، لأن هذا مجاز مشبّه به .

التفسير:

وقوله: «واركعوا مع الراكعين» إنما خص الركوع بالذكر من أفعال الصلاة، لما قال بعض المفسرين: إن المأمورين هم أهل الكتاب، ولا ركوع في صلاتهم وكان الأحسن ذكر المختصّ دون المشترك؛ لأنه أبعد عن اللبس (٥) .

وقيل: لأنه يعبر بالركوع عن الصلاة، يقول القائل: فرغت من ركوعي

(١) ديوانه: ص ٨٩.

(٢) هو أبو سلمة الفضل بن سلمة بن جرير الجهني، حافظ من علماء المالكية، توفي في بجانة سنة ٣١٩ هـ .

(الأعلام: ج ٥ ص ١٤٩).

(٣) أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن قرية الاصمعي راوية العرب واحد علماء اللغة والشعر، والاصمعي نسبة الى جده الاصمعي، مولده ووفاته في البصرة، كان الرشيد يسميه شيطان الشعر له عدة كتب. توفي سنة ٢١٦ هـ .

(وفيات الأعيان: ج ٢ ص ٣٤٤، الأعلام: ج ٤ ص ١٦٢).

(٤) نقل قولها الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١١٤.

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٠٣.

أي من صلاتي، وإنما فعل ذلك ؛ لأنه أول ما يشاهد مما يدل على أن الانسان في الصلاة، لأننا بينا أن أصل الركوع الانحناء .

فان قيل : كيف أمروا بالصلاة والزكاة وهم لا يعرفون حقيقة ما في الشريعة؟

قيل : إنما أمروا بذلك ؛ لأنهم أُحيلوا فيه على بيان الرسول اذ قال : «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»^(١)، ولذلك جاز أن يأمرهم بالصلاة على طريق الجملة، ويحيلهم في التفصيل الى بيان الرسول صلى الله عليه وآله وقد بينا تفصيل ما ورد الشرع به من الصلاة والزكاة وفرائضها وسنها في كتاب النهاية والمبسوط وغيرهما من كتبنا في الفقه، فلا نطول بذكره في هذا الكتاب .

وقد ورد في القرآن على طريق الجملة آي كثير نحو قوله : «أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة»، وقوله «فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً»^(٢)، وقوله : «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى»^(٣)، وقوله : «قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون»^(٤). ويمكن الاستدلال بهذه الآيات على وجوب جميع الصلوات، وعلى صلاة الجنائز، وصلاة العيدين، وعلى وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله في التشهد؛ لأنه عام في جميع ذلك .

فان قيل : قوله : «وأقيموا الصلاة» دخل فيها الركوع فلم قال :

(١) الحشر: ٧.

(٢) النساء: ١٠٣.

(٣) البقرة: ٢٣٨.

(٤) المؤمنون: ٢٠١.

«واركعوا» هل هذا إلا تكرار؟

قلنا: قد ثبت أن هذا خطاب لأهل الكتاب، وليس في صلاتهم ركوع، فكأنه أمرهم بالصلاة على ما يرون هم، وأمرهم بضم الركوع إليها. ومعنى قوله: «اركعوا» أي صلّوا نقول: إن ذلك تأكيد، ويمكن أن يقال فيه فائدة، وهو أن يقال: إن قوله: «أقيموا الصلاة» إنما يفيد وجوب إقامتها، ويحتمل أن يكون إشارة إلى صلاتهم التي يعرفونها. ويمكن أن يكون إشارة إلى [الصلاة] ^(١) الشرعية، فلما قال: «واركعوا مع الراكعين» يعني مع هؤلاء المسلمين الراكعين، تخصصت بالصلاة في الشرع، ولا يكون تكراراً بل يكون بياناً.

وقيل: قوله: «واركعوا مع الراكعين» حث على صلاة الجماعة ^(٢) لتقدم ذكر الصلاة المنفردة في أول الآية.

قوله تعالى:

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ آية .

المعنى:

كل طاعة لله تعالى فلا خلاف أنها تسمى براً. واختلفوا في المراد بهذه الآية، فقال ابن عباس: المراد به التمسك بكتابهم، فكانوا يأمرُونَ أتباعهم، ويتركُونَ هم التمسك به؛ لأن جحدهم النبي عليه السلام هو تركهم التمسك

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الخطية واثبتناه من المطبوعة.

(٢) تفسير ابن عباس: ص ٨.

به (١) .

وقال قتادة: كانوا يأمرون الناس بطاعة النبي عليه السلام ويخالفون ذلك (٢) . وقال قوم: إن معناه أنهم كانوا يأمرون ببذل الصدقة ويضنون بها (٣) . وقال بعضهم: البر الصدق (٤) من قولهم: صدق وبر، ومعناه: أنهم يأمرون بالصدق ولا يصدقون .

اللغة :

والبر- في أصول اللغة- والصلة والاحسان نظائر، يقال: هوبار وصول محسن. وضد البر العقوق، وقال ابن دريد: البر ضد العقوق، ورجل بار وبر بمعنى واحد، وبرت يمينه إذا لم يحنث، وبر حجته، وبر (لغتان) والبر خلاف البحر، والبر معروف أفصح من الحنطة والقمح، واحده برة (٥)، قال الهذلي:

لادرّ دري إن أطعمت نازلهم قرف الحتي وعندي البر مكنوز (٦)
الحتي ردي المقل خاصة، ومن أمثالهم: لا يعرف الهر من البر، واختلفوا في هذا المثل، فقال الرماني: الهر السّور، والبر الفارة في بعض اللغات أو

(١) تفسير ابن عباس: ص ٨، ونقله بالمضمون الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٠٣.

(٢) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٠٤، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١١٤. وفيها: «بطاعة الله» بدل «بطاعة النبي».

(٣) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١١٤.

(٤) راجع العين: مادة «بر» ج ٨ ص ٢٥٩.

(٥) جهرة اللغة: مادة «برر» ج ١ ص ٢٧.

(٦) جهرة اللغة: مادة «بَرَر» ج ١ ص ٢٧، وفيه: «رائدهم» بدل «نازلهم»

دويبة تشبهها^(١). وقال الاخفش: معناه لا يعرف من يبره ممن يهر عليه^(٢). وقوم برة أبرار والمصدر البر، ويقال: صدق وبر، وبرت يمينه أي صدقت، وكانت العرب تقول: فلان يبرربه أي يطيعه، قال الراجز:

لاهم إن بكرأ دونكا يبرك الناس ويفجرونكا^(٣)
والابرار: الغلبة، يقال: أبر عليهم فلان، قال طرفة:

* ويبرون على الآي المبر^(٤) *

والبربرة كثرة الكلام، والجلبة باللسان، وأصل الباب كله البر وهو اتساع الخير. والفرق بين البر والخير: إن البر يدل على القصد، والخير قد يقع على وجه السهولة.

اللغة:

قوله: «وتنسون أنفسكم».

فالنسيان والغفلة والسهو نظائر. وضد النسيان الذكر، تقول: نسي نسياناً، وأنساه إنساءً، وتناساه تناسياً، وفلان نسي كثير النسيان، والنسي والمنسي الذي ذكره الله تعالى: «وكنتم نسياً منسياً»^(٥) وسمي الانسان إنساناً إشتقاقاً من النسيان، وهو في الأصل إنسيان، وكذلك إنسان العين،

(١) لا يوجد لدينا كتابه.

(٢) أنظر الصحاح: مادة «برر» ج ٢ ص ٥٨٨، والبر: صوت المعزى، والمهر: صوت الضأن.

(٣) تهذيب اللغة: مادة «عشج» ج ١ ص ٣٥٤، وورد شطراً منه في العين: مادة «بر» ج ٨ ص ٢٥٩.

(٤) ديوانه: ص ٦٧، وتام البيت هكذا:

يكشفون الضرعن ذي ضرهم ويُبْرُونَ على الآي المبر

(٥) مريم: ٢٣.

والجمع أناسي، والنساء عرق سيق بين الفخذين فيستمر في الرجل وهما نسيان، والجمع أنساء، وهو في الفخذ، ويسمى في الساق: الطفل، وفي البطن: الحالين، وفي الظهر: الأبر، وفي الحلق: الوريد، وفي القلب: الوتين، وفي اليد: الأكحل، وفي العين: الناظر، يقال: هونهر الجسد لأنه يمد جميع العروق .

وأصل الباب النسيان ضد الذكر، وقوله: «نسوا الله فنسيهم»^(١) أي تركوا طاعته فترك ثوابهم، ويقال: آفة العلم النسيان، والمذاكرة تحيي العلم، وحّد النسيان: غروب الشيء عن النفس بعد حضوره لها . والفرق بين النسيان والسهو: إن السهو يكون ابتداءً وبعد الذكر، والنسيان لا يكون إلا بعد الذكر. والنسيان والذكر معاً من فعل الله تعالى؛ لأن الإنسان يجتهد أن يذكر شيئاً فلا يذكره .

المعنى:

ومعنى قوله: «وتنسون أنفسكم» أي تتركونها، وليس المراد بذلك ما يضاد الذكر؛ لأن ذلك من فعل الله لا ينهاهم عنه .

فان قيل: إذا كان الواجب عليهم مع ترك الطاعة والاقامة على المعصية الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية، فكيف قيل لهم هذا القول؟

قلنا: في أمرهم بالطاعة ونهيهم عن المعصية تعظيم لما يرتكبونه من معصية الله تعالى؛ لأن الزواجر كلها كانت أكثر كانت المعصية أعظم، ففي نهيم لغيرهم زواجر، فهو توبيخ على عظيم ما ارتكبوا من ذلك .

اللغة :

وقوله: «وانتم تتلون الكتاب» .

فالتلاوة والقراءة والدراسة نظائر، يقال: فلانٌ يتلو تلاوة فهو تالٍ أي تابع، والمتالي الأمهات إذا تلاهن الأولاد، والواحد متل، وناقاة متلية وهي التي تنتج في آخر النتاج .
وأصل الباب الاتباع، فتسمى التلاوة بذلك لا تباع بعض الحروف فيها بعضاً .

والفرق بين التلاوة والقراءة: إن أصل القراءة جمع الحروف، وأصل التلاوة اتباع الحروف، وكل قراءة تلاوة وكل تلاوة قراءة. وحدّ الرمانى التلاوة ما به صوت يتبع فيه بعض الحروف بعضاً^(١) .

المعنى :

والكتاب الذي كانوا يتلونهُ التوراة، على قول ابن عباس وغيره^(٢) .
وقال أبو مسلم: كانوا يأمرُون العرب باتباع الكتاب الذي في أيديهم، فلما جاءهم كتاب مثله لم يتبعوه^(٣) .

اللغة :

وقوله: «أفلا تعقلون» .

فالعقل والفهم واللب والمعرفة نظائر، يقال: فلانٌ عاقلٌ فهمٌ أديبٌ ذو

(١) لا توجد لدينا مؤلفاته .

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٠٤ .

(٣) لم نعر عليه في المصادر المتوفرة لدينا .

معرفة، وضد العقل الحمق، يقال: عقل الشيء عقلاً، وأعقله غيره إعتقلاً، ويقال: اعتقله اعتقلاً، وانعقل انعقلاً. وقيل لابن عباس: أنى لك هذا العلم؟ قال: قلبٌ عقولٌ ولسانٌ سُؤولٌ^(١). ويقال: عقلت بعد الصبا أي عرفت الخطأ الذي كنت فيه.

وقال صاحب العين: العقل ضد الجهل، يقال: عقل الجاهل إذا علم، وعقل المريض بعد ما هجر، وعقل المعتوه ونحوه، والعقال الرباط، ويقال: عقلت البعير أعقله عقلاً إذا شددت يده بالعقال، وإذا أخذ صدقة الأبل تامةً لسنةٍ يقال: أخذ عقلاً وعقالين لسنةٍ وعقلاً لجماعة، وقال الشاعر:

سعى عقلاً فلم يترك لنا سبداً فكيف لو قد سعى عمرو عقالين
لاصبح الناس أوباداً وما وجدوا يوم التحمل في الهيجا جمالين^(٢)

قال المبرد: يقال للمصدق إذا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثمنه: أخذ عقلاً، وإذا أخذ قيمته قيل: أخذ نقداً^(٣). والعقيلة من النساء التي قد عُقلت في بيتها أي حبست في بيتها وخدّرت، والجمع عقائل، والدة عقيلة البحر، وعقيلة كل شيء أكرمه، وعُقل القتيل إذا أوديت ديته من القرابة لا من القبائل، والعقل في الرجل اصطكاك الركبتين، والعقل ثوب أحمر تتخذه نساء العرب، والمعقول هذا العقل عند قوم، قال الراعي^(٤):

(١) لم نعر عليه.

(٢) تهذيب اللغة: مادة «عقل» ج ١ ص ٢٣٩، والشاعر «عمرو بن العذاء الكلبي». ونقل البيت الاول العين: مادة «عقل» ج ١ ص ١٥٩.

(٣) حكاه ابن الأثير بلفظة «قيل» في النهاية: ج ٣ ص ٢٨٠.

(٤) وهو عبيد بن حصين الراعي من رجال العرب ووجه قومه، وكان مع ذلك بذياً هجاءً

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحمًا ولا لفؤاده معقولا^(١)
والعقل والمعدل وهو الحصن، وجمعه: عقول، والعاقول من النهر والوادي،
ومن الامور أيضاً الملتبس وما اعوج منه، وعقل الدواء بطنه أي حبسه وقولهم:
لا يعقل حاضر لباد، قال ابن دريد: معناه أن القتل إذا كان بالبادية فان
أهلها يتعاقلون بينهم الدية، ولا يلزمون أهل الحضر من بني اعمامهم شيئاً، وفي
الحديث: (انا لا نتعاقل المضيع) يعني ما سهل من الشجاج، بل يلزم
الجاني^(٢). وعاقلة الرجل بنوعه الأذنون، لأنهم كالمعدل له .

وأصل الباب العقل الذي هو العقد، والعقل مجموع علوم لأجلها يمتنع
من كثير من القبائح ويفعل كثيراً من الواجبات. وقال الرماني: العقل هو
العلم الأول الذي يزجر عن قبيح الفعل، وكل من كان زاجره أقوى كان
عقله أقوى^(٣). وقيل: العقل معرفة يفصل بها بين القبيح والحسن في
الجملة. وقيل: العقل قوة يمكن معها الاستدلال بالشاهد على الغائب.
وهذه العبارات قريبة المعاني مما ذكرناه .

والفرق بين العقل والعلم: إن العقل قد يكمل لمن فقد بعض العلوم،
كفقد من كمل عقله العلم بأن هذه الرمانة حلوة أو حامضة، ولا يكمل
العلم لمن فقد بعض عقله .

لعشيرته، ضافه يوماً رجلاً من بني كلاب في سنة حصاء ولم يحضره قرئى، وكان الكلاني على
ناب له فأمر الراعي ابن أخ له يقال له حبر فنحرها فأطعمها إياه ولا يعلم الكلاني، فغيره بنو
عم له من قومه .

(طبقات الشعراء: ص ١١٧).

(١) لم نعر عليه.

(٢) جهرة اللغة: ج ٣ ص ١٢٩، وفيه «المُضغ» بدل «المضيع».

(٣) مؤلفاته مفقودة.

فان قيل : إذا كان العقل مختلفا فيه، فكيف يجوز أن يستشهد به؟
 قيل : الاختلاف في ماهية العقل لا يوجب الاختلاف في قضاياه، ألا
 ترى أن الاختلاف في ماهية العقل، حتى قال بعضهم: معرفة، وقال
 بعضهم: قوة، لا يوجب الاختلاف في أن الألف أكثر من الواحد، وأن
 الموجود غير المعدوم، وغير ذلك من قضايا العقل .

قوله تعالى:

وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا كَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ آية واحدة .

قال الجبائي: هذا خطاب للمؤمنين دون أهل الكتاب^(١). وقال
 الطبري والرماني : هو خطاب لأهل الكتاب، ويتناول المؤمنين على وجه
 التأديب^(٢). والأقوى أن يكون خطاباً لجميع من هو بشرائط التكليف،
 لفقد الدلالة على التخصيص، واقتضاء العموم ذلك . فمن قال: إنه خطاب
 لأهل الكتاب، قال: لأنه قال: واستعينوا على الوفاء بعهدي الذي
 عاهدتكم في كتابكم عليه من طاعتي واتباع أمري واتباع رسولي، وترك ما
 نهيتكم عنه، والتسليم لأمري ولمحمد صلى الله عليه وآله بالصبر والصلاة .

اللغة :

وأصل الصبر هو منع النفس محابها وكفها عن هواها، ومنه الصبر على
 المصيبة، لكفه نفسه عن الجزع . وقيل لشهر رمضان: الصبر، لصبر صائمه عن
 الطعام والشراب نهائراً، وصبرت إياهم صبرة حبسه لهم وكفه إياهم عنه ،

(١) لم تتوفر لدينا مؤلفاته .

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٠٦ .

كما يصبر الرجل القتل فيحبسه عليه حتى يقتله صبراً، يعني حبسه عليه حتى قتله .

والمقتول مصبور، والقاتل صابر، والصبر واللبث والحبس نظائر، والصبر ضد الجزع، وأنشد أبو العباس^(١):

فان تصبرا فالصبر خيرٌ معيشة وإن تجزعا فالأمر ما تريان
ويقال : صبر صبراً، وتصبر تصبراً، واصطبر اصطباراً، وتصابر تصابراً،
وصابره مصابرة، قال صاحب العين: الصبر نصب الانسان للقتل فهو مصبور،
يقال: صبروه أي نصبوه للقتل، ويقال: صبرته أي حلفته بالله جهد نفسه،
وكل من حبسته لقتل أو يمين فهو قتل صبر، ويمين صبر .

والصبر عصارة شجر معروف، والصبار تمر الهند، وصبر الاناء ونحوه
نواحيه، وأصبار القبر نواحيه، والصبرة من الحجارة ما اشتدَّ وغلظ، والجمع
الصَّبَار، وأم صبار هي الداهية الشديدة، وصبر كل شيء أعلاه، وصبر
القوم الذي يصبر معهم في أمرهم، وصبر الخوان رقاقة غليظة تبسط تحت ما
يؤكل من الطعام، وتقول: اشتريت الشيء بلا صبر أي بلا كيل، والصبر
الكفيل^(٢).

واصل الباب الصبر الذي هو الحبس .

المعنى:

والصبر خلق محمود أمر الله تعالى به ودلَّ عليه، فقال: «واصبر وما

(١) لم نعثر عليه في المصادر المتوفرة لدينا .

(٢) العين: مادة «صبر» ج ٧ ص ١١٥-١١٧ .

صبرك إلّا بالله»^(١) وقال: «اصبروا وصابروا»^(٢) وقال: «وبشر الصابرين»^(٣) وقال: «واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور»^(٤) وفي الحديث: (اقتلوا القاتل واصبروا الصابر)^(٥) وذلك فيمن أمسكه حتى قتله آخر فأمر بقتل القاتل وحبس الممسك .

والصبر المأمور به في الآية قيل فيه قولان: أحدهما: الصبر على طاعته واجتناب معصيته. والثاني: أنه الصوم^(٦) .

وفي الصلاة -هاهنا- قولان: أحدهما: الدعاء. والثاني: أنها الصلاة الشرعية ذات الركوع والسجود^(٧) .

وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا أحزنه أمر استعان بالصلاة والصوم، ووجه الاستعانة بالصلاة لمكان ما فيها من تلاوة القرآن والدعاء والخضوع لله تعالى والاختبات؛ فإنّ في ذلك معونة على ما تنازع اليه النفس من حب الرياسة والانفة من الانقياد الى الطاعة .

والضمير في قوله: «وانها لكبيرة» عائد على الصلاة عند أكثر المفسرين^(٨) . وقال قوم: عائد الى الاجابة للنبي عليه السلام^(٩) وهذا

(١) النحل: ١٢٧.

(٢) آل عمران: ٢٠٠.

(٣) البقرة: ١٥٥.

(٤) لقمان: ١٧.

(٥) السنن الكبرى: ج ٨ ص ٥١.

(٦) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٠٥.

(٧) تفسير الطبري: ج ١ ص ٨٠.

(٨) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٠٦.

(٩) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٠٦، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١١٦.

ضعيف؛ لأنه لم يجر للإجابة ذكر ولا هي معلومة إلا بدليل غامض، وليس ذلك كقوله: «إنا أنزلناه»^(١) لأن ذلك معلوم.

ورد الضمير على واحد وقد تقدم ذكر شيئين، فيه قولان:

أحدهما: أنها راجعة الى الصلاة دون غيرها على ظاهر الكلام لقربها منه، ولأنها الأهم والأفضل، ولتأكيد حالها وتفخيم شأنها وعموم فرضها.

والآخر: أن يكون المراد الاثنين وإن كان اللفظ واحداً، كقوله: «والله ورسوله أحق أن يرضوه»^(٢) قال الشاعر:

أما الوسامة أو حسن النساء فقد أوتيت منه أو أنّ العقل محتك^(٣)
وقال البرجمي^(٤):

فن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب^(٥)

(١) يوسف: ٢، والدخان: ٣، والقدر: ١.

(٢) التوبة: ٦٢.

(٣) أوردته الأخفش في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٥٣ ولم ينسبه لأحد.

(٤) البرجمي: ضابئ بن الحارث البرجمي بن بني غالب بن حنظلة: شاعر، خبيث اللسان، كثير الشعر، عُرف بالجاهلية وأدرك الاسلام، فعاش بالمدينة الى أيام عثمان، وكان مولعاً بالصيد، وله خيل وكان ضعيف البصر، سجنه عثمان لقتله صبياً بدايته، ثم إنه تخلص من السجن. وقد كان استعار كلباً من قوم من بني نهشل فحبس الكلب حولاً، ثم جاؤوا يطلبون كلبهم وألحوا عليه حتى أخذوه منه فهجاهم، ورمى أهم بالكل فقال:

تَجَسَّمْ دُونِي وَفَدُّ فُرْحَانِ شُمَّةً تَطْلُ بِهَا الْوَجَنَاءُ وَهِيَ حَسِيرُ
فَأَرْدَفْتُمُهمْ كِلَاءً فَرَاخُوا كَأَنَّمَا حَبَاهُمْ بِتَاجِ الْهُرْمَزَانِ أَمِيرُ
فَأَمْكُمْ لَا تَتْرَكُوها وَكَلْبِكُمْ فَإِنَّ عَقُوقَ الْوَالِدَاتِ كَبِيرُ

فأعاده عثمان الى السجن لهجائه قوم بني النهشل وبقي فيه الى ان مات سنة ٣٠ هـ.

(طبقات الشعراء لابن سلام: ص ٤٠، والشعر والشعراء لابن قتيبة: ص ٢٠٢، والأعلام:

ج ٣ ص ٢١٣، والكامل في التاريخ: ج ٣ ص ١٨٢).

(٥) نقله ابن سلام في طبقات الشعراء: ص ٤٠، وابن قتيبة في الشعر والشعراء: ص ٢٠٤،

وقال ابن أحر^(١):

رماني بأمرٍ كنت منه ووالدي برياً ومن طول الطوي رماني^(٢)
وقال آخر:

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف^(٣)
وقوله: «واذا رأوا تجارة أو لهواً انفصوا إليها»^(٤)، قال قوم: اللفظ واحد والمراد به اثنان^(٥). وقال الفراء: راجع الى التجارة لأن تجارة جاءت فضربوا بالطليل فانصرف الناس اليها^(٦).

والاستعانة في الآية المأمور بها على ما تنازع اليه نفوسهم من حب الرياسة وغلبة الشهوة للذة العاجلة، والاستعانة بالصبر على المشقة بطاعة الله.

والأخفش في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٥٤.

(١) ابن أحر: عمرو بن أحر بن العمرّد من شعراء الجاهلية المعدودين، وكان ينزل الشام، وقد أدرك الإسلام وأسلم، وقال في الجاهلية والاسلام شعراً كثيراً، وكان أعور، رماه رجل يقال له فحشئ بسهم فذهبت عينه، فقال:

شَلْتُ أَنَامِلُ فحشئٌ فلا تجبرت ولا استعانَ بضاحي كَفَّه أبدأ
أهوى لها مشقصاً حشراً فشبّرقها وكنت أدعو قذاها الاثمد القيردا
عاش نحو ٩٠ سنة، ومات سنة ٦٥ هـ.

(الأغاني: ج ٨ ص ٢٣٤، الشعر والشعراء: ٢٠٧).

(٢) سيبويه: ج ١ ص ٥١، ومعاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٤٥٨، ومعاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٢٥٣، وفيها الشطر الثاني هكذا: برئياً ومن أجل الطوي رماني.

(٣) الشعر لقيس بن الخطيم، ديوانه: ص ٢٣٩.

(٤) الجمعة: ١١.

(٥) راجع اعراب القرآن للزجاج: ج ٢ ص ٧٦٣، وج ٣ ص ٧٨٧.

(٦) معاني القرآن: ج ٣ ص ١٥٧.

ومعنى «الكبيرة» هاهنا أي ثقيلة عند الحسن والضحاك (١). وأصل ذلك ما يكبر ويثقل على الانسان حمله، كالأحمال الجافية التي يشق حملها، فقليل لما يصعب على النفس وان لم يكن من جهة الحمل: يكبر عليها، تشبيهاً بذلك.

اللغة:

وقوله: «إلّا على الخاشعين».

فالخشوع والخضوع والتذلل والاخبات نظائر، وضد الخضوع الاستكبار، يقال: خشع خشوعاً، وتخشع تخشعاً، قال صاحب العين: خشع الرجل يخشع خشوعاً إذا رمى ببصره الى الأرض، واختشع إذا طأطأ رأسه كالمتواضع. والخشوع قريب المعنى من الخضوع، إلّا أن الخضوع في البدن وهو الاقرار بالاستخدام، والخشوع في الصوت والبصر، قال الله تعالى: «خاشعة أبصارهم» و«خشعت الأصوات للرحمن» أي سكنت (٢).

وأصل الباب من اللين والسهولة من قولهم: نقاً خاشعاً للأرض التي غلبت عليها السهولة، والخاشع الأرض التي لا يهتدى إليها بسهولة لمحو الرياح آثارها، والخاشع والمتواضع والمتذلل والمسكين بمعنى واحد، قال الشاعر:

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع (٣)

(١) تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٩٤، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٢٠٦.

(٢) العين: مادة «خشع» ج ١ ص ١١٢.

(٣) البيت لجرير، ديوانه: ص ٢٧٠.

وخاشع صفة مدح لقوله: «والخاشعين والخاشعات»^(١).
 وإنما خصّ الخاشع بأنها لا تكبر عليه؛ لأن الخاشع قد تواطأ ذلك له
 بالاعتقاد له والمعرفة بما له فيه، فقد صار بذلك بمنزلة ما لا يشقّ عليه فعله
 ولا يثقل تناوله، وقال الربيع بن أنس: «الخاشعين» في الآية الخائفون^(٢).
 قوله تعالى:

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ آية بلا خلاف .
 ان قيل: كيف أخبر الله عن وصفه بالخشوع بالطاعة، ومدحهم بذلك
 بأنهم يظنون بأنهم ملاقورهم، وذلك مناف لصفة المدح؟
 قلنا: الظن المذكور في الآية المراد به العلم واليقين، قال دريد بن
 الصمة^(٣):

فقلت لهم ظنوا بألني مدجع سراتهم في الفارسيّ المسرد^(٤)
 وقال عمير بن طارق^(٥):
 بان يعتزوا قومي واقعد فيكم واجعل مني الظنّ غيباً مرجها^(٦)

(١) الاحزاب: ٣٥.

(٢) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٠٦.

(٣) هو دريد بن الصمة بن الحارث من جشم، ويكنى أبا قرة، فارس شجاع، من شعراء
 الفرسان، أدرك الاسلام ولم يسلم، وقتل كافراً يوم حنين مظاهراً للمشركين، ولا فضل له في
 الحرب وإنما كان يخرج قومه تيمناً به ليقتبسوا من رأيه وينتفعوا بمشورته.
 (الأغاني: ج ١٠ ص ٣، والشعر والشعراء: ص ٤٧٠).

(٤) ديوانه: ص ٤٧.

(٥) لم نجد شاعراً يذكر بهذا الاسم في المراجع المتوفرة.

(٦) أورده الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٠٦.

وقال ابوداود^(١)

رَبِّ هُمْ فَرَجَتْهُ بِعِزِّمْ وَغُيُوبَ كَشَفَتْهَا بِظُنُونٍ^(٢)
وقال المبرد: ليس من كلام العرب: أَظَنَّ عند زيد مالاً، يريد: أعلم؛
لأن العلم المشاهد لا يناسب باب الظن، وقد أفصح في ذلك أوس بن حجر
في قوله:

الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا^(٣)
وقال آخر:

فالا ياتكم خبر يقين فإن الظن ينقص أويزيد^(٤)
وقال بعض الشيوخ: أصل الظن ما يجول في النفس من الخاطر الذي يغلب
على القلب، كأنه حديث النفس بالشيء، وتأول جميع ما في القرآن من معنى
العلم على هذا.

وقال الحسن وأبو العالية^(٥) ومجاهد^(٦) وابن جريج^(٧): «يظنون» أي
يوقنون، ومثله: «ظننتُ أني ملاقي حسابه»^(٨) أي علمت، ومثله: «وظنوا

(١) ابوداود الرؤاسي أحد بني رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، عدّه ابن سلام
في الطبقة العاشرة من الشعراء.

(٢) طبقات الشعراء: ص ١٥٠.

(٣) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١١٦.

(٤) تهذيب اللغة: مادة «لمع» ج ٢ ص ٤٢٤.

(٥) لم تعرف قائله.

(٦) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٠٧.

(٧) تفسيره: ص ٢٠١.

(٨) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٠٧.

(٩) الحاقّة: ٢٠.

أن لا ملجأ من الله إلا إليه»^(١) ومعناه استيقنوا، وقوله: «ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها»^(٢) يعني: علموا.

وقد جاء في القرآن الظن بمعنى الشك كقوله: «ان هم إلا يظنون»^(٣) وقوله: «إن الظن لا يغني من الحق شيئاً»^(٤).

وقال قوم: يحتمل قوله: «يظنون» وجهاً آخر، وهو أنهم يظنون أنهم ملاقو ربهم بذنوبهم لشدة اشفاقهم من الاقامة على معصية الله، وهذا وجه مليح وقد استبعده الرماني، وقال: لأن فيه حذفاً كثيرة، وليس بمنكر اذا كان الكلام محتملاً له.

وقيل أيضاً: الذين يظنون إنقضاء أجلهم وسرعة موتهم فيكونون ابدأ على حذر ووجل، كما يقال لمن مات: لقي الله.

والظن والشك والتجوز نظائر، إلا أن الظن فيه قوة على أحد الأمرين دون الآخر، وحده ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه أن يكون خلافه، فبالتجوز ينفصل من العلم، وبالقوة ينفصل من الشك والتقليد وغير ذلك.

وضد الظن اليقين، ويقال: ظن ظناً وتظن تظناً، وقال: «وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون»^(٥) وقوله: «وظننتم ظن السوء»^(٦) والظنين المتهم،

(١) التوبة: ١١٨.

(٢) الكهف: ٥٣.

(٣) الجاثية: ٢٤.

(٤) يونس: ٣٦.

(٥) القصص: ٣٩.

(٦) الفتح: ١٢.

ومصدره الظنة، والظنون الرجل السيء الظن بكل أحد، والظنون القليل الخير، والتظنّي والتظنن بمعنى واحد، والظنون البئر التي يظن أن بها ماء ولا يكون فيها شيء، ومظنة الرجل ومظانّه حيث يألفه فيكون فيه .

ومعنى قوله: «انهم ملاقو رهم» أي ملاقو جزاء رهم، فجعل ملاقة الجزء ملاقة له تفخيماً وتعظيماً لشأن الجزاء. وأصل الملاقة الملاصقة، من قولك: التقى الحدّان أي تلاصقا، ثم كثر حتى قالوا: التقى الفارسان اذا تحاذيا ولم يتلاصقا .

ومثل ما قلنا في قوله: «ملاقو ربّهم» قوله تعالى: «فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقىونه»^(١) معناه يوم يلقون جزاءه؛ لأن المنافقين لا يرون الله عند أحد من أهل الصلاة، وكذلك قوله: «ولوترى إذ وقفوا على رهم قال ليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون»^(٢) معناه إذ وقفوا على جزاء رهم، لأنّ الكفار لا يرون الله عند أحد من الأمة . فان قيل : ما معنى الرجوع هاهنا وهم ما كانوا قط في الآخرة فيعودوا إليها؟

قيل : راجعون بالاعادة في الآخرة في قول أبي العالية^(٣). وقيل: يرجعون بالموت كما كانوا في الحال المستقدمة لأنهم كانوا أمواتاً ثم احيوا ثم يموتون فيرجعون أمواتاً كما كانوا. والأول أظهر وأقوى. وقيل: إنّ معناه: انهم راجعون الى أن لا يملك أحدهم ضرراً ولا نفعاً غيره تعالى كما كانوا في بدو الخلق؛ لأنّهم في أيام حياتهم قد يملك الحكم عليهم غيرهم، والتدبير

(١) التوبة: ٧٧.

(٢) الأنعام: ٣٠.

(٣) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٠٨.

لنفعهم وضرّهم بين ذلك، قوله: «مالك يوم الدين» ومعنى ذلك أنهم يقرّون بالنشأة الآخرة، فجعل رجوعهم بعد الموت الى المحشر رجوعاً اليه .

اللغة:

وأصل الرجوع العود الى الحال الأوّل، يقال: رجع الرجل ورجعته وهو أحد ما جاء على فعل وفعلته، ويحتمل أن يكون المراد أنهم اليه صائرون، كما يقول القائل: رجع الأمر الى فلان وان كان قط لم يكن له، ومعناه صار اليه. وحذفت النون من «ملاقوهم» عند البصريين تخفيفاً والمعنى على اثباتها^(١)، ومثله قوله: «انا مرسلو الناقة»^(٢) و«كل نفس ذائقة الموت»^(٣) قال الشاعر:

هل أنت باعث دينارٍ لحاجتنا أو عبد رب اخا عون بن مخراق^(٤)
ولو أردت معنى الماضي لتعرف الاسم بالاضافة، لم يجز فيه اظهار النون البتّة، واذا كان الفعل غير واقع كان إثبات النون هو الوجه دون الاضافة، فلو قيل: «ملاقون» كان صواباً، قال الأخفش: وجرى حذف النون هاهنا للاستثقال^(٥) كما قال الشاعر في قوله:

فانّ الذي حانت بفلجٍ دماؤهم هم القوم كلّ القوم يأُمّ خالد^(٦)

(١) نسب الأخفش ذلك الى العرب في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٥٤.

(٢) القمر: ٢٧.

(٣) آل عمران: ١٨٥، وغيرها.

(٤) البيت من أبيات سيبويه التي لم يعرف قائلها، أنظر الكتاب: ج ١ ص ١٠٧.

(٥) معاني القرآن: ج ١ ص ٢٥٧.

(٦) البيت كما مرّ في الجزء الأوّل للأشهب بن رميلة، الكتاب لسيبويه: ج ١ ص ١١٧، والعين:

فأسقط النون من (الذين) استثقلاً، وقال الأخطل^(١) :
ابني كليب إن عمي اللذا قتل الملوكة وفككا الأغلالا^(٢)
فأسقط النون. وقال الكوفيون: إذا حذف النون فاللفظ الاسم وإذا اثبت
وظهر النصب فالمعنى الفعل^(٣) .

قال الزجاج: ويجوز كسر الهمزة من قوله: «إنهم اليه راجعون» لكن لم
يقرأ به أحد على معنى الابتداء، ولا يجوز كسر إن الأولى لأن الظن وقع
عليها^(٤) .

قوله تعالى:

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾
آية .

المعنى :

قد مضى تفسير مثل هذا في ما تقدم فلا وجه لاعادته . وأما قوله:

مادة «ذا» ج ٨ ص ٢٠٩ .

(١) الأخطل: وهو غياث بن غوث من بني تغلب من قذوقس، ويكنى أبا مالك، وقال مسلمة بن
عبد الملك: ثلاثة لا أسأل عنهم أنا أعلم العرب بهم: الأخطل والفرزدق وجريز، فأما
الأخطل فيجيء سابقاً ابداً، وأما الفرزدق فيجيء مرة سابقاً ومرة ثانياً، وأما جريز فيجيء
سابقاً مرة وثانياً مرة، وسكناً مرة، وكان الأخطل يشبه من شعراء الجاهلية بالنابغة الذبياني.
دخل على كثير من الخلفاء والأمراء فدحهم بشعره، وله مناضرات كثيرة ومشهودة في كتب
الشعر والتراجم .

(الشعر والشعراء: ص ٣٠١).

(٢) ديوانه: ص ٢٤٨ .

(٣) ذكر ذلك سيبويه ولم ينسبه الى أحد، الكتاب: ج ١ ص ١١٧ .

(٤) معاني القرآن: ج ١ ص ١٢٧ .

«وإني فضلتكم على العالمين» ذكرهم الله تعالى من الآية ونعمه عندهم بقوله: «وإني فضلتكم على العالمين» فضلت أسلافكم، فنسب النعمة الى آبائهم وأسلافهم، لأنها نعمة عليهم منه، لأن مآثر الآباء مآثر الأبناء، والنعم عند الآباء نعم عند الأبناء لكون الأبناء من الآباء.

اللغة:

وقوله: «فضلتكم».

فالتفضيل والترجيح والتزويد نظائر، والتفضيل نقيضه التسوية، يقال: فضله وتنقصه على وجه النقص، ونقيض التزويد التنقيص، يقال: فضل فضلاً وافضل افضلأً، وتفضل تفضلاً، واستفضل استفضالاً، وتفاضلوا تفاضلاً، وفاضله مفاضلة، وفضله تفضيلاً، والمفضال اسم المفاضلة، والفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل، والتفضل التوشح، ورجل فضل متفضل، وامرأة متفضلة، وعليها ثوب فضل اذا خالفت بين طرفيه على عاتقها فتوشح به، قال الشاعر:

* اذا تُعَرَّدَ فيه القينةُ الفضلُ *^(١)

وافضل فلان على فلان اذا أناله من خيره وفضله وأحسن اليه، وأفضل فلان من الطعام والأرض والخبز اذا ترك منه شيئاً، لغة أهل الحجاز: فضل يفضل، ورجل مفضل كثير المعروف والخير، والفضائل واحدها فضيلة

(١) عجز بيتٍ للأعشى ورد في ديوانه ضمن لاميته المشهورة: ص ١٤٧، وفيه هكذا:

ومستجيبٌ تحال الصنج يسمعه

إذا تُرجِعَ فيه القينةُ الفضلُ

وهي المحاسن، والفواضل الأيادي الجميلة، المفضل ثوب تتحف به المرأة في بيتها والجمع مفاضل، وامرأة مفضل اذا كان عليها مفضل .
واصل الباب الزيادة. والافضال والاحسان والانعام نظائر، ويقال: فضله اذا أعطاه الزيادة، وفضله اذا حكم له بالزيادة .

التفسير:

فان قيل: لم كرّر قوله: «يا بني اسرائيل؟» قلنا: لأنه لما كانت نعم الله هي الأصل فيما يجب فيه شكره وعبادته احتيج الى تأكيدها، كما يقول القائل: اذهب اذهب، اعجل اعجل، وغير ذلك في الأمر المهم، وايضاً فان التذكير الأول ورد مجملأً، وجاء الثاني مفصلاً، كأنه قال: اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم فيما انتم عليه من المنافع التي تتصرفون فيها وتتمتعون بها، وإني فضلتكم على العالمين، ودلّ هذا على قوله: «وإني فضلتكم على العالمين» لأنّها إحدى الخصال التي ذكروا بها، وجاءت عاطفة فدلّت على خصلة قبلها إما مذكورة أو مقدّرة .
وإنما فضلوا بما ارسل الله فيهم من كثرة الرسل وأنزل عليهم من الكتب، وقيل: بكثرة من جعل فيهم من الانبياء، وما انزل الله عليهم من المن والسلوى، الى غير ذلك من النعمة العظيمة من تغريق فرعون عدوهم، ونجاتهم من عذابه، وتكثير الآيات التي يخف معها الاستدلال، ويسهل بها كثرة المشاقّ. وهو قول أكثر أهل العلم كأبي العالية وغيره^(١) .
ونظير هذه الآية قوله: «واذ نجيناكم من آل فرعون»^(٢) «واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون»^(٣) .

المعنى :

وقوله: «على العالمين» .

قال أكثر المفسرين: أنه أراد الخصوص ومعناه عالمي زمانهم. ذهب اليه قتادة والحسن وأبو العالية ومجاهد وغيرهم^(١). وقال بعضهم: اذا قلت: فضل زيد على عمرو في الشجاعة لم يدل على انه أفضل منه على الاطلاق، ولا في جميع الخصال، فعلى هذا يكون التخصيص في التفضيل لا في العالمين .

وأمة نبينا محمد صلى الله عليه وآله أفضل من أولئك بقوله: «كنتم خير أمة أخرجت للناس»^(٢) وعليه اجماع الامة؛ لأنهم أجمعوا على ان أمة محمد صلى الله عليه وآله أفضل من سائر الأمم، كما إن محمداً صلى الله عليه وآله أفضل الانبياء من ولد آدم عليه السلام .

قوله تعالى:

وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ آية واحدة بلا خلاف .

القراءة :

قرأ ابن كثير وأهل البصرة «لا تقبل منها» بالتاء، الباقون بالياء^(٣) .

(١) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ٢٠٨، والبغوي في تفسيره: ج ١ ص ٣٨، ونقل مضمونه

النووي في تفسيره: ج ١ ص ١٣ .

(٢) آل عمران: ١١٠ .

(٣) الحجة لابي على الفارسي: ج ٢ ص ٣٥، والسبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٥٤، والتيسير

في القراءات للداني: ص ٧٣ .

الاعراب :

موضع «لا تجزي» نصب لأنه صفة يوم. والعائد عند الكسائي لا يكون إلا هاء محذوفة من تجزيه^(١). وقال بعضهم: لا يجوز إلا فيه. وقال سيبويه^(٢) والأخفش^(٣) والزجاج^(٤): يجوز الأمران .

المعنى :

قال أبو علي: المعنى في قوله: «لا يقبل منها شفاعة» فن ذهب الى ان (فيه) محذوفة من قوله: «واتقوا يوماً لا تجزي» جعل (فيه) بعد قوله: «ولا يقبل»، ومن ذهب الى انه حذف الجار وأوصل الفعل الى المفعول، ثم حذف الراجع من الصفة كما يحذف من الصلة، كان مذهبه في قوله: «لا يقبل» ايضاً مثله. وحذف الهاء من الصفة يحسن كما يحسن حذفها من الصلة، ألا ترى إنّ الفعل لا يتسلط بحذف المفعول منه على الموصوف كما لا يتسلط بذلك على الموصول؟ وما حذف منه الراجع الى الصفة قوله:

وما شيء حميت بمستباح^(٥)

(١) نقله الزجاج في معاني القرآن: ج ١ ص ١٢٨، وحكاه الأخفش في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٥٨، ولم ينسبه لأحد.

(٢) كتاب سيبويه: ج ١ ص ٥٧-٥٩.

(٣) معاني القرآن: ج ١ ص ٢٥٨.

(٤) معاني القرآن: ج ١ ص ١٢٨.

(٥) عجز بيت لجرير من قصيدة نظمها في مدح عبد الملك بن مروان، أنظر ديوانه: ص ٧٧، وشرح الديوان: ص ٧٤، وتعام البيت:

أبحث حمى تهامة بعد نجب وما شيء حميت بمستباح

ومن الحذف قوله:

تروحي أجدر أن تقيلي غداً بجني باردٍ ظليل^(١)
 المعنى: تأتي مكاناً أجدر أن تقيلي فيه فحذف الجار ووصل الفعل ثم
 حذف الضمير، ونظير الآية قول الراجز:
 قد صبحت صبحها السلام بكبدٍ خالطها السنام
 في ساعةٍ يحبها الطعام^(٢)
 أي تحب الطعام فيها.

اللغة:

والمجازاة والمكافأة والمقابلة نظائر، يقال: جرى يجزي جزاءً، وجازاه
 مجازاةً، وتجاوزوا تجاوزاً. قال صاحب العين: المجازاة المكافأة بالاحسان
 احساناً وبالإساءة إساءةً، وفلان ذو جزاء وذو غناء وتقول: هذا الشيء
 يجزي عن هذا - بهمز وتلين - وفي لغة يجزي أي يكفي. وأصل الباب مقابلة
 الشيء بالشيء^(٣).

المعنى:

ومعنى قوله: «لا تجزي نفس عن نفس شيئاً» أي لا تقابل مكروهاها
 بشيء يدرأه عنها، قال الله تعالى: «هل تجزون إلّا ما كنتم تعملون»^(٤)

(١) أورده أبو علي الفارسي في الحجة: ج ٢ ص ٣٧، قائله أحيحة بن الجلاح.

(٢) أورده الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٢.

(٣) العين: مادة «جزي» ج ٦ ص ١٦٤.

(٤) النحل: ٩٠.

وقال: «اليوم تجزى كل نفس ما كسبت»^(١) والفرق بين المقابلة والمجازة: إنَّ المقابلة قد تكون للمساواة فقط كمقابلة الكتاب بالكتاب، والمجازة تكون في الشر بالشر والخير بالخير.

ومعنى قوله: «لا تجزي» أي لا تغني، وهو قول السدي^(٢)، كما تقول: البقرة تجزي عن سبعة، وهي لغة أهل الحجاز. وبنو تميم تجزىء بالهمزة من أجزأه^(٣) والأوّل من جزت.

وقال الأخفش: لا تجزي منها أي لا يكون مكانها بدلاً منها، وأنكر عليهم ذلك لقوله: «شيئاً». وجعل الأخفش لا تجزي منها «شيئاً» في موضع المصدر، كأنه يقول: لا تجزي جزاءً ولا تغني غناءً^(٤) قال الرماني: والأقرب أن تكون «شيئاً» في موضع «حقاً» كأنه قيل: لا يؤدي عنها حقاً وجب عليها^(٥). وقال بعضهم: «لا تجزي» بمعنى لا تقضي.

وقبول الشيء تلقيه والأخذ به، وضده الاعراض عنه، ومن ثم قيل لتجاه القبلة: قبالة، وقالوا: أقبلت المكواة الداء أي جعلتها قبالته، ويجوز أن يكون المخاطبون بذلك اليهود؛ لأنهم زعموا أن آباءهم الأنبياء وتشفع لهم فأويسوا بقوله: «قل فلم يعذبكم بذنوبكم»^(٦) وبقوله: «لا يقبل منها شفاعة».

(١) غافر: ١٧.

(٢) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ٢٠٩.

(٣) أنظر معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٢٦١.

(٤) معاني القرآن: ج ١ ص ٢٦٠-٢٦١.

(٥) لا يوجد لدينا تفسيره.

(٦) المائدة: ١٨.

اللغة :

والقبول والانقياد والطاعة والاجابة نظائر، ونقيضها الامتناع. يقال: قبل قبولاً، وأقبل إقبالاً، وقابله مقابلة، وتقابلوا تقابلاً، واستقبله استقبالاً، وتقبل تقبلاً، وقبله تقبيلاً، وقبل نقيض بعد، والقَبْلُ خلاف الدُبُر، والقيل اقبالك على الشيء كأنك لا تريد غيره، والقيل الطاقة تقول: لا قبل لي أي لا طاقة لي، ومنه قوله: «فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها»^(١).

والقبل التلقاء، تقول: لقيته قبلاً أي مواجهة، وأصبحت هذا من قبله أي من تلقائه أي من لدنه ومن عنده، وقوله: «وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً»^(٢) أي قبلاً، وفتر بعضهم عياناً^(٣). وكل جيل من الناس والجن، والقبيلة من قبائل العرب معروفة، والكرة يقال لها: قبائل، وكل قطعة من الجلد قبيلة، وقبيلة الرأس كل فلقة قد قوبلت بالأخرى، وكذلك قبائل العرب، والقبائل زمام البغل، يقال: بغل مقبولة ومقبلة.

والقبل رأس، كل شيء مثل الجبل والأكمة وكثب الرمل. وقبالة كل شيء ما كان مستقبله، ومن الجيران مقابل ومدابر، وشاة مقابلة اذا قطعت من أذنها قطعة وتركت معلقة من مقدم، وإن كانت من خلف فهي مدابرة، وإذا ضمنت شيئاً الى شيء قلت: قابلته، والقبالة هي الليلة المقبلة وكذلك العام القابل والمقبل، والقبالة التي تقبل الولد.

والقبول من الريح الصبا، لأنها تستقبل الدبور وهي تستقبل القبلة من

(١) النمل : ٣٧.

(٢) الانعام : ١١١.

(٣) معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٣٥١.

المشرق، والقبول أن تقبل العفو وغير ذلك . وهو اسم المصدر واميت الفعل منه، والقبول الاسم، تقول: أفعل هذا من ذي قبل أي من ذي استقبال، والقبلة معروفة، والفعل منه التقبيل، والقبلة قبلة الصلاة .

والتقبيل تقبيل الشيء، تقول: تقبّل الله منك وعنك عملك، وتقول: تقبّلت فلاناً من فلان بقبول حسن، ورجل مقابل في كرم وفي شرف من قبل أعمامه وأخواله، ورجل مقبل الشاب لم يرفيه أثر من الكبر، والقبيل والدير في الحبل، فالقبيل الفتل الأول الذي عليه العمامة، والدير الفتل الآخر، وبعضهم يقول: القبيل في قوى الحبل كل قوة على وجهها الداخل قبيل والوجه الخارج دير، وقد قرىء قبلاً وقبلاً فن قرأ قبلاً أراد جمع قبيل، ومن قرأ قبلاً أراد مقابلة، والقبيل والكفيل واحد، وقبيل القوم عريفهم، وأصل الباب المقابلة خلاف المدابرة .

وأما الشفاعة فيه مأخوذة من الشفع الذي هو خلاف الوتر فكأنه سؤال من الشفيع، شفع سؤال المشفوع له، والشفاعة والوسيلة والقربة والوصلة نظائر، ويقال: شفع شفاعة، وتشفع تشفعاً، واستشفع استشفاعاً وشفعه تشفيعاً، والشفع من العدد ما كان أزواجاً تقول: كان وترأ فشفعته بآخر حتى صار شفعاً، ومنه قوله: «والشفع والوتر»^(١) قالوا: الشفع يوم النحر، والوتر يوم عرفة^(٢) . وقال بعض المفسرين: الشفع الحفاء يعني كثرة الخلق، والوتر الله^(٣) .

والشافع الطالب لغيره والاسم الشفاعة، والطالب الشفيع والشافع،

(١) الفجر: ٣.

(٢) معاني القرآن للقرآء: ج ٣ ص ٢٥٩، وتفسير مجاهد: ص ٧٢٦.

(٣) تفسير الطبري: ج ٣٠ ص ١٠٩.

والشفعة في الدار معروفة، وتقول: فلان يشفع اليّ بالعداوة أي يعين عليّ ويعاديني، وتقول: شفعت الرجل اذا صرت ثانيه وشفعت له اذا كنت له شافعاً. وانما سميت شفعة الدار؛ لأن صاحبها يشفع ما له بها، ويضمّها الى ملكه. واصل الباب الزوج من العدد.

التفسير:

وقوله: «ولا يقبل منها شفاعة» مخصوص عندنا بالكفار؛ لأن حقيقة الشفاعة عندنا أن يكون في اسقاط المضار دون زيادة المنافع. والمؤمنون عندنا يشفع لهم النبي صلى الله عليه وآله فيشفعه الله تعالى، ويسقط بها العقاب عن المستحقين من أهل الصلاة. لما روي من قوله عليه السلام: ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي^(١)، وانما قلنا: لا تكون في زيادة المنافع؛ لأنها لو استعملت في ذلك لكان أحدنا شافعاً في النبي صلى الله عليه وآله اذا سأل الله أن يزيده في كراماته، وذلك خلاف الاجماع فعلم بذلك ان الشفاعة مختصة بما قلناه.

وعلم بثبوت الشفاعة إنّ النبي في الآية يختص بالكفار دون أهل القبلة. والآيات الباقية نتكلم عليها اذا انتهينا إليها ان شاء الله.

بحث في الشفاعة:

والشفاعة ثبتت عندنا للنبي صلى الله عليه وآله وكثير من أصحابه

(١) الذخيرة في علم الكلام للسيد المرتضى: ص ٥٠٧، وبمضمونه في من لا يحضره الفقيه: ج ٣

ص ٥٧٤ ح ٤٩٦٣، وسنن ابن ماجه: ج ٢ ص ١٤٤١ ح ٤٣١٠.

ولجميع الأئمة المعصومين وكثير من المؤمنين الصالحين .

وقيل: إنّ نبي الشفاعة في هذه الآية يختص باليهود من بني اسرائيل؛ لأنهم ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه وأولاد أنبيائه، وأنّ آباءهم يشفعون اليه فأيسهم الله من ذلك^(١)، فأخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص. ولا بد من تخصيص الآية لكل احد؛ لأن المعتزلة والقائلين بالوعيد يشبتون شفاعة مقبولة وان قالوا انها في زيادة المنافع .

وأصل الشفاعة أن يشفع الواحد للواحد فيصير شفعا، ومنه الشفيع لأنه يصل جناح الطالب ويصير ثانياً له . والذي يدل على ان الشفاعة في إسقاط الضرر قول شاعر غطفان أنشده المبرد:

وقالوا اتعلم ان مالك ان تصب يفدك وان يحبس يديل ويشفع^(٢)
واستعملت في زيادة المنافع أيضاً وان كان مجازاً لما مضى، قال
الخطيب^(٣) في طلب الخير:

وذاك امرؤ إن تأته في صنّعة الى مال له لم تأته بشفيع^(٤)

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢١١.

(٢) الكامل في اللغة للمبرد: ج ١ ص ٦٩، وفيه: «نَزَّرَكَ» بدل «يديل».

(٣) الخطيب: وهو جرول بن أوس من بني قطيعة بن عيس، ولقب بالخطبة لقصره، وكان راوية زهير وهو جاهلي، أدرك الاسلام ولم يسلم إلا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وحكى عنه انه قال عند الاحتضار: املوني على حارثانه لم يمت عليه كريم لعلي أنجو ثم قال:

لكل جديد لذة غير اني رأيت جديدة الموت غير لذيت
له خبطة في الخلق ليست بسكر ولا طعم راح يشتهي ونبيذ
ومات مكانه .

(الشعر والشعراء: ص ١٨٠).

(٤) ديوانه: ص ١٨٤.

وقد استعملت الشفاعة بمعنى المعاونة، أنشد بعضهم للنابعة:
أتاك امرؤ مستعلن لي بغصةٍ له من عدوٍّ مثل مالك شافع (١)
أي معين، وقال الاحوص:
كأنَّ مَنْ لامي لأصرمها كانوا لليل بلومهم شفعا (٢)
أي تعاونوا:

اللغة:

قوله: «لا يؤخذ منها عدل» .

والعدل والحق والانصاف نظائر، والعدل نقيض الجور، يقال: عدل عدلاً، واعتدل اعتدالاً، وتعادل تعادلاً وتعَدَّلاً، وعادله معادله، وعدَّله تعديلاً، والعدل المرضي من الناس يقع على الواحد والجماعة والذكر والأنثى، فاذا قلت: هم عدل، قلت: هما عدلان .

والعدل الحكم بالحق، يقال: هو حكم عدل ذو معدلة في حكمه، وعدل الشيء نظيره، ومثله تقول: عدلت بفلان فلانا أعدله، والعدل المشرك الذي يعدل بربه، والعدل أن يعدل الشيء عن وجهه فيميله، تقول: عدلته عن كذا، وعدلت أنا عن الطريق، والعدل الذي يعادلك في الحمل أو نحوه ما كان. وسمعت العرب تقول: اللهم لا عدل لك أي لا مثل لك، وفي الكفارة «عدل ذلك» (٣) أي مثله في المعدل لا بالنظر بعينه .

(١) ديوانه: ص ٨٢.

(٢) نقله الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «شفع» ج ١ ص ٤٣٧.

(٣) المائدة: ٩٥.

والعدل الفداء، لقوله: «لا يقبل منها عدل»^(١)، وقيل أيضاً: ان العدل الفريضة والصرف النافلة، وقوله: «بربهم يعدلون»^(٢) أي يشركون. وقيل لما يؤكل: معتدل اذا لم يكن فيه ضرر من حرّ أو برد، وتقول: عدلته أي أقمته حتى اعتدل واستقام، وعدلت فلانا عن طريقه والدابة عن طريقها إذا عطفتمها فانعدلت، والعدل^(٣) الطريق، ويقولون: الطريق يعدل الى مكان كذا وكذا، فاذا أرادوا الاعوجاج فيه قالوا: ينعدل في مكان كذا وكذا أي ينعوج. والاعتدال الاستواء، فلان عدل حسن العدالة. واصل الباب العدل الذي هو الاستقامة.

والعدل المذكور في الآية الفدية، روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وهو قول ابن عباس^(٥) وإبي العالية^(٦). وقال قوم: هو بدل. والفرق بين العدل والعدل: إنّ العدل (بالكس) المثل، تقول: عندي عدل جاريتك أي جارية مثلها، فاذا قلت: عندي عدل جاريتك، يجوز أن يكون قيمتها من الثمن.

ومن قرأ بالتاء فلأنّ الشفاعة مؤنثة، ومن ذكر قال: لأنّ التأنيث ليس بحقيقي، ولأنّ الفعل تقدّم على المؤنث فأشبهه علامة التثنية^(٧) والجمع اذا

(١) البقرة: ١٢٣.

(٢) الأنعام: ١ و١٥٠.

(٣) في النسخة الخطيّة «انعدل» وهو تصحيف، والصحيح ما اثبتناه كما في العين: مادة «عدل»

ج ٢ ص ٤٠.

(٤) رواه الطبري في التفسير: ج ١ ص ٢١٢.

(٥) تفسير ابن عباس: ص ٨.

(٦) انظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٢١١.

(٧) في النسخة الخطيّة «التأنيث» بدل «التثنية» والظاهر انه تصحيف.

تقدم الفعل سقط كذلك هاهنا، ومثله قوله: «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل»^(١) وكقول الشاعر:

فلا مُزنّة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقاها^(٢)
والثناء أجد لأنه أصل والياء حسن .

اللغة :

قوله: «ولا هم ينصرون» .

والنصر والمعونة والتقوية نظائر، وضد النصر الخذلان، يقال: نصرته نصراً، وانتصر انتصاراً، واستنصر استنصاراً، وتناصر تناصراً، قال صاحب العين: النصر عون المظلوم، وفي الحديث: (انصر أخاك ظالماً ومظلوماً) معناه ان كان مظلوماً فامنع منه الظلم، وان كان ظالماً فامنع من الظلم وانه، والانصار كالنصار، وانصار النبي صلى الله عليه وآله اعوانه، وانتصر فلان اذا انتقم من ظالمه، والنصير الناصر، والتنصر الدخول في النصرانية، والنصارى منسوبون الى ناصرة، وهي موضع، ونصرت السماء اذا امطرت^(٣)، قال الشاعر:

اذا خرج الشهر الحرام فودّعي بلادَ تميمٍ وانصري أرضَ عامرٍ^(٤)
ونصرت الرجل اذا أعطيته، وانشد:

(١) النساء: ١٦٥.

(٢) نسبة سيبويه في الكتاب لعامر بن جوين الطائي: ج ١ ص ٢٧٩ رقم البيت ٣٥٤، وحكاها الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ١٢٧.

(٣) العين: مادة «نصر» ج ٧ ص ١٠٨.

(٤) نسبة الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «نصر» ج ١٢ ص ١٦٠، للراعي .

ابوك الذي اجدى عليّ بنصره فاسكت عني بعده كل قاتل^(١) وأصل الباب المعونة، والنصرة قد تكون بالحجة وقد تكون بالغلبة، فالله عز وجل ينصر جميع المؤمنين بالحجة التي تؤيدهم، وأما النصر بالغلبة فبحسب المصلحة ولا يدلّ وقع الغلبة لبعض المؤمنين على أنه مسخوط عليه، كما أنه ليس في تخلية الله بين الكفار وبين الأنبياء دلالة على حال منكورة، وقد قتل الكفار كثيراً من الانبياء ونالوا منهم بضروب من الأذى، قال الله تعالى: «ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق»^(٢) وقوله: «ثم بُغِيَ عليه لينصرته الله»^(٣) معناه بالغلبة وأما ما يأخذ له بالحق من الباغي عليه لينصره من الله للمبغى عليه واقعة لا محالة .

والخذلان لا يكون إلّا للظالمين؛ لأنّ الله تعالى لا يخذل أوليائه وأهل طاعته، وقوله: «إن ينصركم الله فلا غالب لكم»^(٤) أي بالمعونة التي توجب الغلبة؛ لأنّ الله تعالى يقدر على اعطائهم ما يغلبون به كلّ من نازعهم، ويستعلون على كلّ من ناوهم .

وحّد النصر المعونة على كلّ من ظهرت منه عداوة، وقد تكون المعونة بالطاعة فلا تكون نصرة .

والفرق بين النصرة والتقوية: إنّ التقوية قد تكون على صناعة، والنصرة لا تكون إلّا مع منازعة. فأما قولهم: لا قبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً، فقال الحسن البصري: الصرف العمل، والعدل الفدية^(٥).

(١) أورده الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «نصت» ج ١٢ ص ١٥٥.

(٢) البقرة: ٦١.

(٣) الحج: ٦٠.

(٤) آل عمران: ١٦٠.

(٥) تفسيره: ج ١ ص ٩٤، وذكره الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١١٧.

وقال الكلبي: الصرف الفدية، والعدل الفريضة^(١). وقال أبو عبيدة: الصرف الحيلة، والعدل الفدية^(٢). وقال أبو مسلم: الصرف التوبة، والعدل الفداء^(٣).

قوله تعالى:

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَمِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ آية بلا خلاف .

هذه الآية عطف على ما تقدّم من قوله: «اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم»، ف«اذ» هاهنا متعلّقة بذلك، كأنه قال: اذكروا نعمتي عليكم اذ نجيناكم من آل فرعون، ونظيره «والى ثمود اخاهم صالحاً»^(٤) لما تقدّم ما يدل على «ارسلنا» وهو قوله: «لقد ارسلنا نوحاً الى قومه»^(٥) فكانه قال: وأرسلنا الى ثمود أخاهم صالحاً .

والخطاب وان كان متوجّهاً الى الحاضرين في الحال فالمراد به من سلف لهم من الآباء، كما يقول القائل: هزمناكم يوم ذي قار وقبلناكم يوم الجفار^(٦) وانما يعني الاسلاف، قال الأخطل يهجو جريراً: ولقد سما لكم الهذيل فنالكم بإرباب حيث يقسّم الأنفالا^(٧)

(١) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١١٧، وفيه: «الدية» بدل «الفدية».

(٢) مجاز القرآن: ج ١ ص ٥٣، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١١٧.

(٣) تهذيب اللغة: مادة «صرف» ج ١٢ ص ١٦١، ونسبه إلى أبي عبيد.

(٤) الأعراف: ٧٣. (٥) الأعراف: ٥٩.

(٦) كذا في النسخة الحقلية، وفي المطبوعة «قتلناكم يوم الجفار».

(٧) ديوانه: ص ٢٥١.

وجرير لم يلحق هذيلاً، ولا أدرك أراب. وقد بيتاً إنَّ النعمة على الآباء
نعمة على الأولاد، فلا وجه لإعادته .

اللغة :

ومعنى «نحيناكم» فالنجاة والسلامة والاسعاد والتخلص نظائر، وضدَّ
النجاة الهلاك ، تقول: نجا ينجو نجاة، وانجاه الله إنجاء، ونجاة تنجية،
وانتجوا انتجاء، واستنجى استنجاء، وتناجوا تناجياً. قال صاحب
العين^(١): نجا ينجو نجاة في السرعة فهو ناج أي سريع، وناقة ناجية أي
سريعة، وتقول: نجوت فلاناً أي استهكته، قال الشاعر:

نجوت مجالداً فوجدت منه كريح الكلب مات حديث عهد^(٢)
ونجا بنو فلان اذا أحدثوا ذنباً أو غيره، والاستنجاء التنظيف بمدر أو ماء،
والنجاة هي النجوة من الأرض وهي التي لا يعلوها السيل، قال الشاعر:

فن بنجوته كمن بعقوته والمستكنّ كمن يمشي بقرواح^(٣)
والنجو السحاب أول ما ينشأ وجمعه نجاء، والنجوة ما خرج من البطن من
ريح وغيرها، والنجو استطلاق البطن، يقال: نجا فلان نجواً، والنجو كلام بين
اثنين كالسر والتسار، تقول: ناجيتهم فتنجوا بينهم، وكذلك انتجوا وهم جميعاً
نجوى، وكلامهم نجوى، وفلان نجى فلان أي يناجيه دون غيره، قال الشاعر:

إني اذا ما القوم كانوا أنجيه واضطرب القوم اضطراب الارشيه^(٤)

(١) العين: مادة «نجو» ج ٦ ص ١٨٦.

(٢) ذكره صاحب العين ولم ينسبه الى أحد، مادة «نجو» ج ٦ ص ١٨٦.

(٣) البيت لعبيد بن الأبرص، أنظر ديوانه: ص ٥٣ ط دار صعب، وفيه «بمحله» بدل «بعقوته».

(٤) القائل هو سحيم بن وثيل اليربوعي، استشهد به الفراهيدي في العين: مادة «نجو» ج ٦

والنجا ما القيته عن نفسك من ثياب أو سلخته عن الشاة، تقول: نجوت الجلد انجوه نجا اذا كشطته، ونجوت العود أي اقتضبتة .

وقال بعض المفسرين في قوله: «فاليوم ننجيك ببدنك» أي نلقيك على نجوة (٢) .

وأصل الباب النجوة وهي الارتفاع .

والفرق بين النجاة وبين التخلص: إنّ التخلص قد يكون من تعقيد ليس بأذى، وليس كذلك النجاة؛ لأنها لا تكون إلّا من مكروهه، وكل نجاة نعمة، ولا يقال لمن لا خوف عليه: نجا؛ لأنّه لا يكون ناجياً إلّا مما يخاف مثله .

قوله: «من آل فرعون» فالآل والأهل والقراة نظائر، وقيل: أصل الآل الأهل لأنّه يصغر أهيل، وحكى الكسائي: أويل (٣) فزعموا أنّها ابدلت، كما قالوا: إيهات وهيهات، وكما قالوا: ماء واصلها ماء بدليل قولهم: مويه في التصغير، وفي الجمع: امواه ومياه. وقيل: لا بل أصل على حياله .

والفرق بين الآل والأهل: إنّ الأهل أعمّ منه، يقال: أهل الكوفة، ولا يقال: آل الكوفة، ويقال: أهل البلد ولا يقال: آل البلد، وآل فرعون قومه وأتباعه. وقال صاحب العين: الآل كل شيء يؤول الى شيء اذا رجع اليه، تقول: طبخت العصير حتى آل الى كذا، وأولى كلمة وعيد على وزن فعلى، والآل السراب، وآل الرجل قرابته وأهل بيته، وآل البعير ألواحه

(١) يونس: ٩٢.

(٢) تفسير الطبري: ج ١١ ص ١١٣.

(٣) نقله الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «آل» ج ١٥ ص ٤٣٨.

وما اقترب من أوطار جسمه^(١)، وآل الخيمة عمدها، والآلة شديدة من شدائد الدهر، قالت الخنساء:

سأحمل نفسي على آلة أما عليها وأما لها
وآل الجبل: اطرافه ونواحيه^(٢). وقال ابن دريد: آل كل شيء
شخصه، وآل الرجل أهله وقرباته، قال الشاعر:

ولا تبك ميتا بعد ميت أجتة عليّ وعباس وآل أبي بكر
والآلة: الحربة^(٣). وأصل الباب: الأول وهو الرجوع، قال أبو عبيدة:
سمعت أعرابياً فصيحاً يقول: أهل مكة آل الله، فقلنا: ما تعني بذلك؟
قال: أليسوا مسلمين، والمسلمون آل الله؟ قال: وقال: ليس يجوز أن تنصب
رجلاً من المسلمين، فيقول: آل فلان، وإنما يجوز ذلك للرئيس المتبع، وفي
شبه مكة لأنها أم القرى. ومثل فرعون في الضلال واتباع قومه له، فإن
جاوزت هذا فال الرجل أهل بيته خاصة فقلنا له: فتقول لقبيلته آل فلان؟
قال: لا إلا أهل بيته خاصة^(٤).

التفسير:

وفرعون اسم للملك العمالقة، كما قيل قيصر لملك الروم، وكسرى
ملك الفرس، وخاقان لملك الترك، والابخاشاد لملك الفراعنة، وتبع لملك
التيابعة، فهو على هذا بمعنى الصفة؛ لأنه يفيد فيه انه ملك العمالقة بنفس

(١) كذا في النسخة الخطية، وفي المصدر: «وما أشرف من أقطار جسمه».

(٢) العين: مادة «أبل» ج ٨ ص ٣٥٩.

(٣) جهرة اللغة: «لَ أَوْيَ» ج ١ ص ١٨٩.

(٤) لم نعث عليه.

الصفة الجارية عليه وعلى غيره .

وقيل: ان اسم فرعون مصعب بن الريان^(١). وقال محمد بن اسحاق: هو الوليد بن مصعب^(٢).

ومعنى قوله: «يسمونكم سوء العذاب» أي يولونكم سوء العذاب، يقال: سامه خطة خسفاً اذا أولاه ذلك، قال الشاعر:

* ان سيم خسفاً وجهه تريد^(٣) *

وقيل: يَجْشَمُونَكُمْ سوء العذاب^(٤). والسوم والتجشم والتجمل نظائر، يقال: سامه الشقة وجسمه اياها وحمله اياها بمعنى. يقال: سام يسوم سوماً، وساووه واستامه استياماً، وتساوموا تساوماً، وسوم تسوماً، والسوم سومك سلعة ومنه المساومة والاستيام، والسوم من سير الابل وهبوب الرياح اذا كان مستمراً في سكون، يقال: سامت الرياح وسامت الابل، وهي تسوم سوماً، والسوام هي الغنم السائمة، واكثر ما يقال ذلك في الابل خاصة، والسائمة تسوم الكلاً سوما اذا داومت رعيه، والراعي يسميها، والمسيم الراعي، والسوم العلامة على الجبل، يقال: سوم فلان فرسه إذا اعلم عليه بجريرة أو شيء يعرف به .

والسما في الأصل ياء وهاء وواو وهي العلامة التي يعرف بها الخير

(١) لم نعر عليه.

(٢) أخرجه الطبري عنه: ج ١ ص ٢١٣، وذكره الجوهري أيضاً في الصحاح: مادة «فرعن» ج ٦ ص ٢١٧٧، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١١٨.

(٣) أورده الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢١٤.

(٤) قال صاحب العين: مادة «سوم»، في ج ٧ ص ٣٢٠، ما نصه: والسوم: أن تُجشَمَ إنساناً مَشَقَّةً وَخُطَّةً من الشر...

والشر في الانسان، ومنه قوله: «سيماهم في وجوههم»^(١) و«تعرفهم بسيماهم»^(٢) وقوله: «يعرف المجرمون بسيماهم»^(٣) ويقال: سياء الخير وسمت فلاناً سوء العذاب من المشقة .

وقال ابن دريد: سام الرجل ماشيته يسومها سوماً اذا رعاها، فالماشية سائمة والرجل مُسيم، ولم يقولوا سائم خرج من القياس^(٤) .

وأصل الباب [السوم] الذي هو ارسال الابل في المرعى .

وقوله: «سوء العذاب» و«أليم العذاب» و«شديد العذاب» نظائر، يقال: ساعه يسوءه سوءً واساء اساءةً .

قال صاحب العين: السوء اسم العذاب الجامع للآفات والداء، تقول: سؤت فلاناً أسوءه مساءةً ومسايةً، وتقول: أردتُ مساءتك ومسايتك، وأسأتُ إليه في الصنع، واستاء فلان من السوء، كقوله: اهتمت من الهم، وسؤت فلاناً وسوءت له وجهه. وتقول: لساء ما صنع، والسيء والسيئة اسم الخطيئة، والسوأى فعلى اسم للفعلة السيئة بمنزلة الحسنى [للحسنة]، وامرأة سوأى [أي]^(٥) قبيحة، والسوءة السوءى الفعلة القبيحة، يقال للرجل: أسوأ .

والسوأة الفرج، لقوله: «فبدت لهما سوأتهما»^(٦) والسوأة كل عمل

(١) الفتح: ٢٩ .

(٢) البقرة: ٢٧٣ .

(٣) الرحمن: ٤١ .

(٤) جهرة اللغة: مادة «س م و» ج ٣ ص ٥٣ .

(٥) ما بين المعقوفتين أثبتناه من المصدر .

(٦) طه: ١٢١ .

يشين، تقول: سواة لفلان، تعيبه لأنه ليس بخير، والسَّوَاءُ السَّوَاءُ المرأة المخالفة، وتقول في النكرة: رجلٌ سوءٌ، فإذا عرّفته قلت: الرجل سوء لا تضيفه، وتقول: عمل سوء وعمل السوء^(١) ورجل صدق ولا تقول: الرجل الصدق لأن الرجل ليس من الصدق. وكلما ذكر بسوء فهو السوء. ويكتى عن البرص بالسوء، كقوله: «بيضاء من غير سوء»^(٢) أي من غير برص، وتقول: لا خير في قول السَّوِّ ولا في قول السُّوِّ فإذا فتحت السين فعلى ما وصفناه، وإذا ضممته فعناه لا تقل سوء.

وأصل الباب سوء من قولك: ساء يسوء سوءً، ثم كثر حتى صار علماً على الضَّرِّ القبيح، فقالوا: أساء يسيء إساءةً، نقيض أحسن يحسن إحساناً^(٣).

اللغة:

وقوله: «يذبحون أبناءكم».

فالذبح والنحر والشنق نظائر، والذبح فري الأوداج، يقال: ذبح ذبحاً، واستذبح استذباحاً، وتذابحوا تذابحاً، وذبح تذبيحاً، وأصل الذبح الشق، وذبحت المسك إذا فتقت عنه، فهو ذبيح ومذبوح، والذبح الشيء المذبوح لقوله: «وفديناه بذبح عظيم»^(٤) والذباح والذبحة - بفتح الباء وتسكينها - داء يُصيب الإنسان في حلقه. وتقول العرب: حيَّ الله هذه الذبحة، أي هذه

(١) كذا في النسخة الخطية، وفي المصدر: ولم تقل العمل السَّوِّ، وهو الصحيح فلاحظ.

(٢) طه: ٢٢.

(٣) أنظر العين: مادة «سوء» ج ٧ ص ٣٢٧-٣٢٩.

(٤) الصافات: ١٠٧.

الطلعة، والذباح الشقوق في الرجل، أصله ذباح في رجله، والذبح نور أحمر، وسعد الذابح كوكب معروف من منازل القمر.

قال صاحب العين: الذبح قطع الحلقوم من باطن. وموضعه المذبح، والمذبح السكين الذي يذبح به الذبح، والذباح نبات من الشجر^(١)، قال الاعشى:

انما قولك صاب وذبح^(٢).

وقال آخر:

كأن عيني فيها الصاب مذبح^(٣).

وأصل الباب الشقّ.

المعنى:

قوله: «يستحيون نساءكم» .

إنما قال نساءكم وهم كانوا لا يستبقون الأطفال من البنات تغليباً، لأنهم كانوا يستبقون الصغار والكبار، كما يقال: أقبل الرجال وإن كان معهم صبيان، وقيل: إنّ اسم النساء يقع على الكبار والصغار. وقيل: انهم سمعوا بذلك على تقدير انهنّ يبقين حتى يصرن نساء^(٤) .

والمرأة والنساء والزوجات نظائر، ولا واحد للنساء من لفظه، ويقال:

(١) العين: مادة «ذبح» ج ٣ ص ٢٠٢.

(٢) لم نعثّر عليه في ديوانه.

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، تهذيب اللغة: مادة «ذبح» ج ٤ ص ٤٧١، وتاممه:

نام الخلي وبت الليل مشجراً
كأن...

(٤) راجع تفسير الطبري: ج ١ ص ٢١٥-٢١٦.

الرجال والنساء على وجه النقيض. قال صاحب العين: النسوة والنسوان والنسین كل ذلك مثل النساء^(١).

قوله: «وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم» البلاء والاحسان والنعمة نظائر في اللغة، وبلى يبلى بلى فهو بالٍ، والبلاء لغة [في البلى]، قال الشاعر:
والمرء يبليه بلاء السربال تناكر الليالي واختلاف الأحوال^(٢)
والبلية الدابة التي كانت تشد في الجاهلية عند قبر صاحبها، رأسها في الركبة حتى تموت، ومنها ما يعقر عند القبر حتى يموت، وناقاة بلومثل نضوقد أبلاها السفر، والفعل من البلية ابتليت وتقول: بلى الانسان وابتلى.

والبلاء على وجهين في الخير والشر، والله تعالى يبلى العبد بلاء حسناً وبلاء سيئاً، وابتليت فلاناً عذراً أي بليت فيما بينه وبينه بما لا لوم علي بعده، والبلوى هي البلية، والبلوى التجربة، تقول: بلوته بلوى.

وأصل الباب التجربة، والبلاء الامتحان الذي فيه انعام. والبلاء الامتحان الذي فيه انتقام، فإذا أردت الانعام قلت: ابتليت بلاء حسناً، وفي الاختبار تقول: بلوته بلاء، قال الله تعالى: «ونبلوكم بالشر والخير فتنة»^(٣)، وقال في الإنعام: «وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسناً»^(٤) قال زهير:

جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو^(٥)

(١) العين: مادة «نسو» ج ٧ ص ٣٠٣.

(٢) العين: مادة «بلى» ج ٨ ص ٣٣٩، ونسبه الأزهري في تهذيب اللغة للعجاج: مادة «بلا» ج ١٥ ص ٣٩٠.

(٣) الأنبياء: ٣٥.

(٤) الأنفال: ١٧.

(٥) ديوانه: ص ٦١.

فجمع المعنين لأنه أراد: وانعم عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده، وقال الأحنف: البلاء ثم الشاء^(١)، يعني الإنعام ثم الشكر.

المعنى:

وإنما كان في استحياء النساء محنة عليهم وبلوى لهم، لأنهم كثيراً يُستعبدون وينكحون على الاسترقاق، فهو على رجاھن أعظم من قتلهن. وقيل: إنهن كنّ يستبقين للاذلال والاستبقاء محنة، كما أن من أحيي للتعذيب فحياته نقمة، ومن أحيي للتلذذ فحياته نعمة.

والأبناء جمع ابن، والمخدوف من الابن عند الاخفش الواو؛ لأنها أثقل وهي بالحذف أولى. وقال الزجاج: يجوز أن يكون المحذوف ياءً وواواً أو هما سيان ولا حجة في البسوة كما لا حجة في الفتوة، لقولهم فتيان قال: وقد جاء حذف الياء كما في يد، كقولهم: يدبت اليه يدا^(٢)، وفي دم، قال الشاعر:

فلوإنّا على حجرٍ ذبحنا جري الدميان بالخبر اليقين^(٣)
والقتل الذي هو فري الاوداج أو نقض بنية الحياة يقدر الواحد منا عليه، وأما الموت بتسكين الحركة الحيوانية أو فعل ضدّ الحياة عند من قال لها ضدّ، فلا يقدر عليه غير الله.

(١) اللسان: مادة «بلاء» ج ١ ص ٤٩٧، ولم ينسبه لاحد.

(٢) معاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ١٣١، ونقل قول الأخفش كذلك.

(٣) ذكره الفراهيدي في العين: مادة «وخى» ج ٤ ص ٣٢٠، وذكره الأزهرى كذلك في تهذيب

اللغة: مادة «دمى» ج ١٤ ص ٢١٧، ولم ينسبها لأحد.

الاعراب :

وموضع «يسومونكم سوء العذاب» يحتمل أمرين من الاعراب:
أحدهما: الاستئناف فيكون موضعه رفعا، كأنه قال: يسومونكم من قبل ذلك سوء العذاب .
والثاني: أن يكون موضعه نصباً على الحال من آل فرعون والعامل فيه نجيناكم .

المعنى :

و«يسومونكم سوء العذاب» كان بذبح الأبناء واستحياء النساء. وقيل: باستعمالهم في الأعمال الشاقة، واستحياء النساء كان بأن يستبقين. وقيل: انه كان يفتش أحياء النساء عما يلدن. وقيل: انهم كانوا يستحيون أن يلجوا على النساء في بيوتهن اذا انفردن عن الرجال صيانة لهنّ فعلى هذا يكون انعاماً عليهن^(١) وهذا بعيد من أقوال المفسرين .

والسبب في أن فرعون كان يذبح الأبناء ويستحيي النساء ما ذكره السدي وغيره ؛ أنّ فرعون رأى في منامه ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرق القبط وترك بني اسرائيل وأخرت مصر، فدعى السحرة والكهنة والقافة فسأهم عن رؤياه، فقالوا: يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه -يعنون بيت المقدس- رجل يكون على يده هلاك مصر، فأمر بني إسرائيل ألا يولد لهم غلام إلا ذبحوه ولا جارية

(١) نقل هذه الأقوال ابن جرير في تفسيره: ج ١ ص ٢١٤.

إِلَّا تَرَكْتُ^(١) .

وليس في الآية دلالة على سقوط القود عن قتل غيره مكرها، ولا القود على المكره، ولا أن كان مختاراً غير مكره. فالقود عليه لأنه لم يجز لذلك ذكر.

فان قيل : اذا كانوا نجوهم والله انجاهم، ما المنكر أن يكون العاصي هو الذي عصى الله والله خلق معصيته؟

قيل: لا يجب ذلك، ألا ترى أنه يقال: قد ينجيني زيد فأنجو، وإن لم يكن فعلاً بلا خلاف. وكذلك اذا استنقذنا النبي صلى الله عليه وآله من الضلالة فخلصنا لا يجب ان يكون من فعل فعلنا. واخبار الله اليهود بهذه القصة على لسان رسوله من دلائل نبوته؛ لأن منشأ معروف، وبعده عن مخالطة الكتابيين معلوم.

قوله تعالى:

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ آية .

موضع «اذ» نصب كما تقدم وهو عطف على ما مضى، فكانه قال: واذكروا إذ فرقنا بكم البحر، وذلك من جملة نعم الله تعالى التي عددها عليهم مما فعله مع أسلافهم .

ومعنى «فرقنا بكم البحر» أي فرقنا بين المائين حتى مررتهم فيه وكنتم فرقاً بينهما .

(١) ذكر ذلك الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢١٥، والقمي في تفسيره: ج ١ ص ٤٧ مع تفاوت

اللغة:

والفرق والفصل والقطع نظائر، والفرق يقتضي الجمع، يقال: فرق فرقاً، وأفرق المريض إفرقا، وافترق الشيء افتراقاً، واستفرق استفرقاً، وفرقه تفريقاً، وتفارقوا تفرقاً، وتفرق تفرقاً، وفارقه مفارقةً، وانفرك انفرقاً، والفرق موضع المفرق من الرأس، والفرق تفريق ما بين الشيئين، والفرق فرجك ما بين شيئين تفرق بينهما فرقاً حتى يتفرقا ويفترقا، وتقول: تفرق هؤلاء الصحبة أي فارق بعضهم بعضاً وافترقوا، وتقول: مشطت الماشطة كذا وكذا فرقاً أي كذا وكذا ضرباً.

والفرق طائفة من الناس، قال أعرابي لصبيان رأيهم: هؤلاء فرق سوء، والفرق الطائفة من كل شيء ومن الماء اذا انفرك بعضه عن بعض، وكل طائفة من ذلك فرق، وقوله: «فكان كل فرق كالطود العظيم»^(١) يعني الفرق من الماء، والفريق الطائفة من الناس، والفرقة مصدر الافتراق وهو أحد ما خالف فيه مصادر افعال.

والفرقان اسم للقرآن، وكل كتاب أنزل الله وفرق به بين الحق والباطل فهو فرقان، وسمى الله تعالى التوراة فرقاناً، وقوله: «يوم الفرقان يوم التقى الجمعان»^(٢) كان يوم بدر ويوم أحد فرق الله بين الحق والباطل، والفرق هو الفلق، والمفرق هو مكيال لأهل العراق.

والفرق الخوف، تقول: رجل فروقة وامرأة فروقة، والفعل فرق يفرق من

(١) الشعراء: ٦٣.

(٢) الانفال: ٤١.

كذا فراقاً، وقوله: «وَقَرَأْنَا فِرْقَانَهُ»^(١) - خَفَّفَ - معناه أحكمناه، كقوله: «فِيهَا يَفْرُقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ»^(٢) وتقول: مفرق ما بين الطرفين، وأفرق فلان من مرضه إفرقاً إذا برىء، ولا يكون الافراق إلّا من مرض لا يصيب الانسان إلّا دفعةً واحدة نحو الجدري والحصبة .

وديك أفرق اذا انفرق عرفه، وتيس أفرق اذا تباعد طرفا قرنيه، ورجل فروقة وكذلك المرأة مثل نَسَابَة وعلامة، وجاء مصدر فرقته تفرقة. والفرق -الذي جاء في الحديث: ما أسكر الفرق فالجرعة منه حرام^(٣) - مكيال يعرف بالمدينة. وفرقة من الناس وجمعه فرق .
واصل الفرق الفصل بين الشئين، والفريقة حلبة تطبخ بتمر للنفساء وغيرها .

والبحر يسمى بجرّاً وهو انبساطه وسعته، ويقال: استبحر فلان في العلم وتبحر لاستبحاره اذا اتسع فيه وتمكّن منه، ويقال: تبخر الراعي في رعي كثير، قال أُمَيَّةُ الصغير:

أنفق نصابك في نفل تبخره من الأباطح واحبسها بخلدان^(٤)
وتبحر فلان في الماء، ومن ذلك بحيرة طبرية وهي عشرة أميال في ستة أميال. وقيل: هي علامة خروج الدجال اذا يبست فلا يبقى منها قطرة ماء^(٥) وبحرت اذن الناقة بجرّاً اذا شققها وهي البحيرة، وكانت العرب

(١) الاسراء: ١٠٦.

(٢) الدخان: ٤.

(٣) سنن ابن داود: ج ٣ ص ٣٢٩ ح ٣٦٨٧، والنهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٤٣٧.

(٤) البيت أورده الفراهيدي في العين: مادة «بحر» ج ٣ ص ٢١٩، ومعجم البلدان: ج ٢ ص ١٥١.

(٥) راجع سنن الترمذي: ج ٤ ص ٥١٢.

تفعل ذلك اذا انتجت عشرة ابطن فلا تركب ولا ينتفع بظهرها، فهى الله عن ذلك .

والسائبة التي تسبب فلا ينتفع منها بظهر ولا لبن. والوصيلة في الغنم كانت اذا وضعت أنثى تُركت وان وضعت ذكراً أكله الرجال دون النساء، وان ماتت الأنثى الموضوعة اشتركوا في أكلها، وان ولد مع الميتة ذكر حي اتصلت به كانت للرجال دون النساء، ويسمونها وصيلة. وقد قيل غير ذلك سنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

والباحر الأحمق الذي لبس في حديثه، اذا كلم بقي كالمبهوت، وبحراني منسوب الى البحرين، ودم بحراني وbacher اذا كان خالص الحمرة من دم الجوف، والعرب تسمي المالح والعذب بجرأ اذا كثر، ومنه قوله: «مرج البحرين يلتقيان»^(١) يعني المالح والعذب .

وأصل الباب الاتساع. والبحر هو المجرى الواسع الكثير الماء، واما المالح فهو الذي لا يرى حافته من في وسطه، لعظمه وكثرة مائه، فدجلة بحر بالاضافة الى الساقية، وليست بجرأ بالاضافة الى جدة وما جرى مجراها .

المعنى:

ومعنى قوله: «فرقنا بكم البحر» أي جعلناكم بين فرقيه تمررون في طريق يبس، كما قال تعالى: «فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً»^(٢) وقال: «فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق

(١) الرحمن: ١٩.

(٢) طه: ٧٧.

كالطود العظيم»^(١) .

وقال بعضهم في معنى «فرقنا»: يعني بين الماء وبينكم أي فصلنا بينكم وبينه حجزنا حيث مررت فيه^(٢) . وهذا خلاف الظاهر، وخلاف ما بيّنه في الآيات الأخر التي وردت مفسرة لذلك ، ومبيّنة لما ليس فيه اختلاف .

اللغة :

وقوله : «واغرقنا آل فرعون» .

قال صاحب العين: الغرق الرسوب في الماء، ويشبه به الدّين والبلوى والتغريق والتغويص والتغيبب نظائر. والنجاة ضد الغرق كما إنّها ضدّ الهلاك ، يقال: غرق غرقاً وأغرق في الأمر اغراقاً، وغرقه تغريقاً، وتغرق تغرقاً، ورجل غرق وغريق، وغرقت السيل وأغرقتها اذا بلغت به غاية المدّ في النفوس، والفرس اذا خالط ثم سبقها يقال: اغترقها، والغرق من اللبن القليل^(٣) .

قال ابن دريد: غرق يغرق غرقاً في الماء، وغرق في الطيب والمال، وأصله في الماء، وكثر فاستعمل في غيره. وكذلك غرق في الذنوب، واغرق في الأمر يغرق إغراقاً اذا جاوز الحدّ فيه. وأصله من نزع السهم حتى يخرج من كبّد القوس، واغرورقت عيناه شرقت بدمعها، وجمع غريق: غرق، واصل الباب الغرق الرسوب في الماء^(٤) .

(٣) العين: مادة «غرق» ج ٤ ص ٣٥٤.

(١) الشعراء: ٦٣.

(٤) جهرة اللغة: مادة «رَغَ ق» ج ٢ ص ٣٩٥.

(٢) معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٢٦٥.

اللغة :

وقوله: «وانتم تنظرون» قال المفسرون: وأنتم ترون ذلك وتعاينونه^(١). والنظر والبصر والرؤية نظائر في اللغة، يقال: نظرينظر نظراً، وأنظر ينظر إنظاراً، وانتظر انتظاراً، واستنظر استنظاراً، وتناظر تناظراً، وناظره مناظرة.

قال صاحب العين: نظرينظر نظراً -بتخفيف المصدر- وتقول: نظرت الى كذا من غير ذكر العين^(٢)، ونظرت في الكتاب ونظرت في الأمر. وقول القائل: أنظرُ الى الله تعالى ثم اليك، معناه: إني أتوقع فضل الله ثم فضلك، ويقال: نظرتُ بعلمي ويقال: أنظرَ الدهر اليهم أي أهلكتهم، قال الشاعر:

نظر الدهر اليهم فابتهل

والنظر الاسم من نظر. وقوله: «لا ينظر اليهم» أي لا يرحمهم. والمنظور من الناس هو المرجو فضله، ينعت به السيد، والمنظور الذي لا يغفل عن النظر الى ما أهّمه، والمناظرة أن تناظر أخاك في أمرٍ تنظر أنت في ذلك وينظر هو فيه كيف تأتيانه.

والمنظرة موضع في رأس جبل يكون فيه رقيب ينظر فيه الى العدو ويحرس أصحابه، والمنظرة منظرة الرجل اذا نظرت اليه أعجبك أو أساءك، تقول: انه ل ذو منظرة بلا مخبرة، والمنظر مصدر كالنظر. والمنظر الشيء الذي يعجب بالنظر اليه ويسرّ به، تقول: إنّ فلاناً لي منظرٌ ومسمع، وفي ربي

(١) راجع تفسير الطبري: ج ١ ص ٢١٩.

(٢) وردت العبارة في العين هكذا: «نظرت الى كذا وكذا من نظر العين».

ومشبع؛ أي فيما أحب النظر إليه .

ونظار بمعنى انتظر في الأمر، وناظر العين النقطة السوداء الخالصة الصافية التي في جوف سوداء العين مما يرى انسان العين. والنظير نظيرك الذي هو مثلك ، والانثى نظيرة، وجمعه نظائر في الكلام والانشاء .

ونظرتة وانتظرتة بمعنى واحد، ويقول: انظرنى يا فلان أي استمع اليّ، لقوله: «لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنّا»^(١) وتقول: بعت فلاناً فانظرتة أي انسأته، والاسم النظرة، ومنه قوله: «فَنَظَرْتُ إِلَى مَيْسِرَةٍ»^(٢) أي فانتظار، واستنظر فلان - من النظرة - إذا هو سأل. والنظر توقع أمر تنتظره، وبفلان نظرة أي سوء هيئة، وقوله: «انظرونا نقتبس من نوركم»^(٣) أي انتظرونا^(٤) .

وأصل الباب كله الاقبال نحو الشيء بوجه من الوجوه .

وقال قوم: إنّ النظر اذا كان معه «الى»^(٥) لا يحتمل إلا الرؤية، وحملوا قوله: «الى ربّها ناظرة»^(٦) على ذلك ، وقالوا لا يحتمل التأمل .
وذلك غلط ، لأنهم يقولون: إنّنا انظر الى الله ثم اليك بمعنى اتوقع فضل الله ثم فضلك ، وقال الطريح بن اسماعيل^(٧) .

(١) البقرة: ١٠٤ .

(٢) البقرة: ٢٨٠ .

(٣) الحديد: ١٣ .

(٤) العين: مادة «نظر» ج ٨ ص ١٥٤-١٥٦ .

(٥) في حاشية النسخة الحجرية توضيح للعبارة هكذا: أي كلمة الى .

(٦) القيامة: ٢٣ .

(٧) طريح بن اسماعيل بن أبي سلمة الثقفي، ويكنى أبا الصلت، نشأ في دولة بني أمية واستنفذ شعره في الوليد بن يزيد، وأدرك دولة بني العباس، وام طريح بنت عبد الله بن سباع بن

وإذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك جرتني نعماء^(١)
وقال جميل بن معمر^(٢):

اني اليك لما وعدت لناظر نظر الفقير الى الغني الموسر^(٣)
وقال آخر:

وجوه يوم بدرناضرات الى الرحمان تأتي بالفلاح^(٤)

واتوا ب (الى) على معنى نظر الانتظار، والصحيح إن النظر لا يفيد الرؤية
وانما حقيقته تحديق الجارحة الصحيحة نحو المرئي طلباً لرؤيته، ولو افاد الرؤية

عبد المُرّي، وسباع هو الذي قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد. مات في أيام المهدي سنة
١٦٥ هـ.

(معجم الأديباء: ج ١٢ ص ٢٢، والأغاني: ج ٤ ص ٣٠٨)

(١) لم نثر عليه في المراجع المتوفرة لدينا.

(٢) جميل بن عبد الله بن معمر العذري ويكنى أبا عمرو، وهو أحد عُشاق العرب المشهورين
بذلك، وصاحبه بثينة، شاعر فصيح. عشق بثينة وهو غلام صغير فلما كبر خطبها فُرِّد عنها.
وكان أوّل ما علق بها أنه أقبل يوماً بإبله حتى أوردتها وادياً يقال له بغض، فاضطجع وأرسل
إبله مُضِعِدةً، وأهل بثينة بذنب الوادي، فأقبلت بثينة وجارة لها وارتدين الماء، فرتا على فصال
له بُرُوك فَعَرَمَتْنِ بثينة؛ أي أصابتن بشر، وهي اذا ذاك جويرية صغيرة فسبها جميل فافترت
عليه، فُلِحَ اليه سابها فقال:

وأول ما قاذَ المودةَ بيننا بوادي بغضٍ يا بشيئَ سبابُ

وقلنا لها قولاً فجاءت بمثله لكل كلامٍ يا بشيئَ جواب

فافتتن بها، وتناقل الناس أخبارهما، وجميل وبثينة كلاهما من عذرة وكانت منازلهم في
وادي القرى (من أعمال المدينة) ورحلوا الى اطراف الشام الجنوبية، فقصد جميل مصر، وأفدأ
على عبد العزيز بن مروان، فآكرمه عبد العزيز وأمر له بمنزل فأقام قليلاً، ومات فيه سنة
٨٢ هـ.

(الأغاني: ج ٨ ص ٩٠، والشعر والشعراء: ص ٢٦٠).

(٣) ديوانه: ص ٤٠، وفيه: «الكشر» بدل «الموسر». (٤) لم نعرف القائل.

لما جعل غاية لنفسه؛ ألا تراهم يقولون: ما زلت أنظر اليه، ولا يقولون: ما زلت أراه حتى رأيته؛ ولأنهم يشبتون النظر وينفون الرؤية، يقولون: نظرت اليه فلم أره، ولا يقولون: رأيته فلم أره .

المعنى:

فاذا ثبت هذا، فالأولى أن نقول: إن تأويل الآية «وأغرقنا آل فرعون» وأنتم مقبلون عليهم متوقعون له . وقال الفراء: قد كانوا في شغل من أن ينظروا مستورين بما اكتنفهم من البحر من أن يروا فرعون وغرقه، ولكنته كقولك: قد ضربت وأهلك ينظرون فما اتوك ولا اعانوك ، ومعناه وهم قريب بمرأى ومسمع .

ومثله قوله: «ألم تر الى ربك كيف مدّ الظلّ»^(١) وليس هاهنا رؤية، وإنما هو علم؛ لأن الرؤية تستعمل في مثل ذلك يقول القائل: رأيتُ فرعون أعتى الخلق وأخبثه^(٢) .

وهذا الذي ذكره الفراء محتمل مליح، غير أنه يخالف لقول المفسرين كلهم؛ فانهم لا يختلفون أن أصحاب موسى رأوا انفراق البحر والتظام أمواجه بآل فرعون حتى غرقوا، فلا وجه للعدول عن الظاهر مع احتماله؛ ولأنهم اذا عاينوا ذلك كانوا أشدّ في قيام الحجة، وأعظم في ظهور الآية. وذكر الزجاج وجهاً آخر، قال: معناه وأنتم بازائهم، كما يقول القائل: دور آل فلان الى دور آل فلان أي هي بازائها، لأنها لا تبصر^(٣) .

(١) الفرقان: ٤٥ .

(٢) معاني القرآن: ج ١ ص ٣٦ .

(٣) معاني القرآن: ج ١ ص ١٣٣ .

قصة موسى عليه السلام:

وقصة فرعون مع بني اسرائيل في البحر، ولا نعلم [إلا] جملة ما قال ابن عباس:

إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى مُوسَى «أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي أَنْكُمْ مُتَّبِعُونَ»^(١) فَسَرَى مُوسَى بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلاً فَاتَّبَعَهُ فَرَعُونَ فِي الْفِ الْفِ حِصَانِ سَوَى الْإِنَاثِ، وَكَانَ مُوسَى فِي سِتْمَاةِ أَلْفٍ، فَلَمَّا عَايَنَهُمْ قَالَ: «إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشُرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَأَنْتُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ»^(٢).

فَسَرَى مُوسَى بِبَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى هَجَمُوا عَلَى الْبَحْرِ، فَالْتَفَتُوا، فَذَا هُمْ بِرَهْجِ دَوَابِ فَرَعُونَ فَقَالُوا يَا مُوسَى «أُؤْذِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِنَا وَمَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا»^(٣) هَذَا الْبَحْرُ أَمَامَنَا وَهَذَا فَرَعُونَ قَدْ رَهَقْنَا بِمَنْ مَعَهُ «قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عِدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»^(٤).
قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى «أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ»^(٥) وَأَوْحَى إِلَى الْبَحْرِ أَنْ اسْمَعْ لِمُوسَى وَأَطِعْ إِذَا ضَرَبَكَ، قَالَ: فَبَاتَ الْبَحْرُ لَهُ أَفْكَلٌ أَيْ لَهُ رَعْدَةٌ لَا يَدْرِي مِنْ أَيِّ جَوَانِبِهِ يَضْرِبُهُ، قَالَ: فَقَالَ يَوْشَعَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِمَاذَا أُمِرْتُ، قَالَ: أُمِرْتُ أَنْ اضْرِبَ الْبَحْرَ، قَالَ: فَاضْرِبْهُ، فَضْرَبَ مُوسَى الْبَحْرَ بِعَصَاهُ، فَانْفَلَقَ، فَكَانَ اثْنَا عَشَرَ طَرِيقاً كَالطُّودِ الْعَظِيمِ، فَكَانَ لِكُلِّ سَبْطٍ مِنْهُمْ طَرِيقٌ يَأْخُذُونَ فِيهِ.

فَلَمَّا أَخَذُوا فِي الطَّرِيقِ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا لَنَا لَا نَرَى أَصْحَابَنَا،

(٥) الشعراء: ٦٣.

(١) الشعراء: ٥٢.

(٢) الشعراء: ٥٤ و ٥٥ و ٥٦.

(٣) و(٤) الأعراف: ١٢٩.

قالوا لموسى: اصحابنا لا نراهم، فقال لهم: سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم، فقالوا: لا نرضى حتى نراهم، فيقال: إن موسى قال الله تعالى: اللهم أعني على اخلاقهم السيئة، فأوحى الله اليه أن قل لعصاك (١) هكذا يمينا وشمالاً، فصار فيها كوى ينظر بعضهم الى بعض .

قال ابن عباس: فساروا حتى خرجوا من البحر، فلما جاز آخر قوم موسى هجم فرعون هو وأصحابه، وكان فرعون على فرس أدهم ذنوب حصان، فلما هجم على البحر هاب الحصان أن يتقحم على البحر، فتمثل له جبرائيل على فرس اثني ودينق فلما رآها الحصان تقحم خلفها، وقيل لموسى: اترك البحر رهواً أي طرقاتاً على حاله .

ودخل فرعون وقومه البحر، فلما دخل آخر قوم آل فرعون وجاز آخر قوم موسى، انطبق البحر على فرعون وقومه فاغرقوا. ويقال: نادى فرعون حين رأى من سلطان الله وقدرته ما رأى، وعرف ذلّه وخذلة نفسه: لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين (٢) .

فان قيل: كيف لم يُسوّ الله بين الخلق في هذه الآيات الباهرات التي اعطاها بني اسرائيل لتكون الحجة أظهر والشبهة أبعد؟

قيل: الآيات يظهرها الله على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك، وعلى حد لا ينتهي الى الاجاء والاضطرار، وخولف بين الآيات لهم على قدر حدة أذهان غيرهم وكلاله اذهانهم، يدل على ذلك إن بعد مشاهدة هذه

(١) كذا في النسخة الخطية، وفي الطبعة الحجرية: «ان قل بعصاك ...»، وفي المطبوعة تحقيق

العالمي: «انقل بعصاك ...»، وفي المجمع: «ان مل بعصاك ...».

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢١٨-٢٢٠.

الآيات قالوا: يا موسى أجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. ولما كانت العرب من أخذ الناس اذهاناً وأجودهم أوهاماً جاءت الآيات مشاكلة لطباعهم ومجانسة لدقة اذهانهم، وفي الجميع الحجة الباهرة والآية القاهرة.

وليس يمكن ان يقال: انه لو ظهر لهم مثل تلك الآيات لآمنوا لا محالة على وجه لا يكونون ملجئين اليه؛ لأن ذلك لو كان معلوماً لأظهره الله تعالى، فلما لم يظهرها الله علمنا انه لم يكن ذلك معلوماً، وموسى عليه السلام لم يكن مجتلباً الى المعارف لمشاهدته هذه الآيات؛ لأنه كان يقدم له الايمان بالله ومعرفته.

وقوله: «واغرقنا آل فرعون» وان لم يكن في ظاهره انه أغرق فرعون فهو دالٌّ عليه، وكأنه قال: وأغرقنا آل فرعون وفرعون معهم وانتم تنظرون فاختصر لدلالة الكلام عليه؛ لأن الغرض مبني على إهلاك فرعون وقومه. ونظيره قول القائل: دخل جيش الأمير البادية، فإن الظاهر من ذلك، إن الأمير معهم.

قوله تعالى:

وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ آية.

القراءة:

قرأ «وعدنا» بغير ألف أهل البصرة، وأبو جعفر هنا وفي الاعراف وطه، وقرأ الباقون بألف قبل العين^(١)، وقرأ ابن كثير وحفص والبرجمي

ورويس «اتخذتم» و«أخذتم» وما جاء منه باظهار الذال، ووافقهم الأعشى فيما كان على وزن افعلت وافتعلم، الباقون بالادغام^(١).

حجة من قرأ باثبات الالف دلالة الله على وعده وقبول موسى لأنه اذا حسن في مثل قوله: «اخلفوا الله ما وعده»^(٢) الاخبار كان هنا في الاختيار واعدنا. ومن قرأ بالالف^(٣)، قال: هو أشد مطابقة للمعنى اذ القبول ليس بوعد في الحقيقة انما هو إخبار الموعود بما يفعل به من خير، وعلى هذا قوله: «اخلفوا الله ما وعده» مجاز حقيقة بما خبروه انهم فاعلوه.

وقال جماعة من أهل العلم: ان المواعدة في الحقيقة لا تكون إلا من البشر، والله تعالى هو المتفرد بالوعد والوعيد، كما قال تعالى: «واذ يعدكم الله احدى الطائفتين»^(٤) وقال: «وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات»^(٥) والقراءتان جميعاً صحيحتان قويتان.

اللغة:

و«اذ» معطوفة على الآيات المتقدمة، كأنه قال: واذكروا اذ وعدنا، وبيّنا وجه الحسن فيه؛ فالوعد والعدة والموعود والميعاد نظائر. والوعد في الخير والوعيد في الشر، يقال: وعده وعداً وأوعده ايعاداً، وواعده مواعدةً، وتواعدوا تواعداً، واتعدوا اتعاداً، وتوعدوا في الشر خاصة.

(١) السبعة في القراءات: ص ١٥٤، والتيسير في القراءات السبع: ص ٧٣.

(٢) التوبة: ٧٧.

(٣) كذا في الطبعة الحديثة والحجرية والخطية والصحيح ظاهراً هو: «بلا ألف» فلا حظ.

(٤) الانفال: ٧.

(٥) المائدة: ٩، وراجع تفسير الطبري في معنى المواعدة: ج ١ ص ٢٢١.

قال صاحب العين: الوعد والعدة مصدران ويكونان اسمين؛ فأمّا العدة فيجمع على العدرات والوعد لا يجمع، والموعد موضع التواعد وهو الميعاد، ويكون الوعد مصدر وعدته، ويكون الموعد وقتاً للحين، والموعدة اسم العدة، والميعاد لا يكون إلا وقتاً أو موضوعاً، والوعيد من التهديد أو وعدته المكاره، ويقال أيضاً: وعدته من الشر، كقوله: «النار وعدّها الله الذين كفروا»، ووعد الفحل إذا همّ أن يصول^(١).

واصل الباب الوعد الذي هو الخبر بانه سيفعل بالخبر به خيراً أو شراً، وقال أحمد بن يحيى: تقول: أوعدته، وتسكت أو تحييء بالباء تقول: أوعدته بالشر، ولا تقول، أوعدته الشر^(٢).

وموسى اسم مركّب من اسمين بالقبطية فـ (مو) هو الماء، و(سى) شجر. وسُمّي به؛ لأنّ الثابت الذي كان فيه موسى وجد عند الماء والشجر، وجدته جوارى آسية امرأة فرعون وقد خرجن ليغتسلن، فسُمّي بالمكان الذي وجد فيه. وهو موسى بن عمران بن يصمر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب اسرائيل الله.

المعنى:

وقال: «أربعين ليلة» ولم يقل: يوماً، على عادة العرب في التأريخ بالليالي؛ لأنّ الأهلّة تطلع فيها، واعتمادهم على الأهلّة. وقال الأخفش: وعد باتمام أربعين ليلة، أو إنقضاء أربعين ليلة،

(١) مادة «وعد» ج ٢ ص ٢٢٢.

(٢) الصحاح: مادة «وعد» ج ٢ ص ٥٥١، ولم ينسبه لاحد.

كقولك: اليوم أربعون يوماً مذ خرج فلان، واليوم يومان أي تمام يومين^(١).

وقال غيره: الاربعون كلها داخلة في الميعاد^(٢).

قال أبو العالية: واعدنا موسى أربعين ليلة يعني ذا القعدة وعشرًا من ذي الحجة^(٣).

وقال غيره: ذا الحجة وعشرًا من المحرم؛ وذلك حين خلف موسى أصحابه واستخلف عليهم هارون فكث على الطور أربعين ليلة وانزلت عليه التوراة في الألواح. وعن الربيع نحوه^(٤).

وقال الطبري: لا يجوز ما قاله الأخفش؛ لأنه خلاف ظاهر التلاوة، وما جاءت به الرواية^(٥).

قال الرماني: هذا غلط ظاهر إذ^(٦) الوعد لا يتصل وقوعه في الأربعين كلها إذا كان الوعد هو الاخبار الموعود بما فيه النفع، فلم يكن ذلك الخير في طول تلك المدة، فلا بد على ذلك أن يكون التقدير على ما قاله الأخفش أو على وعدناه إقامة أربعين ليلة للمناجاة أو غيبته أربعين ليلة عن قومه للمناجاة، وما أشبه ذلك من التقدير^(٧).

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٢٦٤.

(٢) قاله الطبري في التفسير: ج ١ ص ٢٢٢.

(٣) نقله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٢٠.

(٤) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ٢٢٢.

(٥) تفسيره: ج ١ ص ٢٢٢.

(٦) كذا في حاشية الحجرية، وفي متنها والنسخة الخطية هكذا: «هذا غلط الظاهر أن».

(٧) لا يوجد لدينا كتابه.

قال أبو علي: لا يخلو أن تكون «أربعين» ظرفاً أو مفعولاً ثانياً، ولا يجوز أن تكون ظرفاً؛ لأنّ الوعد ليس فيها كلها فيكون جواب كم، ولا في بعضها فيكون جواباً متى، فإذا لم تكن ظرفاً كانت منتصبة بوقوعها موقع المفعول الثاني، فيكون تقديره: وعدنا موسى انقضاء أربعين ليلة أو تتمة أربعين ليلة، فحذف المضاف، كما تقول: اليوم خمسة عشر من الشهر أي تمامه^(١).

اللغة:

والأربعة عدد يزيد على الثلاثة، وينقص عن الخمسة، يقال: ربع ربيع رباعاً، وربّع تربيعاً، وتربّع تربعاً، وارتبّع ارتباعاً، تقول: ربعت القوم فأنا رابعهم، والرابع من الورد وهو أن تحبس الابل عن الماء أربعة أيام ثم ترد يوم الخامس، وربعت الحجر بيدي رباعاً إذا رفعته عن الأرض بيدك، وارتبعت الحجر كذلك، وربعت الوتر إذا جعلته أربع طاقات، وتقول: أربع على ضلعك، وأربع على نفسك، وأربع عليك، كل ذلك واحد بمعنى انتظر.

والربع المنزل والموطن، والربع الفصيل الذي نتج في الربيع، وما ينتج بالصيف يقال له: هبع؛ وفي المثل: (ما له هبع ولا ربع)، ورجل ربعة ومربوع ليس بطويل ولا قصير، والربعة الجونة، والمرباع كانت العرب إذا غزت أخذ رئيس القوم ربع الغنيمة والباقي بينهم.

وأول الاسنان الثنايا، ثم الرباعيات وهي أربعة ثنيتان من تحت وثنيتان من فوق، والواحد رباعية، وأربع الفرس إذا القى رباعية من السنة

الأخرى والجمع الربيع، والربيعية هي البيضة من السلاح، يقال: ربت الأرض فهي مربوعة من الربيع، وارتبع القوم اذا اصابوا ربيعاً، وحتّى ربيع تأتي في اليوم الرابع^(١)، والمربعة خشبة تشال بها الأحمال وتوضع على الابل، والربع الباهر.

ورجل مربوع ومربع اذا أخذته حى الربيع، والربيع حظ من الماء للارض ربع يوم أو ربع ليلة، يقال: لفلان في الماء ربيع، وربع المال جزء من أربعة ويقال له: ربيع، ولم يتجاوز العرب في هذا المعنى اثنين. وقال بعضهم: التسيع والعشير، والأول أظهر.

وأصل الباب الأربعة من العدد. والأربعة تجري تارة على نفس العدد، وأخرى على المعدود، فاذا أجرته على العدد قلت: أربعة اثواب، واذا أجرته على المعدود قلت: أثواب أربعة.

وليلة وعشية ومساء نظائر، ويقال: يوم وليلة على طريق النقيض. قال صاحب العين: الليل ضد النهار، والليل ظلام الليل والنهار الضياء؛ فاذا افردت أحدهما من الآخر قلت: ليلة ويوم، تصغيرها لييلة، أخرجوا الياء الأخيرة من مخرجها في الليالي. يقول بعضهم: انما كان بناؤها ليلاء فقصر يقولون: هذه ليلة ليلاء اذا اشتدت ظلمتها، قال الكمي:

وليلهم الأليل

هذا لضرورة الشعر وفي الكلام ليلاء^(٢). والليلة الوقت من غروب

(١) العبارة مشوَّشة في الحجرية والمطبوعة والحظية، والصحيح ما أثبتناه في المتن اعتماداً على عبارة

العين: مادة «ربيع» ج ٢ ص ١٣٤.

(٢) العين: مادة «ليل» ج ٨ ص ٣٦٣.

الشمس الى طلوع الفجر الثاني، واليوم من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس .

قال ابو زيد: اتخذنا مالا فنحن نتخذه اتخاذاً، وتخذت أأخذ تحذا^(١). قال أبو علي: اتخذ افعل^(٢) ومنه اتخذت، قال الله تعالى: «لوشئت لأأخذت عليه أجراً»^(٣) واتخذت: لا يتعدى إلا الى مفعول واحد. واتخذت تارة يتعدى الى مفعول واحد وتارة الى مفعولين فتعديه الى مفعول واحد، مثل قوله: «يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً»^(٤) ومثل قوله: «واتخذوا من دون الله آلهة»^(٥) وتعديه الى مفعولين مثل قوله تعالى: «اتخذوا أيمانهم جنة»^(٦) وقوله: «لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء»^(٧) وقوله: «واتخذتموهم سخرياً»^(٨) ومن أدغم فلقرب مخرج الذال من مخرج التاء، ومن لم يدغم فلا تخرجها متغاير.

والعجل والثور والبقرة نظائر، إلا إن العجل هو البقرة الصغيرة، ويقال: عجل وعجول، واشتقاقه من عجل يعجل عجلة، وأعجله أعجالاً، واستعجل استعجالاً، وتعجل تعجلاً، وعجل تعجيلاً، وعاجلته معاجلة، وتعجلوا تعاجلاً، ورجل عجل وعجل لغتان، وتقول: استعجلت فلاناً أي

(١) نقله عنه الفارسي في الحجة: ج ٢ ص ٦٠.

(٢) الحجة في علل القراءات السبع: ج ٢ ص ٦٠.

(٣) الكهف: ٧٧.

(٤) الفرقان: ٢٧.

(٥) مريم: ٨١.

(٦) المجادلة: ١٦.

(٧) الممتحنة: ١.

(٨) المؤمنون: ١١٠.

حششته». وأعجلت فلاناً أعجله إعجالاً، وتعجلت خراجه أي كلفته أن يعجله، ورجل عجلان وامرأة عجلى وقوم عجال ونسوة عجال .

والعجال الابل، والعجل عجل الثيران والواحدة عجلة، ويجمع على الأعجال، والعجالة ما تعجلت من شيء، والعجالة طعام الراكب الذي لا يحسن طبخه، ويقال: هو تمر ولبن والعجلة الادوة الصغيرة وهي المطهرة والجمع العجال. والعجلة نقيض الآجلة يعني الدنيا والآخرة، والعاجل نقيض الآجل، عام في كل شيء، تقول: عاجل وآجل، والعجل ولد البقرة، وجمعه عجاجيل، ويقال: عجول والأنثى عجولة .

وقوله: «خلق الانسان من عجل»^(١) يقال: إن آدم عليه السلام حين بلغ الروح منه الى الركبتين همّ بالنهوض قبل أن تبلغ القدمين، فقال الله تعالى: «خلق الانسان من عجل»^(٢) وأورثنا آدم العجلة، والعجل الظنين من غير الخليل، والعجل خشب يؤلف شبه المحفة تجعل عليه الاثقال وجمعه الاعجال، وصاحب عجال .

واصل الباب العجل الذي هو الاسراع، والعجلة والسرعة والخفة نظائر. ونقيض العجلة التأني، ونقيض السرعة الابطاء .

وبعدُ نقيض قبلُ، تقول: كان هذا بعدَ هذا، وتقول: بعد بعداً، أو أبعد الله إبعاداً، وتباعد تباعداً، وباعده مباعداً، واستبعده استبعاداً، وبعده تبعيداً، وتبعد تبعداً .

قال صاحب العين: (بعد) لما يكون على أثر الشيء إذا كان قد مضى

(١) الأنبياء: ٣٧ .

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٧١ .

فاذا أفردوا قالوا: هو من بعد، كقوله تعالى: «الله الأمر من قبل ومن بعد»^(١) وتقول: بعداً وسحقاً، ويقرأ: «باعد بين أسفارنا»^(٢) وبعد بمعنى واحد.

والأبعد نقيض الأقرب، والجمع: أباعد وأقارب، ويقرأ «بَعِدْتَ ثمود» و«بَعُدْتَ ثمود»^(٣) ومعناها واحد إلا أنهم يقولون: بعد الرجل وأبعده الله، والبعد من اللعن يقول: ابعده الله، أي لا يرثي له مما نزل^(٤).

وقال ابن دريد: البعد ضد القرب، وبعد ضد قبل، وسمع ابو زيد العرب تقول: فلان غير بعيد وغير بعد^(٥). وأصل الباب البعد نقيض القرب.

المعنى:

ومعنى قوله: «ثم اتَّخَذْتُمُ الْعَجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ» أي اتَّخَذْتُمُوهُ إلهاً؛ لأن بنفس فعلهم لصورة العجل لا يكونون ظالمين؛ لأنَّ فعل ذلك ليس بمحذور وإنما هو مكروه. وما روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ لَعَنَ الْمُصَوِّرِينَ^(٦) معناه: من شَبَّهَ اللهَ بخلقه أو اعتقد فيه أَنَّهُ صورة، فلذلك قَدَّرَ الحذف في الآية، كَأَنَّهُ قَالَ: اتَّخَذْتُمُوهُ الهَاءُ، وذلك أَنَّهُمْ عَبَدُوا الْعَجْلَ

(١) الروم: ٤.

(٢) سبأ: ١٩.

(٣) هود: ٩٥.

(٤) العين: مادة «بعد» ج ٢ ص ٥٣.

(٥) جهرة اللغة: مادة «ب د ع» ج ١ ص ٢٤٥.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٥، والبخاري: ج ٣ ص ١٠٨، ومسنَد أحمد: ج ٤ ص ٣٠٨.

بعد موسى لما قال لهم السامري: هذا إلهكم واله موسى .
 «فنسي» أي ترك الههم ومضى ناسياً، وقيل: بل معنى «فنسي» أي
 فترك ما يجب عليه من عبادة الله .

قصة السامري:

وكان سبب عبادتهم العجل ما ذكره ابن عباس: إن السامري كان
 رجلاً من أهل ياكرم^(١)، وكان من قوم يعبدون البقر، وكان حب عبادة
 البقر في نفسه، وكان قد اظهر الاسلام في بني اسرائيل .

فلما قصد موسى الى ربه خلف هارون في بني اسرائيل، قال لهم هارون:
 إنكم تحملتُم أوزاراً من زينة آل فرعون، وأمتعة وحلياً فتطهروا منها فإنها
 نجس، وأوقد لهم ناراً، وقال لهم: اقذفوا ما كان معكم فيها، فجعلوا يأتون
 بما كان معهم من تلك الأمتعة وذلك الحلي فيقذفون به فيها، حتى إذا
 انكسر الحلي ورأى السامري أثر فرس جبرئيل، فأخذ تراباً من أثر حافره،
 ثم أقبل الى النار .

فقال هارون: يا بني الله ألقى ما في يدي؟ قال: نعم، ولم يظن هارون إلا
 انه كبعض ما جاء به غيره من الحلي والأمتعة، فقذف فيها وقال: كن عجلاً
 جسداً له خوار، وكان البلاء والفتنة، وقال: هذا إلهكم وآله موسى،
 فعكفوا عليه وأحبوه حباً لم ير مثله قط^(٢) .



(١) كذا في الخطية والحجيرية والطبعة، وفي مجمع البيان: «ناجري».

(٢) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ٢٢٤.

اللغة :

وسمي العجل عجلًا مأخوذ من التعجيل؛ لأن قصر المدة كالعجل في الشيء .

وقال أبو العالية: انما سَمِيَ العجل عجلًا؛ لأنهم عجلوا فاتخذوه قبل أن يأتيهم موسى^(١).

وقال الحسن: صار العجل لحمًا ودمًا^(٢). وقال غيره: لا يجوز؛ لأن ذلك من معجزات الأنبياء .

ومن وافق الحسن قال: إنَّ القبضة من أثر الملك كان الله قد أجرى العادة بانها اذا طرحت على أي صورة كانت حييت، فليس ذلك بمعجزة، إذ سبيل السامري فيه وسبيل غيره سواء، ومن لم يجز انقلابه حيًا، فأول الخوار على إنَّ السامري جعل فيه خروقا فدخلها الريح فحدث فيه صوت كالخوار.

وانما قال: «وانتم ظالمون» يعني ظالمي أنفسهم إذ أدخلوا عليها الضرر بما يستحقون على عبادته من العقوبة والظلم، وقد يكون للنفس وقد يكون للغير.

وانما وصفوا بانهم اتخذوا العجل إلهًا، وهي صفة ذم لهم بما لم يفعلوا لرضاهم بما كان عليه أسلافهم، وسلوكهم طرائقهم في المخالفة لأمر الله، والذم على الحقيقة على أفعالهم فان كان اللفظ على أفعال أسلافهم فاخرج

(١) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ٢٢٥.

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٢١.

اللفظ مخرج من، كأنهم فعلوا ذلك لسلوكهم تلك الطرق وعدولهم الى المخالفة، فالذم متعلق بما كان منهم في الحقيقة .

فان قيل : هل هذا الميقات في قوله : واعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر؟

قيل : قال أبو علي وابوبكر بن اخشاد واسمه احمد بن علي : ان هذا ذاك ، وفي الناس من قال : هو غيره، والأول أظهر .

وانما ذكر الثلاثين وأتمها بعشر، والأربعين قد تكمل بعشرين وعشرين؛ لأن الثلاثين أراد بها ذا القعدة وذا الحجة فذكر هذا العدد لمكان الشهر ثم ذكر ما يتم به العدد أربعين ليلة .

وانما قال : «اربعين ليلة» ولم يقل : أربعين يوماً؛ لتضمن الليالي الأيام على قول المبرد^(١)، ومعنى ذلك : انه اذا ذكرت الليالي دخلت فيها الأيام وليس اذا ذكرت الايام دخلت الليالي فيها، هكذا هو الاستعمال .

والصحيح إن العرب كانت تراعي في حسابها الشهور والأيام والأهلة، فأول الشهر الليالي، ولذلك اُرخت بالليالي وغلبتها على الايام ولذلك صارت الايام تابعة لليالي، واكتفى بذكر الليالي من الايام، فقيل: لعشر خلون، ولم يقولوا: بعشرة؛ لأنه جرى على ما جرى على الليالي .

«واتخذ» قال الرماني: وزنه افتعل وأصله يتخذ، فقلبت الياء تاء وأدغمت في التاء التي بعدها . وقال ابو علي : يتخذت وليس من اخذت، لأنّ الهمزة لا تبدل من الياء ولا تبدل الياء منها، واتخذت لا تكون افتعلت من اخذت ويكون ابدلت الهمزة ياء ثم ادغمت في التاء، كما قالوا: اتسر

الجزور وهو من اليسر؛ لأنه لا يجوز على قول اصحابنا لاختلاف الحرفين .
وفائدة الآية التعجب من قولهم، اذ كانوا في مقدار هذه المدة اليسيرة
لغيبه موسى عنهم اتخذوا العجل إلهاً. وادغام الذال عند التاء جائز، وتركه
أيضاً كذلك جائز^(١) .

قوله تعالى:

ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ آية بلا خلاف .
قيل في معنى ما وقع العفو عنهم بقوله: «ثم عفونا عنكم» قولان :
أحدهما: انا تركنا معاجلتكم بالعقوبة من بعد اتخاذكم العجل إلهاً .
والآخر: عفونا عنكم بقبول التوبة من عبادة العجل^(٢) .

اللفظة:

والعفو والصفح والمغفرة والتجاوز نظائر. فالمغفرة نقيض العقوبة،
ويقال: عفا عفواً واعفاه اعفاءً، واستعفى استعفاءً، وعفى تعفياً، وعافاه
معافاةً، وتعفى تعفياً، وتعافى تعافياً، واعتفاه اعتفاءً .
العفو أحلّ المال وأطيبه، والعفو المعروف، والعفاة طلاب المعروف،
وهم المعتفون، تقول: اعتفيت فلاناً، اذا طلبت معروفه وفضله، والعافية من
الطير والدواب طلاب الرزق اسم جامع لها، ومنه قوله عليه السلام: من
غرس شجرة مثمرة فما اكلت العافية منها كتب له صدقة^(٣) .
والعافية دفاع الله عن العبد، يقول: عافاه الله من مكروهه وهو يعافيه

(١) الحجة في علل القراءات السبع: ج ٢ ص ٥٩ .

(٢) حكاة الطبري في التفسير: ج ١ ص ٢٢٥ .

(٣) مسند أحمد: ج ٣ ص ٣٩١ .

معافاة، والاستعفاء ان تطلب الى من كلفك امرأ أن يعفك منه، وعفي الشيء اذا كثر، وأعفيته اذا اكثرت، قال تعالى: «حتى عفوا»^(١)، ومنه إعفاء اللحية اكثارها .

وعفي درس، يقال: أخذ من فلان ما عفا وصفا . والعفا التراب، تقول: يعفيه العفا، وعليه العفا، والعفا الدروس، قال زهير:

«على آثار ما ذهب العفاء»^(٢) *

ومنه عفت الديار، والريح تعفو الديار عفاء وعفوا، وتعفت الدار والأثر تعفياً، والعفوة والعفوة والعفوة. والجمع: العفو وهي الحمر الأفتأ والفتيات. والعفاء ما كثر من الوبر والريش، وناقاة ذات عفاء كثيرة الوبر طوليلته، والعفو ولد الأتان الوحشية .

وأصل الباب الترك ، ومنه قوله: «فن عفي له من أخيه شيء»^(٣) من ترك له . وعفو الشيء صفوه .

ومعنى «لعلكم» في الآية لكي تشكروا، وقيل: معناه التعريض كأنه قال: عرضناكم للشكر .

وقوله: «من بعد ذلك» - وان كان اشارة الى الواحد- فعناه الجمع . وانما كان ذلك كذلك ؛ لأنّ ذا اسم مبهم فمرة يأتي على الأصل، ومرة يأتي على مشاكلة اللفظ اذا كان لفظ المبهم على الواحد وان كان معناه الجمع، على أنّه قد يخاطب بلفظ الواحد ويراد به الجمع، كقوله: «يا أيها النبي» ثم

(١) الأعراف: ٩٥ .

(٢) ديوانه: ص ٨، وتام البيت:

تحمّل أهلها منها فبانوا على آثار ما ذهب العفاء

(٣) البقرة: ١٧٨ .

قال: «إذا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ»^(١).

وقوله: «من بعد ذلك» إشارة الى اتخاذهم العجل لها.

اللغة:

وقوله: «لعلكم تشكرون».

فالشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم. وقال الرماني: الشكر هو الاظهار للنعمة^(٢). والصحيح هو الأول؛ لأنه قد يظهر النعمة من لا يكون شاكرًا لها.

والفرق بين الشكر والمكافاة: إنَّ المكافأة من التكافؤ وهو التساوي، وليس كذلك الشكر، ففي مكافأة النعمة دلالة على أنه قد استوفى حقها. وقد يكون الشكر مقصرا عنها وان كان ليس على المنعم عليه أكثر منه إلا أنه كلما ازداد من الشكر حسن له الازدياد وان لم يكن واجبا؛ لأنَّ الواجب لا يكون إلا متناهيًا، وذلك كالشكر لنعمة الله لو استكثرت غاية الاستكثار لم يكن لينتهي الى حدٍّ لا يجوز له الازدياد لعظم نعم الله عز وجل وصغر شكر العبد.

ويقال: شكر شكراً وشكوراً، وتشكر تشكراً، والشكور من الدواب ما يكفيه قليل العلف لسمنه. والشكر من الحيوانات التي تصيب حظاً من بقل أو مرعى فتغزير ليتها بعد قلة، يقال: اشكر القوم اذا انزلوا منزلاً فاصابت نعمهم شيئاً من بقل فدرت عليه، وانهم ليحلبون شكرة -بجزم

(١) الطلاق: ١.

(٢) لا يوجد لدينا كتابه.

الكاف- وقد شكرت الحلوبة شكراً، والشكير شعر ضعيف ينبت خلال الشيب، وكذلك ما ينبت من ساق الشجر قضبان تخرج غصّة بين قضبان عاسية يقال له: الشكر، وأشكر ضرع الناقة اذا امتلأ لبناً، والشكر بضع المرأة .

وأصل الباب الظهور. ولا يستحقّ الكافر الشكر على وجه الاجلال والانعام، والكافر لا يستحقّ كذلك وانما يجب له مكافاة نعمته كما يجب قضاء دينه على وجه الخروج اليه من غير تعظيم له ويسمى ذلك شكراً .
والشكر لا يستحقّ إلا على نعمة. ومعنى قولنا في الله: «انه غفور شكور» انه يجازي العبد على طاعاته من غير أن ينقصه شيئاً من حقه فجعل المجازاة على الطاعة شكراً في مجاز اللغة .

ولا يستحقّ الانسان الشكر على نفسه؛ لأنه لا يكون منعماً على نفسه كما لا يكون مقرضاً لنفسه، والنعمة تقتضي منعماً غير المنعم عليه، كما أن القرض يقتضي مقترضاً غير المقرض. وقد يصحّ أن يحسن الى نفسه كما يصحّ أن يسيء إليها؛ لأنّ الاحسان من المحسن، فاذا فعل بها فعلاً حسناً ينتفع به كان محسناً اليها بذلك الفعل، واذا فعل بها فعلاً قبيحاً كان مسيئاً اليها .
والشكر متعلّق في الآية بعفو الله عنهم ونعمه عليهم، كأنه قال: لشكروا الله على عفوه عنكم وسائر نعمه عليكم .

قوله تعالى:

وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٢﴾ آية .

المعنى:

قوله: «واذ» عطف على ما مضى من التذكير بنعمه، فكأنه قال:

واذكروا اذ آتينا موسى الكتاب؛ لأنّ (اذ) اسم للوقت الماضي و(إذا) لميلوقت المستقبل، وكذلك تستعمل في الجزاء؛ لأنّ الجزاء لا يكون إلّا بالمستقبل، كقولهم: ان تأتني آتكَ . و(لو) تشبه الجزاء من حيث أنّه لا بدّ لها من الجواب، كما لا بدّ لحرف الجزاء من الجواب .

وقوله: «وآتينا موسى الكتاب» معناه أعطيناه، والكتاب يريد به التوراة، وأمّا الفرقان فقال الفراء^(١) وقطرب^(٢) وتغلب^(٣): يحتمل أن يكون أتي موسى كتاب التوراة ومحمد الفرقان، كما قال الشاعر:

«مُتَقَلِّدًا سِيفًا وَرُحْمًا»^(٤) *

وضعّف قوم هذا الوجه؛ لأنّ فيه حمل القرآن على المجاز من غير ضرورة مع أنّه تعالى أخبر أنّه أتي موسى الفرقان في قوله: «ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء»^(٥) .

وقال الفراء: هو كلام مشتي يراد به التوراة، وكرّر لاختلاف اللفظين، كقولهم: بعداً وسحقاً، وهما بمعنى واحد^(٦) .

قال الرماني: هذا المثل لا يشبه الآية، لأنّه جمع الصفتين لموصوف واحدٍ على معنيين متفقين، والأولى أن يمثل بقولهم: هو العالم الكريم

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٣٧.

(٢) و(٣) راجع تهذيب اللغة: مادة «فرق» ج ٩ ص ١٠٥، ومعاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ١٣٤، نقلاً عن قطرب.

(٤) تقدّم ذكره، وهورجز لعبدالله بن الزبمرى، أورده المبردي الكامل: ج ١ ص ١٨٩، والمرضى في أماليه: ج ٢ ص ٢٦٠، وتماهه:

يَا لَيْتَ بَعْلِكَ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سِيفًا وَرُحْمًا

(٥) الأنبياء: ٤٨.

(٦) معاني القرآن: ج ١ ص ٣٧.

فجمعت الصفتان لموصوف واحد على معنيين مختلفين^(١). وقال عدي بن زيد:

وقدّمت الأديم لراشيه وألني قولها كذباً وميناً^(٢)
وقال قوم: الكتاب: التوراة، والفرقان: انفراق البحر لبني اسرائيل والفرج الذي اتاهم كما قال: «يجعل لكم فرقانا» أي مخرجاً.

وقال بعضهم: الفرقان: الحلال والحرام الذي ذكره في التوراة.
وروي عن ابن عباس وابي العالية ومجاهد: ان الفرقان الذي ذكره هو الكتاب الذي اتاه يفرّق فيه بين الحق والباطل^(٣).

وقال ابن زيد: الفرقان: النصر الذي فرّق الله به بين موسى وفرعون، كما فرق بين محمد صلى الله عليه وآله وبين المشركين، كما قال: «يوم الفرقان يوم التقى الجمعان»^(٤).

وقال ابو مسلم: هو ما أوتي موسى من الآيات والحجج التي فيها التفرقة بين الحق والباطل^(٥).

المعنى:

وقوله: «لعلكم تهتدون».

أي لكي تهتدوا، وقد بيّناه فيما مضى. وفيه دلالة على أنه تعالى أراد أن يهتدوا لأنّ هذه اللام لام الغرض؛ وذلك يفسد قول المجبرة إنه أراد

(١) لا يوجد لدينا كتابه.

(٢) أمالي المرتضى: ج ٢ ص ٢٥٨، ومعاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٣٧.

(٣) و(٥) نقل أقوالهم الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٢٥-٢٢٦ والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٢١.

(٤) الأنفال: ٤١.

منهم الكفر.

فان قيل: كيف يهتدون بما أُوتي موسى من البيان، وما أُوتي في التوراة من البرهان مع انقطاع النقل الذي تقوم به الحجة .
قيل: الجواب عنه من وجهين:

أحدهما: إنّ الخطاب لأسلافهم، كما قال: «واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون»^(١).

والثاني: إنّ إخبار الرسول لهم ما تقوم به الحجة عليهم، فيمكنهم أن يستدلوا بذلك على ما أنعم الله به على أسلافهم؛ ولأنهم مقرّون بأنّ موسى عليه السلام أُتي التوراة بما فيها من الهدى والبيّنات، فتقوم الحجة عليهم باقرارهم .

قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ
فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ
إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ آية بلا خلاف .

القراءة:

«بارئكم» أسكنَ الهمزة فيها أبو عمرو، إلّا المعدّل وسحارة - من طريق الجرمي - وابن مجاهد فكلمهم خففوا الهمزة فيها، إلّا أبا طاهر عن ابن مجاهد عن اسماعيل فإنه قلبها ياء^(٢) .

(١) البقرة: ٥٠.

(٢) الحجة في القراءات السبع: ج ٢ ص ٦٢، والسبعة في القراءات: ص ١٥٤.

المعنى :

التقدير: واذكروا ايضاً اذ قال موسى لقومه: «يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل»، وظلمهم إيتاها كان فعلهم بها ما لم يكن لهم أن يفعلوه بما يستحق به العقاب، وكذلك كل من فعل فعلاً يستحق به العقاب فهو ظالم لنفسه، وقد بينا معنى التوبة فيما مضى^(١).

اللغة :

وأما قوله: «الى بارئكم».

فالبارئ هو الخالق الصانع، يقال: برأه، واستبرأ استبرأً، وتبرأ تبرئاً، وباراه مباراة، وبرأه براءة وتبرئة. قال صاحب العين: البرء مهموز- وهو الخلق، تقول: برأ الله الخلق، وهو يبرؤهم، وهو البارئ^(٢)، وقال أمية:

الخالق البارئ المصور في الأرحام ماءً حتى يصير دماً^(٣)
والبرء السلامة من السقم، تقول: برأ يبرؤه، ويبروه، وبرئت وبرأت ووبرئت براءة، وتبرأ تبرئاً لغة في هذا، والبراءة من العيب والمكروه لا يقال منه الا برئ براء، وفاعله بريء، وفلان بريء وبراء، كقوله: إني براء، وامرأة براء، ونسوة براء وبُراء على وزن فعلاء، ومنه قوله: «انا برآء منكم»^(٤) جمع بريء. ومن ترك الهمزة قال: براء على وزن فعال .
وتقول: بارأت الرجل اي برئت اليه، وبرئ الى مثل ذلك، وبارأت

(٣) لم نعر عليه.

(٤) المتحنة: ٤.

(١) تقدم في ص.

(٢) العين: مادة «برأ» ح ٨ ص ٢٨٩.

المرأة اي صاحبها على المفارقة، وابرأت الرجل من الضمان والدين، وبرأه تبرئة، ويقال: أبرأ الله فلاناً من المرض إبراء حسناً، والاستبراء: استبراء الجارية والمرأة بأن لا يوطأها حتى تحيض، والاستبراء نقاء الفرج من القذر. وأصل الباب تبري الشيء من الشيء وهو انفصاله منه . وبرأ الله الخلق أي فطرهم؛ فأنهم انفصلوا من العدم الى الوجود. والبرية الخلق، فعيلة بمعنى مفعول، لا يهزم كما لا يهزم ملك وان كان أصله من اللوكة .

وقيل: البرية مشتقة من البراوة، وهو التراب، فلذلك لم تهمز (١). وقيل: إنه مأخوذ من برئت العود؛ فلذلك لم يهزم (٢). والبراءة من الشيء المفارقة والمباعدة عنه، وبريء الله من الكافر باعده عن رحمته . وأنواع الفعل كثيرة: منها الخلق والانشاء والارتجاع، والبرء الفطر، فأما الإحداث والإيجاد والتكوين فكالفعل. والجعل أعَم من الفعل؛ لأنه لما وجد بعد أن لم يكن، كقولك: جعلت الطين خزفاً، فلم يحدث الخزف في الحقيقة، وإنما أحدث ما صار خزفاً .

اللغة

وقوله: «فاقتلوا» .

فالقتل والذبح والموت نظائر، وبينها فرق: فالقتل نقض بنية الحياة،

(١) قاله الفراء، انظر معاني القرآن: ج ٣ ص ٢٨٧.

(٢) حكاه الأزهري عن الليث، انظر تهذيب اللغة: مادة «برى» ج ١٥ ص ٢٦٧، وأشار الى هذه الأقوال الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٢٩، وفيه بدل الألوكة «لأك» فلا حظ.

والذبح فري الأوداج، والموت عند من أثبتته معنى عرض يضاد الحياة، يقال: قتل يقتل قتلاً، واقتتلوا اقتتالاً، وتقاتلوا تقاتلاً، واستقتل استقتالاً، وقتل تقتيلاً، وقاتله مقاتلة، وقوله تعالى: «قاتلهم الله»^(١) معناه لعنهم الله، وقوم اقتال أي هم أهل الوتر، والتره أي هم أعداء وتره، وتقول: تقتلت الجارية للفتى تصف به العشق، وقال الشاعر:

تقتلت لي حتى اذا ما قتلتني تنسكت ما هذا بفعل النواسك^(٢)
واقتل فلان فلاناً اذا عرضه للقتل، والمقتل من الدواب الذي قد ذلّ ومرن على العمل، وقلب مقتل أي قتل عشقاً، ومنه قول امرئ القيس:
* في أعشار قلب مقتل^(٣) *

قال ابن دريد: قتلت الخمر بالماء إذا مزجتها، قال الشاعر:
إنّ التي ناولتني فرددتها قُتلت قتلت فهاتها لم تقتل
وتقتل الرجل لحاجة أي يأتي لها، وتقتل الرجل للمرأة اذا خضع لها في كلامه، وقتل الرجل عدوه، والجمع اقتال، وفلان قتل فلان أي نظيره وابن عمه، وقتله قتلة سوء، واقتتلوا بمعنى تقاتلوا، ومثله قتلوا؛ قال أبو النجم:

* تدافع الشيب ولم تقتل *

وناقة ذات قتال وذات كيال؛ اذا كانت غليظة وثيقة الخلق، في

(١) التوبة: ٣٠، والمنافقون: ٤.

(٢) انشده الليث، تهذيب اللغة: مادة «قتل» ج ٩ ص ٥٦، والصحاح: مادة «قتل» ج ٥ ص ١٧٩٩.

(٣) شطر من بيت من معلقته، أنظر ديوانه: ص ٣٨، وشرح المعلقات السبع للزوزني: ص ٢٠، وتمام البيت:

وما ذرقت عيناك الا لتضربي بهميك في أعشار قلب مقتل

المثل: قتلت أرض جاهلها، وقتل أرضاً عالمها. ومقاتل الانسان هي التي اذا أُصيبت قتلت^(١).

وأصل الباب القتل وهو نقض البنية التي تصحّ معها الحياة .
وقال المبرد: واصله إماتة الحركة، وقوله: «قاتلهم الله أنى يؤفكون»^(٢)
اي قد حلّوا محل من يقال له هذا القول؛ اي انزل الله بهم القتل، ويقول:
قتله علماً اذا أيقنه وتحققه .

المعنى:

وقوله: «فاقتلوا انفسكم» قيل في معناه قولان:
أحدهما: يقتل بعضهم بعضاً، ذهب اليه ابن عباس^(٣) وسعيد بن
جبير^(٤) ومجاهد^(٥) والحسن وغيرهم من أهل العلم^(٦)، كما يقول القائل:
قتل آل فلان اذا قتل بعضهم بعضاً .

والثاني: ذكره ابن عباس واسحاق واختاره ابو علي، وهو ان يستسلموا
للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلاً منهم لأنفسهم على وجه التوسّع^(٧) .
وقيل: إنّ السبعين الذين اختارهم موسى للميقات أمروا بالقتل لمن
سأل الرؤية من بني اسرائيل .
وقيل: إنهم قتلوا أنفسهم كما أمروا، عمدوا الى الخناجر وجعل بعضهم

(١) راجع جهرة اللغة: مادة «ت ق ل» ج ٢ ص ٢٦-٢٧ .

(٢) المناقون: ٤ .

(٣) و(٤) انظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٢٧ .

(٥) تفسيره: ص ٢٠٢ .

(٦) و(٧) أشار الى ذلك السيد المرتضى في أماليه: ج ٢ ص ٣٧١ من دون نسبة .

يطعن بعضاً .

قال ابن عباس وغيره من أهل العلم: ويقال: غشهم ظلمة شديدة فجعل بعضهم يقتل بعضاً، ثم انجلت الظلمة، فاجلوا عن سبعين ألف قتيل^(١) .

والسبب الذي لاجله امروا بقتل انفسهم ذكره ابن جريج: ان الله علم ان ناساً منهم علموا أنّ العجل باطل فلم يمنعم ان ينكروا إلاّ خوف القتل؛ فلذلك بلاهم الله أن يقتل بعضهم بعضاً^(٢) .

وقال الرماني^(٣) : ولا بد ان يكون في الامر بالقتل لطف لهم ولغيرهم، كما يكون في استسلام القاتل لطف له ولغيره .

فان قيل: كيف يكون في قتلهم نفوسهم لطف لهم، وبعد القتل لا تكليف عليهم، واللطف لا يكون لطفاً فيما مضى ولا فيما يقاربه؟

قلنا: اذا كان القوم كلّفوا أن يقتل بعضهم بعضا، وكل واحد منهم يقصد قتل غيره ويجوز أن يبقى بعده، فيكون القتل لطفاً له فيما بعد، ولو كان بمقدار زمان يفعل فيه واجباً واحداً. ويمتنع فيه من قبيح، وذلك كما نقول في عبادتنا في قتال المشركين؛ فإن الله تعالى تعبّدنا أن نقاتل حتى نقتل ونقتل ومدح على ذلك؛ فلذلك روى أهل السير أنّ الذين عبدوا العجل تعبّدوا أن يقاتلوا من لم يعبد ويصبروا على ذلك حتى يقتل بعضهم بعضاً، وكان القتل شهادة لمن قتل وتوبة لمن بقي. وانما كانت تكون شبهة لو امروا بان يقتلوا

(١) انظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٢٧، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٢٢ .

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٢٨ .

(٣) لا يوجد لدينا كتابه .

نفوسهم بأيديهم .

ولو صَحَّ ذلك لكان لا يمتنع بأن يكونوا أمروا بأن يفعلوا بنفوسهم الجراح التي تفضي الى الموت وان لم يزل معها العقل فينا في التكليف .
وأما على القول الآخر وهو أنهم أمروا بالاستسلام والقتل والصبر عليه؛ فلا مسألة لأنهم أمروا بقتل نفوسهم . وعلى هذا يكون قتلهم حسناً؛ لانه لو كان قبيحاً لما جاز أن يؤمروا بالاستسلام .

وكذلك نقول: لا يجوز ان يتعبد نبي أو إمام بأن يستسلم للقتل مع قدرته على الدفع عن نفسه فلا يدفعه؛ لأن في ذلك استسلاماً للقيح مع القدرة على الدفع منه، وذلك لا يجوز. وانما يقع قتل الأنبياء والأئمة على وجه الظلم، وارتفاع التمكن من الدفع مع الحرص على الدفع، غير أنه لا يمتنع ان يتعبد بالصبر على الدفاع وتحمل المشقة في ذلك وان قتله غيره ظلماً. والقتل وإن كان قبيحاً بحكم العقل، فهو ما يجوز تغييره بأن يصير حسناً؛ لأنه جار مجرى سائر الآلام، وليس يجري ذلك مجرى الجهل والكذب الذي ليس يصير قط حسناً، ووجه الحسن في القتل إنه لطف على ما قلناه، وكما يجوز من الله أن يميت الحي، كذلك يجوز أن يأمرنا بآماتته ويعوضه على ما يدخل عليه من الآلام ويكون فيه لطف على ما قدمناه .

وقوله: «ذلكم» إشارة الى التوبة مع القتل لأنفسهم على ما أمرهم الله تعالى به، بدلالة قوله: «فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم»، فقوله: «توبوا» دال على التوبة؛ فكأنها مذكورة .

اللغة :

وقوله: «خير» .

فالخير والنفع والفضل والحظ نظائر، وضد الخير الشر، وضد النفع الضرر، تقول: خار الله له الخير خيرة، واختار اختياراً، واستخار فلان استخارة، وتخير تخيراً وتخيراً، وخيره تخيراً، وخايره مخايرة، ورجل خير، وامرأة خيرة أي فاضلة، وقوم أخيار وخيار، وامرأة خيرة حقيقة في جمالها وميسمها، ومنه قوله: «فيهن خيرات حسان»^(١).

وناقة خيار، ورجل خيار، والجمع خيار، وتقول: هذه وهذا وهؤلاء خيرتي، وهو ما تختاره، وتقول: أنت بالمختار وأنت بالخيار سواء. والرجل يستخير الضبع واليربوع اذا جعل حبسه في موضع النافقاء، فخرج من القاصعاء^(٢). والخيرة مصدر خار خيرة ساكنة الياء مثل راب ريبة.

واصل الباب الخير نقيض الشر، والخير الهياة المختارة.

وحذفت الياء من قوله: «يا قوم» وأثبتت في قوله: «يالييت قومي» لأن ياء الاضافة تحذف في النداء؛ لأنه موضع حذف يحذف فيه التنوين ويحذف الاسم للترخيم، فلما كانت بالاضافة تحذف في غير النداء لزم حذفها في النداء.

وأما قوله: «يالييت قومي يعلمون»^(٣)، فانها تثبت لأنها ياء الاضافة لا يا حقها ما يوجب حذفها كما لحق الياء في النداء. ويجوز في «يا قوم» كسر الميم وحذف الياء هو اجماع القراء^(٤) ويجوز بياء ساكنة، ويجوز بفتح الياء وما قرئ بها. فأما إسكان الهمزة، فالذي رواه سيبويه عن أبي عمرو

(١) الرحمن: ٧٠.

(٢) النافقاء: جحر اليربوع، والقاصعاء مثله.

(٣) يس: ٢٦.

(٤) راجع التيسير في القراءات السبع: ص ٦٣.

اختلاس الحركة. وهو اضبط من غيره، والاسكان في مثل هذا يجوز في ضرورة الشعر، كقول الشاعر:

• اذا اعوججن قلت صاحب قوم^(١) •

وكان ينبغي أن يقال: صاحب لأنه منادى، وقال امرؤ القيس:

فاليوم فاشرب غير مستحقب إثمًا من الله ولا واغل^(٢)
وقد روى بعضهم صاح قوم، وروي فاليوم فاشرب، وروى بعضهم:
فاليوم فاسقي .

ولا يقال في الله تعالى: تائب مطلقاً، وإنما يقال: تائب على العبد .
قوله: «فتاب عليكم» فالفاء متعلق بمحذوف كأنه قال: ففعلتم أو قتلتم
أنفسكم فتاب عليكم . وكان فيما بقي دلالة عليه .

قوله تعالى:

وَإِذْ قُلْتُمْ يُمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ آية بلا خلاف .

وهذه الآية أيضاً عطف على ما تقدم، كأنه قال: واذكروا اذ قلتم
يا موسى لن نصدق حتى نرى الله جهرة .

اللغة:

فالرؤيا والنظر والابصار نظائر في اللغة، يقال: رأى رؤية، ورأى - من
الرأي - رأياً، وأراه الله اراءة، وتراءى القوم ترائياً، وارتأى ارتياء، وراه

(١) الكتاب: ج ٢ ص ٣٥٦ .

(٢) ديوانه: ص ١٤٩ .

مرآة .

قال صاحب العين^(١): الرأي رأي القلب والجمع الراء، وتقول: ما أضلّ آراءهم - على التعجب - ورأيهم أيضاً. ورأيت رؤية، وتقول: رأيت رأي العين أي حيث يقع البصر عليه، وتقول من رأي القلب: ارتأيت، وتقول: رأيت رؤيا حسنة، وتقول: رأيت فلاناً ذا مسحة في اللون ورية حسنة في اللباس والمتاع. والذي يتعرض برية كهانة أو طباً، وفي بعض اللغات ريت بمعنى رأيت، وعلى ذلك قراءة من قرأ أريت، قال الشاعر:

قد ريت منه عجباً من الكبير^(٢) *

وتراءى القوم إذا رأى بعضهم بعضاً، وتراءى لي فلان إذا تصدّى لي فأراه، والرواء المنظر في البهاء والجمال، تقول: امرأة لها رواء وبهاء وسناء أي حسنة. والمرأة مثل المنطرة والمنظر والمرأة التي ينظر فيها وجمعها مرأى. ومن حوّل الهمزة قال: مرأيا، تقول: مرأت المرأة إذا نظرت وجهها، وفي الحديث: (لا يترأى أحدكم في الماء) أي لا ينظر فيه^(٣).

ويحذفون الهمزة في كل كلمة تشتق من رأيت إذا كانت الراء ساكنة، تقول: أريت فلاناً فأنا مريٌّ وهو مريٌّ أي بحذف الهمزة، واثبتوها في موضعين؛ في قولهم: رأيتَهُ فهو مريٌّ، وأرأت الناقة والشاة إذا أراى ضرعها أنها قد اقربت وانزلت، وهي مُرأى؛ والحذف فيه أيضاً صواب. وتقول في الظن: رأيت إن فلاناً أخوك. ومنهم من يحذف الهمزة يقول:

(١) العين: مادة «رأي» ج ٨ ص ٣٠٦.

(٢) لم نعرف قائله.

(٣) نقله صاحب العين: مادة «رأي» ج ٨ ص ٣٠٨، وفيه «لا يترأى ...».

ريت أنه [فلان]، ومن قلب الهمزة من رأى قال: راي، مثل ما تقولون: استريت واسترأيت بالمرأة، والمرثية^(١) - مكسورة الراء مهموزة ممدودة - ماترى المرأة من الحيض صفرة أو بياضاً قبلاً أو بعداً .

وأما البصر بالعين فهو الرؤية إلا أن تقول: نظرت اليه رأي العين [وتذكر العين] فيه، وتقول: ما رأيته إلا رؤية واحدة، وتقول للذي يريك الشيء: مري، والمرأة مرية بلا همزة، وتقول: رأيت فلاناً برؤية، والمرأة التي تنظر فيها، والرأي ما رأيت القوم في حسن البشارة والهيئة، قال جرير:

وكل قوم لهم رأي ومختبر وليس في تغلب رأي ولا خبر^(٢)

وأصل الباب الرؤية بالعين، وشبه الرؤية بالقلب به بمعنى العلم، والرأي يرى حال صلاح ويظن خلافها، والمرية لأنها بمنزلة الآلة للقلب يرى بها .

والجهره والعلانية والمعاينة نظائر، تقول: جهر جهرأً أو جاهر مجاهرةً وجهارأً، وتجاهروا تجاهراً، ورجل جهير الصوت .

قال صاحب العين^(٣): جهر فلان بكلامه، وهو يجهر بقراءته جهارأً، وأجهر بقراءته إجهارأً، وجاهرتم بالأمر جهارأً أي عالتم به إعلاناً، واجتهر القوم فلاناً جهارأً اذا نظروا اليه، وكل شيء يبدو فقد جهر، ورجل جهير اذا كان في المنظر والجسم في الناس مجهرأً^(٤) . وكلام جهير وصوت جهير أي عال، والفعل منه جهر جهارة .

(١) في العين بدل «المرثية» عبارة: «الترية» فلاحظ.

(٢) ذكره صاحب العين: مادة «رأي» ج ٨ ص ٣١٠، ولم نثر عليه في ديوانه.

(٣) العين: مادة «جهر» ج ٣ ص ٣٨٨.

(٤) كذا في المطبوعة والحجرية والخطية، وفي المصدر: «مجهرأً» بدل «مجهرأً».

والجهر هو الجريء المتقدم، والجهوري هو الصوت العالي، والجوهر كل حجارة يستخرج منها شيء ينتفع به، وجوهر كل شيء ما خلقت عليه جبلته، والشاة الجهر التي لا تبصر في الشمس، والكبش أجهر. وقال بعضهم: جهرت البئر إذا أخرجت ما فيها من الحمأة والماء، وبئر مجهورة. والجهر ضد السر، وجهرني الرجل إذا راعك جماله وهيبته، ورجل جهير ذورواء.

واصل الباب الظهور.

والجهري يقتضي ظاهراً بعد أن يكون خافياً، ليدرك ما لم يكن قبل مدركاً.

ويستدل بالجهري على أنهم أرادوا الرؤية بالعين دون رؤية القلب. وحقيقة الجهر ظهور الشيء معانية، والفرق بين الجهر والمعانية: إنَّ المعانية ترجع الى حال المدرك، والجهرة ترجع الى حال المدرك.

المعنى:

ومعنى قوله: «حتى نرى الله جهرة» قال ابن عباس: علانية^(١). وقال قتادة: عياناً^(٢). وقد تكون الرؤية غير جهرة كالرؤية في النوم والرؤية بالقلب، فإذا قال: جهرة لم يكن إلا رؤية العين على التحقيق دون التخيل. وسؤالهم الرؤية قال قوم: هو كفر؛ لأن إجازة الرؤية كفر. وقال آخرون: ليس بكفر وإنما إجازة الرؤية التي تقتضي التشبيه كفر. فأما هذا

(١) تفسير ابن عباس: ص ٩.

(٢) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ٢٣٠.

القول منهم فكفر إجماعاً؛ لآته ردّ على الرسول وكلّ من يلقى قول الرسول بالردّ من المكلفين، كان كافراً^(١).

وأما الصاعقة فإنها تكون على ثلاثة أوجه:

أولها: الموت، كقوله: «فصعق من في السموات ومن في الأرض»^(٢) «فأخذتكم الصاعقة».

الثاني: العذاب، كقوله: «فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود»^(٣).

والثالث: نار تسقط من السماء، كقوله: «ويرسل الصواعق»^(٤) وأكثرهم على أنّ موسى لم يمت بالصاعقة كما مات من سأل الرؤية، وقال شاذّ منهم: إنّه مات بالصاعقة.

وقوله: «وخر موسى صعقاً»^(٥) أي مغشياً عليه عند أكثر المفسرين^(٦) بدلالة قوله: «فلما أفاق» والإفاقة لا تكون إلّا من الغشية دون الموت، وإلّا لكان قد قال: فلما حيي.

وقوله: «جهرّة» مشتقّ من جهرت الركية أجهرها جهرّاً وجهرّة إذا كان ماؤها قد غطاه الطين، فنقيت حتى ظهر الماء، وقيل: أخذ من قولهم: فلان تجاهر بالمعاصي إذا كان لا يسرها وإنما فزعوا بسؤال أسلافهم الرؤية

(١) راجع امالي المرتضى: ج ٢ ص ٢١٥، وله في المقام بحث شيق ودقيق.

(٢) الزمر: ٦٨.

(٣) فصلت: ١٣.

(٤) الرعد: ١٣.

(٥) الأعراف: ١٤٣.

(٦) تفسير ابن عباس: ص ١٣٧، وتفسير الطبري: ج ٩ ص ٣٧.

من حيث أنهم سلكوا طريقهم في المخالفة للنبي الذي لزمهم اتباعه والتصديق بجميع ما أتى به فجروا على عادة أسلافهم في ذلك ؛ الذين كانوا يسألون تارة أن يجعل لهم إلهاً غير الله، ومرة يعبدون العجل من دون الله، ومرة يقولون: «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة»، ومرة يقولون: «أذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون»^(١).

وقال الزجاج: في هذه الآية دلالة على مشركي العرب الذي كانوا ينكرون البعث لأنّ أهل الكتاب مع مخالفتهم الرسول يقرّون بأنّ الله أُمات قوماً في الدنيا ثمّ أحياهم^(٢).

وعندنا إنّ نقل أهل الكتاب لمثل هذا ليس بحجّة، وانما الحجّة في أخبار الله على لسان نبيه وحده؛ اذ كان كلّما يخبر به فهو حقّ وصدق. واستدل البلخي بهذه الآية على أنّ الرؤية لا تجوز على الله تعالى، قال: لأنها انكارهم امرين ردهم على نبيهم، وتجوزهم الرؤية على ربهم، وبين ذلك قوله تعالى: «فقد سألو موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة» فدلّ ذلك على أنّ المراد إنكار الأمرين^(٣).

وهذه الآية تدل على أنّ قوله: «رب أرني انظر اليك» كان سؤالاً لقومه؛ لأنه لا خلاف بين أهل التوراة إنّ موسى ما سأل الرؤية إلّا دفعة واحدة، وهي التي سأها لقومه.

وقوله: «لن نؤمن لك» تعلّق بما يخبرهم به من صفات الله عز وجل؛ لأنّهم قالوا: لن نؤمن لك بما تخبرنا به من صفاته وما يجوز عليه حتى نراه.

(١) المائدة: ٢٤.

(٢) معاني القرآن: ج ١ ص ١٣٨.

(٣) لا يوجد لدينا كتابه.

وقيل: انه لما جاءهم بالألواح وفيها التوراة قالوا: لن نؤمن بأن هذا من عند الله حتى نراه جهرَةً. ونرى على وزن نفعل وأصله نرأى، قال الشاعر:
أرى عَيْنِي ما لم تَرِايَاه كلانا عالمٌ بالترّهات^(١)
فجاء به على الأصل .
وقال آخر:

ألم تر ما لاقيت والدهر أعصر ومن يتملّ العيش يرأى ويسمع^(٢)
وانما دعاهم الى أن قالوا: «لن نؤمن لك حتى نرى الله» شكهم وحيرتهم فيما دعاهم اليه موسى عليه السلام من توحيد الله عز وجل، ولو كانوا عارفين لكان دعاهم اليه العناد لموسى، ومعلوم أنّهم لم يكونوا معاندين له عليه السلام .

وفي الناس من قال: إنّ قولهم: «جهرَةً» من صفة السؤال على التقديم والتأخير، كأنه قال: واذا قلت جهرَةً لن نؤمن لك حتى نرى الله. وقال الأكثر: إنها من صفة الرؤية. وهو الأقوى، لأنّ ما قالوه ترك الظاهر، وتقدير التقديم والتأخير ليس هنا إلى ذلك حاجة^(٣) .
وقوله: «وانتم تنظرون» يعني ما نزل بكم من الصاعقة والموت .



(١) انظر تهذيب اللغة: مادة «رأى» ج ١٥ ص ٣١٨، والبيت لسراقة البارقي كما في اللسان: مادة

«رأى» ج ٥ ص ٨٥.

(٢) لم نعرف قائله.

(٣) راجع أمالي المرتضى: ج ٢ ص ٢١٥.

قوله تعالى:

ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

قوله: «بعثناكم» احييناكم، عند أكثر المفسرين كالحسن وقتادة وغيرهما. وقال السدي: بعثناكم أنبياء^(١). والأول أصح؛ لأنه ظاهر الكلام، فلا يجوز العدول عنه .

وأصل البعث إثارة الشيء من محله، ومنه قيل: بعث فلان راحلته اذا اثارها من مبركها للسير، ومنه قولهم: بعثت فلاناً لحاجتي اذا اقتته من مكانه الذي هو فيه للتوجه فيها، ومن ذلك قيل ليوم القيامة: يوم البعث؛ لأنه يوم تثار فيه الناس من قبورهم لموقف الحساب .

اللفظة:

والبعث والارسال والإطلاق نظائر، يقال: بعثت بعثاً، وانبعثت انبعثاً، وتبعثت تبعثه، وبعثته من نومه فانبعث اي نهته فانتبه، وتقول: ضرب البعث على الجند، اذا بعثوا إلى العدو. وكل قوم يبعثون الى وجه أو في أمر فهم بعث .

وأصل الباب البعث وهو الارسال. وكل باعث فاعل، واما المبعوث فقد يكون فاعلاً وقد لا يكون، يقال: بعث الله عليهم ريحاً فاقتلعتهم والريح مبعوثة. ويقال: الشهوة للشيء تبعث على الطلب له .

بحث كلامي :

فان قيل : هل يجوز أن يرّد الله أحداً الى التكليف بعد أن مات وعان ما يضطره الى معرفته بالله؟

قيل : في ذلك خلاف، قال أبو علي: لا يجوز ذلك إلا على من لم يضطره الله الى معرفته (١).

وقال بعضهم: يجوز التكليف في الحكمة، وان اضطر الى المعرفة .
وقول ابي علي أقوى، وأعلّ الرماني (٢) قول ابي علي .

فان قيل : لما كانت المعرفة لأجل الطاعات التي كلفها العبد كانت هي الغرض الذي يتبعه سائر الطاعات، فلو ارتفع الغرض ارتفع التابع له، كما أنّ الغرض في الشرائع الاستصلاح في الأصول التي تجب بالعقل، فلو ارتفع ذلك الغرض ارتفع وجوب العمل بالشرع، وكما انه لا يجوز تكليف الطاعة مع رفع التمكن مع المعرفة من غير ضرورة اليها .

قال : ووجه القول الثاني أنّه لما كان الشكر على النعمة يجب في المشاهد مع الضرورة الى معرفة النعم، كان الشكر للنعمة التي هي أجلّ من نعمة كل منعم في الشاهد أولى أن يجب مع الاضطرار الى المعرفة .

ولابي علي أن يقول لا يمنع من الوجوب؛ لكن لا يجوز التكليف؛ لأنّ الغرض المعرفة، أي هي أصل ما وقع التكليف به للعباد .

والذي اقله : إن الذي يحیی بعد الاماتة؛ إن كان لم یخلق له المعرفة

(١) لم نعثر عليه .

(٢) لا يوجد لدينا كتابه .

الضرورية لم يضطر إليها، فانه يمتنع تكليفه؛ لأن العلم بان الاحياء بعد الاماته لا يقدر عليه غير الله طريقه الدليل وغوامض الاستدلال، فليس احياءه بعد الاماته ما يوجب ان يكون مضطراً الى معرفته، فلذلك يصح تكليفه، وليس الاحياء بعد الاماته إلا كالانتباه من النوم والافاقة بعد الغشية فإن ذلك لا يوجب علم الاضطرار.

وان فرضنا انه خلق فيه المعارف ضرورة، فلا يحسن تكليفه؛ لأن حسن التكليف موقوف على ازالة علة المكلف من فعل اللطف والأقدار وغير ذلك، ومن جملة الألطاف تكليفه للمعرفة، والضرورية لا تقوم مقامها على ما بيّناه في الأصول^(١). واذاً لا يحسن تكليفه؛ لأنه يصير مكلفاً ولم يفعل به ما هو لطف له، وذلك لا يجوز.

وقوله: «لعلكم تشكرون» معناه لكي تشكروا، وهذه لام الغرض. وفيه دليل على فساد قول المجبرة: إن الله تعالى ما اراد من الكفار الشكر؛ لأنه لو أراد كفرهم، لقال: لتكفروا، وذلك خلاف القرآن.

بحث الرجعة:

ومن استدل بها على جوازها [الرجعة] كان صحيحاً، لأن من منع منه وأحاله فالقرآن يكذبه، وإن استدل به على وجوب الرجعة وحصولها فلا يصح؛ لأن احياء قوم في وقت، ليس بدلالة على احياء آخرين في وقت آخر، بل ذلك يحتاج إلى دلالة اخرى.

(١) انظر كتاب تمهيد الأصول في علم الكلام: ص ٥.

وقول من قال: لا تجوز الرجعة؛ لأنّ ذلك معجزة ودلالة على نبوة نبي، وذلك لا يجوز إلّا في زمن نبي غير صحيح؛ لان عندنا يجوز اظهار المعجزات على يد الأئمة والصالحين. وقد بيّناه في الاصول^(١).

ومن ادعى قيام الحجّة بأنّ الخلق لا يردون الى الدنيا، كما علمنا أن لا نبي بعد نبينا مقترح مبتدع لما لا دليل على صحّته، فإنّنا لا نخالف في ذلك.

وقال البلخي: لا تجوز الرجعة مع الإعلام بها؛ لأنّ فيها إغراء بالمعاصي من جهة الاتكال على التوبة في الكرة الثانية.

قال الرماني: هذا ليس بصحيح من قبل انه لو كان فيها إغراء بالمعصية، لكان في إعلام التبقية الى مدّة إغراء بالمعصية، وقد أعلم الله تعالى نبيه وغيره ابليس أنّه يقيه الى يوم يعثون، ولم يكن في ذلك إغراء بالمعصية.

وعندي إنّ الذي قاله البلخي ليس بصحيح؛ لأنّ من يقول بالرجعة، لا يقطع على أنّ الناس كلّهم يرجعون، فيكون في ذلك اتكال على التوبة في الرجعة فيصير اغراء، فلا أحد من المكلفين إلّا ويجوز أن لا يرجع، وان قطع على الرجعة في الجملة، ويجوز أن لا يرجع يكفى في باب الزجر.

وأما قول الرماني: إنّ الله تعالى أعلم اقواماً مدّة مقامهم؛ فإنّ ذلك لا يجوز إلّا فيمن هو معصوم يؤمن من جهة الخطأ كالأنبياء ومن يجري مجراهم في كونهم معصومين؛ فأما من ليس بمعصوم، فلا يجوز ذلك؛ لأنّه يصير مغرٍ بالقبيح.

وأما تبقية ابليس مع اعلامه ان يبقيه الى يوم القيامة، ففيه جوابان :
أحدهما: انه انما وعده قطعاً بالتبقية بشرط ألا يفعل القبيح، ومن فعل
القبيح حق اخترته عقبه^(١)، ولا يكون مغرى .

والثاني: ان الله قد علم أنه لا يريد بهذا الاعلام فعلاً قبيحاً، وإلا لما
كان يفعل، وفي ذلك اخراجه من باب الاغراء .

وقد قيل: إن ابليس قد زال عنه التكليف، وانما امكنه الله من وسوسة
الخلق تغليظاً للتكليف؛ وزيادة في مشاقهم، ويجري ذلك مجرى زيادة
الشهوات انه يحسن فعلها إذا كان في خلقها تعريض للثواب الكثير الزائد .
قوله تعالى:

وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَبِئَتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ آية بلاخلاف .
قوله: «وظللنا» عطف على قوله: «ثم بعثناكم من بعد موتكم» وكأن
التقدير: ثم بعثناكم من بعد موتكم وظللنا عليكم الغمام .

اللغة:

والظلمة والغمامة والسترة نظائر في اللغة، تقول: ظلّ يظل ظلولاً،
وأظلّ اظلالاً، واستظلّ استظلالاً، وتظلّل تظلالاً، وظلّله تظليلاً، قال
صاحب العين^(٢): تقول: ظلّ نهاره فلان صائماً، ولا تقول العرب ظلّ إلا

(١) كذا في المطبوعة واما في الحجرية فهكذا: «... حق اختراجه عقبه» وفي الخطية هكذا: «حوا
احرامه عقبه» والظاهر انها كلها تصحيف عن «ولم يفعل القبيح حتى اختارته عقبه»، والله
العالم.

(٢) العين: مادة «ظل» ج ٨ ص ١٤٨.

لكلّ عملٍ بالنهار، كما لا تقول بات إلا بالليل، وربما جاءت ظلّ في أشعارهم نادراً.

ومن العرب من يحذف لام ظللت ونحوها، فأما أهل الحجاز فيكسرون الظاء على كسر اللام التي ألقيت فيقولون: ظلّنا وظلّتم، كما قال تعالى: «فظلّتم تفكّهون»^(١). والمصدر الظلول، فالامر فيه اظلل.

والظل ضد الصبح ونقيضه، ويقال لسواد الليل فيسمى ظلاً، وجمعه ظلال، قال الله تعالى: «الم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ ولو شاء لجعلّه ساكناً»^(٢) يعني الليل. والظلّ في كلام العرب هو الليل، وتقول: أظلّني هذه الشجرة إظلالاً، والمكان الظليل الدائم الظلّ، وقد دامت ظلاله، والظّلّة كهية الصّفّة، وقوله: «عذابُ يوم الظّلّة»^(٣) يقال: هو عذاب يوم الصّفّة، والمظلّة البرطلة، والاظلال الدنو، يقول: قد أظلك فلان أي كأنّه ألقى عليك ظلّه من قرب، وتقول: لا يجاوز ظليّ ظلك، وملاعب ظلّه طائر يُسمّى بذلك، والأظّل باطن منسم البعير وجمعه أظلال، قال الشاعر:

يشكو الوجي من أظللٍ وأظللٍ *

يعني من أظّل وأظّل، فظهر التضعيف بضرورة الشعر، قال لبيد:

* بنكيب معردامي الاظل^(٥) *

(١) الواقعة: ٦٥.

(٢) الفرقان: ٤٥.

(٣) الشعراء: ١٨٩.

(٤) الرجز للعجاج، انظر ديوانه: ص ١٥٥.

(٥) أنظر ديوانه: ص ١٣٩، تمام البيت هكذا:

وتصنّف المرواها جرت

اراد بخفّ نكيب أي منكوب نكبته الحجارة، مُعر ساقط الشعر أُمّلس .

والظِّلّ لون النهار تغلب عليه الشمس، قال رؤية: كل موضع تكون فيه الشمس فتزول عنه فهو ظلّ وفيه^(١) يقالان جميعاً، وما سوى ذلك يقال له: ظل، ولا يقال فيه: الفيء .

والظلّ الظليل الجنة، قال الله تعالى: «وندخلهم ظلاً ظليلاً»^(٢) والظلّ الخيال الذي يرى من الجنّ وغيره. والمظلة ايضاً تتخذ من خشب وغيره يستظل بها، والظلّ المنعة والعز، كذا ذكر ابن دريد، يقال: فلان في ظل فلان اي في عزه^(٣) .

وأصل الباب التظليل، وهو الستر. والاظلال الدنو كدنو الساتر، وحدّ التظليل الستر من علة .

والغمام السحاب والقطعة منها غمامة، تقول: يوم غمّ، وليلة غمّة، وأمر غام، ورجل مغموم ومغمّ ذو غم، وفلان في غمّة من أمره اذا لم يهتد له. والغمّاء الشديدة من شدائد الدهر، ورجل أغم وجهه غماء كثيرة الشعر تقول منه: غم يغمّ. وكذلك في القفا، قال الشاعر:

فلا تنكحي ان فرق الدهر بيننا اغم القفا والوجه ليس بانزعا^(٤)
والغميم الغمس وهو لَبَن يسَخّن حتى يغلظ^(٥) . والغمّ ضد الفرح،

(١) لم نعرّ عليه.

(٢) النساء: ٥٧.

(٣) جهرة اللغة: مادة «ظلّ» ج ١ ص ١١٠.

(٤) نسبة الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «نزع» ج ٢ ص ١٤١، والمبرد في الكامل: ج ١

ص ٢٥٨، هدية بن خشرم .

(٥) كذا في المطبوعة والحجرية والخطية وفي المصدر هكذا: «الغميم الغميس وهو الأخضر تحت

والغمة الغطاء على القلب من الغم، والغمة الضيقة، تقول: اللهم احسرعنا هذه الغمة أي الضيقة، وغمّ الهلال اذا غطاه الغيم، وكلّ شيء غطيته فقد غميته، ولذلك سمي الرطب الغموم؛ وهو الذي يوضع في جرة وهو بر، ثم يغطى حتى يرطب.

والغمام اشتق من هذا، لأنه يغطي السماء، ورجل أغمّ وامرأة غمّاء اذا دنا قصاص الشعر من حاجبيه حتى يغطي جبهته؛ وكذلك هو في القفا. وأصل الباب الغطاء.

المعنى:

يوم الغمام الذي ظلل على بني اسرائيل، قال ابن عباس ومجاهد^(١): لم يكن بالسحاب، ولكنّه الذي غنى في قوله: «هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام»^(٢) وهو الغمام الذي أتت فيه الملائكة يوم بدر، ولم يكن لغيرهم. قال ابن عباس: كان معهم في التيه^(٣) وقيل: هوما ابيض من السحاب^(٤).

وأما «المنّ» قال ابن عباس: هو المنّ الذي يعرفه الناس يسقط على الشجر^(٥). وقال قتادة: كان المنّ ينزل عليهم مثل الثلج^(٦). وقيل: هو

اليابس من النبات والغميم لبن ...».

(١) ذكر قولها الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٣٣.

(٢) البقرة: ٢١٠.

(٣) تفسيره: ص ٩.

(٤) حكاها الطبري في تفسيره: ١ ص ٢٣٣.

(٥) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٣٤.

(٦) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٣٣.

عسل. وقيل: خبز مرقق. وقيل: هو الزنجبيل^(١). وقيل: هو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار، وطعمه كالشهد والعسل عن مجاهد^(٢). وقال الزجاج: جملة المنّ ما منّ الله تعالى على عباده مما لا تعب فيه ولا نصب. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين^(٣).

قال بعض أهل العلم: يعني بمائها الوسمي الذي يكون منها الكمأ؛ وهو أول مطر يجيء في الخريف^(٤). وقيل: هو الذي يسقط على الثمام، والمنّ حلّو كالعسل^(٥). وإياه عنى الأعشى في قوله:

لو أطعموا المن والسلوى مكانهم ما أبصر الناس طعما فيهم نجعا^(٦)
وجعله أمية بن أبي الصلت في شعره عسلا، فقال:

ورأى الناس انهم بمضيع لا بذئ مزروع ولا معمورا
فنساها عليهم غاديات ومرى مزنهم خلايا وخورا
عسلاً ناطفاً وماء فراتاً وحليباً ذا بهجة مثمورا^(٧)

الناطف القاطر والصافي من اللبن، والمنّ قطع الخير قال الله تعالى لهم: «اجر غير ممنون»^(٨) أي غير مقطوع. والمنّ هو الاحسان الى من

(١) حكاه الفراء: ج ١ ص ٣٧ عن بعض المفسرين.

(٢) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٣٣.

(٣) معاني القرآن: ج ١ ص ١٣٨.

(٤) لم نعث عليه.

(٥) ذكره الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٧، والثمام: نبت ضعيف له خوص أو شبهه

بالخوص.

(٦) ديوانه: ص ١٠٩.

(٧) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٣٤، مع بعض التفاوت.

(٨) التين: ٦.

لا يستشبهه، والاسم هو المنة، والله تعالى المتان علينا الرحيم .
والمنة قوة القلب، يقال: ضعيف المنّة، ويقال: ليست لقلبه منة. والمنون الموت، وهو اسم مؤنث. قال ابن دريد: من يمينّ منا اذا اعتقد منّةً، ومنّ عليه بيد أسداها اليه إذا قرّعه بها^(١) .

وأصل الباب الاحسان. فالمنّ الذي كان يسقط على بني اسرائيل مما منّ الله عليهم أي أحسن به اليهم .

وأما «السلوى» فقال ابن عباس: هو السمانى^(٢) . وقيل: هو طائر كالسماني وواحد سلوى^(٣) قال الاخفش: لم أسمع له بواحد، قال: ويجوز أن يكون واحده سلوى مثل جماعته كما قالوا: دفلى للواحد والجماعة^(٤) .
وقال الخليل: واحده سلواة، قال الشاعر:

* كما انتفض السلواة بلله القطر *

ويقال: سلا فلان يسلوعن فلان اذا تسلى عنه، وفلان في سلوة من العيش اذا كان في رغد يسليه الهم. والسلوان ماء من شربه ذهب غمه على ما يقال، ويقال: هذا مثل يضرب لمن سلا عن شيء يقال: سقي سلوة وسلوانا^(٥) .

وقال ابن دريد: سلا يسلو أسلو سلواً وسلوةً، والسلوانة خرزة

(١) جهرة اللغة: مادة «م ن ن» ج ١ ص ١٢٢.

(٢) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ٢٣٥.

(٣) قاله الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٨.

(٤) معاني القرآن: ج ١ ص ٢٦٨.

(٥) العين: مادة «سلو» ج ٧ ص ٢٩٧، والبيت لأبي صخر الهذلي، وتعامه:

وأنّي لتعروني لذكرالكِ هزة
كما انتفض

زعموا أنّهم اذا صبّوا عليها الماء، فسقى منها الرجل سلا (١) .
وأصل الباب السلو، وهو زوال الهم .

سبب نزول المنّ والسلوى :

وكان سبب انزال المنّ والسلوى عليهم أنّه لما ابتلاههم الله تعالى بالتيه، حين قالوا لموسى: «اذهب انت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون» (٢) فأمرهم بالمسير الى بيت المقدس، فلما ساروا تاهوا في قدر خمس فراسخ أو ستة، فلما أصبحوا ساروا عادين فأمسوا، فاذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا منه، فلم يزالوا كذلك حتى تمت أربعين سنة، تفضّل عليهم في تلك الحال واحسن اليهم، وانزل عليهم المنّ والسلوى .

وكانت ريح الجنوب تحشره عليهم، قال ابن جريج: كان الرجل إذا اخذ من المنّ والسلوى زيادة على طعام يوم واحد، فسد إلّا يوم الجمعة فإنّهم اذا أخذوا طعام يومين لم يفسد (٣) .

الاعراب والمعنى :

وموضع «كلوا» نصب على «وقلنا كلوا» كذا قال الرماني .

وقيل في معنى «الطيبات» قولان:

أحدهما: انه المشتى اللذيذ. والثاني: انه المباح الحلال الذي يستلذّ أكله .
وقوله: «وما ظلمونا» .

(١) جهرة اللغة: مادة «س ل و» ج ٣ ص ٥١ .

(٢) المائدة: ٢٤ .

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٣٦ .

إنما يتصل بما قبله بتقدير محذوف، فكأنه قال: فخالقوا ما أمر الله به أو كفروا هذه النعمة. «وما ظلمونا» قال ابن عباس: وما نقصونا ولكن كانوا انفسهم ينقصون^(١).

وقال غيره: معناه وما ضرّونا ولكن كانوا انفسهم يضرّون^(٢). قال أبو علي^(٣): الظلم الذي لا يستحقه المضرور من قصده وليس للمضرور فيه نفع.

وقال الرماني^(٤): حقيقة الضرر القبيح. والصحيح في حقيقة الظلم ما ذكرناه فيما مضى هو الضرر الذي لا نفع فيه يوفى عليه، ولا دفع ضرر اعظم منه عاجلاً وأجلاً، ولا يكون واقعاً على وجه المدافعة. فأما ما قاله الرماني فهو حدّ الشيء نفسه؛ لأنّ السؤال باقٍ. ولقائل أن يقول: وما الضرر إلّا القبيح؛ لأن كونه قبيحاً حكم من أحكامه فلا بدّ من بيان ذلك حينئذٍ.

وما ذكره أبو علي ينتقض بالألم الواقع على وجه المدافعة، وبالألم الذي فيه وجه ضرر أعظم منه عن الضرورة، وبالضرر الذي فيه نفع يوازيه. وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: المَنّ كان ينزل على بني اسرائيل من بعد طلوع الفجر الثاني الى طلوع الشمس، فن نام في ذلك الوقت لم ينزل عليه نصيبه^(٥). فلذلك يكره النوم في هذا الوقت الى بعد طلوع الشمس.

(١) تفسيره: ص ٩.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٣٧.

(٣) و(٥) لم نعرّ عليه.

(٤) لا يوجد لدينا كتابه.

قوله تعالى:

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ
سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ آية
بلا خلاف .

القراءة:

قرأ نافع وأهل المدينة «يغفر» بضم الياء وفتح الفاء، الباقون بفتح النون
وكسر الفاء^(١) وادغم الراء في اللام وما جاء منه. والآية معطوفة على ما
تقدم، فكأنه قال: واذكروا إذ قلنا ادخلوا .

اللغة:

والدخول والولوج والاقترحام نظائر. والفرق بين الدخول والاقترحام: إن
الاقترحام دخول على صعوبة .

ونقيض الدخول الخروج، تقول: دخل يدخل دخولاً، وأدخله إدخالاً،
وتدأخل تدأخلاً، واستدأخل استدأخلاً، وداخله مداخلة. ويقال: في أمره
دخل أي فساد. دخل أمره يدخل دخلاً أي فسد. ودخلت الدار وغيرها
دخولاً، وأوردت ابلي دخالاً إذا أوردتها فادخلت بين كل بعيرين بعيراً
ضعيفاً بعدما ابتعر أو تشرب دون ربهها .

وفلان دخیل بني فلان إذا كان من غيرهم، وأطلعت فلاناً على دخلة
أمری إذا بثثته مكتومك . والدُّخْل طائر صغير، وفلان حسن المدخل أو قبيح

(١) كتاب السبعة في القراءات: ص ١٥٦، والحجة للفارسي: ج ٢ ص ٧٠.

المدخل أي المذهب في الأمور، وكل لحمة على عصب فهي دخلة .
 قال صاحب العين^(١): فلان مدخول اذا كان في عقله دخل أو في
 حسبه، والمدخول المهزول الداخل في جوفه الهزال. والدُّخْلَةُ بطانة الأمير،
 يقال: فلان خبث الدُّخْلَة، وادخل في عارٍ ويدخل فيه، ونحو ذلك، يصف
 شدة الدخول. ودخيل الرجل الذي يداخله في أموره كلّها فهو له دخيل
 دخال، والدخال مداخلة المفاصل بعضها في بعض، والدخولة معروفة،
 والدخل صغار الطير أمثال العصافير مأواها الغيران وبطون الأودية تحت
 الشجر الملتف وجمعه دجاخيل، والأنثى دُخْلَة .

واصل الباب الدخول. قال الرماني في حذّ الدخول: الانتقال الى
 محيط^(٢)، وقد يقال: دخل في الأمر، كما يقال: دخل في الدار تشبيهاً
 ومجازاً .

وقوله: «هذه القرية» إشارة الى بيت المقدس، على قول قتادة
 والربيع بن أنس. وقال السدي: هي قرية بيت المقدس. وقال ابن زيد:
 إنها أريحا قريب من بيت المقدس^(٣) .

اللغة :

والقرية والبلدة والمدينة نظائر. قال أبو العباس^(٤): أصله الجمع، ومنه
 المقرة: الحوض الذي تسقى فيه الابل، سمي مقرة لجمع الماء فيه. والمقرة

(١) العين: مادة «دخل» ج ٤ ص ٢٣٠.

(٢) لا يوجد لدينا كتابه.

(٣) انظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٣٧، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٢٥.

(٤) لم نعث عليه.

الجفنة التي يعدّ فيها الطعام للأضياف، قال الشاعر:

«عظام المقاري جارهم لا يفرغ»^(١)

ومنه قرية الضيف، ومنه قرية الماء في الحوض، ومنه قرية الشاة تقري، وشاة قارية إذا كانت تجمع الجرة في شدقه. وهو عيب عندهم شديد، وكل ما قري فهو مقري مثل المرقد كل ما رقدت فيه. والقري المسيل الذي يحمل الماء الى الروضة، وجمعه قريان كقضيبي وقضبان، قال الشاعر:

«ماء قريّ مده قري»^(٢)

قال ابن دريد: قرية الضيف أقريه قري، وقرية الماء في الحوض أقريه قرياً. وقري البعير: جرت في شدقه قرياً. والقرية اشتقاقها من قري البعير جرت أي جمعها، والجمع قُري - على غير قياس -. وقال قوم من أهل اليمن: قرية [قريّ].

وقال صاحب العين^(٣): القَريّة والقَريّة لغتان، تقول: ما زلت استقري هذه الأرض قرية قرية، والكسر لغة يمانية. ومن هناك اجتمعوا على جمعها على القُري، حيث اختلفوا فحملوها على لغة من قال: كِسوة وكُسوة. والنسبة اليها قُروي.

(١) لم نعرف قائله.

(٢) رجز للعجاج ذكره ابن دريد في جهرة اللغة: مادة «زَقَى» ج ٢ ص ٤١، وتامه: كأنّه والمهول عسكري إذا تبارى وهو ضحاضي
ماء قري مده قري

(٣) العين: مادة «قرو» ج ٥ ص ٢٠٣.

وأَمَّ القرى مكة، وقوله: «وتلك القرى أهلكتناهم لما ظلموا»^(١) يعني بها الكور والأمصار والمدائن. والقرا الظهر من كل شيء^(٢) حتى الآكام وغيرها، والجمع الأقراء. والقرى الإحسان الى الضيف، تقول: أقرى يقري الضيف قرئى إذا اضافه ضيافة، وانزله نزالة. والقرى جَبِيُّ الماء في الحوض. والمدة تقرأ في الجرح أي تجتمع.

المعنى:

وقوله: «وادخلوا الباب».

أي الباب الذي أمروا بدخولها. وقال مجاهد^(٣) والسدي^(٤): هو باب حطة من بيت المقدس، وهو الباب الثامن.

وقيل: باب القبة التي كان يصلي إليها موسى. وقال قوم: باب القرية التي أمروا بدخولها. قال أبو علي: قول من قال: إنه باب القبة أقوى من قول من قال: إنه باب القرية؛ لأنه لم يدخلوا القرية في حياة موسى، لأنه قال: «فبذل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم»^(٥). والعطف بالفاء يدل على أن هذا التبديل منهم كان في أثر الأمر، فدل ذلك على أنه كان في حياة موسى.

ومعنى قوله: «سجداً» قال ابن عباس: ركعاً^(٦)، وهو شدة الانحناء،

(١) الكهف: ٥٩.

(٢) هكذا في المطبوعة والحجرية والخطية، وفي المصدر: «ووسط ظهر كل شيء هو القرا...».

(٣) تفسيره: ص ٢٠٣.

(٤) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٣٨.

(٥) البقرة: ٥٩.

(٦) تفسيره: ص ٩.

ومنه السجد من النساء الفاترات الأعين، وقال الأعشى:

«ولهوي إلى حور المدامع سجد^(١)»

وقال الآخر:

ترى الأكم فيه سجداً للحوافر^(٢)

وقال غيره: ادخلوا خاضعين متواضعين، قال أعشى قيس:

تراوح من صلوات المليك طوراً سجوداً وطوراً جواراً^(٣)

المعنى:

وقوله: «حطة» .

قال الحسن وقتادة واكثر أهل العلم: معناه حُطَّ عنا خطايانا .

وروي عن ابن عباس أنه قال: أمروا أن يستغفروا . وروي عنه ايضاً

أنه قال: أمروا أن يقولوا: هذا الأمر حق، كما قيل لكم .

وقال عكرمة: أمروا أن يقولوا لا إله إلا الله^(٤) . وكل هذه الأقوال محط

الذنوب فيرحم بحطه عنها .

اللغة:

وحِطَّة مصدر مثل رِدَّة وجِدَّة من رددت وجددت .

(١) لم نجده في ديوانه .

(٢) استشهد به ابن جرير في تفسيره: ج ١ ص ٢٣٨، وتامه:

بجمع فصل البلق في حجرائه ——— يرى.....

(٣) ديوانه: ص ٨٤ .

(٤) نقل قول الجميع الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٣٨، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٢٦ .

قال صاحب العين^(١): الحظ وضع الأحمال عن الدواب، تقول: حططت عنها أحط حطاً، وانحط انحطاطاً.
والحظ والوضع والخفض نظائر. والحظ الحدر من العلو، كقول امرئ القيس:

* كجلمود صخرٍ حظه السيل من علي^(٢) *
ويقال للنجيبة السريعة: حطت في سيرها وانحطت، وتقول: حظ الله وزرك الذي أنقض ظهرك، وقال الشاعر:
* واحطط إلهي بفضلٍ منك أوزاري^(٣) *
والخطاطة بشرة تخرج في الوجه تقبح اللون ولا تفرح. وجارية مخطوطة المتنين ممدودة حسنة، والحظ حظ الأديم بالمحط وهي خشبة يصقل بها الأديم أو ينقش.
وأصل الباب الحط وهو الحدر من علو.

الإعراب:

وارتفعت «حطة» في الآية -على قول الزجاج- على تقدير مساءلتنا حطة^(٤). وقال غيره: دخولنا الباب سجداً حطةً لذنوبنا، كقوله: «وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا

(١) العين: مادة «حط» ج ٣ ص ١٨.

(٢) ديوانه: ٥٢، وتماهه:

مُكْرَمٌ مَفْرَمٌ مَقْبَلٌ مَدْبِرٌ مَعَاً كجلمود.....

(٣) ذكره صاحب العين: مادة «حط» ج ٣ ص ١٨.

(٤) معاني القرآن: ج ١ ص ١٣٩.

معذرة»^(١) يعني موعظتنا معذرة إلى ربكم .

ومحذور النصب في العربية على معنى حط عنا ذنوبنا حطاً، كقولك :
سمعاً وطاعة يعني أسمعُ سمعاً وأطيعُ طاعة، وكقولك : معاذ الله، يعني نعوذ
بالله؛ وهو أقوى لأنه دعاء .

اللغة :

وقوله : «نغفر لكم» .

والغفران والعفو والصفح نظائر، يقال : غفر الله غفراناً، واستغفر
استغفاراً واغتفر اغتفاراً. قال أبو العباس : غفر الله لزيد بمعنى ستر غطى له
على ذنوبه^(٢) .

والغفران إنما هو التغطية، يقال للسحابة فوق السحاب : الغفارة . وثوب
ذو غفر إذا كان له زئير يستر قبحه^(٣) . ويقال : المغفر، لتغطيته العنق .
ويقال : غفرت الشيء إذا واريته . والمغفرة والغفيرة بمعنى، والمغفرة منزل من
منازل القمر، يسمى [بذلك] لحفائه . وقال الزجاج^(٤) : الغفر التغطية،
وكل ما تفرع من هذا الباب فهذا معناه . وقولهم : اللهم اغفر لنا، تأويله
اللهم غطّ علينا ذنوبنا والله الغفور والغفار . والمغفر ما يغطي به الرأس من
الحديد وغيره، وكذلك الغفارة وهي خرقة تلف على سية القوس أي طرفها،
وغفارة اسم رأس جبل .

(١) الأعراف : ١٦٤ .

(٢) لم نعر عليه .

(٣) كذا في المطبوعة والخطية، وفي حاشية الحجرية : «نسجه» أو «قبيحه» فلاحظ .

(٤) لم نعر عليه .

والمغفورة والمغفارة صمغ العرط، وقد أغفر الشجر إذا ظهر ذلك فيه. وفي الحديث: إن النبي صَلَّى الله عليه وآله دخل على عائشة، فقالت: يا رسول الله أكلت مغاير^(١) تعني هذا الصمغ. ومنهم من يقول: مغاير، كما قيل: جدث وجدف. والغفر شعر صغار دون الكبار وریش دون الریش الكبار؛ لأنه هو الذي يغطي الجلد.

والغفر النكس من المريض، يقال: صلح فلان من مرضه ثم غفر أي نكس، ومنه قول ضرار-وقيل إنه لجميل:-

خليلي إن الدار غفر-لذي الهوى كما يغفر المحموم أو صاحب الكلم^(٢)
ومعناه: أن المحب إذا سلا عن حبيبه، ثم رأى داره جدد عليه حبه، فكأنه مريض نكس. وإنما قيل النكس؛ لأنه يغطي على العافية. والغفر شعر يكون في اللحيين، وقد غفر فلان وقد غفرت المرأة إذا نبت لها ذلك الشعر. ومتاع البيت يقال له: الغفر؛ لأنه يغطي على الخلل. والغفر الحوالق، ويقال: جاءوا الجماء الغفير، وجاءوا جمّاً غفيرا، وجاءوا جمّاء الغفير أي مجتمعين جمعا يغطي الأرض.

والغفر ولد الأروى وهي أنثى الوعل؛ لأنها تأوي الجبال فتستر عن الناس. يقال لأنثى الوعل إذا كان معها ولدها: مغفر، كما يقال لكل ذات طفل: مطلق. ويقال: غفرت الأمر تغفرة إذا أصلحته بما ينبغي أن يصلح به، والمعنى أصلحته بما غطى على جميع فساد، والغفر زثير الثوب، وثوب ذو غفر.

(١) سُئِنَ ابن داود: ج ٣ ص ٣٣٥ ح ٣٧١٥.

(٢) انظر الصحاح للجوهري: مادة «غفر» ج ٢ ص ٧٧١.

وغيرت المتاع إذا جعلته في وعاء، وكل شيء غطيته فقد سترته.
ويقال: إصبغ ثوبك فانه أغفر للوسخ أي استرله .

وأصل الباب التغطية، وحد المغفرة ستر الخطيئة برفع العقوبة .

والخطيئة والزلة والمعصية نظائر، يقال: خطأ خطأ، وخطأ خطأ، واستخطأه استخطأه، وخطأه تخطئة، وتخطى تخطياً. قال ابن دريد: الخطأ مقصور مهموز، يقال: خطىء الشيء خطأ إذا لم يردّه وأصابه، وأخطأ يخطىء أخطاء إذا أرادّه فلم يصبه. والأول خاطىء والثاني مخطىء به، والخطيئة تهمز^(١) .

قال صاحب العين: الخطأ ما لم يتعمّد، ولكن يخطى أخطاءً وخطاءة وتخطئة^(٢) .

واصل الباب الخطأ ومثله الزلل .

والخاطىء الذي قد زلّ عن الشيء في قصده، وإن اتفق له أن يصيبه من غير أن يقصده؛ ولذلك لا يكون الخاطىء في الدين إلاّ عاصياً؛ لأنّه لم يقصد الحق. وأما المخطىء فأنما زلّ عن قصده، ولذلك يكون المخطىء من طريق الاجتهاد مصيباً؛ لأنّه قصد الحق واجتهد في إصابته فصار إلى غيره .

وحّد الخطيئة العدول عن الغرض المجرد. وخطايا وزنها فعائل، وتقديره: خطائي، فقلبت الهمزة الأخيرة ياءً على حركة ما قبلها، فصارت خطايي، ثم فعل بها ما فعل بمداري، حتى قيل: مدارى فصارت خطاءى. فاستثقل همز بين ألفين، لأنّه بمنزلة ثلاث ألفات، فقلبت الهمزة ياء. وإنما

(١) جهرة اللغة: مادة «خ ط و» ج ٣ ص ٢٣٨.

(٢) العين: مادة «خطو» ج ٤ ص ٢٩٢.

أعلت هذا الاعلال؛ لأن الهمزة التي بعد الألف عرضت في جميع فعل القياس. تقول في جمع مرآة: مراعى، فلا تعل. والخليل يقول: وزنه فعالي على قلب الهمزة^(١).

القراءة:

من اختار النون من القراء، قال: لأنه مطابق لما تقدّم من قوله: «وظللنا» و«قلنا». وإنما اتفق القراء على خطاياكم هاهنا، واختلفوا في الأعراف وسورة نوح، لأنّ اللتين في الأعراف ونوح كتبتا في المصحف بالياء بعد ألف، والتي في البقرة بألف^(٢).
وقوله: «وسنزيد المحسنين».

فالزيادة التي وعدها الله المحسنين، هي تفضّل يعطيه الله المحسنين، يستحقونها بوعده إياهم، وهي زيادة على الثواب الذي يستحقّونه بطاعته تعالى.

اللغة:

والفرق بين أحسن اليه وأحسن في فعله: ان أحسن اليه لا يكون إلّا بالنفع له، وأحسن في فعله ليس كذلك؛ ألا ترى أنّه لا يقال: أحسن الله اليه إلى أهل النار بتعذيبهم، ويقال: أحسن في تعذيبهم بالنار يعني أحسن في فعله وفي تدبيره.

(١) العين: مادة «خطر» ج ٤ ص ٢٩٢.

(٢) التيسير في القراءات: ص ٧٣، والسبعة في القراءات ص ١٥٦، والحجّة في القراءات: ج ٢

والإحسان والإنعام والإفضال نظائر. وضدّ الاحسان الاساءة، يقال: حسن حسناً، وأحسن إحساناً، واستحسن استحساناً، وتحاسنوا تحاسناً، وحسنه تحسيناً، وحاسنه محاسنةً، والمحسن والجمع محاسن المواضع الحسنة في البدن، ويقال: رجل كثير المحاسن، وامرأة كثيرة المحاسن، وامرأة لحسنة، ولا تقول: رجل أحسن، وتقول: رجل حسان وامرأة حسانة، وهو المحسن جيداً.

والمحاسن في الأعمال ضد المساوىء، تقول: أحسن فانك الحسان. والحسنى الجنة، لقوله: «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة»^(١). والحسنى ضدّ السوء، والحسن ضدّ القبيح، والحسان جمع حسن الحقوها بضدّها، فقالوا: قبّاح وحسان، كما قالوا: عجاف وسيمان.

وأصل الباب الحسن وهو على ضربين: حسن في النظر، وحسن في الفعل، وكذلك القبح.

وحدّ الحسن من طريق الحكمة هو الفعل الذي يدعو اليه العقل، وحدّ القبح الذي يزجر عنه العقل، وحدّ الاحسان هو النفع الحسن. وحدّ الاساءة هو الضرر القبيح [و] هذا لا يصحّ إلّا على قول من يقول: إنّ الانسان يكون محسناً الى نفسه ومسيئاً اليها. ومن لا يقول فذلك يريد فيه الواصل الى الغير مع قصده الى ذلك.

والأقوى في حدّ الحسن أن نقول: هو الفعل الذي اذا فعله العالم به على وجه لم يستحقّ الذم؛ فانه لا ينتقض بشيء.

وقوله: «وكلوا منها حيث شئتم رغداً» يعني من هذه القرية، حيث

شئتم رعداً أي واسعاً بغير حساب. وقد بينا معناه فيما مضى واختلاف الناس فيه .

قوله تعالى:

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

معنى قوله: «فبدّل الذين ظلموا» غيّرّوا. وقوله: «الذين ظلموا» معناه الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله. وقوله: «غير الذي قيل لهم» يعني بذلك بدّلوا قولاً غير الذي امرّوا أن يقولوه، فقالوا بخلافه. فذلك هو التبديل والتغيير.

وكان تبديلهم بالقول: أنّهم أمرّوا أن يقولوا حطّة وأن يدخلوا الباب سجداً، وطوّطىء لهم الباب ليدخلوه كذلك فدخلوه يزحفون على أستاههم فقالوا: حنطة في شعيرة مستهزئين^(١).

وقوله: «فأنزلنا على الذين ظلموا» يعني الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله في تبديلهم بالقول والفعل .

«رجزاً» والرجز في لغة أهل الحجاز: العذاب، وفي لغة غيرهم: الرجز؛ لأنّ الرجز الشر^(٢). ومنه قوله عليه السلام في الطاعون: إنه

(١) العبارة مشوّشة في المطبوعة والحجرية والخطية، وما أثبتناه هو الصحيح ظاهراً.

(٢) أنظر العين: مادة «رجز» ج ٦ ص ٦٦، وتهذيب اللغة: مادة «رجز» ج ١٠ ص ٦١١.

رجس عذب به بعض الامم (١) وهو قول ابن عباس وقتادة (٢) .
 وقال أبو عبيدة: الرجز والرجس لغتان، مثل الردع والسدع والبزاق
 والبساق. وقال ابو العالية: هو الغضب. وقال ابو زيد: هو الطاعون؛ فقيل:
 انه مات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون ألفاً من كبارهم وشيوخهم
 وبقي الأبناء وانتقل العلم والعبادة اليهم (٣) .
 وقوله: «من السماء» قال قوم: يعني ما قضاه الله عليهم من السماء.
 وقال آخرون: أراد بذلك المبالغة في علوه بالقهر (٤).
 وقوله: «يفسقون» مضمومة السين عليه جميع القراء، وهو أشهر
 اللغات. وقد حكي في بعض اللغات بكسر السين (٥) .
 قوله تعالى:

وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ
 مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِيقًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِيبَهُمْ كُلُوا وَأَشْرَبُوا مِنْ
 رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا ۖ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ آية واحدة بلا خلاف .

المعنى:

قوله: «واذ» متعلق بكلام محذوف، ويجوز أن يكون ذلك ما تقدم
 ذكره في الآيات المتقدمة من ضروب نعم الله على بني اسرائيل، فكانه
 قال: واذكروا إذ استسقى موسى لقومه أي سأله أن يسقي قومه ماء، تقول:

(١) موطأ مالك: ص ٧٨٣ ح ٢٠، ما جاء في الطاعون.

(٢) و(٣) أنظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٤٢ وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٢٧.

(٤) لم نعرف القائلين.

(٥) قرأ الأعمش بالكسر، أنظر اعراب القرآن للنحاس: ج ١ ص ٥٩.

سقيته من سقى السقّة، واسقيته: دلّته على الماء، فنزل منزلة سؤال ذلك . والمعنى الذي سأل موسى اذ كان فيما ذكر من الكلام الظاهر دلالة على معنى ما ترك .

وكذلك قوله: «فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً» من ماء فاستغنى بدلالة الظاهر على المتروك منه؛ لأن معنى الكلام: قلنا اضرب بعصاك الحجر فضربه فانفجرت منه . فترك ذكر الخبر عن ضرب موسى الحجر اذ كان فيما ذكره دلالة على المراد وكذلك قوله: «قد علم كل اناس مشرهم» فترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه .

والانفجار الانشقاق، والانبجاس أضيّق منه، فيكون أولاً انبجاساً ثم يصير انفجاراً . والعين من الأسماء المشتركة العين من الماء مشبهة بالعين من الحيوان بخروج الماء منها، كخروج الدمع من عين الحيوان .

وقد بيّنّا إنّ أناساً لا واحد له من لفظه فيما مضى ، وإن الانسان لوجع على لفظه لقليل اناسين واناسيه .

وقوم موسى هم بنو اسرائيل الذين قصّ الله عز وجل قصصهم في هذه الآيات . وانما استسقى لهم ربهم الماء في الحال التي تاهوا فيها في التيه شكوا اليه الظمأ، فامروا بحجر طوري أي من الطور، فضربه موسى بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً لكل سبط عين معلومة ماؤها لهم .

وروي عن ابن عباس أنه قال: ظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المنّ والسلوى وجعل لهم ثياباً لا تبل ولا تتسخ وجعل بين ظهرانهم حجر مربع^(١) . وروي انه كان مثل شكل الرأس^(٢) .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٤٣ .

(٢) أخرج ذلك الطبري في تفسيره عن ابن زيد: ج ١ ص ٢٤٣ .

وامر موسى فضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً في كل ناحية منه ثلاثة عيون، ولا يرحلون مرحلة إلاّ وجدوا ذلك الحجر بينهم في ذلك المكان الذي كان بينهم في المنزل الأول .

وقيل: إنهم كانوا ينقلونه معهم في الجوالق، اذا احتاجوا الى الماء ضربه موسى بالعصا فينفجر منه الماء^(١).

وقال قوم: بانه امر بان يضرب أي حجر شاء لا حجراً بعينه^(٢).
والأول أظهر لأن فيه لام التعريف .

القراءة :

والشين ساكنة في اثنتا عشرة عند جميع القراء، وكان يجوز كسرهما في اللغة ولم يقرأ به أحد. والكسر لفة ربعة وتميم، والاسكان لفة أهل الحجاز واسد^(٣)، فاذا صغرت اثنتا عشرة قلت: ثني عشرة، واذا صغرت ثني قلت: ثنتي عشرة .

وروى فتحها محمد عن الأعمش^(٤) وهو غلط إلاّ اذا قيل: عشرة مفرد فانه يفتح الشين. فاما ما زاد على ذلك فالشين ساكنة، أو مكسورة إلاّ قولهم: أحد عشر إذا بنيا معاً .

الاعراب :

ونصب عيناً على التمييز، وعند الكوفيين على التفسير. ولا ينبغي الوقف

(١) انظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٤٤.

(٢) و(٤) لم نعر عليه.

(٣) انظر اعراب القرآن للنحاس: ج ١ ص ٢٣٠، ومعاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٢٧١.

على أحد الاسمين المجعولين اسماً واحداً دون الآخر، كقولك: أحد عشر واثنًا عشر وما اشبه ذلك، ولذلك يكره الوقف على العدد الأخير قبل أن يميزه ويفسره.

وكذلك قوله: «خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ مرداً»^(١) و«ملء الأرض ذهباً»^(٢) و«عدل ذلك صياماً»^(٣) و«خير حافظاً»^(٤) و«احسن ثواباً»^(٥) واشباه ذلك.

التفسير:

ومن آيات الله العجيبة انفجار العيون من الحجر الصلد بعدد قبائل اسرائيل على وجه يعرف كل فرقة منهم شرب نفسه، فلا ينازعه فيه غيره، وذلك من الأمور الظاهرة، على أنَّ فاعل ذلك هو الله تعالى وإن ذلك لا يتم فيه حيلة محتال ولا كيد كائد. ومن استبعد ذلك من الملحدین فالوجه ان يتشاغل معه في الكلام في اثبات الصانع، وحدث الصنعة، واثبات صفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز، فاذا ثبت ذلك سهل الكلام في ذلك.

ومتى شك في ذلك أو في شيء منه، كان الكلام معه في هذا الفرع ضرباً من العناء لا وجه للتشاغل به.

وقوله هاهنا: «فانفجرت» لا ينافي قوله في الأعراف:

(١) مريم: ٧٦.

(٢) آل عمران: ٩١.

(٣) المائدة: ٩٥.

(٤) يوسف: ٦٤.

(٥) لا توجد هكذا آية، بل توجد «خيرٌ ثواباً» الكهف: ٤٤.

«فانبجست»^(١) لأنّ الانبجاس هو الانفجار إلّا أنه قليل، وقيل: إنه لا يمتنع أن يكون أوله ما ينبجس كان قليلاً ثم صار كثيراً، حتى صار انفجاراً.

وقوله: «كلوا واشربوا من رزق الله» يعني من النعم التي عددها عليهم من المن والسلوى وغير ذلك .

وقوله: «ولا تعثوا في الأرض مفسدين» أي لا تطغوا ولا تسعوا في الأرض فساداً. وأصل العثا شدة الفساد، يقال منه: عثا فلان في الأرض الى غاية، يعثأ والجماعة يعثون .

وفيه لغتان أخريتان: أحدهما: يعثو عثواً. ومن قرأ بهذه اللغة ينبغي أن يضمّ الثاء، ولم يقرأ به أحد. واللغة الأولى لغة أهل الحجاز. و[ثانيها] قال بنو تميم: عاث يعيث عيثاً وعيوثاً وعيثاناً، بمعنى واحد^(٢)، قال رؤبة بن العجاج:

وعاث فينا مستحل عاثت مصدقاً أو فاجر مباحث^(٣)
يعني بقوله: عاث فينا افسد فينا. وقيل: يعثو أصله العيث، فقدما بعض الحروف وأخروا بعضها، يقال: عثا يعثو وعاث يعيث وهو الفساد، قال ابن اذينة الثقفي:

نقيم ولا نعثوا برح واننا على الناس سحايون شوس الحواجب^(٤)
وانما قال: «ولا تعثوا في الأرض مفسدين» وإن كان العيث لا يكون

(١) الأعراف: ١٦٠.

(٢) راجع معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٢٧٢.

(٣) البيت أورده الطبري في التفسير: ج ١ ص ٢٤٥ مع اختلاف في عجزه.

(٤) لا يوجد لدينا ديوانه.

إلا فساداً؛ لأنه يجوز أن يكون فعلاً ظاهره الفساد وباطنه المصلحة، كخرق موسى (١) السفينة، فبين ذلك العيث الذي هو الفساد ظاهراً وباطناً .
قوله تعالى:

وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِي لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَحْدٍ قَادَعُ لَنَارَبِكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا
تُثْنِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ
أَنْتَبِدُلُونَكَ الَّذِي هُوَ أَذَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْطُوا مِصْرًا فَإِنَّ
لَكُمْ مَآسَاءً أَنْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ
مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ
بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ آية بلا خلاف .

القراءة:

قرأ أهل المدينة «النبيين» بالهمز ، الباقون بغير همز (٢) . وترك الهمز
هو الاختيار .

اللغة:

واختلفوا في اشتقاقه، فقال بعضهم: من أنبائك الامر كأنه أنبأ عن الله
وأخبر عنه (٣) . فترك همز ذلك لكثرة ما يجزي . وقال الكسائي: النبي
الطريق يراد به أنه علم وطريق الى الحق (٤) .

(١) هكذا في جميع النسخ والظاهر أنه «صاحب موسى» .

(٢) كتاب السبعة في القراءات: ص ١٥٦ .

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٧٢ .

(٤) ذكره الازهري في تهذيب اللغة: مادة «نبا» ج ١٥ ص ٤٨٦ .

واصله من النبوة والنجوة أي المكان المرتفع .

ومن قال: هو مشتق من الإنشاء، قال: جاء فعيل بمعنى مفعول، كما قال: سميع بمعنى مسمع، كذلك قالوا: نبي بمعنى منبأ وبصير بمعنى مبصر، وابدل مكان الهمزة من النبيء الياء، فقالوا: نبيّ، هذا .

ويجمع النبي أنبياء، وإنما جمعه كذلك لأنهم ألحقوا النبي بابدال الهمزة منه ياء، فالتعوت التي تأتي على تقدير فعيل من ذوات الياء والواو وذلك كقولهم: وليّ وأولياء، ووصي وأوصياء، ودعيّ وأدعياء. ولو جمعه على أصله، والواحد بني ليعتل إليها، لأن فعيل يجمع فعلاء، كقولهم: سفينة وسفهاء، وفقهاء، وشريك وشركاء .

وقد سمع من العرب «النبأ» وذلك في لغة من هزر النبي، ومن قول العباس بن مرداس السلمي (١) في وصف النبي صلى الله عليه وآله ومدحه:

يا خاتم النبأ أنك مرسلٌ بالحق خيرُ هدى إله هداكا (٢)
فجمع على أن واحدهم نبيء مهموز، وقد قال بعضهم: النبي والنبوة غير مهموزين؛ لأنها مأخوذتان من النبوة، وهي مثل النجوة، وهما مأخوذتان من المكان المرتفع. وكلّ يقول: إن أصل النبي الطريق، قال القطامي:

لما وردن نبيا واستتبّ بها! مسحفر كخطوط السبع منسحل (٣)

(١) هو العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من مضر، شاعر فارس من سادات قومه. أمه الخنساء عاش في زمن الجاهلية والإسلام، واسلم قبيل فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم، ويدعى فارس العبّيد وهو فرسه مات في سنة ١٨ هـ.

(٢) ديوانه: ص ١٢٢، وورد العجز هكذا: بالحق كلُّ هدى السبيل هداكا.

(٣) ديوانه: ص ٤.

قالوا: وسمي الطريق نبياً، لأنه ظاهر مبين من النبوة. قال ابو علي الفارسي^(١): قال أبو زيد: نبات من أرض الى أرض، وانا انبأ نبأ ونبوء إذا خرجت منها الى أخرى^(٢)، وليس اشتقاق النبي من هذا وان كان من لفظه ولكنه من النبأ الذي هو الخبر، كأنه المخبر عن الله. فان قلت: لم لا يكون من النبوة ومما أنشده ابو عثمان، قال: انشديني كيسان^(٣):
محض الضريبة في البيت الذي وضعت فيه النبوة حُلواً غيرَ ممذوق^(٤)
أو يجوز فيه الأمرين؟

فنقول: إنه يجوز أن يكون من النبوة ومن النبأ كما أُجيز في غرضه أن يكون من الواو، كقوله «وعضوات»^(٥) ومن الهاء كقوله:
* لها بعضاة الأرض تهزيز*^(٦)

قال: وليس ذلك كالعضة؛ لأن سيبويه زعم أنهم يقولون في تحقير النبوة: كان مسيلم بنبؤته نُبِيَّةً سوء^(٧). وكلهم يقولون: تنبأ مسيلم. ولو كان يحمل الأمرين جميعاً، لما اجمعوا على تنبأ ولا على النبيئة.

(١) الحجة: ج ٢ ص ٧٢. (٢) نقل قوله الجوهري في الصحاح: مادة «نبأ» ج ١ ص ٧٤.

(٣) في الخطية والحجرية والمطبوعة «ابن كيسان» وفي المصدر «كيسان» وهو الصحيح ظاهراً.

(٤) البيت المذكور في الحجة: ج ٢ ص ٧٢ ولم نعرف قائله.

(٥) كلمة من بيت ذكره سيبويه في الكتاب: ج ٣ ص ٣٦٠ وتماه:

هذا طريق يأزم المآزما وعضوات تقطعُ اللهازما
(٦) صدره:

قد حال دون دريسية مؤوبة

نسع لها بعضاة الأرض، تهزيز

والبيت للمتنخل الهذلي، أنظر ديوان الهذليين: ج ٢ ص ١٦.

(٧) الكتاب: ج ٣ ص ٤٦٠.

فان قيل : فلم لا يستدل بقولهم : انبياء [على جواز الأمرين في اللام من النبي] ^(١)؟ قيل : ما ذكرته لا يدل على تجويز الأمرين، لأن (أنبياء) انما جاز لأن البدل لما النزم في نبيء صار في لزوم البدل له، كقولهم : عيد وأعياد، فكما أن عيد لا يدل على أنه من الياء لكونه من عود الشيء، كذلك لا يدل انبياء على أنه من النباوة. ولكن لما لزم البدل جعل بمنزلة تقي وأتقياء، وصني وأصفياء، فلما لزم صار كالبرية الخائبة، ونحو ذلك مما لزم الهمزة فيه حرف اللين بدلاً من الهمزة، لما دل على أنه من الهمزة، وأنه لا يعترض عليه شيء وصار قول من حقق الهمزة في النبي، كرد النبي إلى الأصل المرفوض استعماله؛ نحو: وَذَرَّ وَوَدَعَ، فن ثم كان التخفيف فيه الأكثر.

فأما ما روي في الحديث : «من أن بعضهم قال: يا نبيء الله، فقال: لست بنبيء الله ولكتي نبيي الله» قال أبو علي: أظن أن من أهل النقل من ضعف اسناده، ومما يقوي تضعيفه أن من مدح النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا خاتم النبأ لم يؤثر فيه انكار عليه. ولو كان في واحده نكير لكان في الجمع مثله ^(٢).

ثم بينا فيما مضى أن الصبر كفت النفس وحبسها عن الشيء.

المعنى:

فإذا ثبت ذلك، فكأنه قال: واذكروا إذ قلتم يا معشر بني اسرائيل:

(١) ما بين المعقوفين أضفناها من كتاب الحجة توضيحاً للمطلب.

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٧٥.

لن نطيق حبس أنفسنا على طعام واحد. وذلك الطعام هو ما أخبر الله عز وجل إذ أطعمهم في تيههم وهو السلوى في قول أهل التفسير، وفي قول ابن منبه: الخبز النقي مع اللحم. فسل ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من البقل والقثاء، وما سمّاه الله مع ذلك. وذكر انه سألوه لموسى وكان سبب مسألتهم ذلك ما رواه قتادة قال: كان القوم في البرية، وقد ظلل عليهم الغمام، وانزل عليهم المنّ والسلوى، فلما ذلك وذكروا عيشاً كان لهم بمصر فسألوا ذلك موسى، فقال الله تعالى: «اهبطوا مصرأ فان لكم ما سألتكم»^(١).

وانما قال: «مما تنبت الأرض»، لأن «من» تدخل للتبعيض، ولولم تدخل هاهنا لكانت المسألة تدخل على جميع ما تنبته الأرض، فأتوا به (من) التي نابت مناب البعض حيث قامت مقامه.

وفي الناس من قال: إنّ «من» هاهنا زائدة وانها تجري مجرى قولهم: ما جاءني من أحد^(٢) والصحيح الأول؛ لان (من) لا تزداد في الايجاب وانما تزداد في النفي؛ ولأنّ من المعلوم أنّهم ما أرادوا جميع ما تنبته الأرض، وجرى ذلك مجرى قول القائل: أصبت اليوم من الطعام عند فلان؛ يريدُ أصبت شيئاً منه.

وقوله: «يخرج» جزم جواب الأمر. و«البقل» و«القثاء» معروفان، وفي القثاء لغتان: ضمّ القاف وكسرها، والكسر أجود وهي لغة القرآن. وانما ذكر الله تعالى هذه الألفاظ - وان لم تكن لاثقة بفصاحة القرآن - على

(١) ذكر ذلك الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٤٥.

(٢) معاني القرآن للاخفش: ج ١ ص ٢٧٢.

وجه الحكاية عنهم .

واما «الفوم» فقال ابن عباس وأبو جعفر الباقر عليه السلام وقتادة والسدي: انه الخنطة^(١) . وانشد ابن عباس قول أحيحة بن الجلاح: قد كنت اغنى الناس شخصاً وافداً ورد المدينة عن زراعة فوم^(٢) وقال الفراء والجبائي والازهري: هو الخنطة والخبز، تقول العرب: قوموا بالتشديد-أي اخبزوا لنا^(٣) .

وقال قوم: [هو] الحبوب التي تخبز، وهو مأثور^(٤) . وقال ابن مجاهد وعطا وابن زيد: انه الخبز^(٥)، وفي قراءة ابن مسعود، وهو قول الربيع بن انس والكسائي انه الشوم، وابدل الشاء فاء كما قالوا: جدت وجدف واثافي واثائي^(٦) .

قال الفراء: وهذا أشبه بما بعده من ذكر البصل^(٧) .

قال أمية بن أبي الصلت:

فوق شرى مثل الجوابي عليها قطع كالوذيل في نفي فوم^(٨)

(١) أخرج رواية الامام الباقر عليه السلام القمي في تفسيره: ج ١ ص ٤٨، وأخرج أقوال البقية الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٤٦، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٢٨ .

(٢) أنظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٤٧، ولسان العرب: مادة «فوم» ج ١ ص ٣٥٥ .

(٣) معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٤٠، وتهذيب اللغة للازهري: مادة «فام» ج ١ ص ٥٧٣ .

(٤) حكى ذلك الازهري في تهذيب اللغة: مادة «فم» ج ١ ص ٥٧٤، وفي النسخ «في» بدل [هو] والصحيح ما أثبتناه .

(٥) أنظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٤٦، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٢٨ .

(٦) راجع تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٤٧، وتهذيب اللغة: مادة «فم» ج ١ ص ٥٧٤ .

(٧) معاني القرآن: ج ١ ص ٤١ .

(٨) لم نعر عليه .

وقال ايضاً:

كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة فيها الفراديس والفومان والبصل^(١)
قال الزجاج: وهذا بعيد؛ لانه لا يعرف الثوم بمعنى الفوم، لان القوم
لا يجوز ان يطلبوا الثوم ولا يطلبون الخبز الذي هو الأصل. وايضاً
فلا خلاف أن الفوم هو الطعام، وإن كان كل حب يخبز منه يقال له:
فوم^(٢).

وقوله: «أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير» .

قيل فيه قولان:

أحدهما: الذي هو أدنى الطعامين بدلاً من أجودهما .

والثاني: الذي تتبدلون في زراعته وصناعته بما أعطاكم الله عفواً من

المن والسوى .

وقرأ بعضهم: أدناً مهموزاً^(٣). وقال بعض المفسرين: لولا الرواية لكانَ
هو الوجه؛ لأنّه من قولك: رجل دنيء من الدناءة، وما كنت دنيئاً،
ولكنك دنئت أي خسست، واذا قرء بلا همز فعناه: القرب^(٤).

وليس هذا موضعه، ولكنه موضع الخساسة، ولو كان ما سأله أقرب
اليهم لما سأله ولا التمسوه. ويجوز أن يجعل أدنى وأقرب بمعنى: أدون، كما
تقول: هذا شيء مقارب أي دون .

وحكى الأزهري عن أبي زيد: الداني - بلا همز - الخسيس، والدنيء

(٢) معاني القرآن: ج ١ ص ١٤٣ .

(١) لسان العرب: مادة «فوم» ج ١٠ ص ٣٥٥ .

(٣) حكاه ذلك الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٤٢، والأزهري في تهذيب اللغة: مادة «دنا» ج ١٤

ص ١٨٧ .

(٤) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٤٧ .

- بالهمز- الما جن^(١) .

وقوله: «اهبطوا مصرأ» تقديره: فدعى موسى فاستجبنا له، فقلنا لهم: اهبطوا مصرأ. وقد تمّ الكلام؛ لأن الله أجابهم بقوله: «فإنّ لكم ما سألتُم وضربت...» ثمّ استأنف حكم الذين اعتدوا في السبت ومَن قتل الانبياء فقال: «ضربت عليهم الذلة والمسكنة» .

القراءة:

ونون جميع القراء «مصرأ» وقرأ بعضهم بغير تنوين^(٢) ، وهي قراءة ابن مسعود بغير الف^(٣) .

وقال قتادة والسدي ومجاهد وابن زيد: لأنّه أراد مصرأ من غير تعيين؛ لأن ما سألوه من البقل والقثاء لا يكون إلّا في الامصار. وقال الحسن وابو العالية والربيع: إنه أراد مصر فرعون الذي خرجوا منه^(٤) .

وقال ابو مسلم محمد بن بحر: اراد بيت المقدس لقوله: «ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم» وروي ذلك عن ابن زيد^(٥) .

اللغة:

واما اشتقاق مصر، فقال بعضهم: هو من القطع لانقطاعه بالعمارة.

(١) تهذيب اللغة: مادة «دنا» ج ١٤ ص ١٨٨ .

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٤٨ ، وانظر تهذيب اللغة للأزهري: مادة «مصر» ج ١٢ ص ١٨٣ .

(٣) أنظر معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٤٣ .

(٤) نقل أقوالهم الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٤٨، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٢٩ .

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٤٨ .

ومنهم من قال: هو مشتق من الفصل بينه وبين غيره^(١). قال عدي بن زيد:

وجاعل الشمس مصرّاً لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلاً^(٢)
ومن نَوّن أراد مصرّاً من الامصار غير معين. ويجوز أيضاً أن يريد مصرّاً
بعينه الذي خرجوا منه، وإنما نَوّن إتباعاً للمصحف؛ لأن في المصحف ألف
كما قرأ «قوارير» «قواريراً»^(٣) منوناً اتباعاً لخط المصحف.
ومن لم ينوّن أراد مصر بعينها لا غير. وكلّ ذلك محتمل.

المعنى:

وقوله: «ضربت عليهم الذلة والمسكنة» استئناف كلام بما فعل الله
بهم؛ يعني بالذين اعتدوا في السبت وقتلوا الانبياء.
ومعنى «ضربت» أي فرضت ووضعت عليهم الذلة وألزموها، من قول
القائل: ضرب الامام الجزية على أهل الذمة، وضرب فلان على عبده
الخراج، وضرب الأمير على الجيش البعث، يريد بجميع ذلك ألزم ذلك،
وبه قال الحسن وقتادة^(٤).

وقيل: معنى «ضربت عليهم» أي حلوا بمنزلة الذل والمسكنة،
مأخوذ من ضرب القباب، قال الفرزدق في جرير:

(١) تهذيب اللغة: مادة «مصر» ج ١٢ ص ١٨٣.

(٢) تهذيب اللغة: مادة «مصر» ج ١٢ ص ١٨٣، ونسبه ابن سيده في المحقق: ج ٤، السفر ١٣ ص ١٦٤ الى أمية بن أبي الصلت فلاحظ.

(٣) الدهر: ١٥.

(٤) راجع تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٤٩-٢٥٠، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٢٩.

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل (١) وأما «الذلة» فقال الحسن وقتادة وغيره: ان الجزية الصغار [لقوله: حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون] (٢) [والذلة] مشتق من قولهم: ذل فلان يذل ذلاً وذلةً .

وأما المسكنة فهي مصدر التسكين، يقال: ما فيهم أسكن من فلان، وما كان سكيناً ولكن تمسكن تمسكناً، ومنهم من يقول: تسكن تسكناً، والمسكنة هاهنا مسكنة الفاقة والحاجة، وهي خشوعها وذلتها، تقول: ما في بني فلان اسكن من فلان أي أفقر منه، وهو قول أبي العالية والسدي (٣) . وقال ابن زيد: المعني يهود بني اسرائيل، أبدلهم الله تعالى بالعز ذلاً، وبالنعمة بؤساً، وبالرضا عنهم غضباً، جزاء منه بما كفروا بآياته، وقتلهم (٤) أنبياءه ورسله اعتداء وظلماً (٥) .

وقوله: «وباءوا بغضب من الله» أي انصرفوا ورجعوا، ولا يقال: باء إلا موصولاً إما بخير وإما بشر، وأكثر ما يستعمل في الشر، كذا قال الكسائي (٦) . ويقال: باء بدينه يبوء به بوء، ومنه قوله تعالى: «أريد أن تبوء بإثمي وإثمك» (٧) يعني ترجع بما قد صار عليك دوني .

(١) شرح ديوان الفرزدق: ج ٢ ص ٣١٨ .

(٢) ما بين المعقوفتين أضفناها من عبارة مجمع البيان للطبرسي توضيحاً للمطلب. والعبارة في المطبوعة والحجرية مشوشة .

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٥٠ .

(٤) في الخطية والمطبوعة والحجرية «وقته»، وهو كما ترى .

(٥) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٥٠ .

(٦) نقله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٣٠ .

(٧) المائدة: ٢٩ .

فمعنى الكلام: ارجعوا منصرفين متحملين غضب الله .
وروي أن رجلاً جاء برجل الى النبي صلى الله عليه وآله، فقال: هذا
قاتل أخي، وهو بواء به^(١). أي مقتول به، ومنه قول ليلي الأخيلية^(٢):
فان تكن القتل بواءً فانكم فتي ما قتلتم آل عوف بن عامر^(٣)
وقال الزجاج: أصل ذلك التسوية ومعنى ذلك أنهم تساوا
بغضب من الله^(٤)، ومنه ما روي عن عبادة بن الصامت، قال: جعل الله
تعالى الأنفال الى نبيه، فقسمها بينهم على بواء^(٥) أي: على سواء بينهم في
القسم، ومنه قول الشاعر:
فيقتل خيراً بامرئ لم يكن به بواء ولكن لا تكايل بالدم^(٦)
والأصل الرجوع، على ما ذكرناه. وقال قوم: هو الاعتراف، ومعناه
أنهم اعترفوا بما يوجب عليهم غضب الله^(٧)، ومنه قول الشاعر:
إني أبوء بعشرتي وخطيئتي ربّي وهل إلّا إليك المهرب^(٨)

(١) نقله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٣٠.

(٢) وهي ليلي بنت عبد الله بن الرحال، أشعر النساء بعد الحنساء وكان توبة بن الحمير يهاها، فلما
شهر أمره شكوه الى السلطان فأباح دمه لأهلها إن أتاهم .

(الشعر والشعراء: ص ٢٧١، الأغاني: ج ١١ ص ٢٠٤).

(٣) انظر تهذيب اللغة: مادة «باء» ج ١٥ ص ٥٩٨، والأغاني: ج ١١ ص ٢٢٧.

(٤) لم نجده في كتابه، ونقله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٣٠.

(٥) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: ج ٥ ص ٣٢٢-٣٢٣، والطبري في تفسيره: ج ٩ ص ١١٦،
ذيل آية الأنفال .

(٦) لسان العرب: مادة «كيل» ج ١٢ ص ٢٠٣.

(٧) أنظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٥٠.

(٨) لم نعرف القائل.

وأما الغضب، قال قوم: ما حلّ بهم من البلاء والنقمة في دار الدنيا بدلاً من الرخاء والنعمة. وقال آخرون: هو ما بينا لهم في الآخرة من العقاب على معاصيهم .

وقوله: «ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله» إشارة الى ما تقدّم ذكره من ضرب الذلّة والمسكنة، وإحلال غضبه بهم؛ لأنه يشتمل على جميع ذلك . ومعنى «بأنهم» أي لأجل أنهم كانوا يكفرون بآيات الله، فعلنا بهم ما فعلنا من أنواع العذاب .

وقوله: «يقتلون النبيين بغير الحق» لا يدلّ على أنه قد يصحّ أن يقتلوهم بحق، لأنّ هذا خرج مخرج الصفة لقتلهم، وانه لا يكون إلّا ظلماً بغير حق، كما قال: «ومن يدع مع الله إله آخر لا برهان له به»^(١) وكما قال: «رب احكم بالحق»^(٢)، وكما قال الشاعر:

على لاحب لا يهتدي بمناره^(٣)

ومعناه ليس هناك منار يهتدى به، ومثله كثير .

وقوله: «ذلك بما عصوا» إشارة الى ما أنزل الله من الذلّة والمسكنة بما عصوا من قتلهم الانبياء وعدوهم في السبت وغير ذلك . وقيل: معناه بنقض العهد وكانوا يعتدون في قتل الانبياء، أنه روي انهم كانوا اذا قتلوا النبي في أول النهار قامت سوق بقتلهم في آخره .

وإنما خلى الله بين الكافرين وقتل الانبياء لينالوا من رفيع المنازل ما لم

(١) المؤمنون: ١١٧.

(٢) الأنبياء: ١١٢.

(٣) البيت لامرئ القيس، أنظر ديوانه ص ٩٥، وعجز البيت:

إذا سافه العودُ الثُّبَاطِيَّ جَرَجَرَا

ينالوه بغيره، وليس ذلك بخذلان لهم، كما فعل بالمؤمن من أهل طاعته .
وقال الحسن: ان الله تعالى ما امر نبياً بالحرب إلا نصره فلم يُقتل،
وانما خلى بينه وبين قتل من لم يؤمر بالقتال من الأنبياء^(١) .

والذي نقوله: إنّ النبي ان كان لم يؤدّ الشرع لا يجوز أن يمكّن الله من
قتله؛ لأنّه لو ممكّن [الله سبحانه من قتله] فقتل لأدى الى ان لا تزاح علل
المكلفين فيما لهم من الألطاف والمصالح، فاذا أدوا الشرع جاز حينئذ أن
يخلّي بينهم وبين من قتلهم، لأنّه لا يجب المنع منه .

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: اختلف بنو
اسرائيل بعد موسى بخمسمائة سنة حتى كثر منهم أولاد السبايا، واختلفوا
بعد عيسى بمائتي سنة^(٢) .

والاعتداء تجاوز الحد الذي حدّه الله لعباده الى غيره، وكل متجاوز حد
شيء الى غيره فقد تعداه الى ما تجاوز اليه، فعنى الكلام فعلت بهم ما
فعلت من ذلك بما عصوا أمري، وتجاوزوا حدّه الى ما نهيتهم عنه .

قوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ آية واحدة .

القراءة:

قرأ نافع بترك الهمز من الصابئين، وجميع القراء الباقون يهملون^(٣) .

(١) نقله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٣٠ . (٢) لم نعث عليه .

(٣) الحجة في علل القراءات: ج ٢ ص ٧٦، والسبعة في القراءات: ص ١٥٧ .

أما «الذين آمنوا» وهم المصدقون برسول الله صلى الله عليه وآله بما اتاهم من الحق من عند الله. وأما «الذين هادوا» فهم اليهود.

اللغة:

ومعنى «هادوا» تابوا، يقال: هاد القوم يهودون هودا، وهيادة، وقال ابن جريج: إنما سميت اليهود يهودا لقولهم: «انا هدنا اليك»^(١). قال أعرابي يؤخذ بقوله -على ما قال ابو عبيدة-:

❖ فاني من مدحه هائد^(٢) ❖

أي تائب .

وقيل: إنما سموا يهودا؛ لأنهم نسبوا إلى يهوذا أكبر أولاد يعقوب فعربت الذال دالاً^(٣). وقال زهير في معنى الرجوع:

سوى مرجع لم يأت فيه مخافة ولا رهقاً من عائذ متهود^(٤)
أي تائب، فسميت اليهود يهودا لتوبتهم من عبادة العجل .

وأصل الهود الطمأنينة، ويخبر به عن لين السير، ومنه الهوادة وهي السكون، قال الحسين بن علي المغربي انشدني أبو رعاية السلمي -وهو من أفصح بدوي أطاف بنا وأغزرهم رواية-:

سباغتها من مهنة الحي بالضحى جياذ المداري حالك اللون أسودا
إذا نفضته مال طوراً بجيدها وتمثاله طوراً باغيذا فودا

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٥٢.

(٢) أنظر صحاح اللغة للجوهري: مادة «هود» ج ٢ ص ٥٥٧، وفيه: إني امرؤ من مدحه هائد.

(٣) راجع العين: مادة «هود» ج ٤ ص ٧٦.

(٤) ديوانه: ص ٢٤، وفيه: «رُئِع» بدل «مرجع».

كما مال قنوا مطعم هجرية اذا حركت ربح ذرى النخل هودا (١)
المطعم النخلة، شبه شعرها بأقناء البسر. هود تحرك تحريكة لينه، قال
زهير:

ولا رهقاً من عائذ متهود

وليس اسم يهود مشتقاً من هذا.
والنصارى جمع نصران، كقولهم: سكران وسكارى، ونشوان ونشاوى،
هذا قول سيبويه (٢): قال الشاعر:
تراه اذا كان العشي عحنفا يضحى لديه وهو نصران شامس (٣)
وقد سمع في الأنثى نصرانة، قال الشاعر:
وكلتاها خرت وأسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف (٤)
وقد سمع في جمعهم أنصار بمعنى النصارى، قال الشاعر:
لما رأيت نبطاً أنصاراً شمّرت عن ركبتى الإزارا
كنتُ لهم من النصارى جارا (٥)

والمشهور أن واحد النصارى نصري، مثل بعير مهري ومهاري. وانما
سمّوا نصارى لنصرة بعضهم بعضاً، دليله الآيات التي ذكرناها.
وقيل: انما سمّوا بذلك لأنهم نزلوا أرضاً يقال لها: ناصرة، وكان ينزلها

(١) لم نجد الأبيات فيما لدينا من المصادر.

(٢) الكتاب: ج ٣ ص ٢٥٥ و ٤١١.

(٣) ذكره ابن جرير في تفسيره: ج ١ ص ٢٥٢.

(٤) البيت لأبي الأثير الحماني، ذكر ذلك سيبويه في الكتاب: ج ٣ ص ٤١١، وذكره الأزهري

أيضاً في تهذيب اللغة: مادة «نصر» ج ١٢ ص ١٦٠.

(٥) نسبه الفراء الى بعض العرب في معاني القرآن: ج ١ ص ٤٤.

عيسى فنسب اليه، فقليل: عيسى الناصري، ثم نسب اصحابه اليه، فقليل: النصارى، وهذا قول ابن عباس وقتادة وابن جريج^(١).

وقيل: إنهم سموا بذلك لقوله: «من انصارى الى الله»^(٢).

والصابئون جمع صابئ؛ وهو من انتقل من دينه الى دين آخر كالمرتد من أهل الاسلام. وكلّ خارج من دين كان عليه الى آخر يسمى صابئاً، قال أبو زيد: صبأ فلان في دينه يصبأ صُبُوءاً اذا كان صابئاً، وصبأ ناب الصبي يصبأ صبئاً اذا كان طلع^(٣).

وقال الزجاج: صبأت النجوم اذا ظهرت^(٤).

وقال أبو زيد: صبوت اليهم تصبأ صبأ وصبوءاً إذا طلعت عليهم، فكأن معنى الصابئ التارك دينه الذي شرع له الى دين غيره، كما قال: ان الصابئ على القوم تارك لأرضه ومنقل الى سواها، فالدين الذي فارقه هو تركهم التوحيد الى عبادة النجوم أو تعظيمها^(٥). وقال نافع: هو مأخوذ من قولهم: صبا يصبو اذا مال الى الشيء وأحبّه، ولذلك لم يهمز، قال الشاعر:

• صبوت أبا ذئب وأنت كبير^(٦) •

(١) أنظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٥٢.

(٢) المصدر المتقدم والآية من سورة الصف: ١٤.

(٣) حكاها الفارسي في الحجة: ج ٢ ص ٧٧، والازهري في تهذيب اللغة: مادة «صبا» ج ١٢ ص ٢٥٧.

(٤) معاني القرآن: ج ١ ص ١٤٧.

(٥) حكاها الفارسي في الحجة: ج ٢ ص ٧٧، والازهري في تهذيب اللغة: مادة «صبا» ج ١٢ ص ٢٥٧.

(٦) شطر من بيت لأبي ذؤيب الهذلي، وتماهه:

صبوت أبا ذئب وأنت كبير

ديار التي قالت غداة لقيتها

راجع الحجة: ج ٢ ص ٧٨.

قال ابو علي الفارسي: هذا ليس بجيد؛ لأنه قد يصبو الانسان الى دين فلا يكون منه تدنٍ به مع صُبُوّه اليه، فاذا كان هذا هكذا، وكان الصابئون منتقلين من دينهم الذي أخذ عليهم الى سواه، وجب أن يكون مأخوذاً من «صبأ» الذي هو الانتقال. ويكون الصابئون على قلب الهمزة، وقلب الهمزة على هذا الحد لا يميزه سيبويه إلا في الشعر ويميزه غيره، فهو على قول من أجاز ذلك؛ ومن أجاز ذلك أبو زيد. وحكي عنه انه قال لسيبويه: سمعتُ قرئتُ وأخطيتُ، قال: فكيف تقول في المضارع؟ قلت: أقرأ، فقال: حسبك أو نحو هذا.

قال ابو علي: يريد سيبويه ان قرئت مع أقرأ لا ينبغي؛ لأن قرئت اقرأ على الهمز وقرئت على القلب فلا يجوز ان تغير بعض الأمثلة دون بعض، فدلّ على أنّ القائل لذلك غير فصيح، وأنّه مغلط في لغته^(١).

وقال قتادة والبلخي: الصابئون قوم معروفون لهم مذهب ينفردون به، من عبادة النجوم، وهم مقرّون بالصانع وبالمعاد و ببعض الانبياء^(٢). وقال مجاهد والحسن وابن ابي نجيح: الصابئون بين اليهود والمجوس لا دين لهم. وقال السدي: هم طائفة من أهل الكتاب يقرأون الزبور^(٣).

وقال الخليل: هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى إلا ان قبلتهم نحو مهت الجنوب حيال منتصف النهار، ويزعمون انهم على دين نوح^(٤).

وقال ابن زيد: الصابئون هم أهل دين من الاديان كانوا بالجزيرة

(١) الحُجّة في علل القراءات: ج ٢ ص ٧٨، وفي النسخ «فإنّه غلط» بدل «وأنّه مغلط» فلا حظ.

(٢) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٣٣.

(٣) راجع قول مجاهد في تفسيره: ص ٢٠٤، ونقل بقية الأقوال الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٥٣.

(٤) العين: مادة «صبأ» ج ٧ ص ١٧١.

- جزيرة الموصل - يقولون لا إله إلا الله ولم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله، فن اجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي عليه السلام وأصحابه: هؤلاء الصابئون، يشبهونهم بهم^(١).

وقال آخرون: هم طائفة من أهل الكتاب^(٢).
والفقهاء بأجمعهم يميزون أخذ الجزية منهم. وعندنا لا يجوز ذلك؛ لأنهم ليسوا أهل كتاب.

المعنى:

وقوله: «من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم». .

تقول: من صدق بالله وأقر بالبعث بعد الممات يوم القيامة وعمل صالحاً وأطاع الله فلهم أجرهم عند ربهم يعني ثواب عملهم الصالح.
فان قيل: فأين تمام قوله: «ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين»؟

قيل: تمامه جملة قوله تعالى: «من آمن بالله واليوم الآخر» لأن معناه: من آمن منهم بالله واليوم الآخر، وترك ذكر (منهم) لدلالة الكلام عليه. ومعنى الكلام: ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من يؤمن منهم بالله واليوم الآخر فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم.

* * *

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٥٣.

(٢) أخرجه الطبري عن أبي العالية والسدي وغيرهما في تفسيره: ج ١ ص ٢٥٣.

الاعراب:

وقوله: «من آمن بالله واليوم الآخر» .

في الناس من قال: هو خبر عن الذين هادوا والنصارى والصابئين؛ لأنّ الذين آمنوا كانوا مؤمنين فلا معنى حينئذٍ ان يقول من آمن وهو أنفسهم .

ومهم من قال: هو راجع الى الكل^(١) ويكون رجوعه على الذين آمنوا على وجه الثبات على الايمان والاستدامة، وترك التبديل والاستبدال به . وفي الذين هادوا والنصارى والصابئين استئناف ايمان بالنبى صلى الله عليه وآله وما جاء به .

وقوله: «من آمن بالله» فوحد الفعل ثم قال: «فلهم أجرهم» لأنّ لفظة «من» وان كانت واحدة، فمعناها يكون للواحد والجمع والانثى والذكر، فإن ذهب الى اللفظ وحد، وإن ذهب الى المعنى جمع، كما قال: «ومهم من ينظر اليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون»^(٢) فجمع مرة مع الفعل لمعناه ووحد أخرى على اللفظ، قال الشاعر:

ألمّا بسلمى عنكما إن عرضتما وقولا لها عوجي على من تخلفوا^(٣)
فجمع الفعل لأنّه جعل (مَن) بمنزلة الذين . وربما كان لاثنين وهو أبعد، وما جاء فيه قال الفرزدق:

(١) ذكر ذلك ابو جعفر النحاس في اعراب القرآن: ج ١ ص ٢٣٣، والزجاج في إعراب القرآن:

ج ١ ص ٣١٠ .

(٢) يونس: ٤٣ .

(٣) البيت أورده الطبري في التفسير: ج ١ ص ٢٥٤ .

تعشّ فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من ياذنب يصطحبان^(١)

النزول :

قوله: «من آمن بالله واليوم الآخر» .

قال السدي: نزلت في سلمان الفارسي واصحابه النصاري الذين كان قد تنصّر على أيديهم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانوا قد أخبروه بأنه سيبعث، وانهم يؤمنون به إن أدركوه^(٢) .

وروي عن ابن عباس: أنها منسوخة بقوله تعالى: «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه»^(٣). وهذا بعيد؛ لأنّ النسخ لا يجوز أن يدخل في الخبر الذي يتضمّن الوعيد، وانما يجوز دخوله فيما طريقه الأحكام الشرعية التي يجوز تغييرها .

وقال قوم: إن حكمها ثابت، والمراد بها: إنّ الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم من المنافقين هم واليهود والنصارى والصابئين إذا آمنوا بعد النفاق واسلموا عند العناد، كان لهم أجرهم عند ربهم؛ كمن آمن في أول الاسلام من غير نفاق ولا عناد؛ لأنّ قوماً من المسلمين قالوا: إنّ من أسلم بعد نفاقه وعناده كان أجره أقلّ وثوابه أنقص. وأخبر الله بهذه الآية أنهم سواء في الأجر والثواب .

وأولى الأقاويل ما قدّمنا ذكره، وهو المحكي عن مجاهد والسدي: «ان الذين آمنوا» من هذه الأمة «والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن»

(١) ديوانه: ج ٢ ص ٥٩٠، وفيه «واثقتني» بدل «عاهدتني» .

(٢) أسباب النزول للواحدي: ص ١٥ .

(٣) أنظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٥٦-٢٥٧، والآية من سورة آل عمران: ٨٥ .

من اليهود والنصارى والصابئين «بإله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»^(١) لأن هذا أشبه بعموم اللفظ، والتخصيص ليس عليه دليل .

وقد استدلت المرجئة بهذه الآية على أن العمل الصالح ليس من الإيمان؛ لأن الله تعالى أخبر عنهم بأنهم آمنوا، ثم عطف على كونهم مؤمنين أنهم إذا عملوا الصالحات ما حكمهم^(٢) .

قالوا: ومن حمل ذلك على التأكيد أو الفضل فقد ترك الظاهر .
وكل شيء يذكرونه مما ذكر بعد دخوله في الأول مما ورد به القرآن نحو قوله: «فيها فاكهة ونخل ورمان»^(٣) ونحو قوله: «وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح»^(٤) ونحو قوله: «والذين كفروا وكذبوا بآياتنا»^(٥) وقوله: «الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله»^(٦) قالوا: جميع ذلك مجاز، ولو خلينا والظاهر لقلنا: إنه ليس بداخل في الأول .

فان قالوا: أليس الاقرار والتصديق من العمل الصالح فلا بد لكم من مثل ما قلناه؟

قلنا: عنه جوابان:

أحدهما: إن العمل لا يطلق إلّا على أفعال الجوارح؛ لأنهم لا يقولون:

(١) حكى ذلك الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٥٧ .

(٢) في المطبوعة والحجرية والخطية: «حكمها» .

(٣) الرحمن: ٦٨ .

(٤) الأحزاب: ٧ .

(٥) المائدة: ٨٦ .

(٦) همد: ١ .

عملت بقلبي، وإنما يقولون: عملت بيدي أو برجلي .
والثاني: إنَّ ذلك مجاز، وتحمل عليه الضرورة، وكلامنا مع الإطلاق .
وقوله: «فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» يعني لا خوف عليهم مما
قدموا عليه من أهوال القيامة، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من
الدنيا عند معاينتهم ما أعدَّ لهم من الثواب، والنعيم المقيم عنده^(١) . وقيل:
أنه لا يحزنون من الموت .

قوله تعالى:

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦٣﴾ آية بلا خلاف .
تقديره: واذكروا إذ أخذنا ميثاقكم .

اللغة :

الميثاق المفعول من الوثيقة إما بيمين وإما بعهد، وغير ذلك من الوثائق .
والميثاق الذي أخذه الله هو الذي ذكره في قوله: «واذ أخذنا ميثاق بني
إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبوالدين إحساناً»^(٢) في الآيات التي ذكر
بعدها .

ومحتمل أن يكون أراد الميثاق الذي أخذ الله على الرسل في قوله: «واذ
أخذنا من النبيين ميثاقهم»^(٣) وقوله: «واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما

(١) أنظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٥٤ .

(٢) البقرة: ٨٣ .

(٣) الأحزاب: ٧ .

اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري»^(١).

وقد بينا إن أخذ العهد هو ما نصب لهم من الحجج الواضحة والبراهين الصحيحة، الدالة على توحيده وعدله، وصدق انبيائه ورسله، وأفسدنا ما يقوله أهل الحشو؛ من استخراج الذرية من ظهر آدم وأخذ العهد عليهم بما لا يحتاج الى اعادته .

المعنى:

وقوله: «ورفعنا فوقكم الطور» .

قال مجاهد: الطور هو الجبل^(٢). وكذلك هو في اللغة^(٣) وقال العجاج:
داني جناحيه من الطور فر تقضي البازي اذا البازي كسر^(٤)
وقيل: إنه اسم جبل بعينه ناجى الله عليه موسى بن عمران، ذهب
اليه ابن عباس وابن جريج .

وقيل: أنه من الجبال التي تنبت دون ما لا تنبت، رواه الضحاك عن
ابن عباس .

وقال قتادة: «ورفعنا فوقكم الطور» قال: الطور الجبل اقتلعه وفرعه
فوقهم، فقال: «خذوا ما آتيناكم بقوة» .

(١) آل عمران: ٨١.

(٢) تفسيره: ص ٢٠٤.

(٣) العين: مادة «طور» ج ٧ ص ٤٤٦، والصحاح: مادة «طور» ج ٢ ص ٧٢٧، وتهذيب اللغة:

مادة «طور» ج ١٤ ص ١٠.

(٤) ديوانه: ص ١٧.

وقال مجاهد: الطور اسم جبل بالسريانية. وقال قتادة: بالعربية^(١).
وقال قوم من النحويين: معنى خذوا تقديره: ورفعنا فوقكم الطور وقلنا
لكم خذوا ما آتيناكم يعني التوراة بقوة أي مجيدٍ ويقين لا شك فيه، والا
قذفناه عليكم، كما تقول: أوحيت إليه قم أي أوحيت إليه فقلت قم^(٢).
وقال الفراء: أخذ الميثاق قول فلا حاجة بالكلام الى إضمار قول [فيه]
فيكون من كلامين، غير أنه ينبغي لكل ما خالف القول من الكلام الذي
هو بمعنى القول أن تكون معه (أن) كما قال تعالى: «إنا أرسلنا نوحاً الى قومه
أن أنذر قومك»^(٣) قال: ويجوز حذف أن^(٤).

ومعنى «ما آتيناكم» أي أعطيناكم؛ لأن الايتاء هو الاعطاء يعني ما
أمرناكم به في التوراة.

«بقوة» أي مجيدٌ ويقين على ما بيّناه، وهو قول ابن عباس وقتادة
والسدي. وقال ابو العالية والربيع بن انس: بطاعة الله^(٥). وقال مجاهد:
إنه العمل بما فيه^(٦). وحكي عن ابن نجران معناه: القبول^(٧).

(١) نقل أقوالهم ابن جرير في تفسيره: ج ١ ص ٢٥٧-٢٥٨، وانظر تفسير مجاهد: ص ٢٠٤.
(٢) نسب ذلك الطبري الى نحوّي البصرة، انظر تفسيره: ج ١ ص ٢٥٨، وانظر معاني القرآن
للأخفش: ج ١ ص ٢٧٧، ومعاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٤٣، وفي الخطّية: «أوحيت عليه»
وفي مجمع البيان: «أوجب عليه»، بدل «أوحيت اليه» المطابق لما في معاني القرآن للأخفش
فلاحظ ذلك.

(٣) نوح: ١.

(٤) نسب الطبري ذلك الى نحوّي أهل الكوفة في تفسيره: ج ١ ص ٢٥٨، ولم نقف عليه في
كتابه.

(٥) حكى أقوالهم ابن جرير في تفسيره: ج ١ ص ٢٥٨.

(٦) تفسيره: ص ٢٠٥.

(٧) لم نعر عليه.

وقال أبو علي: «بقوة» معناه بالقدرة التي جعلنا فيكم، وذلك دلالة على ان القدرة قبل الفعل ^(١).

ومعنى «اذكروا ما فيه» قال قوم: احفظوه لا تنسوه. وقال آخرون: اعملوا بما فيه ولا تتركوه ^(٢).

والمعنى في ذلك إنّ ما آتيناكم فيه من وعد ووعد وترغيب وترهيب اعتبروا به واقبلوه وتدبروه، كي اذا فعلتم ذلك تتقوني وتخافوا عذابي بالاصرار على ضلالتكم ففتنوها الى طاعتي، فتنزعوا عما أنتم عليه من المعصية.

قوله تعالى:

ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ آية.

التفسير:

قوله: «تولّيتُم» أعرضتم ووزنه تفعلتم، من قولهم: ولاني فلان دبره اذا استدبر عنه وجعله خلف ظهره. ثم يستعمل ذلك في كلّ تارك طاعة أمر، ومعرض بوجهه، يقال: فلان تولّى عن طاعة فلان، ويتولى عن مواصلته وصداقته، ومنه قوله: «فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولّوا وهم معرضون» ^(٣) يعني خالفوا ما وعد الله من قولهم: «لئن آتانا من فضله لنصدّقن ولنكوننّ من الصّالحين» ^(٤) ونبذوا ذلك وراء ظهورهم؛ فصار

(١) الظاهر انه أبو علي الجبائي، ومؤلفاته غير متوفرة لدينا.

(٢) اخرج ذلك الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٥٩.

(٣) التوبة: ٧٥.

(٤) التوبة: ٧٦.

معنى الآية انكم نبذتم العهد الذي أخذناه عليكم بعد إعطائكم المواثيق. وكنتى بذلك عن جميع ما تقدم ذكره في الآية .

ثم قال: «فلولا فضل الله عليكم» يعني فلولا أن تفضل الله عليكم بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذي واثقتموه؛ إذ رفع فوقكم الطور فاجتهدتم في طاعته، وأداء فرائضه، وانعم عليكم بالاسلام، وبرحمته التي رحمكم بها، فتجاوز عن خطيئتكم بمراجعتكم طاعة ربكم «لكنتم من الخاسرين» وهذا وان كان خطاباً لمن كان بين ظهراي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله فانما هو خبر عن أسلافهم، فاخرج الخبر مخرج الخبر عنهم، على نحو ما مضى ذكره .

وقال قوم: الخطاب في هذه الآية انما اخرج باضافة الفعل الى المخاطبين والفعل لغيرهم؛ لأنّ المخاطبين انما كانوا يتولّون من كان فعل ذلك من أوائل بني اسرائيل، فصيرهم الله منهم من أجل ولايتهم لهم . وقال بعضهم: انما قال لهم ذلك؛ لأن سامعيه كانوا عالمين، وان الخطاب خرج مخرج الخطاب للأحياء من بني اسرائيل واهل الكتاب؛ وان كان المعنى في ذلك انما هو خبر عما مضى من أسلافهم (١)، ومثل ذلك قول الشاعر:

إذا ما انتسبنا لم تلدني لثيمة ولم تجدي من ان تقري به بدا (٢)
فقال: اذا ما انتسبنا، و (اذا) تقتضي من الفعل مستقبلاً، ثم قال: لم تلدني فأخبر عن ماضٍ؛ لأن الولادة قد مضت [وانما فعل ذلك عند المحتج

(١) راجع تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٦٠.

(٢) نسه الفراء الى بعض العرب في معاني القرآن: ج ١ ص ٦١ و ١٧٨.

به] ^(١) لأن السامع فهم معناه، والأول أقوى .

وقال ابو العالية: فضل الله الاسلام ورحمته القرآن ^(٢) .

وقوله: «فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين» لا يدلّ على أنّ الذين خسروا لم يكن عليهم فضل الله؛ لأن فضل الله شامل لجميع الخلائق، لأن ذلك دليل خطاب، وليس ذلك بصحيح عند الأكثر.

والذي يكشف عن ذلك، إنّ الواحد متا قد يعطي أولاده وعبيده ويستفضل على جميعهم، ثم يبذره بعضهم ويبقى فقيراً، ويحفظه آخر فيصير غنياً، ويحسن ان يقول للغني منهم: لولا فضلي عليك لكنت فقيراً، ولا يدلّ على انه لم يتفضل على الذي هو فقير، واذا كان كذلك كان تأويل الآية إنه لولا اقداري لكم على الايمان وازاحة علتكم فيه حتى فعلتم ايمانكم، لكنتم من الخاسرين .

وانما جعل الايمان فضلاً فيؤتيه الذين به ينجون ولم يكونوا خاسرين من حيث كان هو الداعي اليه والمقدر عليه والمرغب اليه .

ويحتمل أن يكون المعنى: ولولا فضل الله عليكم بامهاله اياكم بعد توليكم عن طاعته، حتى تاب عليكم برجوع بعضكم عن ذلك وتوبته لكنتم من الخاسرين .

ويحتمل أن يكون أراد بهذا الفضل في وقت رفع الجبل فوقهم باللفظ والتوفيق الذي تابوا عنده حتى زال عنهم العذاب وسقوط الجبل، ولولا فضل الله لسقط الجبل .

(١) ما بين المعقوفتين أضفناه من تفسير الطبري توضيحاً للعبارة.

(٢) أخرج ذلك عنه ابن جرير في تفسيره: ج ١ ص ٢٦٠.

قوله تعالى:

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ آية .

المعنى:

علمتم أي عرفتم ها هنا، فقوله: علمت أخاك ولم اكن أعلمه أي عرفته ولم اكن اعرفه، كقوله تعالى: «وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم»^(١) يعني لا تعرفونهم الله يعرفهم .

و«الذين» نصب، لانه مفعول به ، «اعتدوا» أي ظلموا وجاوزوا ما حذ لهم، وكانوا أمروا ألا يعدوا في السبت، وكانت الحيتان تجتمع لأمنها في السبت، فحبسوها في السبت وأخذوها في الأحد .

و«اعتدوا في السبت» لأن صيدها هو حبسها، وقال قوم: بل اعتدوا فصادوا يوم السبت^(٢) .

وسمى السبت سبتاً؛ لأن السبت هو القطعة من الدهر فسمي بذلك اليوم، هذا قول الزجاج^(٣) .

وقال ابو عبيدة: سمي بذلك ؛ لانه يوم سبت فيه خلق كل شيء أي قطع وفرغ .

وقال قوم: سمي بذلك ، لأن اليهود يسبتون فيه أي يقطعون الأعمال .

(١) الأنفال: ٦٠ .

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٦٠ .

(٣) لم نثر عليه في كتابه، ونقله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٣٥ .

وقال آخرون: سمي بذلك لما لهم فيه من الراحة. لأن أصل السبت هو السكون والراحة، ومن ذلك قوله: «وجعلنا نومكم سباتاً»، وقيل للنائم: مسبوت لاستراحته وسكون جسده، فسمي به اليوم لاستراحة اليهود فيه (١).

وقوله: «فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين» أخبار عن سرعة فعله ومسخه إياهم، لا أن هناك أمراً كما قال للسّموات والأرض: «إئتيا طوعاً أو كرهاً» قالتا اتينا طائعين» (٢) ولم يكن هناك قول، وإنما أخبر عن تسهل الفعل عليه وتكوينه له بلا مشقة بلفظ الأمر.

ومعنى الآية على ما قاله أكثر المفسرين: أنه مسخهم قردة في صورة القردة سواء.

وحكي عن ابن عباس انه قال: لم يعيش مسخ قط أكثر من ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب (٣).

وقال مجاهد: إن ذلك مثل ضرب به الله، كما قال: «كمثل الحمار يحمل أسفاراً» ولم يمسخهم قردة. وحكي عنه أيضاً انه قال: مسخت قلوبهم فجعلت كقلوب القردة لا تقبل وعظاً ولا تقي زجراً (٤).

وهذان القولان منافيان لظاهر التأويل لما عليه أكثر المفسرين من غير ضرورة داعية اليه.

وقوله: «خاسئين» أي مبعدون، لأن الخاسيء هو المبعد المطرود كما

(١) راجع في ذلك تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٦٠-٢٦٤.

(٢) فصلت: ١١.

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٦١، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٣٥.

(٤) تفسيره: ص ٢٠٥.

يخسأ الكلب، تقول منه: [خسأه اخسؤه خسئاً وخسياً هو يخسو خسواً، يقال] ^(١): خسأته فخسأ وانخسأ، قال الراجز:

* كالكلب ان قلت له إخسأ انخسأ ^(٢) *

أي إن طردته انطرد، وقال مجاهد: معناه اذلاء صاغرين ^(٣). والمعنى قريب.

وفي هذه الآيات احتجاج من الله تعالى بنعمه المترادفة، واخبار للرسول عن عناد أسلافهم، وكفرهم مرة بعد أخرى مع ظهور الآيات والعلامات، تعزية له صلى الله عليه وآله وتسلية له عندما رأى من جحودهم وكفرهم، وليكون وقوفه على ما وقف عليه من أخبارهم، حجة عليهم وتنبيهاً لهم وتحذيراً أن يحل بهم مما حل بمن تقدمهم من آبائهم وأسلافهم.

قوله تعالى:

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ آية
بلا خلاف.

المعنى:

الضمير في قوله: «فجعلناها» يحتمل أن يكون راجعاً الى العقوبة أو القردة، فكأنه قال: جعل القردة - أي ما حل بها من التشويه وتغيير الخلقة -

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الخطية، وموجود في المطبوعة والحجرية.

(٢) أورده الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٦٤.

(٣) تفسيره: ص ٢٠٥.

دلالة على أنّ من تقدّمهم أو تأخر عنهم ممن^(١) فعل مثل فعلهم يستحقّ من العقاب مثل الذي نزل بهم نكالاً لهم جميعاً، «وموعظة للمتقين» أي تحذيراً وتنبيهاً، لكيلا يواقعوا من المعاصي ما واقع أولئك، فيستحقّوا ما استحقّوا، نعوذ بالله من سخطه .

ويحتمل أن تكون (الهاء) راجعة الى الحيتان. ويحتمل أن تكون راجعة الى القرية التي اعتدوا أهلها فيها. ويحتمل ان تكون (الهاء) راجعة الى الأمة الذين اعتدوا وهم أهل ايلة - قرية على شاطئ البحر - وروي ذلك عن أبي جعفر عليه السلام^(٢).

وقوله: «نكالاً» قال ابن عباس: عقوبة^(٣). وقال غيره: ينكل بها من يراها^(٤). وقيل: أنّها شهرة؛ لأن النكال الاشتهار بالفضيحة، ذكر ذلك الجبائي، وليس بمعروف .

والنكال الارهاب للغير وأصله المنع؛ لانه مأخوذ من النكل وهو القيد، وهو أيضاً اللجام وكلاهما مانع .

وقوله: «لما بين يديها وما خلفها» روي عن عكرمة عن ابن عباس: انه أراد «ما بين يديها وما خلفها» من القرى. وروي عن الضحاك عن ابن عباس: انه أراد «ما بين يديها» يعني من بعدهم من الامم، «وما خلفها» الذين كانوا معهم باقين .

وقال السدي: «ما بين يديها» من ذنوبها، «وما خلفها» يعني عبرة لمن

(١) في النسخة الخطية والحجرية والمطبوعة (فن)، وما أثبتناه هو الصحيح استناداً الى مجمع البيان.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٣٣.

(٣) تفسيره: ص ١١.

(٤) انظر تهذيب اللغة: مادة «نكل» ج ١٠ ص ٢٤٦.

يأتي بعدهم من الامم (١) .

وقال قتادة: «لما بين يديها» ذنوبها، «وما خلفها» عبية لمن يأتي خلفهم بعدهم من الامم (٢) .

وقال قتادة: «لما بين يديها» ذنوب القوم، «وما خلفها» الحيتان التي أصابوها (٣) .

وقال مجاهد: «ما بين يديها» ما مضى من خطاياهم، «وما خلفها» من خطاياهم التي اهلكوا بها (٤) .

«وموعظة للمتقين» خصّ المتقين بها - وان كانت موعظة لغيرهم - لانتفاع المتقين بها دون الكافرين، كما قلناه في غيره، كقوله: «هدى للمتقين» .

وأصل النكال العقوبة، تقول: نكل فلان بفلان ينكلُ تنكلاً ونكالاً، قال عدي بن زيد:

لا يسخط المليك ما يصنع العبد ولا في نكاله تنكير (٥)
وأقوى التأويلات ما رواه الضحاك عن ابن عباس: من انها كناية عن العقوبة والمسخة التي مسخها القوم؛ لأنّ في ذلك اشارة الى العقوبة التي حلت بالقوم، وإن كانت باقي الأقوال أيضاً جائزة .

(١) حكى أفواهم الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٦٥ .

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٦٥، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٣٦ .

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) تفسيره: ص ٢٠٥ .

(٥) ذكره ابن جرير في تفسيره: ج ١ ص ٢٦٥ .

قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَخِذْنَا هُزُؤًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ آية بلا خلاف .

القراءة:

قرأ أبو عمرو ونافع والكسائي وابن عامر «هُزُؤًا» مثقلاً، وكذلك «كُفُؤًا» مثقلة وقرأوا جزءاً مخففاً، وعاصم يثقلهن ويخففهن، وحمة يخففهن ثلاثهن^(١).

قوله: «واذ» معطوفة على قوله: «واذكروا نعمتي التي انعمت عليكم» [أي] واذكروا إذ قال موسى لقومه. وأهل الحجاز يثقلون هذه الكلمات، وبنو أسد وتميم وعامة قيس يخففونهن، ومن لا يحصى ممن تجاوزهم يقولون عن مكان إذا كانت الهمزة مفتوحة يجعلونها عيناً، ويقولون: اشهد عنك رسول الله، فاذا كسروها رجعوا الى لغة أهل الحجاز الى الهمزة.

المعنى:

وهذه الآية فيها توبيخ للمخاطبين من بني اسرائيل في نقض أوائلهم الميثاق والذي أخذه الله عليهم بالطاعة لأنبيائه، فقال: واذكروا أيضاً من نكثهم ميثاقى إذ قال موسى لقومه: إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا أنتخذنا هزواً.

والهزء والسخرية واللعب نظائر، قال الراجز:

(١) الحجة في علل القراءات: ج ٢ ص ٨١-٨٣، والسبعة في القراءات: ص ١٥٧.

قد هزئت مني أُم طيلسه قالت أراه معدماً لا شيء له (١) أي سخرت ولعبت، ولا يجوز أن يقع من انبياء الله عز وجل فيما يؤذونه هزؤ ولا لعب، وظنوا في أمره إياهم عن الله بذبح البقرة عند تدارثهم في القتل انه هازيء لاعب، ولم يكن لهم ذلك .

وحذفت الفاء من قوله: أتخذنا هزواً - وهو جواب - لاستغناء ما قبله من الكلام عنه وحسن السكوت على قوله: إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فجاز لذلك اسقاط الفاء من قوله: «فقالوا» كما حسن اسقاطها في قوله: «فما خطبكم أيها المرسلون» قالوا انا أرسلنا» (٢) ولم يقل: فقالوا، ولو قيل بالفاء لكان حسناً. ولو كان ذلك على كلمة واحدة لم تسقط منه الفاء، ألا ترى أنك اذا قلت: قت ففعلت، لم يجز اسقاط الفاء لأنها عطف لا استفهام يوقف عليه .

فقال موسى حينئذ: «أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين» يعني السفهاء الذين يردون على الله الكذب والباطل. وكان السبب في أمر موسى لقومه بذبح البقرة ما ذكره المفسرون أن رجلاً من بني اسرائيل كان غنياً ولم يكن له ولد وكان له قريب يرثه، قيل: انه أخوه، وقيل: انه ابن اخيه، وقيل: ابن عمه، واستبطاً موته فقتله سراً وألقاه في موضع بعض الاسباط، وادعى قتله على أحدهم فاحتكموا الى موسى، فسأل من عنده من ذلك علم، فقالوا: أنت نبي الله وانت أعلم منا، فقال: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فلما سمعوا ذلك منه - وليس في ظاهره جواب عما سألوا عنه - قالوا: أتخذنا

(١) أنظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٦٧، قاله صخير بن عمير التميمي، وقيل: الأصمعي .

(٢) الذاريات: ٣١-٣٢ .

هزواً، قال: اعوذ بالله أن أكون من الجاهلين؛ لأن الخروج عن جواب السائل المسترشد الى الهزء جهل^(١).

وقال بعضهم: وانما أمروا بذبح البقرة دون غيرها؛ لأنها من جنس ما عبده من العجل ليهون عليهم ما كانوا يرونه من تعظيمهم وليعلم باجابتهم زوال ما كان في نفوسهم من عبادته.

والبقرة اسم الانثى، والشور للذكر، مثل ناقة وجمل، وامرأة ورجل، فيكون تأنيثه بغير لفظه.

والبقرة مشتق من الشق، يقولون: بقر بطنه إذا شقه؛ لأنها تشق الأرض في الحرث.

قوله تعالى:

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ
عَوَانٌ بَيْنَكَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمُرُونَ ﴿٦٨﴾ آية.

الفارض الكبيرة المستة، وبه قال الجمهور^(٢)، يقال منه: فرضت البقرة تفرض فروضاً، وفرضت تفرض فراضة إذا أسنت، قال الشاعر:

لمعري لقد أعطيت جارك فارضاً تساق إليه ما تقوم على رجل^(٣)
وقيل: إن الفارض التي قد ولدت بطونا كثيرة فيتسع لذلك جوفها؛ لأن معنى الفارض في اللغة الواسع، وهو قول بعض المتأخرين، واستشهد بقول الراجز:

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٦٧-٢٦٨، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٣٧.

(٢) أمالي المرتضى: ج ٢ ص ٣٩، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٢٧١، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٣٨.

(٣) البيت لعلامة بن عوف كما في لسان العرب: مادة «فرض» ج ١٠ ص ٢٣١، وفيه تفاوت.

يارب ذي ضغن علي فارض له قروء كقروء الحائض^(١)
ومنه قول الراجز:

هدلاء كالوطب تجاه الماخض لها زجاج ولهاة فارض^(٢)
ويقال: حية فارضة إذا كانت عظيمة، قال الشاعر:

شَيَّبَ أصداعي فرأسي أبيض محاملٌ فيها رجالٌ فُرَضَ^(٣)
أي ذو أسنان، وقال الجبائي: الفارض التي لم تلد بطوناً كثيرة، فيتسع
لذلك بطنها. قال الرماني: وهذا غلط لا يعرف^(٤).

والبكر الصغيرة التي لم تحمل. والبكر من إناث البهائم وبني آدم ما لم
يفتحله الفحل، مكسورة الباء. والبكر- بفتح الباء- الفتي من الإبل.

والعوان النصف التي قد ولدت بطناً أو بطنين، قال الفراء^(٥): يقال
من العوان عونت المرأة تعويناً- بالفتح والتشديد-، وعونت إذا بلغت ثلاثين
سنة. وقال أبو عبيدة: إنما قال: «عوان بين ذلك» ولم يقل: بينها، لأنه
أخرجه على لفظة واحدة على معنى بين هذا الذي ذكرناه، قال رؤبة في
صفة العير:

فيه خطوط من سواد وبَلَق كأنه في الجلد توليع البهق^(٦)
قال أبو عبيدة: [فقلت لرؤبة]: إن أردت الخطوط فقل: كأنها، وإن

(١) الرجز ثمانية، ذكره الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «فرض» ج ١٢ ص ١٥ مع تفاوت.

(٢) ذكر مصراعه الثاني الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «زج» ج ١٠ ص ٤٥٤.

(٣) ذكره الجوهري في الصحاح: مادة «فرض» ج ٣ ص ١٠٩٨، ناسباً القول هذا الى الأخفش.

(٤) لا توجد لدينا مؤلفاتها.

(٥) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٤-٤٥.

(٦) ذكر مصراعه الثاني الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «بهق» ج ٥ ص ٤٠٧.

أردت السواد والبلق فقل: كأنها، فقال: كان ذلك وذلك^(١).

قال الفرّاء: إنما يصحّ أن يكتى عن الاثنين بقولهم ذاك في الفعلين خاصة، ولا يجوز في الاسمين؛ ألا ترى أنهم يقولون: اقبالك وادبارك يشقّ علي، لأنها مشتقان من فعل. ولم يقولوا: أخوك وأبوك يزورني حتى تقول: يزوراني^(٢). وقال الزجاج: تقول: ظننت زيداً قائماً، فيقول القائل: ظننتُ ذلك وذلك^(٣)، قال الشاعر في صفة العوان:

خرجن عليه بين بكرٍ عويرة وبين عوان بالعمامة ناصف^(٤)
«بين ذلك» يعني بين الكبيرة والصغيرة، هو أقوى ما يكون من البقر وأحسنه، قال الأخطل:

وما بمكة من شمطٍ محفلة وما بيثرب من عون وأبكار^(٥)
ويقال: بقرة عوان، وبقر عون، قال الأخفش: «لا فارض ولا بكر» ارتفع ولم ينتصب كما ينتصب النني؛ لأنّ هذه صفة في معنى البقرة، والنني المنسوب لا يكون صفة من صفتها؛ إنما هو اسم مبتدأ وخبره مضمّر. وهذا مثل قولك: عبد الله لا قائم ولا قاعد، أدخلت لا للنني وتركت الاعراب على حاله، لو لم يكن فيه لا^(٦).

ثم قال: «عوان» فوقع على الابتداء، كأنه قال: هي عوان. ويقال

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج ١ ص ٤٣-٤٤.

(٢) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٥.

(٣) معاني القرآن: ج ١ ص ١٥٠.

(٤) لم نعرف قائله.

(٥) ديوانه: ص ٢٣، وفيه «بزمزم» بدل «بمكة».

(٦) معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٢٧٩.

أيضاً: عوانة، قال الأعشى:

بكميت عرفاء مجمرة الخ ف عرتها عوانة وفتاق^(١)

قوله تعالى:

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٦﴾ آية بلا خلاف .

الاعراب والمعنى:

«لونها» رفع لأن «ما» ليست زائدة، بل هي بمعنى أي، كأنهم قالوا:
أي شيء لونها؟ وقوله: «يبين» جزم لأنه جواب الأمر بغيرياء .
ومعنى الآية: إن قوم موسى قالوا: يا موسى ادع لنا ربك يبين لنا ما لون
البقرة التي أمرنا بذبحها .

واما قوله: «صفراء» قال الحسن: المراد به سوداء شديدة السواد^(٢)،
تقول العرب: ناقة صفراء أي سوداء، قال الشاعر:

تلك خيلي منه وتلك ركابي هنّ صفر ألوانها كالزبيب^(٣)
يعني ركابي هنّ سود. غير أن هذا وإن وصفت به الابل فليس مما
توصف به البقرة؛ مع أنّ العرب لا تصف السواد بالفقوع، وإنما تصفه بالشدة
وبالحلوة ونحوها، تقول: أسود حالك وحائك وحلكوك وغريب
ودجوجي، ولا تقول: فاقع .

(١) ديوانه: ص ١٢٧. وفي المطبوعة والحجرية والخطية «أوفاق» بدل «وفتاق».

(٢) نقله الطبري في التفسير: ج ١ ص ٢٧٣.

(٣) البيت للأعشى الكبير، أنظر ديوانه: ص ٢٧١.

وقال أكثر المفسرين: إنها صفراء اللون من الصفرة المعروفة^(١)، وهذا الصحيح؛ لأنه الظاهر، ولأنه قال: «فاقع لونها» وهو الصافي ولا يوصف السواد بذلك - على ما بيناه - فاما ما ابيض فيؤكدونه بأنه ناصع، واخضر ناضر واصفر فاقع .

وقال سعيد بن جبير: المعني في الآية بقرة صفراء القرن والفللف^(٢) .
وقال مجاهد: صفراء اللون كله^(٣) . وهو الظاهر لأنه قال: فاقع لونها، فوصف جميع اللون بذلك .

وقال ابن عباس: أراد بذلك صفراء شديدة الصفرة^(٤) . وقال غيره: خالص . وقال ابو العالية وقتادة: الصافي^(٥) .

وقوله: «تسر الناظرين» فالسرور ما يسر به القلب، والفرح ما فرحت به العين . وقيل معناه: تعجب الناظرين . ومن القراء من اختار الوقف على قوله: «صفراء»، والصحيح إن الوقف إنما يجوز عند تمام النعت كله . وقال قوم: التمام عند قوله: «فاقع» ويقال: فقع لونها يفقع - بالتشديد وضم الياء - ويفقع - بالتخفيف وفتح الياء - فقوعاً اذا خلصت صفته .

(١) راجع تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٧٣، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٣٩ .

(٢) اخرج ذلك عنه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٧٣-٢٧٤ .

(٣) تفسيره: ص ٢٠٦ .

(٤) اخرج ذلك عنه ابن جرير في تفسيره: ج ١ ص ٢٧٤ .

(٥) نقل القولين الطبري في التفسير: ج ١ ص ٢٧٤ .

قوله تعالى:

قَالُوا اذْعُ لِنَارِكَ يَبِينَ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ
لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ آية واحدة .

القراءة:

القراء كلهم على تخفيف الشين مفتوحة الهاء، وقرأ الحسن بتشديد
الشين، وضم الهاء. وقرأ الاعمش إِنَّ الْبَقَرَ متشابهة. وكذا هو في مصحف
ابن مسعود^(١). والمعمول على ما عليه القراء وما هو في المصحف المعروف .
تقدير الكلام، قال قوم موسى لما أمروا بذبح البقرة لموسى، وترك ذكر
موسى، لدلالة الكلام عليه .

الإعراب واللغة:

وأهل الحجاز يؤنثون البقر، فيقولون: هذه بقر وكذلك النخل. وكل جمع
كان واحده بالهاء، وجمعه بطرح الهاء، فانهم يؤنثون ذلك وربما ذكروا ذلك،
قال الله تعالى: «كأنهم أعجاز نخل خاوية»^(٢) بالتأنيث وفي موضع آخر:
«كأنهم اعجاز نخل منقعر»^(٣) والأغلب عليهم التأنيث. وأهل نجد
يذكرون وربما أنثوا، والتذكير الغالب. فن ذكّر نصب الهاء من «تشابه»
يعني التبس واشتبه، ومن أنث رفع الهاء لأنه يريد يتشابه علينا .

(١) راجع معاني القرآن للاخفش: ج ١ ص ٢٨٠.

(٢) الحاقة: ٧.

(٣) القمر: ٢٠.

والبقر والباقر والجمال والجمال بمعنى واحد. وقرأ بعضهم إِنَّ الباقر تشابه علينا^(١). وهو شاذ، قال الشاعر:

وما ذنبه إن عافت الماء باقر وما أن تعاف الماء إلّا لتضربا^(٢)
وقال آخر:

مالي رأيتك بعد أهلك موحشاً خلقا كحوض الباقر المتهدم^(٣)
وقال آخر:

* لهم جامل لا يهدأ الليل سامره^(٤) *

يريد الجمال. والذي ذهب اليه ابن جريج وقتادة ورووه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أنهم أمروا بأدنى بقرة، لكنهم لما شددوا على أنفسهم، شدد الله عليهم وأيم الله، لو أنهم لم يستثنوا ما تبينت لهم الى آخر الدهر^(٥). يعني أنهم لو لم يقولوا «وانا ان شاء الله لمهتدون» بتعريف الله إيانا، وبما شاء له الله من اللطف والزيادة في البيان.

وكل من اختار تأخير بيان المجهول عن حال الخطاب استدلت بهذه الآية على جواز ذلك، وسنبين ذلك فيما بعد إن شاء الله.

(١) معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٢٨١.

(٢) الشعر للأعشى الكبير، ديوانه ص ١٣.

(٣) البيت أورده الأخفش في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٨٢.

(٤) الشعر للحليئة، أنظر ديوانه: ص ٢٥، وصدر البيت هكذا:

وان تك ذا شاء كثير فانهم

(٥) راجع تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٧٥، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٤٠.

قوله تعالى:

قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

المعنى ان البقرة التي أمرتكم بذبحها «لا ذلول» أي لم يذلها العمل باثارة الارض باظلافها، «ولا تسقي الحرث» معناه ولا يستقي عليها الماء، فيسقى [عليها] الزرع، كما يقال للدابة التي قد ذللها الركوب والعمل: دابة ذلول بينة الذل - بكسر الذال - وفي مثله من بني آدم رجل ذليل بين الذل والمذلة .

قال الزجاج: يحتمل أن يكون أراد ليست بذلول وهي تثير الأرض (١) .
ويحتمل انها ليست ذلولة ولا مثيرة الأرض .

قيل: إنها كانت وحشية، في قول الحسن (٢) .

«مسلمة» معناه من السلامة، يقال منها: سلمت تسلم، فهي مسلمة من الشية .

«لا شية فيها» لا بياض فيها ولا سواد. وقال قتادة: مسلمة من العيوب، وبه قال الربيع. وقال ابن جريج: لا عوان فيها (٣) .

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ١٥٢ .

(٢) تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ١٠٠ .

(٣) نقل أقوالهم ابن جرير في تفسيره: ج ١ ص ٢٨٠، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٤١ .

قال المؤرج^(١): «لا شية فيها» أي لا وضح فيها بلغة اردشنوه. والذي قاله أهل اللغة «لا شية فيها»: أي لا لون يخالف لون جلدها^(٢).

واصله وشي الثوب، وأصله تحسين عيوب الشيء، يكون فيه بضروب مختلفة من الوان سدها ولحمته، يقال منه: وشيتُ الثوب أشيه شيةً ووشياً. ومنه قيل للساعي بالرجل الى السلطان أو غيره: واشٍ؛ لكذبه عليه عنده، وتحسينه كذبه عنده بالأباطيل، يقال: وشيتُ به وشاية، قال كعب بن زهير:

يسعى' الوشاة بجنبها وقولهم إنك يابن أبي سلمى لمقتول^(٣)
يعني: انهم يتقولون الأباطيل ويخبرونه انه إن لحق بالنبي صلى الله عليه وآله قتله.

وقال بعض أهل اللغة: إنّ الوشي العلامة، وأصله شية من وشيت، لكن لما أسقطت منها الواو وأبدلت مكانها الهاء في آخرها كما قالوا: وزنته زنة ووعدته عدة، وكذلك وشيته شية^(٤).

وقالوا: «الآن جئت بالحق» موصولة الهمزة، وإذا ابتدأت قطعت الألف الأولى؛ لأنّ الف الوصل إذا ابتدئ بها قطعت.

(١) المؤرج: هو أبو فريد مؤرج بن عمرو بن الحارث السدوسي العجلي، ولد قبل سنة ١٥٠ هـ وهو من اللغويين ومن تلامذة الخليل الفراهيدي «رحمه الله» ويروى انه أقام مدة في مدينة مرو - ولذلك روى بعض العلماء المقيمين فيها كتابه «غريب القرآن» - ثم انتقل الى نيسابور. وقيل: انه رحل مع المأمون الى بغداد، وعلى هذا تكون وفاته بعد سنة ٢٠٤ هـ.

(تاريخ التراث العربي: ج ٨ ص ٩٦).

(٢) تهذيب اللغة: مادة «وشي» ج ١١ ص ٤٤٤، والصحاح: مادة «وشي» ج ٦ ص ٢٥٢٤.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٧٩، وفيه: تسعى الوشاة جنابها.

(٤) الكتاب لسيبويه: ج ٣ ص ٤٤٩-٤٥٠.

قال الفراء: والأصل الأوان فحذفت الواو، والألف واللام دخلتا في آن لأنها ينوبان عن الإشارة^(١). المعنى انت الى هذا الوقت تفعل هذا، فلم تعرب الآن كما لم تعرب هذا.

ومن العرب من يقول: «قالوا الآن جئت بالحق» ويذهب الوصل ويفتح اللام ويحذف الهمزة التي بعد اللام ويثبت الواو في (قالوا) ساكناً؛ لأنه انما كان يذهبه لسكون اللام، واللام قد تحركت لأنه حوّل عليها حركة الهمزة^(٢)، قال الشاعر:

وقد كنت تخفي حب سمراء حقبة فبح لان منها بالذي انت بايع^(٣)
ومعنى قوله: «الآن جئت بالحق» يحتمل أمرين:

أحدهما: الان بينت الحق، وهو قول قتادة^(٤). وهذا يدل على انه كان فيهم من يشك في أنّ موسى عليه السلام ما بين الحق. وقال عبد الرحمن: يريد انه حين بينها لهم، قالوا: هذه بقرة فلان «الآن جئت بالحق»^(٥) وهو قول من جوز انه قبل ذلك لم يجيء بالحق على التفصيل وإن أتى به على وجه الجملة.

وقوله: «فذبجوها وما كادوا يفعلون» يحتمل أمرين:
أحدهما: كادوا لا يفعلون أصلاً لغلاء ثمنها؛ لأنه حكى عن ابن عباس ومحمد بن كعب انهم اشتروها بملء جلد لها ذهباً من مال المقتول^(٦).

(١) حكى ذلك الأزهري عنه في تهذيب اللغة: مادة «الآن» ج ١٥ ص ٤٧٥.

(٢) نقله الزجاج في معاني القرآن: ج ١ ص ١٥٢.

(٣) أنشده الاخفش، أنظر لسان العرب: ج ١ ص ٢٩٢.

(٤) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٨٠.

(٥) نقله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٤١.

(٦) تفسير ابن عباس: ص ١١، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٢٨١.

وقيل: بوزنها عشر مرات .

والثاني: ما قال عكرمة ووهب: كادوا ألا يفعلوا خوفاً من الفضيحة على أنفسهم في معرفة القاتل منهم، قال عكرمة: ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنائير^(١).

اللغة:

ومعنى كاد همّ ولم يفعل، ولا يقال: كاد أن يفعل، وإنما يقال: كاد يفعل، قال الله: «ما كادوا يفعلون» قال الشاعر:

* قد كاد من طول البلى ان يمصحاً^(٢) *

يقال: مصح الشيء إذا فني وذهب يمصح مصوحاً، وأنشد الأصمعي: كادت النفس أن تفيض عليه إذ ثوى حشوريطه وبرود^(٣)

ولا يجيء منه إلا فعل يفعل وتثنيها، وقال بعضهم: قد جاءت بمعنى إيقاع الفعل لا بمعنى الهمّ والقرب من إيقاعه، وأنشد قول الأعشى:

* قد كاد يسمو الى الجرباء وارتفعاً^(٤) *

الجرباء السماء، أي سما وارتفع، وقال ذو الرمة:

لو أن لقمان الحكيم تعرضت لعينيه مي سافراً كاد يبرق^(٥)

(١) نقله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٨٢.

(٢) الرجز في الصحاح: مادة «مصح» ج ١ ص ٤٠٥، وهو لرؤبة أوله:

ربع عفاه الدهر طولاً فأنمحي.

(٣) لسان العرب: مادة «نفس» ح ١٤ ص ٢٣٣.

(٤) ديوان الأعشى: ص ١١٣، وفيه بهذا النص:

قد كان يسمو الى الجرفين واطلعا.

(٥) ديوانه: ص ١٦٤.

أي لو تعرضت لعينيه أي دهش وتحير. وروي عن أبي عبد الله السلمي انه قرأ «لا ذلول» بفتح اللام غير منون^(١)؛ وذلك لا يجوز لأنه ليس المراد النفي، وإنما المراد بها بقرة غير ذلول. وعندنا انه لا يجوز في البقرة غير الذبيح، فان نحر مختاراً لم يجز أكله، وفيه خلاف، ذكرناه في خلاف الفقهاء^(٢).

قد استدل أصحابنا بهذه الآيات على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة. فان قالوا: إن الله أمرهم بذبح بقرة هذه الصفات كلها لها، ولم يبين ذلك في أول الخطاب حتى سألوا عنه وراجعوا فيه، فبيّن حينئذٍ المراد لهم شيئاً بعد شيء، وهذا يدل على جواز تأخير البيان.

فان قيل: ولم زعمتم أن الصفات المذكورة في البقرة الأولى التي أمروا بذبحها، وما الذي تنكرون انهم أمروا بذبح البقرة أي بقرة كانت فلما راجعوا تغيرت المصلحة فأمرُوا بذبح بقرة أخرى هي لا فارض ولا بكر فلما راجعوا تغيرت المصلحة فأمرُوا بذبح بقرة صفراء فاقعَ لونها فلما راجعوا تغيرت المصلحة فأمرُوا بذبح بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها، وإنما يصح لكم لو كانت الصفات المذكورة كلها مرادة في البقرة الأولى؟

قلنا: هذا باطل، لأن الكناية في قوله: «قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي» لا يجوز أن تكون كناية إلا عن البقرة التي تقدم ذكرها وأمرُوا

(١) شواذ القرآن: ص ١٤.

(٢) الخلاف: ج ٣ ص ٢٤٩، مسألة ٢٤.

بذبحها؛ لأنه لم يجر في الكلام ما يجوز أن تكون هذه الكناية عنه إلا البقرة، ويجري ذلك مجرى أن يقول واحد لغلامه: اعطني تفاحة، فيقول الغلام: ما هي؟ بيّنها، فلا يصرف واحد من العقلاء هذه الكناية إلا إلى التفاحة المأمور باعطائه إياها. ثم يقال بعد ذلك أنها بقرة لا فارض ولا بكر، وقد علمنا إنّ الهاء في قوله: «انه يقول» كناية عنه تعالى؛ لأنه لم يتقدّم ما يجوز أن يكون كناية عنه إلا اسمه تعالى. وكذا يجب أن يكون قوله: «انها» كناية عن البقرة المتقدّم ذكرها، وإلا فما الفرق بين الأمرين؟ وكذلك الكلام في الكناية الثانية والثالثة سواء.

ولا خلاف بين المفسرين إنّ الكناية في الآية من أولها إلى آخرها كناية عن البقرة المأمور بها في الأول.

وقالت المعتزلة: انها كناية عن البقرة التي تعلّق التكليف المستقبل بها.

ولا خلاف بين المفسرين إنّ جميع الصفات المذكورات للبقرة أعوز اجتماعها للقوم حتى توصّلوا إلى اجتماع بقرة لها هذه الصفات كلّها بلاء جلدها ذهباً.

وروي أكثر من ذلك. ولو كان الأمر على ما قاله المخالف لوجب أن لا يعتبروا فيما يبتاعونه إلا الصفات الأخيرة دون ما تقدّمها، وتلغى الصفات المتقدّمة [و] في إجماعهم على أنّ الصفات كلها معتبرة دليل على أن الله تعالى آخر البيان.

فان قيل: لم عتفوا على تأخيرهم امتثال الأمر الأول مع إنّ المراد بالأمر الأول تأخر؟ ولم قال: «فذبّوها وما كادوا يفعلون»؟

قلنا: ما عتفوا بتأخير امتثال الأمر الأول، وليس في الظاهر ما يدلّ

عليه، بل كان البيان يأتي شيئاً بعد شيء كما طلبوه من غير تعنيف، فلا قول يدلّ على أنّهم بذلك عصاة.

فأمّا قوله في آخر القصة: «فدبحوها وما كادوا يفعلون»، فأمّا يدلّ على انه كادوا يفرطون في آخر القصة، وعند تكامل البيان، ولا يدلّ على أنّهم فرطوا في أول القصة.

ويقوي ذلك قوله تعالى بعد جمع الأوصاف: «الآن جئت بالحق» أي جئت به على جهة التفصيل، وإن كان جاءهم بالحقّ مجملًا. وهذا واضح بحمد الله، وقد استوفينا الكلام في هذه الآية وغيرها في العدة في أصول الفقه^(١) ما لا مزيد عليه.

قوله تعالى:

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ آية.

المعنى:

تقدير الآية: واذكروا إذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها، وهو عطف على قوله: «اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم»^(٢) وهو متقدّم على قوله: «واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة»^(٣)؛ لأنهم انما أمروا بذبح البقرة بعد تدارئهم في أمر المقتول.

ومعنى «ادارأتم» اختلفتم، واصله تدارأتم، فأدغمت التاء في الدال بعد أن سكنت، وجعلوا قبلها ألفاً لتمكن النطق بها. قال أبو عبيدة: ادارأتم بمعنى

(١) عدة الأصول: ص ١٧٤.

(٢) البقرة: ٤٠.

(٣) البقرة: ٦٧.

اختلفتم فيها، من التدارؤ، ومن الذرء^(١). وقيل: الدراء العوج، أي
 اعوججتم عن الاستقامة، ومنه قول الشاعر:
 فنكَّبَ عنهم درء الأعادي وداووا بالجنون من الجنون^(٢)
 أي اعوجاج الاعادي. وقال قوم: الدرء المدافعة^(٣)، ومعناه تدافعت في
 القتل، ومنه قوله: «ويدرأونها العذاب»^(٤). وقال رؤبة بن العجاج:
 ادركتها قدام كل مدره بالدفع عني درء كل عنجه^(٥)
 ويقال: فلان لا يداري ولا يماري أي لا يخالف، ومنه قوله: «والله
 مخرج ما كنتم تكتمون» أي مظهر ما كنتم تسرون من القتل.
 قوله تعالى:

فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
 تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ آية بلا خلاف .

روى ابن سيرين عن أبي عبيدة السلماني قال: كان رجل من بني
 اسرائيل عقيماً، وله مال كثير، فقتله وارثه، وجره فقدمه على باب اناس
 آخرين، ثم اصبح يدعيه عليهم حتى تسلح هؤلاء وهؤلاء، وأرادوا ان
 يقتتلوا، فقال ذوو النهى: أتقتلون وفيكم نبي الله .
 فامسكوا حتى أتوه، فأمرهم أن يذبخوا بقرة فيضربوه ببعضها، فقالوا:

(١) مجاز القرآن: ج ١ ص ٤٥.

(٢) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٤٢.

(٣) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج ١ ص ١٥٣.

(٤) النور: ٨.

(٥) ديوانه: ص ١٦٦.

أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا، قال: اعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، قال: فوجدوها عند رجل، فقال: لا أبيعها إلا بملء جلد لها ذهباً - وكان باراً بأبيه - فعوضه الله عن ذلك وجازاه عن بَرِّه بأبيه، إذ باع البقرة بملء جلد لها ذهباً، فضرَبوه ببعضها، فتكلَّم، فقال: قتلي فلان، ثم عاد ميتاً فلم يورث قاتل بعده^(١).

واختلفوا في أي موضع ضرب من القتل :

فقال الفراء: ضرب بذنبها^(٢). وقال البعض: أقل من النصف. وقال ابن زيد: ضرب ببعض آرابها. وقال أبو العالية: ضرب بعظم من عظامها. وقال السدي: ضرب بالبضعة التي بين الكتفين. وقال مجاهد وعكرمة وقتادة: ضرب بفخذ البقرة^(٣).

والهاء في قوله: «فاضربوه» كناية عن القتل، والهاء في قوله: «ببعضها» كناية عن البقرة.

وهذه الأقاويل كلها محتملة الظاهر. والمعلوم إن الله تعالى أمر أن يضرب القتل ببعض البقرة، ولا يضرب الجهل بذلك البعض بعينه؛ وإنما أمرهم بذلك لأنهم إذا فعلوه أحيا الميت، فيقول: فلان قتلني، فيزول الخلف والتداري بين القوم.

والقديم - تعالى - وإن كان قادراً على الإخبار بذلك فإن هذا أظهر، والإخبار به أعجب؛ لأنه معجز خارق للعادة.

والتقدير في الآية: فقلنا اضربوه ببعضها فضرَبوه فحيي، كما قال:

(١) رواه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٨٢.

(٢) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٨.

(٣) ذكر أقوالهم الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٨٥، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٤٣.

«اضرب بعصاك الحجر فانفلق»^(١) تقديره: فضرب فانفلق. وكذلك قوله: «يحيي الله الموتى» فيه إضمار كأنه قال: فقلنا اضربوه ببعضها فحيي، «كذلك يحيي الله الموتى» أي اعلموا إن ما عاينتموه إن الله قادر على أن يحيي الموتى للجزاء والحساب الذي أوعدكم به.

ولما ضربوه ببعض البقرة أحياء الله تعالى، فقال: قتلي ابن أخي ثم قبض، وكان اسمه عاميل. فقال بنواخيه: والله ما قتلناه وكذبوا الحق بعدمعاينته. وانما جعل سبب إحيائه الضرب بموات لا حياة فيه؛ لئلا يلتبس على ذي شبهة أن الحياة انتقلت إليه مما ضرب به، لتزول الشبهة وتتأكد الحجة. وقوله: «كذلك يحيي الله الموتى» يحتمل أن يكون حكاية عن قول موسى لقومه، ويحتمل أن يكون خطاباً من الله تعالى لمشركي قريش.

وقوله: «لعلكم تعقلون» أي لتعقلوا. وقد كانوا عقلاً قبل ذلك؛ لأن من لا عقل له لا تلزمه الحجة، لكنه أراد تنبيههم، وأن يقبلوا ما يدعون إليه ويطيعوه ويعرفوه حق معرفته.

قوله تعالى:

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ أَلُنْهَرُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ آية واحدة.

القراءة:

قرأ ابن كثير وحده ها هنا «عما يعملون» بالياء، والباقون بالتاء (٢).

(١) الشعراء: ٦٣.

(٢) كتاب السبعة في القراءات: ص ١٦٠، والحجة في علل القراءات السبع: ج ٢ ص ٩٠.

المعنى:

الخطاب بقوله: «قلوبكم» قيل فيمن يتوجه اليه قولان:
أحدهما: إنه أريد بنو أخي المقتول حين أنكروا قتله بعد أن سمعوه منه
عند إحياء الله تعالى له إنه قتله فلان، هذا قول ابن عباس (١).

والثاني: قول غيره: انه متوجه الى بني اسرائيل كلهم، قال: وقوله:
«من بعد ذلك» أي من بعد آيات الله كلها التي أظهرها على يد
موسى (٢).

وعلى الوجه الأول يكون ذلك إشارة الى الإحياء.
ومعنى «قست قلوبكم» أي غلظت وييست وعست.

اللغة:

القسوة ذهاب اللين والرحمة والخشوع والخضوع، ومنه يقال: قسا قلبه
يقسو قسواً وقسوةً وقساوةً.

وقوله: «من بعد ذلك» أي من بعد إحياء الميت لكم ببعض من
أعضاء البقرة بعد أن تدارأوا فيه وأخبرهم بقاتله، والسبب الذي من أجله
قتله، وهذه آية عظيمة كان يجب على من شاهد هذا أن يخضع ويلين قلبه.
ويحتمل أن يكون من بعد إحياء الميت والآيات الأخرى التي تقدمت،
كمسخ القردة والخنزير ورفع الجبل فوقهم وانبجاس الماء من الحجر
وانفراق البحر وغير ذلك. وانما جاز ذلك وان كانوا جماعة، ولم يقل:

(١) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٤٤، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٢٨٦.

(٢) احتمله الزجاج في معاني القرآن: ج ١ ص ١٥٥.

(ذلكم)؛ لأن الجماعة في معنى الجمع والفريق، فالخطاب في لفظ الواحد ومعناه جماعة .

قوله: «فهي كالحجارة» يعني قلوبهم، فشبهها بالحجارة في الصلابة واليبس والغلظ والشدة، أي أشد صلابة؛ لامتناعهم بالاقرار الا لازم من حقّه الواجب من طاعته بعد مشاهدة الآيات .

ومعنى «أو» في الآية يحتمل أموراً:

أحدها: ذكره الزجاج فقال: هي بمعنى التخيير، كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، أي أيهما جالست جائز، فكأنه قال: إن شُبِّهَتْ قلوبهم بالحجارة جاز، وإن شُبِّهَتْ بما هو أصْلَب كان جائزاً^(١) .

والثاني: أن تكون «أو» بمعنى الواو، وتقديره: فهي كالحجارة وأشدّ قسوة، كما قال: «وأرسلناه الى مائة ألفٍ أو يزيدون»^{(٢)(٣)}، ومثله قول جرير:

نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربّه موسى على قدر^(٤)
وقال توبة بن الحمير:

وقد زعمت ليلي بأنّي فاجر لنفسي تقاها أو عليها فجورها^(٥)
أي وعليها، ومثله قوله تعالى: «ولا يبدين زينتهنّ إلّا لبعولتهنّ أو آبائهنّ أو آباء بعولتهنّ...»^(٦) .

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ١٥٦ .

(٢) الصافات: ١٤٧ .

(٣) راجع تهذيب اللغة: مادة «أو» ج ١٥ ص ٦٥٨، وأمالى المرتضى: ج ٢ ص ٥٧ .

(٤) ديوان جرير: ص ٢١١، وشرح الديوان: ص ٢٠٥ .

(٥) أمالى المرتضى: ج ٢ ص ٥٧ .

(٦) النور: ٣١ .

والثالث: أن يكون المراد الإيهام على المخاطبين، كما قال أبو الاسود الدؤلي:

أحب محمداً حباً شديداً وعباساً وحمزة والوصيا
فان يك حبههم رشداً أصبه ولست بمخطئٍ إِنْ كان غيا^(١)
وأبو الاسود لم يكن شاكاً في حبههم ولكن أبهم على من خاطبه. وقيل
لأبي الأسود حيث قال ذلك: شككت؟ قال: كلا، ثم استشهد بقوله
تعالى: «قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلالٍ مبين»^(٢) افتراه كان
شاكاً حين أخبر بذلك.

والرابع: أن يكون أراد بل أشد قسوة، ومثله «وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون»^(٣) أي بل يزيدون، ولا تكون بل للاضراب عن الأول بل مجرد العطف.

والخامس: انها كالحجارة، أو أشد قسوةً عندكم^(٤).

والسادس: أن يكون أراد مثل قول القائل: أطعمتك حلواً وحامضاً، وقد أطعمه النوعين جميعاً، وهو انه لم يشك انه اطعمه الطعمين معاً^(٥)، فكأنه قال: فهي كالحجارة أو أشد قسوةً، ومعناه إن قلوبهم لا تخرج من أحد هذين المثليين إِمَّا ان تكون مثلاً للحجارة في القسوة، واما أن تكون أشد منها، ويكون معناه على هذا بعضها كالحجارة قسوة وبعضها أشد قسوةً من

(١) الأغاني: ج ١١ ص ١٢٠.

(٢) سبأ: ٢٤.

(٣) أمالي المرتضى: ج ٢ ص ٥٦.

(٤) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٨٧، وأمالي المرتضى: ج ٢ ص ٥٥.

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٨٧، وأمالي المرتضى: ج ٢ ص ٥٥.

الحجارة.

وكلّ هذه الأوجه محتملة وأحسنها الإيهام على المخاطبين. ولا يجوز أن يكون المعنى الشك؛ لأنّ الله تعالى عالم لنفسه لا يخفى عليه خافية. وكذلك في أمثال ذلك نحو قوله: «فكان قاب قوسين أو أدنى»^(١) وغير ذلك، وأنشدوا في معنى «أو» يراد به «بل» قول الشاعر:

بدّت مثل قرن الشمس في رَوْنَقِ الضحى وصورتها أو أنت في العين أملح^(٢)
يريد بل أنت.

الاعراب:

والرفع في قوله: «أو أشدّ قسوة» يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون عطفاً على معنى الكاف التي في قوله: «كالحجارة» لأن معناها فهي مثل الحجارة.

والآخر: أن يكون عطفاً على تكرير هي، فيكون التقدير: فهي كالحجارة أو هي أشدّ قسوة من الحجارة.

وقرىء بنصب الدال شاذّاً فيكون نصبه على أنّ موضعه الجر بالكاف وإنما نصب على أنه على وزن أفعل لا ينصرف.

اللغة والمعنى:

وقوله: «وإنّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار».

(١) النجم: ٩.

(٢) البيت في الصحاح: مادة «أو» ج ٦ ص ٢٢٧٥، وحكاها السيّد المرتضى عن الفراء في أماليه:

معناه إنَّ من الحجارة ما هو أنفع من قلوبهم القاسية، يتفجّر منها أنهار، وإن منها لما يهبط من خشية الله، والتقدير: إنَّ من الحجارة حجارة يتفجّر منها أنهار الماء، فاستغنى بذكر الأنهار عن ذكر الماء، وكرر قوله: «منه» للفظ «ما» .

والتفجّر التفعل من فجر الماء، وذلك إذا نزل خارجاً من منبعه. وكلّ سائل شخص خارجاً من موضعه ومكانه فقد انفجر ماءً كان أو دماً أو صديداً أو غير ذلك، قال عمر بن لُحاء^(١):

ولما أن قربت الى جوير أبى ذو بطننة إلا انفجارا^(٢)
يعني خروجاً وسيلناً .

وقوله: «وإنَّ منها لما يشقق فيخرج منه الماء» تشقّق الحجارة انصداعها وأصله يتشقق، لكن التاء أدغمت في الشين فصارت شيئاً مشددة .
وقوله: «فيخرج منه الماء» .

يعني فيخرج منه الماء فيكون عيناً نابعة لا أنها جارية حتى يكون مخالفاً للأول .

وقال الحسين بن علي المغربي: الحجارة الأولى حجارة الجبال تخرج منها

(١) هو عمر بن لُحاء (لُحاً) بن جرير بن مصاد التيمي، من بني تيم بن عبد مناة، من شعراء العصر الأموي، اشتهر بما كان بينه وبين جرير من مفاخرات ومعارضات وهو الذي قال فيه جرير:
أنت ابن برزة منسوب الى لُحاً عند العصارة والعيidan تعتصرُ
وبرزة أمّه، مات بالأهواز سنة ١٠٥ هـ.

(الأعلام: ج ٥ ص ٥٩).

(٢) كذا أورده ابن جرير في تفسيره: ج ١ ص ٢٨٨، وفي الأغاني: ج ٨ ص ٧٢ هكذا:
ولما أن قُرنست الى جرير أبى ذو بطننة إلا انحدارا

الأنهار، والثانية حجر موسى الذي ضربه فانفجر منه عيون؛ فلا يكون تكراراً^(١).

وقوله: «وإنّ منها لما يهبط من خشية الله». قال أبو علي والمغربي: معناه بخشية الله، كما قال: «يحفظونه من أمر الله»^(٢) أي بأمر الله، قال: وهي حجارة الصواعق والبرّد^(٣).

والكناية في قوله: «منها» قيل فيها قولان: أحدهما: إنّها ترجع الى الحجارة؛ لأنها أقرب مذكور^(٤). وقال قوم: إنّها ترجع الى القلوب لا الى الحجارة؛ فيكون معنى الكلام: وإنّ من القلوب لما يخضع من خشية الله، ذكره ابن بحر^(٥) وهو أحسن من الأول.

ومن قال بالأول اختلفوا فيه؛ فمنهم من قال: إنّ المراد بالحجارة الهابطة البرد النازل من السحاب، وهذا شاذّ، لم يذكره غير أبي علي الجبائي. وقال الأكثر: إنّ المراد بذلك الحجارة الصلبة؛ لأنها أشدّ صلابة^(٦). وقالوا في هبوطها وجوهاً:

أحدها: إنّ هبوط ما يهبط من خشية الله تقيء ظلاله.
وثانيها: إنّ الجبل الذي صار دكاً لما تجلّى له ربه^(٧).

(١) و(٣) لم نهند لقولهما فيما لدينا من المصادر.

(٢) الرعد: ١١.

(٤) انظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٨٨.

(٥) نقله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٤٦.

(٦) راجع تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٨٩، وأمالى المرتضى: ج ٢ ص ٥٧.

(٧) أخرج القولين ابن جرير في تفسيره: ج ١ ص ٢٨٩، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٤٦.

وثالثها: قاله مجاهد: إِنَّ كُلَّ حَجَرٍ تَرَدَّى مِنْ رَأْسِ جَبَلٍ فَهُوَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ^(١).

ورابعها: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَى بَعْضَ الْجِبَالِ الْمَعْرِفَةَ، فَعَقَلَ طَاعَةَ اللَّهِ تَعَالَى، فَأَطَاعَهُ كَالَّذِي رَوَى فِي حَنِينِ الْجَذَعِ. وما روي عن النبي عليه السَّلام أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ حَجَرًا كَانَ يَسْلَمُ عَلَيَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ^(٢).

وهذا الوجه فيه ضعف؛ لأنَّ الجبل ان كان جماداً، فحال ان يكون فيه معرفة الله. وان كان عارفاً بالله وبنيته بنية الحي فانه لا يكون جبلاً. وأما الخبر عن النبي عليه السلام فهو خبر واحد. ولو صح، لكان معناه إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحْيَا الْحَجَرَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَيَكُونُ ذَلِكَ مُعْجَزاً لَهُ عَلَيْهِ السَّلام.

واما حنين الجذع فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ فِيهِ الْحَنِينَ، فَكَانَ بِذَلِكَ خَارِقاً لِلْعَادَةِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا اسْتَنْدَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَكَنَ وَإِذَا تَنَحَّى عَنْهُ حَنَّ.

وقال قوم: يجوز أن يكون الله تعالى بنى داخله بنية حي، فصَحَّ مِنْهُ الْحَنِينُ.

وقال قوم: معنى «يهبط من خشية الله» إنه يوجب الخشية لغيره بدلالته على صانعه، كما قيل: ناقة تاجرة، إذا كانت من نجابتها وفراحتها تدعو الناس إلى الرغبة فيها^(٣)، كما قال جرير بن عطية:

(١) تفسيره: ص ٢٠٧.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٨٩، وفي النسخة الخطية والحجرية «لأعرفه»، وهو تصحيف.

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٨٩.

وأعور من نهان أمّا نهاره فأعمى وأمّا ليله فبصير^(١)
فجعل الصفة لليل والنهار، وهو يريد صاحبه النهائي الذي يهجوّه بذلك
من أجل أنّه كان فيهما على ما وصفه به. والذي يقوى في نفسي إنّ معنى
الآية الإبانة عن قساوة قلوب الكفّار، وإنّ الحجارة ألين منها، لو كانت تلين
لشيءٍ للأنهار، وتفجرت منها الأنهار، وتشققت منها المياه، وهبطت من
خشية الله وهذه القلوب لا تلين مع مشاهدتها الآيات التي شاهدها بنو
إسرائيل .

وجرى ذلك مجرى ما يقوله تعالى: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل
لرأيتّه خاشعاً متصدّعاً من خشية الله»^(٢) ومعناه لو أنزلنا هذا القرآن على
جبلٍ، وكانت الجبال مما تخشع لشيءٍ ما، لرأيتّه خاشعاً متصدّعاً، وكقوله
تعالى: «ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض»^(٣) الى آخرها
سواء.

وأدخلت هذه اللامات فيها تأكيداً للخبر.

ويجوز في قوله: «فهي كالحجارة» اسكان الهاء -وقد قرىء به- لأن
الفاء مع الهاء، قد جعلت الكلمة بمنزلة فخذ فتحذف الكسرة استثقلاً .

المعنى :

والمعنى في الآية انه تعالى لما أخبر عن بني اسرائيل وما أنعم عليهم به،

(١) البيت في ديوانه: ص ٢٠٣

(٢) الحشر: ٢١.

(٣) الرعد: ٣١.

وأراهم من الآيات وغير ذلك ، فقال مخبراً عن عصيانهم وطفغيانهم: «تم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة» .

ثم أخبر تعالى أنه لا امتناع عند الحجارة مما يحدث فيها من أمره - وإن كانت قاسية - بل هي متصرفة على مراده لا يعدم شيء مما قدر فيها . وبنو اسرائيل مع كثرة نعمه عليهم وكثرة ما أراهم من الآيات يمتنعون من طاعته ، ولا تلين قلوبهم لمعرفة حقه ، بل تقسو وتمتنع من ذلك .

وقوله: «وإنّ منها لما يهبط من خشية الله» أي عند ما يحدث فيها من الآيّة الهائلة كالزلازل وغيرها ، وأضاف الخشية الى الحجارة وإن كانت جماداً على مجاز اللغة والتشبيه .

والمعنى في خشوع الحجارة إنه يظهر فيها ما لو ظهر في حي مختار قادر لكان بذلك خاشعاً ؛ وهو ما يرى من حالها . وإنها منصرفة لامتناع عندها مما يراد بها ، وهو كقوله: «جداراً يريد أن ينقض»^(١) لأن ماظهر فيه من الميلان ، لو ظهر من حي لدل على انه يريد أن ينقض ، ليس ان الجدار يريد شيئاً في الحقيقة ، ومثله «وإن من شيء إلا يسبح بحمده»^(٢) وقوله: «الم ترأنّ الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس»^(٣) وقوله: «والنجم والشجر يسجدان»^(٤) وقال زيد الخيل^(٥):

(١) الكهف: ٧٧ .

(٢) الاسراء: ٤٤ .

(٣) الحج: ١٨ .

(٤) الرحمن: ٦ .

(٥) وهو زيد بن مهلهل بن منهب ، من طيئ ، كنيته أبو مكنف ، لقب زيد الخيل لكثرة خيله

بجمع تظلّ البلق في حُجراته ترى الاكم فيه سُجداً للحوافر^(١)
 فجعل ما ظهر في الاكم من آثار الحوافر، وقلة امتناعها عليها، ومدافعتها
 لها كما يدافع الحجر الصلب الحديد الصلب سجوداً لها، ولو أن الاكم
 كانت في صلابة الحديد حتى يمتنع من الحوافر، ولا تؤثر فيها، ولا تذهب
 ميمناً ولا شمالاً، ولا تظاهر بكثرة تزداد الحوافر عليها، ما جاز أن يقال: انها
 تسجد للحوافر.

وقال ابن حمزة^(٢):

وعرفت من شرفات مسجدها حجرين طال عليهما القصر
 بكيا الخلاء فقلت إذ بكيا ما بعد مثل بكاهما صبر^(٣)
 وقال جرير:

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع^(٤)
 فصيرها متواضعة. والعرب يفهم بعضها مراد بعض هذه الأشياء، فمن
 تعلق بشيء من هذا ليطعن به، فأنما يطعن على لغة العرب، بل على لغة
 نفسه من أهل أي لغة كان؛ فإنّ هذا موجود متعارف في كل لغة، وعند
 كل جيل.

وطراده بها، أدرك الاسلام، ووفد على النبي صلى الله عليه وآله في وفد طيئ، فأسلم، وسماه
 «زيد الخير» وأقطعه أرضاً بنجد، فكث في المدينة سبعة أيام وأصابته حمى شديدة فخرج عائداً
 الى نجد فمات في طريقها سنة ٩هـ.

(الشعر والشعراء: ص ١٥٦، والأعلام: ج ٣ ص ٦١)

(١) البيت في تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٨٩.

(٢) كذا في الحظية والحجرية والمطبوعة، والظاهر انه ابن حلزة، والله العالم.

(٣) لم نقف عليه في المصادر المتوفرة.

(٤) ديوانه: ص ٢٧٠.

وقوله: «وما الله بغافل عما تعملون» من قرأ بالتاء، قال: الخطاب متوجه الى بني اسرائيل فكأنه قال: وما الله بغافل يامعشر المكذبين بآياته والجاحدين بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله عما تعملون. ومن قرأ بالياء، فكأن الخطاب لغيرهم والكناية عنهم .

والغفلة عن الشيء تركه على وجه السهو والنسيان، فأخبرهم الله تعالى أنه غير غافلٍ عن أعمالهم السيئة ولا ساه عنها .

قوله تعالى:

أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

الألف في قوله: «أفتظمعون» ألف استفهام والمراد به الإنكار، كقوله: «ألم يأتكم نذير * قالوا بلى»^(١) فإذا كان في الأول نفيّاً كان الجواب بلى، وإذا لم يكن نفيّاً كان الجواب لا. وهذا خطاب لأمة النبي عليه السلام فكأنه قال: أفتظمعون أيها المؤمنون أن يؤمنوا لكم من طريق النظر والاعتبار ونفي التشبيه والانقياد للحق، وقد كان فريق منهم؛ أي ممّن هو في مثل حالهم من أسلافهم يسمعون كلام الله ثم يعلمون أنه الحق ويعاندون، فيحرفونه ويتأولونه على غير تأويله .

وقوله: «وقد كان فريق منهم» والفريق جمع كالطائفة لا واحد له من

لفظه، وهو فعيل من الفرق سُمِّي به الجمع كما سمّيت الجماعة بالحزب من التحزّب، قال أعشى بن ثعلبة:

أجدّوا فلما خفت أن يتفرّقوا فريقين منهم مُصْعِدٌ ومَصَوّبٌ^(١)
وقوله: «منهم» يعني من بني اسرائيل؛ وانما جعل الله الذين كانوا على عهد موسى ومن بعد من بني اسرائيل من اليهود الذين قال الله تعالى لأصحاب محمد [صلى الله عليه وآله] أفطمعون أن يؤمنوا لكم؛ لأنهم كانوا آباءهم واسلافهم فجعلهم منهم، إذ كانوا عشائرتهم وفرقهم وأسلافهم.

وقوله: «يسمعون كلام الله» قال قوم منهم مجاهد والسدي: إنهم علماء اليهود يحرفون التوراة، فيجعلون الحلال حراماً والحرام حلالاً ابتغاء لأهوائهم واعانة لمن يرشوهم^(٢).

وقال ابن عباس والربيع وابن اسحاق والبلخي: إنهم الذين اختارهم موسى من قومه، فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا أمره، وحرّفوا القول في أخبارهم لقومهم حتى رجعوا اليهم وهم يعلمون أنهم قد حرّفوا^(٣).

وهذا أقوى التأويلين؛ لأنه تعالى أخبر عنهم بأنهم يسمعون كلام الله، والذين سمعوا كلام الله بلا واسطة هم الذين كانوا مع موسى، فأما هؤلاء فانما سمعوا ما يضاف الى كلامه بضرب من العرف دون حقيقة الوضع.

ومن قال بهذا، قال: هم الذين سمعوا كلام الله الذي أوحى الله الى

موسى.

(١) ديوانه: ص ١١.

(٢) أنظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٩٠-٢٩١، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٤٧.

(٣) حكى أقوالهم إلا البلخي ابن جرير في تفسيره: ج ١ ص ٢٩١، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٤٧.

وقال قوم: هو التوراة التي علمها علماء اليهود (١).

وقوله: «من بعد ما عقلوه وهم يعلمون» قيل فيه وجهان:

أحدهما: وهم يعلمون أنهم يحرقونه .

والثاني: من بعد ما تحققوه وهم يعلمون ما في تحريفه من العقاب .

والذي يليق بمذهبنا في الموافاة أن نقول: إن معناه وهم يعلمون أنهم

يحرقونه .

فان قيل : فلماذا أخبر الله عن قوم بأنهم حرّفوا وفعلوا ما فعلوا من المعاندة ما يجب أن يؤيس من إيمان من هو في هذا الوقت، وأيّ علاقة بين الموضوعين والحالين؟

قيل : ليس كلما يطمع فيه يؤيس منه على وجه الاستيقان بأنّه لا يكون؛ لأنّ الواحد من أفناء العامة لا يطمع أن يصير ملكاً. ومع ذلك لا يمكن القطع على كل حال إنّ ذلك لا يكون أبداً. ولكن لا يطمع فيه لبعده، والله تعالى نفى عنهم الطمع، ولم يؤيسهم على القطع والثبات وانما لم يطمع فيهم لبعده ذلك من الوهم منهم مع أحوالهم التي كانوا عليها. وشبههم بأسلافهم المعاندين، وقد كانوا قادرين على أن يؤمنوا وكان ذلك منه جائزاً.

وهؤلاء الذين عاندوا - وهم يعلمون - كان قليلاً عددهم، يجوز على مثلهم التواطؤ والاتفاق وكتمان الحق؛ وانما يمتنع ذلك في الجمع العظيم والخلق الكثير، لأمر يرجع الى اختلاف الدواعي؛ فأما على وجه التواطؤ

(١) تقدّم نقل هذا عن مجاهد والسدي فلاحظ، وأنظر تفسير الواحدي في هامش تفسير النووي:

والعهد فلا يمتنع فيهم أيضاً، فيبطل بذلك قول من نسب فريقاً الى المعاندة دون جميعهم، وإن كانوا بأجمعهم كفاراً .

قوله تعالى:

وَإِذَا الْقَوْمُ الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ آية .

هذه الآية فيها إخبار عمن رفع الله الطمع في إيمانهم من يهود بني اسرائيل الذين كانوا بين أظهرهم فقال: أفتطمعون أيها المؤمنون أن يؤمنوا لكم، وهم القوم الذين كان فريق منهم يسمعون كلام الله، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، وهم الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، أي صدقنا بمحمد صلى الله عليه وآله وبما صدقتم به وأقررنا بذلك . فأخبر الله بأنهم تخلقوا بأخلاق المنافقين وسلكوا منهاجهم .

«واذا خلا بعضهم الى بعض»: أي اذا خلا بعض هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم الى بعض منهم فصاروا في خلاء الناس، وذلك هو الموضع الذي ليس فيه غيرهم، قالوا -يعني بعضهم لبعض-: اتحدثونهم بما فتح الله عليكم .

وقال ابن عباس: «بما فتح الله عليكم» أي بما ألزمكم الله به، فيقول الآخرون: انما نستهزئ بهم ونضحك^(١) .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس إن معناه قالوا: لا تحدثوا العرب بهذا، فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم، فأنزل الله هذه الآية^(٢) .

أي تقرّون بأنه نبي وقد علمتم انه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه وهو يخبركم بأنه النبي الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا، اجحدوه ولا تقرّوا به لهم، فقال الله تعالى: «أولاً يعلمون أنّ الله يعلم ما يسرون وما يعلنون». وقال أبو العالية: «اتحدّثونهم بما فتح الله عليكم» أي بما أنزله في كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وآله وبه قال قتادة^(١) وقال مجاهد: ذلك قول يهود بني قريظة حين سبّهم النبي صلى الله عليه وآله [بأنهم أخوة القردة والخنازير، قالوا: من حدّثك بهذا - حين ارسل اليهم علياً عليه السلام فاذوا محمداً صلى الله عليه وآله - فقال: يا أخوة القردة والخنازير، قال بعضهم لبعض: ما أخبره بهذا إلّا منكم اتحدّثونهم بما فتح الله عليكم، ليكون لهم حجة عليكم^(٢)].

وقال السدي: هؤلاء ناس آمنوا من اليهود ثم نافقوا وكانوا يحدّثون المؤمنين من العرب بما عدّبوها به فقال بعضهم لبعض: «اتحدّثونهم بما فتح الله عليكم» من العذاب ليحاجّوكم به، ليقولوا نحن أحبّ الى الله منكم وأكرم عليه منكم؟^(٣) ومثله روي عن أبي جعفر عليه السلام^(٤).

وأصل الفتح في كلام العرب القضاء والنصرة والحكم، يقال: اللهم افتح بيني وبين فلان أي أحكم بيني وبينه، ومنه قوله تعالى: «ويقولون متى هذا الفتح»^(٥) يعني هذا القضاء فقال تعالى: «قل يوم الفتح ...»^(٦) يعني

(١) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٤٨.

(٢) تفسيره: ص ٢٠٧.

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٩٤.

(٤) لم نقف عليه في المراجع الحديثية المتوفرة.

(٥) السجدة: ٢٨.

(٦) السجدة: ٢٩.

يوم القضاء، وقال الشاعر:

ألا ابلغ بني عصم رسولاً فإني عن فتاحتكم غني^(١)
ويقال للقاضي: الفتح، قال الله تعالى: «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين»^(٢) يعني احكم به. ويقال: فتح بمعنى علم، فقال: افتح على هذا أي اعلمي بما عندك فيه.

وإذا كان معنى الفتح ما وصف فقد بان أن معنى الآية: اتحدثونهم بما حكم الله عليكم وقضاه فيكم، ومن حكمه ما أخذ به ميثاقهم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله بما بينه في التوراة ومن قضائه أنه جعل منهم القردة والخنازير. فإذا ثبت ذلك، فإن أقوى التأويلات قول من قال: اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من بعث محمد صلى الله عليه وآله وصفته في التوراة، وأنه رسول الله إلى خلقه.

وروي عن أبي جعفر عليه السلام انه قال: كان قوم من اليهود ليسوا بالمعاندين المتواطئين، اذا لقوا المسلمين، حدثوهم بما في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وآله فنهاهم كباروهم عن ذلك، وقالوا: لا نخبروهم بما في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وآله فيحاجوكم به عند ربكم، فنزلت الآية^(٣).

ومعنى قوله: «أفلا تعقلون» أفلا تفهمون أيها القوم أن اخباركم محمداً صلى الله عليه وآله وأصحابه، بما تحدثونهم به واقراركم لهم بما يقررون لهم

(١) نقله في مقاييس اللغة: مادة «فتح» ج ٤ ص ٤٦٩، وفيه: «بني عوف» بدل «بني عصم»، والشعر لأسعر الجعفي.

(٢) الأعراف: ٨٩.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص ٥٠.

من وجودكم نعت محمد في كتبكم وانه نبي مبعوث، حجة عليكم عند ربكم يحتاجون بها عليكم .

وقال أبو عبيدة «بما فتح الله عليكم» أي بما منَّ عليكم وأعطاكم ليحاجوكم به^(١) .

وقال الحسن في قوله: «ليحاجوكم به عند ربكم»: أي في ربكم فيكونوا أولى منكم اذا كانت حجّتهم عليكم، قال الحسن: ثم رجع الى المؤمنين فقال: «أفلا تعقلون» ايها المؤمنون فلا تطمعوا في ذلك^(٢) .

قوله تعالى:

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

معناه: أولا يعلمون أنّ الله يعلم سرّهم وعلاّنتهم، فكيف يستجيزون أن يسرّوا الى اخوانهم النهي عن التحدّث بما هو الحق؛ وليسوا كسائر المنافقين، وان كانوا يسرّون الكفر فإنّهم غير عالمين بأنّ الله يعلم سرهم وجهرهم؛ لأنهم جاحدون له، وهؤلاء مقرّون. فهم من هذه الجهة ألوم وأعجب شأنًا وأشدّ جرأةً .

وقال قتادة في: «أولا يعلمون أنّ الله يعلم ما يسرّون» من كفرهم وتكذيبهم محمداً اذا خلا بعضهم الى بعض، «وما يعلنون» اذا لقوا اصحاب محمد قالوا آمنا يغروهم بذلك^(٣) . ومثله روي عن أبي العالية^(٤) .

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج ١ ص ٤٥ .

(٢) نقله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٤٩ .

(٣) و(٤) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٩٥ .

قوله تعالى:

وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾
آية بلا خلاف .

القراءة:

قرأ أبو جعفر المدني «أماني» مخففاً، والباقون بالتشديد (١) .

المعنى:

قوله: «ومنهم» يعني هؤلاء اليهود الذي قص الله قصتهم في هذه الآيات وقطع الطمع في إيمانهم. وقال أكثر المفسرين: سموا أميين، لأنهم لا يحسنون الكتابة ولا القراءة، يقال منه: رجل أمي بين الأمية (٢) .
ومنه قوله عليه السلام: إنا أمة أميون لا نكتب ولا نحسب (٣) .
وانما سمي من لا يحسن الكتابة أمياً لأحد أمور:
[الأول]: قال قوم: هو مأخوذ من الأمة أي هو على أصل ما عليه الأمة من أنه لا يكتب لأنه لا يستفيد الكتابة بعد أن لم يكن يكتب (٤) .
الثاني: ان الأمة الخلقة، فسمي أمياً لأنه باق على خلقة، ومنه قول الأعشى:

(١) المبسوط في القراءات العشر: ص ١٣١.

(٢) أنظر التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٩٩، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٢٩٦.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: ج ٢ ص ٤٣ و ٥٢ و ١٢٩.

(٤) مقاييس اللغة نقلاً عن أبي عبيد: مادة «أم» ج ١ ص ٢٨.

وإن معاوية الأكرمين حسان الوجوه طوال الأُمم (١)
والثالث: انه مأخوذ من الأُم، وانما أخذ منه لاحد أمرين:
أحدهما: لأنه على ما ولدته أمه من أنه لا يكتب .
والثاني: نسب الى أمه؛ لأن الكتابة كانت في الرجال دون النساء
فنسب من لا يكتب من الرجال الى أمه لجهله بالكتابة دون أبيه .
وقال أبو عبيدة: الأُميون هم الامم الذين لم ينزل عليهم كتاب، والنبي
الأُمي الذي لا يكتب، وأنشد لتبع:
له أمة سميت بالزبور أُمية هي خير الأُمم (٢)
وروي عن ابن عباس: إن الأُميين قوم لم يصدقوا رسولاً أرسله الله
عز وجل ولا كتاباً أنزله، وكتبوا كتاباً بأيديهم، وقالوا لقوم جهال: هذا
من عند الله، وقال: قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم، ثم سآهم أُميون
لجحدهم كتاب الله عز وجل ورسله (٣) .
والوجه الأول أوضح في اللغة. وهذا الوجه ملح لقوله في الآية الثانية:
«فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم» فأثبت أنهم يكتبون، ومن قال
بالأول يحتاج أن يجعل هذا مستأنفاً لغير من تقدم ذكره أو لبعضهم .
وقوله: «لا يعلمون الكتاب» أي لا يعلمون ما في الكتاب الذي أنزله
الله عز وجل، ولا يدرون ما أودعه من حدوده وأحكامه وفرائضه، كهينة
البهائم وانما هم مقلدة لا يعرفون ما يقولون، و«الكتاب» المعني به التوراة،

(١) ديوانه: ص ١٩٩، وفيه هكذا:

فإن معاوية الأكرمين عظام القباب طوال الأُمم

(٢) مجاز القرآن: ج ١ ص ٩٠، والبيت غير موجود فيه.

(٣) حكاة الطبري عنه في تفسيره: ج ١ ص ٢٩٦.

وانما ادخل عليه لام التعريف؛ لأنه قصد به قصد كتاب معروف بعينه .
ومعنى الآية فريق لا يكتبون ولا يدرون ما في الكتاب الذي عرفتموه،
والذي هو عندكم، وهم يستحلونه، ويدعون الاقرار به من أحكام الله عز
وجل وفرائضه وما فيه من حدوده التي بينها فيه .
[وقوله]: «إلا أمانى» قال ابن عباس ومجاهد: إلا قولاً يقولون
بأفواههم كذباً^(١) .

وقال قتادة: الإمانى أنهم يتمنون على الله ما ليس لهم^(٢) .

وقال آخرون: الامانى أحاديث^(٣) .

وقال الكسائي والفراء وغيرهما: معناه إلا تلاوة^(٤)، وهو المحكي عن
أبي عبيدة على ما رواه عنه عبد الملك بن هشام، وكان ثقة. وضعف هذا
الوجه الحسين بن علي المغربي، وقال: هذا لا يعرف في اللغة .
ومن صححه استدلّ بقوله تعالى: «إذا تمنى ألقى الشيطان في
امنيته»^(٥)، قال كعب بن مالك :

تمنى كتاب الله أول ليله وآخره لاقى حمام المقادر^(٦)
وقال آخر:

تمنى كتاب الله بالليل خالياً تمنى داود الزبور على رسل^(٧)

(١) أنظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٩٧، وتفسير مجاهد: ص ٢٠٨.

(٢) و(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٩٧، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٥٠.

(٤) لحكاية الأزهرى في تهذيب اللغة: مادة «منا» ج ١٥ ص ٥٣٤، وذكره الفراء في معاني القرآن:

ج ٢ ص ٢٢٩، والزجاج في معاني القرآن: ج ١ ص ١٥٩.

(٥) الخ: ٥٢.

(٦) نقله الفراهيدي في العين: مادة «منا» ج ٨ ص ٣٩٠.

(٧) ذكره اللسان: مادة «منى» ج ١٣ ص ٢٠٤، وفيه اختلاف.

وقال أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني: الاماني التقدير^(١). قال الشاعر:

ولا تقولنّ لشيءٍ سوفَ أفعله حتى تبين ما يمتني لك الماني^(٢)
أي ما يقدر لك المقدّر.

«والآ» هاهنا استثناء منقطع، ومعناه لكن امانى وكل موضوع يعلم ان ما بعد «إلّا» خارج عن الأول فهو بمعنى لكن، كقوله: «ما لهم به من علم إلّا إتباع الظنّ»^(٣): وكقولهم: ما في الدار واحد إلّا حماراً، وإلّا وتداً. قال الشاعر:

ليس بيني وبين قيسٍ عتابٌ غير طعنٍ الكلي وضرب الرقاب^(٤)
وقال آخر:

حلفت يميناً غير ذي مشنويةٍ ولا علم إلّا حسنُ ظنٍّ بصاحب^(٥)
معناه لكن حسن ظني بصاحبي، ومثله «وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلّا خطأ»^(٦) ومثله «لا عاصم اليوم من أمر الله إلّا من رحم»^(٧). ولولا ولوما وهلاً وإلّا الثقيلة بمعنى واحد، قال الشاعر:

تعدّون عقر النيب أفخر مجدكم بني ضوطني لولا الكمي المقنعا^(٨)

(١) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٥٠.

(٢) تهذيب اللغة: مادة «منا» ج ١٥ ص ٥٣٠، وفيه بدل «تبين» كلمة «تلاقي».

(٣) النساء: ١٥٧.

(٤) الكتاب لسبيويه: ج ٢ ص ٣٢٣، والبيت لابن الأثيرم التغلبي.

(٥) البيت للنابغة الذبياني، ديوانه: ص ٤٩.

(٦) النساء: ٩٢.

(٧) هود: ٤٣.

(٨) قاله جرير، من قصيدة يهجو بها الفرزدق، ديوانه: ص ٢٦٥، وفيه بدل «أفخر مجدكم» عبارة «أفضل سعيكم»، وبدل «لولا» «هلاً».

يعني هلاً، وقال آخر:

أتيت بعبد الله في القيد موثقاً فهلا سعيداً ذا الخيانة والغدر^(١)
ثم قال آخر:

وما سجنوني غير اني ابن غالب واني من الأثرين عند الزغاي^(٢)
واحدهم زغيف وهو التابع. وكلّ موضوع حسن ان يوضع فيه مكان
إلاً (لكن) فاعلم انه مكان استثناء منقطع. ولوقيل هاهنا: ومنهم أميون
لا يعلمون الكتاب. لكن يتمنون لكان صحيحاً.

والأما اني واحداً أمنيّة؛ مثقل، ومن خفف الياء قال: لأن الجمع
يكون على غير واحد بنقصان أو زيادة. والاماني كلّهم يخففونها لكثرة
الاستعمال، وكذلك الأضاحي.

وأولى التأويلات قول ابن عباس ومجاهد: من أنّ الأميين الذين
وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآية، وأنهم لا يفقهون من الكتاب
الذي أنزله الله على موسى شيئاً لكتّهم متخرّصون الكذب ويقولون
الباطل.

والتنتي في هذا الموضع تخلّق الكذب وتخرّصه، يقال منه: تمنيت اذا
افعلته وتخلّفته. ومنه ما روي عن بعض الصحابة انه قال: «ما تغنيت
ولا تمنيت»^(٣).

أي ما تخرّصت الباطل، ولا تخلّقت الكذب والإفك.

(١) أنشده الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ١٩٦، وفيه: «القيّد» بدل «القيد».

(٢) قائله الفرزدق، أنظر ديوانه: ج ٢ ص ٩٢، بشرح الحاوي، وفيه «غير الزغائف» بدل
«عند الزغاي».

(٣) سنن ابن ماجه: كتاب الطهارة ج ١ ص ١١٣ ح ٣١١.

ويَقْوِي ذلك قوله في آخر الآية: «وإن هم إلا يظنون» فبَيَّن أنهم يَتمنون ما يَتمنون من الكذب ظناً لا يقيناً، ولو كان المعنى أنهم يتلوه لما كانوا ظانين وكذلك لو كانوا يَتمنونه؛ لأن الذي يتلوه إذا تدبره علمه، ولا يقال فيمن يقرأ كتاباً لم يتدبره وتركه: أنه ظانٌ لما يتلوه إلا أن يكون شاكاً فيما يتلوه ولا يدري أحقّ هو أم باطل، ولم يكن القوم الذين عاصروا النبي صَلَّى الله عليه وآله من اليهود شاكين في التوراة أنها من عند الله .

وكذلك التمني لا يجوز أن يقال: هو ظانٌ بتمنيته؛ لأن التمني من المتمني إذا وجد لا يقال فيه: شكّ فيما هو عالم به؛ لأنه ينافي العلم. والمتمني في حال وجود تمنيته لا يجوز أن يقال: هو يظنّ تمنيه .

وقوله: «وإن هم إلا يظنون» قال جميع المفسرين: معناه يشكون (١).
والذي أقوله: إنّ المراد بذلك نفي العلم عنهم، وقد ينتفي العلم تارة بالشك، وتارة بالظن. وأما في الحقيقة فالظنّ غير الشك، غير أنّ المعنى متفق عليه هاهنا .

قوله تعالى:

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
لَيْسَتْ رَأْيُهُ شَيْئاً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ
مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٦﴾ آية بلا خلاف .

اللغة والاعراب:

قال الزجاج: الويل كلمة يستعملها كل واقِع في هلكة، وأصله في

(١) أنظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٩٩، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ١٣٢.

اللغة العذاب والهلاك ، وارتفع بالابتداء، وخبره الذين . ولو كان في غير القرآن لجاز بالنصب على معنى جعل الله وِيلاً للذين، والرفع على معنى ثبوت الويل للذين^(١)، ومثله الويح والويس اذا كان بعدهن لام رَفَعْتُهُنَّ .

واما التعس والبعد وما أشبهها فهو نصب ابدأ؛ فَإِنْ أَضَفْتَ وِيلَ وَوِيحَ وويس نصب من غير تنوين، تقول: وِيلَ زَيْدٍ، وويسَ زَيْدٍ. ولا يحسن في التعس والبعد الاضافة بغير لام، فلذلك لم ترفع .

وقد نصب قوم مع اللام فيقولون: وِيلاً لَزَيْدٍ، وويحاً لخالد^(٢)، قال الشاعر:

كسا اللؤم تيماً خضرة في جلودها فويلاً لتيمن من سرايلها الخضر^(٣)

المعنى:

قال ابن عباس: «الويل» في الآية العذاب^(٤). وقال الاصمعي: هو التقييح^(٥)، ومنه قوله: «ولكم الويل مما تصفون»^(٦). وقال المفضل: معناه الحزن^(٧). وقال قوم: هو الهوان والحزني^(٨)، ومنه قول الشاعر:

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ١٦٠.

(٢) معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٢٩٩.

(٣) قائله جرير، أنظر ديوانه: ص ١٦٢، مع تفاوت.

(٤) تفسيره: ص ١٢.

(٥) ذكره السجستاني في غريب القرآن: ص ٢٠٧.

(٦) الأنبياء: ١٨.

(٧) حكاه عنه الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «ويل» ج ١٥ ص ٤٥٥، ذاكرًا المفضل بكنيته «أبي طالب النحوي».

(٨) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٥١.

يازبرقان اخا بني خلفٍ ما أنت ويل ابيك والفخر^(١)
وقال ابو سعيد الخدري: الويل وادٍ في جهنم^(٢). وقال عثمان بن عفان: هو جبل في النار^(٣).

وقوله: «يكتبون الكتاب بأيديهم» معناه أنهم يتولون كتابته، ثم يضيفونه الى الله، كقوله: «خلقت بيدي»^(٤) و«عملت أيدينا»^(٥) أي نحن تولينا ذلك ولم نكله الى أحدٍ من عبادنا. ومثله رأيتُه بعيني، وسمعتُه بأذني، ولقيته بنفسي. والمعنى في جميع ذلك التأكيد؛ ولأنه قد يأمر غيره بالكتابة، فتضاف اليه مجازاً، فلذلك يقول الأُمي: كتبت الى آل فلان بكذا، وهذا كتابي اليك، وكما تقول: حملت الى بلد كذا، وانما أمرت بحمله.

فاعلمنا الله تعالى أنهم يكتبونه بأيديهم، ويقولون هو من عند الله، وقد علموا يقيناً اذا كتبوه بأيديهم أنه ليس من عند الله.

وفي الآية دلالة على إبطال قول المجترة؛ لأنه تعالى عابهم بهذا القول، اذ نسبوا ما كتبوه من التحريف الى أنه من عند الله، وجعل عليهم الويل. واذا كان تحريفه من الكتاب - ليس من عند الله، ومن جهة القول والحكم - فليس ذلك منه من جهة القضاء والحكم ولا التقدير والمشية.

وقال ابن السراج: معنى «بأيديهم» أي من تلقاء أنفسهم^(٦).

(١) البيت للمخيل كما ذكر سيبويه في الكتاب: ج ١ ص ١٧٨ وفيه: «ويب» بدل «ويل».

(٢) أخرج ذلك أحمد في مسنده: ج ٣ ص ٧٥.

(٣) حكاه ابن جرير في تفسيره: ج ١ ص ٢٩٩.

(٤) ص: ٧٥.

(٥) يس: ٧١.

(٦) نقله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٥١.

وقوله: «ليشتروا به ثمناً قليلاً» قال قوم: أي انه عرض الدنيا لأنه قليل المدة، كما قال تعالى: «قل متاع الدنيا قليل»^(١) ذهب اليه أبو العالية^(٢). وقال آخرون: إنه قليل لأنه حرام^(٣).

وروي عن أبي جعفر عليه السلام، وذكره ايضاً جماعة من أهل التأويل أن أحبار اليهود كانت غيرت صفة النبي صلى الله عليه وآله ليوقعوا الشك للمستضعفين من اليهود^(٤).

وقوله: «ويلٌ لهم مما كانوا يكسبون» يقولون مما يأكلون به الناس السفلة وغيرهم. وأصل الكسب العمل الذي يجتلب به نفع أو يدفع به ضرر، وكل عامل عملاً بمباشرة منه لما عمل. ومعناه هاهنا الاحتراف فهو كاسب لما عمل، قال لبيد بن ربيعة:

لمعْفَرٍ قَهْدٍ تَنَازَعٍ شِلْوُهُ غَبَسُ كَوَاسِبٍ لَا يُمَنِّ طَعَامُهَا^(٥)
وقيل: الكسب عبارة عن كل عملٍ بجارحة يجتلب به نفع أو يدفع به مضرة، ومنه قيل للجوارح من الطير: كواسب.



(١) النساء: ٧٧.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٠٠.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٥٢، والقرطبي في تفسيره: ج ٢ ص ٩.

(٤) انظر التفسير المنسوب للامام العسكري عليه السلام: ص ٣٠٢ ولم نعث عليه مروياً عن الباقر عليه السلام، وانظر كذلك تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٠٠، وأسباب النزول للواحدي: ص ١٥.

(٥) ديوانه: ص ١٧١.

قوله تعالى:

وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا السَّارُّ إِلَّا أُنْيَا مَا مَعْدُودَةٌ قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ
عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾
آية بلا خلاف .

المعنى:

قوله: «وقالوا» يعني اليهود الذين قالوا لن تمسنا النار، ولن ندخلها إلا أياماً معدودة. وانما لم يبين عددها في التنزيل، لأنه تعالى أخبر عنهم بذلك، وهم عارفون بعدد الأيام التي يوقتونها في النار، فلذلك نزل تسمية عدد الأيام، وسماها معدودة، لما وصفنا .

وقال أبو العالية وعكرمة والسدي وقتادة: هي أربعون يوماً^(١)، ورواه الضحاك عن ابن عباس^(٢) .

ومنها قال: انها عدد الايام التي عبدوا فيها العجل^(٣) .

وقال ابن عباس: إن اليهود تزعم انهم وجدوا في التوراة مكتوباً؛ إن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة، وهم يقطعون مسيرة كل سنة في يوم واحد، فاذا انقطع المسير، انقطع العذاب وهلك النار^(٤) .

وقال مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس: إنها سبعة أيام؛ لأن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، وانهم يعذبون بعدد كل ألف سنة يوماً واحداً من

(١) أخرج ذلك الطبري عنهم في تفسيره: ج ١ ص ٣٠٢، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٥٢ .

(٢) تفسير ابن عباس: ص ١٢، وأحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٣٨ .

(٣) ذكر ذلك الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٥٠، والواحدى في اسباب النزول: ص ٢١ .

(٤) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٠٢، واسباب النزول للواحدى: ص ١٦ قريب منه .

أيام الآخرة، وهو كآلف سنة من أيام الدنيا (١).
ولما قالت اليهود ما قالت من قولها: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة
على ما بيناه، قال الله تعالى لنبيه: «قل ألتخذتم عند الله عهداً» بما تقولون
من ذلك أو ميثاقاً، فالله لا ينقض عهده «أم تقولون على الله ما لا تعلمون»
من الباطل جهلاً وجرأةً عليه .

القراءة:

وفي القراءة من قرأ «ألتخذتم» بادغام الذال في التاء، ومنهم من لم
يدغم (٢).

وأصل ألتخذتم ألتخذتم. دخلت ألف الاستفهام على ألف القطع من
نفس الكلمة، فكره اجتماعهما فحذفت الأصلية، وبقيت التي للاستفهام؛
لأنها لمعنى، وهي وإن كانت للاستفهام في الأصل فالمراد بها هاهنا النكير
والتوبيخ والاعلام لهم ولغيرهم أنَّ الأمر بخلاف ما قالوه، وأنهم يقولون
بغير علم .

والدليل على أنها ألف استفهام كونها مفتوحة؛ ولو كانت أصلية
لكانت مكسورة في «ألتخذتم» ولذلك يدخل بينها المد، كما قالوا في: «الله
أذن لكم» (٣)، لأن قوله: «أذن الله» لو أخبر بها لكانت مفتوحة. ولولم
تدخل المد لاشتبهت ألف الاستفهام بهزمة الخبر، وليس كذلك هاهنا؛
لأنَّ الفتحة تختص للاستفهام وفي الخبر تكون مكسورة، وفي المفتوحين لا بد

(١) تفسير مجاهد: ص ٢٠٨، وأحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٣٨، وأسباب النزول: ص ١٦.

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٥٦، وكتاب السبعة في القراءات: ص ١٥٤.

(٣) يونس: ٥٩.

من الجمع بين الهمزتين. ومنهم من يفصل بينها بمدة، ومنهم من لا يفصل،
نحو قوله: «أَمْ أَمْنَمُ مِنْ فِي السَّمَاءِ»^(١) (٢).

قوله تعالى:

بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ آية بلا خلاف .

الإعراب والقراءة:

قرأ أهل المدينة «خطيئته» على الجمع، الباقون على التوحيد^(٣).

قوله: «بلى» جواب لقوله: «لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً» فردَّ الله
عليهم بأن قال: «بلى من أحاطت به خطيئته» ابدأ. و«بلى» تكون جواباً
للاستفهام الذي أوله جحود، وتكون جواباً للجدح وإن لم تكن استفهاماً،
كقوله: «تقول حين ترى العذاب» إلى قوله: «بلى قد جاءتك آياتي فكذبْتِ
بها»^(٤). ويقول القائل: لم أفعل كذا وكذا فيقول له غيره: بلى قد فعلت .

وبلى ونعم جوابان أحدهما يدخل فيما لا يدخل فيه الآخر؛ لأنَّ بلى تدخل
في باب الجحود. وقال الفراء: إنما امتنعوا من استعمال نعم في جواب
الجدح؛ لأنه إذا قال لغيره: ما لك علي شيء، فقال له: نعم، فكأنه قد
صدقه؛ وكأنه قال: نعم ليس لي عليك شيء^(٥)، فلهذا اختلف نعم وبلى .

(١) الملك: ١٧.

(٢) كتاب السبعة في القراءات: ص ١٣٤.

(٣) كتاب السبعة في القراءات: ص ١٦٢، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ج ١ ص ٢٤٩.

(٤) الزمر: ٥٨.

(٥) معاني القرآن: ج ١ ص ٥٢.

وقوله: «سِيئة» فن همز أتى بيائين بعدهما همزة، ومن ترك الهمزة على لغة أهل الحجاز يقول: «سِية» مثل عِية، ومن لين قال: «سِئة» كأنه يشير الى الهمزة ويسكنها.

المعنى:

قال مجاهد وابن عباس وأبو وايل وقتادة وابن جريج: «السِئة» هاهنا الشرك. وقال السدي: الذنوب التي وعد الله عليها النار^(١).

والذي يليق بمذهبنا هاهنا قول مجاهد؛ لأن ما عدا الشرك لا يستحقّ عندنا عليه الخلود في النار.

«وأحاطت به خطيئته» قال ابن عباس ومجاهد: آت بها الشرك^(٢). وقال الربيع بن خيثم: من مات عليها^(٣). وقال ابن السراج: هي التي سَدَّتْ عليه مسالك النجاة^(٤).

وقال جميع المعتزلة: انه اذا كان ثوابه أكثر من عقابه^(٥). والذي نقوله: الذي يليق بمذهبنا إن المراد بذلك الشرك والكفر؛ لأنه الذي يستحقّ به الخلود فأما ما عداه فلا يستحقّ به الدخول مؤبداً، ولا يجوز أن يكون مراداً بالآية.

وقوله: «وأحاطت به خطيئته» يقوّي ذلك؛ لأن المعنى فيه أن تكون

(١) أنظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٠٥، وتفسير ابن عباس: ص ١٢.

(٢) تفسير ابن عباس: ص ١٢، وتفسير مجاهد: ص ٢٠٨ وفيه: الخطيئة يعني ممّا يعذب الله عليها.....

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٠٦.

(٤) نقله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٥٣.

(٥) لم نعر عليه في المصادر المتقدمة وحكاه الفخر الرازي في التفسير الكبير: ج ٣ ص ١٤٤.

خطاياهم كلها اشتملت عليه ولا يكون معه طاعة يستحق بها الثواب، تشبيهاً بما أحاط بالشيء من كل وجه. ولو كان معه شيء من الطاعات، لكان مستحقاً للثواب فلا تكون السيئة محيطة به؛ لأنّ الاحباط عندنا باطل، فلا يحتاج الى تراعي كثرة العقاب وقلة الثواب؛ لأنّ قليل الثواب عندنا يثبت مع كثرة العقاب، لما ثبت من بطلان التحابط بأدلة العقل - وليس هذا موضع ذكرها - لأنّ الآية التي بعدها فيها وعد لأهل الايمان بالثواب الدائم، فكيف يجتمع الثواب الدائم والعقاب الدائم، وذلك خلاف الاجماع؟ ومتى قالوا: أحدهما يبطل صاحبه، قلنا: الاحباط باطل ليس بصحيح على ما مضى .

قوله تعالى:

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ آية .

المعنى:

هذه الآية متناولة لمن آمن بالله وصدق به، وصدق النبي صلى الله عليه وآله وعمل الصالحات التي أوجبه الله تعالى عليه، فإنّه يستحق بها الجنة خالداً أبداً. وظاهرها يمنع من أن يرتكب الكبيرة مخلد في النار؛ لأنه اذا كان مؤمناً مستحقاً للثواب الدائم، فلا يجوز أن يستحق مع ذلك عقاباً دائماً؛ لأنّ ذلك خلاف ما أجمع المسلمون عليه ومتى عادوا الى الاحباط، كلموا فيه بينهم وبين بطلان قولهم .

قوله تعالى:

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالُوا لِدِينٍ إِحْسَانًا
وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ
مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ آية بلا خلاف .

القراءة:

قرأ ابن كثير وحمة والكسائي «لا يعبدون» بالياء، الباقون بالتاء^(١).
وقرأ «حَسَنًا» بنصب الحاء والسين حمزة والكسائي، الباقون «حُسْنًا» بضم
الحاء وإسكان السين^(٢) وتقدير الآية: واذكروا أيضاً يا معشر بني اسرائيل
اذ أخذنا ميثاقكم لا تعبدون إلا الله، فلما أسقطت «أن» رفع، كما قال
الشاعر:

ألا أيهذا اللائي اشهد الوغى وان اشهد اللذات هل أنت مخلدي^(٣)
ومثله قوله: «أفغير الله تأمروني أعبد»^(٤) ومن قرأ بالياء، تقديره: أنه
أخبر أنه تعالى أخذ ميثاقهم لا يعبدون إلا الله وبالوالدين احساناً، ثم عدل
الى خطابهم فقال: «وقولوا للناس حسناً»، والعرب تفعل ذلك كثيراً.
وانما استخاروا أن يصيروا الى المخاطبة بعد الخبر؛ لأن الخبر انما كان
عَمَّنْ خاطبوه بعينه، لا عن غيره. وقد يخاطبون ثم يصيرون بعد ذلك الى

(١) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٦٢.

(٢) كتاب السبعة في القراءات: ص ١٦٢.

(٣) قائله طرفة بن العبد، انظر ديوانه بشرح الشنمري: ص ٣١.

(٤) الزمر: ٦٤.

الخبر عن المخاطب؛ مثال الأول قول الشاعر:

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسراً على طلابك ابنة مخرم^(١)
مزار نصب، والتاء من أصبحت كناية عن المرأة فأخبر عنها ثم خاطبها.

ومثال الثاني قول الشاعر:

اسيئي بنا أو أحسنني لا ملومةً لدينا ولا مقلية ان تقلت^(٢)
وقال زهير:

فإني لو الاقيك اجتهدنا وكان لكل منكرة كفاء
وابري موضحات الرأس منه وقد يبرى من الجرب الهناء^(٣)
ومن قرأ بالتاء فإن الكلام من أوله خطاب، وتقديره: واذا اخذنا ميثاق
بني اسرائيل، قلنا لا تعبدوا إلا الله. قال بعض النحويين: المعنى واذا أخذنا
ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً، حكاية؛ كأنه
قال: استحللناهم لا يعبدون إلا الله، اذ قلنا لهم: والله لو قالوا والله
لا تعبدون^(٤). والأول أجود.

وقوله تعالى: «وبالوالدين إحساناً» عطف على موضع أن المحذوفة في
«تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً» فرفع لا تعبدون، لما حذفت أن، ثم
عطف بالوالدين على موضعها، كما قال الشاعر:

معاوي اننا بشرفاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديد^(٥)

(١) البيت لعنترة بن شداد، ديوانه: ص ١٢، مع تفاوت.

(٢) قائله كثير عزة، ديوانه: ص ٥٧.

(٣) ديوانه: ص ١٤.

(٤) معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٣٠٧.

(٥) الكتاب لسيبويه: ج ١ ص ٦٧، وقائله عقبة الأسدي.

فعطف ولا الحديد على موضع الجبال. واما الاحسان فنصوب بفعل مضمر يؤدي عن معناه قوله: «وبالوالدين» اذ كان مفهوماً معناه. وتقدير الكلام: واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل بأن لا تعبدوا إلا الله وأن تحسنوا الى الوالدين إحساناً، فاكتفى بقوله: «وبالوالدين» عن أن يقول بأن تحسنوا الى الوالدين إحساناً، اذ كان مفهوماً بما ظهر من الكلام. وقال بعض أهل العربية: تقديره: وبالوالدين فاحسنوا، فجعل الباء التي في الوالدين من صلة الاحسان مقدمة عليه (١).

وقال آخرون: ألا تعبدوا إلا الله واحسنوا بالوالدين احساناً (٢)، فزعموا إن الباء في «وبالوالدين» من صلة المحذوف - أعني من أحسنوا - فجعلوا ذلك من كلامين.

والاحسان الذي أخذ عليهم الميثاق بأن يفعلوه الى الوالدين ما فرض على أمتنا من فعل المعروف والقول الجميل وخفض جناح الذل رحمةً بهما، والتحنن عليهما، والرأفة بهما، والدعاء لهما بالخير، وما أشبه مما ندب الله تعالى الى الفعل بهما.

وقوله: «وذى القرى» أي وبذي القرى أن تصلوا قرابة منهم ورحمة.

اللغة:

والقرى مصدر على وزن فعلى من قولك: قرب مني رحم فلان قرابة وقرى وقرباً بمعنى واحد.

(١) معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٣٠٨.

(٢) كالزجاج في معاني القرآن: ج ١ ص ١٦٣، وأبي علي الفارسي في الحجة: ج ٢ ص ١٠١.

واليتامى جمع يتيم مثل أسير وأسارى، ويدخل في اليتامى المذكور منهم والإناث.

المعنى:

ومعنى ذلك: أخذنا ميثاق بني إسرائيل بأن لا تعبدوا إلا الله وحده، دون ما سواه من الأنداد، وبالوالدين إحساناً وبذي القربى أن يصلوا رحمهم، ويعرفوا حقّه، وباليتامى أن يتعطفوا عليهم بالرفقة والرحمة وبالمساكين أن يوفوهم حقوقهم التي ألزمها الله في أموالهم. والمسكين هو المتخشع المتذلّل من الفاقة والحاجة وهو مفعّل من المسكنة وهي ذلّ الحاجة والفاقة.

وقوله: «وقولوا للناس حسناً» فيه عدول الى الخطاب بعد الخبر على ما مضى القول فيه. وقد ذكرنا اختلاف القراء في حسناً وحسناً. واختلف أهل اللغة في الفرق بينهما، فقال بعض البصريين: هو على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون أراد بالحسن الحسن، ويكون لمعنيين مثل البخل والبخل، وأما أن يكون جعل الحسن هو الحسن في التشبيه؛ لأنّ الحسن مصدر والحسن هو الشيء الحسن، فيكون ذلك كقول القائل: إنما أنت أكل وشرب.

قال الشاعر:

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع^(١)

(١) معاني القرآن للاخفش: ج ١ ص ٣٠٩، والبيت لعمر بن معد يكرب الزبيدي.

فجعل التحية ضرباً. وقال آخر: بل الحُسن هو الاسم العام الجامع
جميع معاني الحَسَن، والحَسَن هو البعض من معاني الحُسن، ولذلك قال
تعالى اذ أوصى بالوالدين: «ووصينا الانسان بوالديه حسناً» يعني بذلك
انه وصاه بجميع معاني الحَسَن^(١).

وقرىء في الشواذ حُسنى، لا يقرأ بها لشذوذها، حكاها الاخفش^(٢)،
وذلك لا يجوز؛ لأن فعلى وأفعل لا يستعمل إلا بالالف واللام، نحو:
الأحسن والحسنى، والأفضل والفُضلى، قال الله تعالى: «للذين أحسنوا
الحُسنى»^(٣).

وروي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام وعن عطا انها
قالا: وقولوا للناس حسنا للناس كلهم^(٤).

وعن الربيع بن أنس، قولوا للناس حسناً أي معروفاً^(٥).

وعن ابن الحنفية انه قال: «هل جزاء الاحسان إلا الاحسان» هي
مسجلة للبر والفاجر^(٦)، يريد بمسجلها انها مرسلة. ومنهم من قال: أمروا بأن
يقولوا لبني اسرائيل حسنا.

قال ابن عباس: يأمرؤن بآلا اله إلا الله من لم يقلها ويرغب عنها حتى

(١) حكاها الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣١٠.

(٢) معاني القرآن: ج ١ ص ٣٠٩.

(٣) يونس: ٢٦.

(٤) أخرج قول الباقر عليه السلام الجصاص في أحكام القرآن: ج ١ ص ٣٩ وفي الكافي: ج ٢
ص ١٦٥ ح ١٠، قال عليه السلام: قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال فيكم. واما عطا فقد
أخرج قوله الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣١١.

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣١١.

(٦) شعب الايمان للبيهقي: ج ٦ ص ٥٢٥ ب ٦٢ ح ٩١٥٥.

يقولها كما قالوها؛ فَإِنَّ ذَلِكَ قَرَبَةٌ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ. قال: والحسن أيضاً لين القول و[من] الادب الحسن الجميل والخلق الكريم وهو مما ارتضاه الله تعالى وأحبّه (١).

وقال ابن جريج: قولوا للناس حسناً أي صدقاً في شأن محمد صلى الله عليه وآله. وقال سفيان الثوري: مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر (٢). وقوله: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» أدوها بمحدودها الواجبة عليكم.

«وَأَتُوا الزَّكَاةَ» معناه واعطوها أهلها كما أوجبها عليكم. والزكاة التي فرضها الله على بني اسرائيل، قال ابن عباس: كان فرض في أموالهم قرباناً تهبط اليه نار فتحملها، وكان ذلك تقبله، ومن لم تفعل النار به ذلك كان غير متقبل. وروي عنه أيضاً ان المعني به طاعة الله والاخلاص (٣).

وقوله: «ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ» خبر من الله تعالى عن يهود بني اسرائيل إنهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه، بعد ما أخذ ميثاقهم على الوفاء له، بأن لا يعبدوا غيره، وبأن يحسنوا إلى الآباء والأمهات، ويصلوا الأرحام، ويتعطفوا على الأيتام، ويردّوا حقوق المساكين، ويأمرؤا عباد الله بما أمرهم به، ويقيموا الصلاة بمحدودها، ويؤتوا زكاة أموالهم، فخالفوا أمره في ذلك كله، وتولّوا عنه معرضين إلّا من عصمه الله منهم، فوفى الله بعهده وميثاقه.

ووصف هؤلاء بأنهم قليل بالاضافة الى من لم يؤمن. وقال بعضهم: أراد «ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ» اليهود

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣١١، وانظر كتاب الناسخ والمنسوخ للنحاس: ص ٢٥.

(٢) و(٣) أخرج ذلك ابن جرير في تفسيره: ج ١ ص ٣١١.

الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وعنى بسائر الآية اسلافهم^(١)؛ كأنه ذهب الى أن معنى الكلام: ثم توليتم إلا قليلاً منكم ثم تولي سلفكم إلا قليلاً منهم، ثم قال: وأنتم معاشر بقاياهم معرضون أيضاً عن الميثاق الذي أخذ عليكم .

وقال قوم: بل قوله: «ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون» خطاب لمن كان بين ظهرائي مهاجري رسول الله صلى الله عليه وآله من يهود بني اسرائيل، وذم لهم بنقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم في التوراة، وتبديلهم أمر الله وركوبهم معاصيه^(٢) .

وروي عن ابن عباس أنه قال: قوله: «وقولوا للناس حسناً» نسخ بقوله: قاتلوهم حتى يقولوا لا إله إلا الله أو يقرّوا بالجزية^(٣) . وقال آخرون: ليست منسوخة لكن أمروا بأن يقولوا حسناً في الاحتجاج عليهم اذا دعوا الى الايمان، وبين ذلك لهم^(٤) . وقال قتادة: نسخها آية السيف^(٥) .

والصحيح انها ليست منسوخة، وانما أمر الله تعالى بالقول الحسن في الدعاء اليه والاحتجاج عليه، كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»^(٦) وبين في آية أخرى، فقال: «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم»^(٧) وليس الأمر بالقتال ناسخاً لذلك ؛ لأن

(١) و(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣١٢.

(٣) أحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٣٩.

(٤) كالتحاسن في النسخ والمنسوخ: ص ٢٥.

(٥) أحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٣٩، قال فيه: منسوخة بالقتال.

(٦) النحل: ١٢٥.

(٧) الأنعام: ١٠٨.

كل واحد منها ثابت في موضعه .

قوله تعالى:

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

قد بيتا فيما مضى أَنَّ الميثاق هو العهد. والمعنى في الآية: واذكروا إذ أخذنا ميثاق أسلافكم الذين كانوا في زمن موسى والأنبياء الماضين عليهم السلام، وإنما أضاف اليهم لما كانوا أخلافا لهم على ما مضى القول فيه .

وتقدير الإعراب في هذه الآية مثل الآية الأولى سواء .

وأما سفك الدم، فانه صبه وراقته. ومعنى «لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم» النهي عن أن يقتل بعضهم بعضاً، وكان في قتل الرجل منهم قتل نفسه إذا كانت ملتبها واحدة ودينها واحداً، وكان أهل الدين الواحد في ولاية بعضهم بعضاً بمنزلة رجل واحد، كما قال النبي صلى الله عليه وآله: إنما المؤمنون في تعاطفهم وتراحهم بينهم بمنزلة الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالحمل والسهر^(١). فهذا قول قتادة وإبي العالية^(٢) .

(١) شعب الإيمان للبيهقي: ب ٥٣ ح ٧٦٠٩ ج ٦ ص ١٠٢ مع تفاوت يسير، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٣١٢.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣١٢، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٥٥.

ويحتمل أن يكون المراد لا يقتل الرجل منكم غيره فيقاد به قصاصاً. فيكون بذلك قاتلاً نفسه؛ لأنه كالسبب فيه، وأضيف قتل الولي إياه قصاصاً إليه بذلك؛ كما يقال لرجل يعاقب لجناية جناها على نفسه: أنت جنيت على نفسك .

وفيه قول ثالث: وهو إن قوله: «أنفسكم» أراد به إخوانكم؛ لأنهم كنفس واحدة .

وقوله: «ثم أقرتم وأنتم تشهدون» أي أقرتم بذلك أيضاً، وبذلتهم من أنفسكم، وأنتم شاهدون على من تقدمكم بأخذنا منهم الميثاق، وما بذلوه من أنفسهم. فذكر تعالى إقرارهم وشهادتهم؛ لأن أخذ الميثاق كان على أسلافهم وإن كان لازماً للجميع، لتوكيد الحجة عليهم .

وقال بعض المفسرين: نزلت هذه الآية في بني قريظة والنضير^(١) . يقول: حرم الله في الكتاب أن تسفكوا دماءكم، أي لا تقتتلوا فيقتل بعضكم بعضاً، ولا تتركوا أسيراً في يد الأسرين ليقتلوا، ولا تخرجوا أنفسكم من دياركم معنهم لا تغلبوا أحداً على داره فتخرجوه، فقبلتم ذلك وأقرتم به، وهو أخذ الميثاق «وأنتم تشهدون» بذلك .

وأما النفس فأخوذة من النفاسة، وهي الجلالة، فنفس الانسان أنفس ما فيه. والدار هي المنزل الذي فيه أبنية المقام، بخلاف منزل الارتحال .

وقال الخليل: كل موضع حل فيه قوم فهو دار لهم وإن لم يكن فيه أبنية^(٢). وقيل أيضاً: إن معنى قوله: «ثم أقرتم وأنتم تشهدون» ان اقرارهم

(١) ذكر ذلك ابن عباس في تفسيره: ص ١٣، وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن: ص ٣٧١.

(٢) العين: مادة «دور» ج ٨ ص ٥٨.

هو الرضاء به والصبر عليه، كما قال الشاعر:

ألست كليبياً اذ سيم خطة أقرّ كإقرار الحليلة للبعل^(١)

وقوله: «وأنتم تشهدون» يحتمل أمرين:

أحدهما: وأنتم تشهدون على انفسكم بالاقرار.

والثاني: وأنتم تحضرون دماءكم وتخرجون أنفسكم من دياركم .

وحكي عن ابن عباس أنه قال: ذلك خطاب من الله تعالى لليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجري رسول الله صلى الله عليه وآله، أيام هجرته إليهم موبخاً لهم على تضييعهم أحكام ما في أيديهم من التوراة التي كانوا يقرّون بحكمها، فقال الله تعالى لهم: «ثم أقررتم» يعني بذلك أقر أولكم وسلفكم وأنتم تشهدون على إقرارهم بأخذ الميثاق عليهم بأن لا يسفكوا دماءهم، ولا يخرجوا انفسهم من ديارهم، ويصدقوا بأن ذلك حق من ميثاقى عليكم^(٢).

وقال ابو العالية: ذلك خبر من الله عن أوائلهم، ولكنه اخرج الخبر مخرج المخاطبة عنهم على النحو الذي وصفناه في سائر الآيات^(٣).

«وأنتم تشهدون» أي وأنتم شهود.

* * *

(١) لم نعر عليه.

(٢) و(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣١٣.

قوله تعالى:

ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُواكُم أُسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ وَهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ آية بلا خلاف .

القراءة:

قرأ أهل الكوفة «تظاهرون» هاهنا، وفي التحريم بتخفيف الظاء، الباقون بالتشديد فيها. وقرأ حمزة «أسرى» بفتح الهمزة، وسكون السين بغير الف بعدها. وقرأ أهل المدينة وعاصم والكسائي ويعقوب «تفادوهم» بضم التاء وبالف^(١).

المعنى:

وقوله: «ثم أنتم هؤلاء» يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون أريد به ثم أنتم يا هؤلاء فترك (يا) استغناءً، لدلالة الكلام عليه، كما قال: «يوسف أعرض عن هذا»^(٢) ومعنى الكلام: ثم أنتم يا معشر يهود بني اسرائيل بعد إقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم ألا

(١) كتاب السبعة في القراءات: ص ١٦٣، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ج ١ ص ٢٥٠.

(٢) يوسف: ٢٩.

تسفكوا دماءكم، ولا تخرجوا أنفسكم من دياركم، وبعد شهادتكم على أنفسكم بذلك أنه حق لازم لكم الوفاء به تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم متعاونين عليهم في إخراجكم إياهم بالإثم والعدوان .

والتعاون هو التظاهر، وإنما قيل للتعاون: التظاهر؛ لتقوية بعضهم ظهر بعض، فهو تفاعل من الظهر، وهو مساندة بعضهم ظهره الى ظهر بعض، قال الشاعر:

تظاهرتم أشباه نيب تجمعت على واحدٍ لازلتُم قرن واحد^(١)
ومنه قوله تعالى: «وان تظاهرا عليه فإنَّ الله هو مولاہ» وقوله:
«والملائكة بعد ذلك ظهير»^(٢) وقوله: «ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً»^(٣)
وقوله: «سحران تظاهرا»^(٤) وقوله: «وكان الكافر على ربه ظهيراً»^(٥)
ويقال: اتخذ معك نفراً ونفرين ظهيرين يعني عدة .

والوجه الآخر: أن يكون معناه: ثم أنتم القوم تقتلون انفسكم فيرجع الى الخبر عن (انتم)، وقد اعترض بينهم وبين الخبر عنهم «هؤلاء»، كما تقول العرب: انا ذا أقوم، وأنا ذا أجلس. ولوقيل: أنا هذا يجلس لكان صحيحاً، وكذلك انت ذاك تقوم .

وقال بعض النحويين^(٦): إنَّ هؤلاء في قوله: «ثم أنتم هؤلاء» تنبيه،

(١) لم نثر عليه

(٢) التحريم: ٤ .

(٣) الإسراء: ٨٨ .

(٤) القصص: ٤٨ .

(٥) الفرقان: ٥٥ .

(٦) كالأنخس في معاني القرآن: ج ١ ص ٣١٤-٣١٧ .

وتوكيد لأنتم، وزعم أن انتم - وان كان كناية عن أسماء جميع المخاطبين - فانما جاز أن يؤكد بهؤلاء وأولاء يكتفى بها عن المخاطبين، كما قال خُفاف بن ندبة^(١):

أقول له والرمح يأطرمته تبين خفافاً انني أنا ذلكا^(٢)
يريد أنا هو، وكما قال: «حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة»^(٣).

والاثم قيل: معناه هو ما تنفر منه النفس ولم يطمئن اليه القلب، ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله لنواس بن سمعان حين سأله عن البر والاثم، فقال صلى الله عليه وآله: البر ما اطمأنت اليه نفسك والاثم ما حك في صدرك^(٤).

وقال قوم: معنى الاثم ما يستحقّ عليه الذم^(٥)، وهو الأصحّ.
والعدوان مجاوزة الحق، وقال قوم: هو الافراط في الظلم^(٦).
وأسرى جمع أسير، وأسارى جمع أسرى. كما قالوا: مريض ومرضى

(١) وهو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمى، وأمه نذبة سوداء واليا ينسب ويكنى أباخراشة، وأسلم وبقي الى زمن عمر وكان قد شهد مع النبي صلى الله عليه وآله فتح مكة ومعه لواء بني سليم.

(الشعر والشعراء: ص ١٩٦-١٩٧).

(٢) الشعر والشعراء: ص ١٩٦، ومعاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٣١٤، وفيها «تأمل» بدل «تبين».

(٣) يونس: ٢٢.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ج ٢ ص ١٨٢، وأخرجه الدارمي في سننه ج ٢ ص ٢٤٦، مع تفاوت.

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٥٥، والقرطبي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٠.

(٦) معاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ١٦٦.

وجريح وجرحى وكسير وكسرى، هذا قول المفضل بن سلمة (١).

قال أبو عمرو بن العلاء: الأسارى هم الذين في الوثاق، والأسرى الذين في اليد وان لم يكونوا في الوثاق (٢).

ومعنى تفادوهم أو تفدوهم: طلب الفدية من الأسير الذي في أيديهم من أعدائهم، قال الشاعر:

قفي فادي أسيرك إن قومي وقومك ما أرى لهم اجتماعاً (٣)
وكان هذا محرماً عليهم - وان كان مباحاً لنا - فذكر الله تعالى توبيخاً لهم في فعل ما حرم عليهم. وقال آخرون: انه افتداء الأسير منهم اذا أسره أعداؤهم (٤).

وهذا مدح لهم ذكره من بعد ذمهم إنهم خالفوه في سفك الدماء، وتابعوه في افتداء الأسرى استشهاداً على هذا الباطل بقوله: «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض».

وقال قوم: الفرق بين تفدوهم وتفادوهم: إن تفدوهم هو افتكاك بال، وتفادوهم هو افتكاك الأسرى بالأسرى (٥).

واختلفوا فيمن عنى بهذه الآية فروى عكرمة عن ابن عباس انه قال: «ثم انتم هؤلاء تقتلون أنفسكم» الى قوله: «والعدوان» أي أهل الشرك حتى يسفكوا دماءهم معهم، ويخرجوهم من ديارهم معهم، قال: أنبأهم الله

(١) حكاه الازهري في تهذيب اللغة عن أبي اسحاق: مادة «أسر» ج ١٣ ص ٦١.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ج ١ ص ٢٥٢.

(٣) لم نثر عليه وذكره القرطبي في جامعه: ج ٢ ص ٢٢.

(٤) أحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٤٠.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ج ١ ص ٢٥٢.

بذلك من فعلهم، وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم، وافترض عليهم فيها فداء أسراهم. وكانوا فريقين: طائفة منهم بنوقينقاع وأنهم حلفاء الخزرج، وبنو النضير وقريظة وانهم حلفاء الاوس.

وكانوا اذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنوقينقاع مع الخزرج، وخرجت بنو النضير وقريظة مع الأوس، يظاهر كل فريق حلفاءه على إخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة، يعرفون منها ما عليهم ولهم.

والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان ولا يعرفون جنةً ولا ناراً، ولا قيامة ولا كتاباً، ولا حلالاً ولا حراماً، فاذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقاً لما في التوراة، واخذوا به يفتدي بنوقينقاع من كان من أسراهم في أيدي الاوس، ويفتدي بنو النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج، ويطلبون ما اصابوا من الدماء، وما قتلوا من قتلوا منهم، فيما بينهم مظاهرة لأهل الشرك عليهم.

يقول الله تعالى حين انبأهم بذلك: «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» أي تفادونهم بحكم التوراة، وفي حكم التوراة أن لا يقتل ويخرج من داره، ويظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان من دونه - ابتغاء عرض الدنيا - ففي ذلك من فعلهم مع الاوس والخزرج نزلت هذه القصة^(١).

وذكر فيه أقوال أخر تزيد وتنقص لا فائدة في ذكرها، معناها متقارب لما أوردناه.

وقوله: «يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» القصد بذلك توبيخهم وتعنيفهم على سوء أفعالهم فقال: ثم أنتم بعد أقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا أنفسكم من دياركم تقتلون أنفسكم يعني يقتل بعضكم بعضاً .

وأنتم مع قتلكم من تقتلون منكم، اذا وجدت من أسيراً منكم في أيدي غيركم من أعدائكم تفدونهم، ويخرج بعضكم بعضاً من ديارهم، وقتلكم إياهم واخراجكم إياهم من ديارهم حرام عليكم، كما حرام عليكم تركهم أسرى في أيدي عدوكم. فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم، وتستجيزون قتلهم وهما جميعاً في اللازم لكم من الحكم فيهم سواء؛ لأن الذي حرمت عليكم من قتلهم واخراجهم من دورهم نظير الذي حرمت عليكم من تركهم أسرى في أيدي عدوهم .

«أفتؤمنون ببعض الكتاب» الذي فرضت عليكم فيه فرائضي وبيئت لكم فيه حدودي، وأخذت عليكم بالعمل بما فيه ميثاقي، فتصدقون به فتفادون أسراكم من أيدي عدوكم، وتكفرون ببعضه فتجحدونه فتقتلون من حرمت عليكم قتله، من أهل دينكم ومن قومكم، وتخرجونهم من ديارهم، وقد علمتم إن في الكفر منكم ببعضه نقضاً منكم في عهدي وميثاقي .

وقوله: «فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا» .

فالخزي الذل والصغار، يقال: خزي الرجل يخزى خزياً .

«في الحياة الدنيا» يعني في عاجل الدنيا قبل الآخرة. ثم اختلفوا في

الخزي الذي خزاهم الله بما سلف منهم من المعصية فقال بعضهم: ذلك

حكم الله الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وآله من أخذ القاتل بما قتل،
والقود به قصاصاً، والانتقام من الظالم للمظلوم^(١).

وقال آخر: بل ذلك هو الجزية منهم - ما أقاموا على دينهم - ذلة لهم
وصغاراً^(٢).

وقال آخرون: الخزي الذي خزوا به في الدنيا إخراج رسول الله صلى
الله عليه وآله بني النضير من ديارهم لأول الحشر^(٣). وقيل: مقاتلة بني
قريظة وسبي ذرارهم، وكان ذلك خزيّاً في الدنيا وفي الآخرة عذاب
عظيم^(٤).

ومعنى قوله: «يوم القيامة يردّون الى أشدّ العذاب» أي أسوء العذاب،
يعني بعد الخزي الذي يحلّ بهم في الدنيا يردّهم الله الى أشدّ العذاب الذي
أعدّه الله لأعدائه.

وقال بعضهم: يردّهم يوم القيامة الى أشدّ العذاب، يعني أشدّ من
عذاب الدنيا^(٥).

والأول أقوى، انه من أشدّ العذاب يعني أشدّ جنس العذاب. وذلك
يقضي العموم ولا يخصّ إلاّ بدليل.

وقوله: «وما الله بغافلٍ عما تعملون» منهم من قرأ بالياء، ردّه الى من

(١) تفسير ابن عباس: ص ١٣، قريب منه.

(٢) حكاه الطبري في التفسير: ج ١ ص ٣١٨، والفخر الرازي في التفسير الكبير نقلاً عن الحسن:
ج ٣ ص ١٧٤.

(٣) حكاه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣١٨، والفخر الرازي في التفسير الكبير: ج ٣ ص ١٧٤.

(٤) معاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ١٦٧.

(٥) انظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٣١٨.

أخبر عنهم . ومن قرأ بالتاء، رده الى المواجهين بالخطاب .
والياء أقوى لقوله: «فما جزاء من يفعل ذلك» . وقوله: «ويوم القيامة يردون» فالرد الى هذا أقرب من قوله: «أفتؤمنون ببعض الكتاب» فاتباع الأقرب أولى من إلحاقه بالأول . والكل حسن .
والمعنى وما الله بساهٍ عن أعمالهم الخبيثة بل هو مُحَصِّ لها وحافظ لها حتى يجازي عليها .

فان قيل : ظاهر الآية يقتضي أن يصحّ الايمان ببعض الأشياء، وإن كفروا ببعض الآخر، وذلك منافٍ لمذهبكم في الأرجاء والموافاة؛ [قلنا]: لأنّ المعنى في ذلك إظهار التصديق ببعض، والمنع بالتصديق ببعض الآخر . ويحتمل أن يكون المراد ان ذلك على ما يعتقدهونه؛ لأنكم اذا اعتقدتم جميع ذلك ثم عملتم ببعضه دون بعض، فكأنكم آمنتم ببعضه دون بعض .

قوله تعالى:

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

قوله: «أولئك» إشارة الى الذين أخبر عنهم يؤمنون ببعض الكتاب، فيفادون أسرارهم من اليهود، ويكفرون ببعض فيقتلون من حرّم الله عليهم قتله من أهل ملّتهم، ويخرجون من داره من حرّم الله إخراجهم . هم الذين اشتروا رياسة الحياة الدنيا، ومعناه ابتاعوها على الضعفاء وأهل الجهل والغباء منهم .

وانما وصفهم بأنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة؛ لأنهم رضوا بالدنيا بكفرهم بالله عز وجل فيها عوضاً من نعيم الآخرة الذي أعدّه الله للمؤمنين. فجعل تركهم حظوظهم من نعيم الآخرة بكفرهم بالله ثمناً لما ابتاعوه من خسيس الدنيا بما أخبر الله أنه لا حظ لهم في نعيم الآخرة، وأن لهم في الآخرة عذاباً غير مخفف عنهم فيها العقاب .

وقوله: «ولا هم ينصرون» أي لا ينصرهم أحد في الآخرة فيدفع عنهم بنصرته عذاب الله تعالى .

قوله تعالى:

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿١٨٧﴾ آية بلا خلاف .

القراءة:

قرأ أهل الكوفة الرسل مشغل في جميع القرآن^(١). وقرأ ابن كثير «القدس» بسكون الدال حيث وقع، الباقون بثقلها^(٢).

المعنى:

ومعنى قوله: «آتينا موسى الكتاب» أنزلناه إليه وأعطيناه، والكتاب

(١) اعراب القرآن للنحاس: ج ١ ص ٢٤٥، قال: لغة أهل الحجاز الرسل بضمين.

(٢) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٦٣. وكتاب الحجة لأبي علي الفارسي: ج ٢

المراد به التوراة .

وقوله: «وَقَفَيْنَا» معناه واردفنا، واتبعنا بعضه خلف بعض، كما يقفو الرجل الرجل اذا سار في أثره من ورائه، وأصله من القفأ، يقال فيه: قفوت فلاناً اذا صرت خلف قفاه، كما يقال: دبرته اذا صرت في دبره، قال امرؤ القيس:

وقفي على آثارهنّ بحاصب فَرَّ العشى البارد المتحَصَّب^(١)
ومعنى قوله: «بالرسل» من بعد موسى والمراد بالرسل الانبياء، وهم جمع رسول، يقال: رَسول ورُسُل، كما يقال: رجل صبور وقوم صُبر، ورجل شكور وقوم شكر. والمعنى في «قَفَيْنَا» أتبعنا بعضهم بعضاً على منهاج واحد وشريعة واحدة؛ لأنّ كلّ من بعثه الله نبياً بعد موسى الى زمن عيسى بن مريم عليه السلام فانما بعثه باقامة التوراة والعمل بما فيها والدعاء الى ما فيها، فلذلك قال: «وَقَفَيْنَا من بعده بالرسل» يعني على منهاجه وشريعته .

وقوله: «وَاتَيْنَا عيسى بن مريم البَيِّنَات» اعطينا عيسى بن مريم الحجج والدلالات على نبوته من احياء الموتى وبراء الاكهم والابرص، ونحو ذلك من الآيات التي دلّت على صدقه وصحة نبوته .

وقوله: «وَأَيَّدْنَاهُ بروح القدس» أي قويناه واعناؤه، يقال منه: ايدك الله أي قواك الله، وهو رجل ذو أيد وذو أياد أي ذو قوة، ومنه قول العجاج:

* من ان تبدلت بآد آدا^(٢) *

يعني بقوة شبابي قوة الشيب، قال الشاعر:

(١) ديوانه: ص ٣٨ وروايته «فَقَفِي» بدل «وَقَفِي» .

(٢) إصلاح المنطق لابن السكيت: ص ٩٤، وعجزه: لم يكُ يَنَادُ فأمسَى أَنَادَا.

ان القداح اذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو جلد وبطش أيّد^(١) يعني بالايده القوي، قال قتادة والسدي والضحاك والربيع: روح القدس هو جبرائيل عليه السلام^(٢). قال ابن زيد: ايد الله عيسى بالانجيل روحاً كما جعل القرآن روحاً، كلاهما روح الله، كما قال: «وكذلك أوحينا إليك روحاً من امرنا»^(٣). وروى الضحاك عن ابن عباس ان الروح الاسم الذي كان يحیی به الموقی^(٤).

واقوى الاقوال قول من قال: هو جبرائيل عليه السلام لأن الله تعالى أيد عيسى به، كما قال تعالى: «يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهدي وكهلاً واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل»^(٥) فأخبر انه أيده به، فلو كان المراد به الانجيل لكان ذلك تكراراً.

وانما سمي الله تعالى جبرائيل روحاً وضافه الى القدس؛ لأنه كان بتكوين الله روحاً من عنده من غير ولادة والدٍ ولده.

وقال قوم: سمي روحاً لأنه كان بمنزلة الارواح للابدان تحيي بما يأتي به من البينات^(٦). وقال آخرون: سمي بذلك، لأن الغالب على جسمه الروحانية لرقته وكذلك سائر الملائكة، وانما خص به تشريعاً^(٧).

(١) مروج الذهب: ج ٣ ص ١٦٦، وفيه «باليد» بدل «ايد».

(٢) كتاب الحجة «لأبي علي الفارسي»: ج ٢ ص ١١٩.

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٢٠، وكتاب الحجة: ج ٢ ص ١١٩.

(٤) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٢٠.

(٥) المائدة: ١١٠.

(٦) و(٧) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٥٦.

والتقديس التطهير، والقدس الطهر وقال السدي: القدس هاهنا البركة^(١)، يقال: قدس عليه برك عليه. ويكون اضافته الى نفسه كقوله: «حقّ اليقين»^(٢). وقال الربيع: القدس الرب. وقال ابن زيد: القدس هو الله، وأيده بروحه، واحتج بقوله: «الملك القدّوس»، وقال: القدّوس والقدس واحد^(٣). وروي عن ابن عباس: إنّ القدس الطاهر^(٤)، وقال الراجز:

* الحمد لله العلي القادس^(٥) *

وقال رؤبة:

* دعوت رب القوة القدوسا^(٦) *

وقوله: «أفكلّمنا جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون» فالخطاب بذلك متوجّه الى يهود بني اسرائيل، وكأنّه قال: يا معشر يهود بني اسرائيل لقد آتينا موسى التوراة، وتابعنا من بعده الرسل اليكم، وآتينا عيسى بن مريم الحجاج والبينات، إذ بعثناه اليكم وأيدناه بروح القدس، وانتم كلّما جاءكم رسول من رسلي بغير الذي تهواه انفسكم استكبرتم عليهم تحبيراً وبغياً، وكذبتم منهم بعضاً وقتلتم بعضاً وظاهر الخطاب وإن كان خرج مخرج التقدير فهو بمعنى الخبر.

(١) تفسير الطبري: ج ٢ ص ٣٢١.

(٢) الواقعة: ٩٥.

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٢١، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٥٦.

(٤) تفسير ابن عباس: ص ١٣، وكتاب الحجّة: ج ٢ ص ١٢٠.

(٥) و(٦) الحجّة: ج ٢ ص ١٢٠.

قوله تعالى:

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ آية

واحدة.

القراءة واللغة:

القراء المعروفون على تسكين اللام من قوله غلف. وقال ابن محيص: غلف بضم اللام^(١) وروي عن ابن عباس ذلك^(٢). فن قرأ بالتسكين قال: معنى غلف الواحد منها أغلف وغلف مثل أحر وحُمِر فكأنهم قالوا: قلوبنا أوعية فلم لا تعي ما تأتينا به قالوا كما: «قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب»^(٣) أي لا تفقه لأنها في حجاب، ومنه يقال للرجل الذي لم يختن: أغلف والمرأة غلفاء، ويقال للسيف اذا كان في غلاف: أغلف، وقوس غلفاء وجمعها غلف، وكذلك كل لغة على وزن افعال للذكر والانثى فعلاء يجمع على فعل مضمومة الأول ساكنة الثاني نحو أحر وحُمِر واصفر وصُفِر فيكون ذلك جمعاً للتذكير والتأنيث، ولا يجوز تثقيل عين الفعل إلا في ضرورة الشعر، قال طرفة:

أيها الفتيان في مجلسنا جردوا منها وراداً وشُقِر^(٤)

فحرك لضرورة الشعر، ومن قرأ «غلف» مثقلاً قال: هو جمع غلاف مثل: مثال ومثل وحمار وحُمِر. فيكون معناه إن قلوبنا أوعية للعلم فما بالها

(١) كتاب السبعة في القراءات: ص ١٦٤.

(٢) ذكره الفارسي في الحجة: ج ٢ ص ١٢٤.

(٣) فصلت: ٥.

(٤) ديوان طرفة بن العبد بشرح الشنتمري: ص ٦٩.

لا تفهم، وهي أوعية للعلم. ويجوز أن يكون التسكين عين التثقيب مثل رشل ورُسل .

وقال عكرمة: غلف أي عليها طابع ^(١) .

المعنى :

والمعنى عندنا إنّ الله أخبر إنّ هؤلاء الكفار ادعوا إنّ قلوبهم ممنوعة من القبول، وذهبوا الى أنّ الله منعهم من ذلك ، فقال الله ردأ عليهم : «بل لعنهم الله بكفرهم» أي انهم لما كفروا فألفوا كفرهم واشتدّ اعجابهم به ومحبتهم إياه، منعهم الله من اللطاف والفوائد ما يؤتية المؤمنين ثواباً على إيمانهم وترغيباً لهم في طاعتهم وزجر الكافرين عن كفرهم ؛ لأن من سوى بين المطيع والعاصي له فقد اساء اليهما .

وفي الآية ردّ على المجبرة أيضاً؛ لأنهم قالوا مثل ما يقول اليهود من أنّ على قلوبهم ما يمنع من الايمان ويحول بينهم وبينه، وكذبهم الله تعالى في ذلك بأن لعنهم وذمهم، فدلّ على أنهم كانوا مخطئين كما هم مخطئون .

وقال أبو علي الفارسي : ما يدرك به المعلومات من الحواس وغيرها، اذا ذكر بانه لا يعلم وصف بأنّ عليه مانعاً، كقوله تعالى : «افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» ^(٢) فان القفل لما كان مانعاً من الدخول الى المقفل عليه شبه القلوب به، ومثله قوله : «سكّرت أبصارنا» وقوله : «الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى» ومثله «بل هم منها عمون» وقوله :

(١) أخرجه الطبري عن قتادة: ج ١ ص ٣٢٢. وفي تفسير القرطبي عن عكرمة: ج ٢ ص ٢٥.

(٢) محمد: ٢٤.

«صمُّ بكم»؛ لأنَّ العين اذا كانت في غطاء لم ينفذ شعاعها فلا يقع بها إدراك ، فكأنَّ شدة عنادهم بحملهم على دفع المعلومات^(١). واللعن هو الاقصاء والابعاد، يقال: لعن الله فلاناً يلعنه لعناً فهو ملعون، ثم يصرف مفعول الى فاعيل، فيقال: هو لعين، كما قال الشماخ بن ضرار:

دعوت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين^(٢)
أي المبعد. فصار معنى الآية قالت اليهود: «قلوبنا في أكتة مما تدعونا اليه»^(٣) محمد صلى الله عليه وآله، فقال الله: ليس ذلك كما زعموا ولكته تعالى أقصاهم وأبعدهم عن رحمته وطردهم عنها لجحودهم به وبرسله .

وقوله تعالى: «قليلًا ما يؤمنون» قال قتادة: قليلًا منهم من يؤمن^(٤). وقال قوم: «قليلًا ما يؤمنون» أي لا يؤمنون إلّا بقليل مما في أيديهم^(٥). والذي نقوله: ان معنى الآية إنَّ هؤلاء الذين وصفهم الله تعالى قليلو الايمان بما انزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله ولذلك نصب قوله: «قليلًا» لأنَّه نصب على نعت المصدر المتروك ، وتقديره: لعنهم الله بكفرهم فإيمانًا قليلًا يؤمنون. ولو كان الامر على ما قال قتادة لكان القليل مرفوعاً، وكان تقديره فقليل ايمانهم .

وقال قوم من أهل العربية: انَّ (ما) زائدة لا معنى لها، كقوله: «فبا رحمة من الله لنت لهم» وتقدير الكلام: قليلًا يؤمنون، وانشد بيت مهلهل:

(١) كتاب الحجّة: ج ٢ ص ١٢٣.

(٢) مجاز القرآن: ج ١ ص ٤٦، وفيه «دَعَرْتُ» بدل «دعوت».

(٣) فصلت: ٥.

(٤) تفسير الواحدي (هامش تفسير النووي): ج ١ ص ٢١، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٣٢٣.

(٥) نفس المصدر السابق والقول للواحدي.

لـوبأبـانين جاء يخطبها ضرج ما انف خاطب بدم (١)
يعني ضرج انف خاطب، وما زائدة. وقال قوم: ذلك خطأ في الآية وفي البيت وان ذلك من المتكلم على ابتداء الكلام بالخبر عن عموم جميع الأشياء اذا كانت «ما» كلمة تجمع كل الاشياء، ثم تخص بعض ما عمته، فانها تذكر بعدها (٢). وفي الناس من قال: «فقليلاً ما يؤمنون»؛ لأنه كان معهم بعض الايمان من التصديق بالله وبصفاته وغير ذلك مما كان فرضاً عليهم، وذلك هو القليل بالاضافة الى ما جحدوا به من التصديق بالنبي صلى الله عليه وآله وما جاء به (٣).

والذي يليق بمذهبنا ان نقول: إنه لم يكن معهم ايمان أصلاً، وانما قال: «فقليلاً ما يؤمنون» كما يقول القائل: قل ما رأيت هذا قط. وروي عنهم سماعاً أعني العرب: مررت ببلد قل ما ينبت إلا الكراث والبصل، يريدون ما ينبت إلا الكراث والبصل.

قوله تعالى:

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ
يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا
بِهِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

التقدير: ولما جاء اليهود من بني اسرائيل الذين وصفهم الله كتاب من

(١) كالأخفش في معاني القرآن: ج ١ ص ٣١٩، وفيه «خضب» بدل «ضرج» وفي النسخة الحجرية «لوما بين» وفي الخطية «لوبانين» مهمله بدل «بابانين».

(٢) حكاه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٢٤. (٣) معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٦٠.

عند الله يعني به القرآن الذي انزله على محمد صلى الله عليه وآله واشتقاق الكتاب من الكتب، وهو جمع كتبة وهي الخرزة. وكلها ضمنت بعضه الى بعض، فقد كتبته. والكتيبة من الجيش من هذا الانضمام بعضها الى بعض .

وقوله: «مصدق لما معهم» من الكتب التي أنزلها الله قبل القرآن من التوراة والانجيل وغيرهما. ومعنى «مصدق لما معهم» لما في التوراة والانجيل، والاختبار التي فيها. ويحتمل أن يكون المراد: مصدق بأن التوراة والانجيل من عند الله. و«مصدق» رفع لأنه نعت الكتاب، ولونصب على الحال لكان جائزاً لكن لم يقرأ به .

وقوله: «وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا» قال أبو عبيدة: معناه يستنصرون^(١). قال ابن عباس: إن اليهود كانوا يستنصرون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وآله قبل مبعثه فلما بعثه الله في العرب، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن معرور: يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وآله ونحن أهل الشرك ، وتخبرونا بأنه مبعوث، فقال لهم سلام بن مشكم: ما جاء بشيء، وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله ذلك^(٢). وقال قوم: معنى «يستفتحون» يستحكمون رهم على كفار العرب^(٣) كما قال الشاعر:

ألا أبلغ بني عُصم رسولا فاني عن فتاحتكم غني^(٤)

(١) مجاز القرآن: ج ١ ص ٤٧.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير: ج ١ ص ٣٢٥ وأخرجه في الدر المنثور عن غيره: ج ١ ص ٨٨.

(٣) ذكر اللغويون إن أحد معاني الحكم، كما في التهذيب: مادة «فتح» ج ٤ ص ٤٤٦.

(٤) مرفي ص ٣٤١.

أي محاكمتمكم. وقال قوم: معناه يستعلمون من علمائهم صفة نبي يبعث من العرب، وكانوا يصفونه، فلما بعث أنكروه (١).
وأما جواب قوله: «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم» فقال قوم: ترك جوابه استغناء بمعرفة المخاطبين، معناه كما قال: «ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموق» فترك الجواب، وكان تقديره: ولو أن قرآنًا سوى هذا القرآن سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لسيرت بهذا، ترك ذلك لدلالة الكلام عليه، وكذلك الآية الجواب فيها محذوف لدلالة قوله: «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به» (٢).

وقال آخرون: قوله: «كفروا» جواب لقوله: «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم»، ولقوله: «ولما جاءهم ما عرفوا». ونظيره قوله: «فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» فصار قوله: «فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» جواباً لقوله: «فاما يأتينكم»، ولقوله: «فمن تبع هداي» (٣)، ومثله في الكلام قولك: ما هو إلا أن جاءني فلان، فلما ان قعد وسعت له، فصار قولك: وسعت له، جواباً لقولك: ما هو إلا أن جاءني، ولقولك: فلما ان قعد.

وجاء الأول للكتاب وجاء الثاني قيل: إنه للرسول، فلذلك كرر.
وقوله: «فلعنة الله على الكافرين» فقد بينا فيما مضى معنى اللعنة، ومعنى الكفر فلا وجه لاعادته. وقد مضى الجواب عن يستدل بمثل ذلك

(١) حكاه الراغب في المفردات: ص ٣٧١.

(٢) قاله الأخفش في معاني القرآن: ج ١ ص ٣١٩.

(٣) كالقراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٥٩.

على ان الكافر قد يكون عالماً ببعض الاشياء التي اوجها الله تعالى بخلاف ما يذهب اليه اصحاب الموافاة، وان من عرف الله فلا يجوز ان يكفر وانّ المعتمد على ذلك أن نقول: لا يمتنع ان يكونوا قد عرفوا الله وكثيراً مما وجب عليهم لكن لم يكن وقع نظرهم على وجه يستحقون به الثواب؛ لأنّ ذلك هو الممنوع منه، وقد بينا ايضاً صفة من يتعلق بذلك من اصحاب الضرورات لأن غاية ما في ذلك إنّ القوم كانوا عارفين فجددوا ما عرفوا، وليس يمتنع ان يكونوا عارفين استدلالاً ثم جحدوا، فالضرورة لم يجزها ذكر.

قوله تعالى:

يَسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنْزَلَ
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قَبَاءٌ وَبِعْضٍ عَلَى غَضَبٍ
 وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾ آية .

اللغة والاعراب:

أصل «بش» بَشَسَ من البؤس فأُسكنت الهمزة ونقلت حركتها الى الباء، كما قالوا في ظللت: ظَلَلْتُ، وكما قيل للكَيْدِ: كَيْبَدْتُ، فنقلت حركة الباء الى الكاف، لما سكنت الباء. ويحتمل أن تكون بشس وان كان اصلها بشس من لغة من ينقل حركة العين من فعل الى الفاء اذا كانت عين الفعل احد حروف الحلق الستة، كما قالوا في لعب: لعب، وفي سثم: سيم، وهي لغة تميم. ثم جعلت دلالة على الذم والتوبيخ ووصلت بـ (ما).

واختلفوا في (ما) فقال قوم من البصريين: هي وحدها اسم، و«أن يكفروا» تفسير له نحو: نعم رجلاً زيد، و«أن ينزل الله» بدل من انزل^(١).

وقال الفراء: بئس الشيء اشتروا به انفسهم ان يكفروا، ف (ما) اسم بئس و «أن يكفروا» الاسم الثاني، وقوله: «ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده» إن شئت جعلت (أن) في موضع رفع وان شئت في موضع خفض، فالرفع: بئس الشيء هذا أن يكفروا، والخفض: بئس الشيء اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغياً، وفي قوله: «لبئس ما قدمت لهم انفسهم أن سخط الله عليهم» مثل ذلك ^(١).

قال ابو عبيدة: والعرب تجعل (ما) وحدها في هذا الباب بمنزلة الاسم التام. وقوله: «فنعَم ما هي» و«بئس ما انت» قال الراجز:
لا تعجلا بالسير وادلواها لبئسما بئس ولا نرعاها
قال: ويقولون لبئس ما تزويج ولا مهر، فيجعلون (ما) وحدها اسماً بغير صلة ^(٢). وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: نعم ما المال للرجل الصالح ^(٣)، فجعلت (ما) اسماً.

وقال قوم: هذا الوجه ضعيف؛ لأن هذا القول، يكون التقدير بئس الشيء اشتروا به انفسهم، فقد صارت ما بصلتها اسماً مؤقتاً؛ لأن اشتروا فعل ماضي واذا وصلت بفعل ماضي كانت معرفة مؤقتة، تقديره بئس شراؤهم كفرهم، وذلك غير جائز عنده، فبان بذلك فساد هذا القول ^(٤).
وبئس ونعم لا يلقاهما اسم علم كزيد وعمر، واخيك وابيك، فانما يلقاهما المعرف بالالف واللام، كقولك: الرجل والمرأة وما اشبه ذلك،

(١) حكاه الطبري في التفسير: ج ١ ص ٣٢٧.

(٢) حكاه الطبري في التفسير: ج ١ ص ٣٢٨.

(٣) مسند احمد بن حنبل: ج ٤ ص ٢٠٢، وفيه «نعم ما بال الصالح للرجل الصالح».

(٤) الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٢٨.

فان نزعتهما نصبت، كقوله: «بئس للظالمين بدلاً»^(١) و«ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا»^(٢) فان كانت نكرة مضافة الى نكرة جاز الرفع والنصب، كقولك: نعم غلام سفر غلامك، بالرفع والنصب، حكاه الفراء^(٣).

وقال بعضهم: إن (ان) في موضع خفض ان شئت، وان شئت في موضع رفع، فالخفض ان ترده على الهاء في «به» على التكرير على كلامين؛ لأنك قلت: اشتروا انفسهم بالكفر، والرفع ان يكون تكراراً على موضع (ما) التي تلي بئس، ولا يجوز أن يكون رفعاً على قولك: بئس الرجل عبد الله^(٤).

وقال بعضهم: أولى هذه الاقوال أن تجعل بئساً مرفوعاً بالراجع من الهاء في قوله: اشتروا به، كما رفعوا ذلك بعبد الله في قوله: بئساً عبد الله، وجعل أن يكفروا مترجماً عن بئس، فيكون التقدير: بئس الشيء باع اليهود به انفسهم بكفرهم بما انزل الله بغياً وحسداً ان ينزل الله من فضله. وتكون «ان» التي في قوله: «ان ينزل الله» في موضع نصب؛ لأنه يعني به ان يكفروا بما انزل الله من اجل ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده. وموضع (ان) جر^(٥). والكسائي جعل (ان) في موضع خفض بنية الباء^(٦) وانما كان النصب أقوم لتام الخبر قبلها ولا خافض معها، وحرف

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) الاعراف: ١٧٧.

(٣) معاني القرآن: ج ١ ص ٥٧.

(٤) والقاتل الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٥٦.

(٥) الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٢٨.

(٦) اعراب القرآن للنحاس: ج ١ ص ٢٤٧.

الحفّض اذا كان مضمرّاً لا تحفّض به .

المعنى:

ومعنى قوله: «اشتروا به أنفسهم» اي باعوا به انفسهم - على وزن افعلوا - من الشراء وسمي البائع الشاري بهذا، لانه باع نفسه ودنياه عنده، واكثر الكلام شريت بمعنى بعت واشتريت بمعنى ابتعت، قال الشاعر يزيد بن مفرغ الحميري:

وشريت بُرداً لـيـتـنـي من قبل بردٍ كنت هامه^(١)
ومعنى قوله: «وشروه بثمن بخس» باعوه. وربما استعملت اشتريت بمعنى بعت، وشريت بمعنى ابتعت، والأكثر ما قلناه .

وقوله: «بغياً» أي حسداً وتعدياً. فان قيل: كيف باعت اليهود انفسها بالكفر، وهل يشتري بالكفر شيء؟ قيل: معنى الشراء والبيع - عند العرب - هو ازالة ملك المالك إلى غيره بعوض يعتاضه منه، ثم يستعمل ذلك في كل معترض من عمله عوضاً خيراً كان أو شراً يقال: نعم ما باع فلان نفسه به، وبئس ما باع به نفسه. بمعنى نعم الكسب كسبها وبئس الكسب كسبها. وكذلك قوله: «بئس ما اشتروا به أنفسهم» لما ابقوا انفسهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله واهلكوها. خاطبهم الله بالعرف الذي يعرفونه، فقال: بئس ما اعتاضوا من كفرهم بالله وتكذيبهم محمداً صلى الله عليه وآله إذا كانوا رضوا به عوضاً من ثواب الله وما اعد لهم لو كانوا آمنوا بالله وما انزل على انبيائه بالنار وما اعد لهم بكفرهم بذلك . ونظير هذه الآية قوله

(١) الأغاني للأصبهاني: ج ١٨ ص ٢٦١.

في سورة النساء: «الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب» الى قوله: «وآتيناهم ملكاً عظيماً»^(١). وكان ذلك حسداً منهم لكون النبوة في غيرهم.

وقوله: «بغياً» نصب لأنه مفعول له والمعنى فساداً، قال الاصمعي: مأخوذ من قوهم: بغى الجرح اذا فسد^(٢). ويجوز ان يكون مأخوذاً من شدة الطلب للمطاول. وسميت الزانية بغياً لأنها تطلب، واصل البغي الطلب. و«بغياً ان ينزل الله» اي لأن ينزل الله وكذلك كل ما في القرآن، ومثله قول الشاعر:

أنجزع أن بان الخليط المودع وحبل الصفا من عزة المتقطع^(٣)
وقوله: «فباءوا بغضب على غضب» اي رجعوا. والمراد رجعت اليهود من بني اسرائيل بعد ما كانوا عليه من الاستنصار لمحمد صلى الله عليه وآله في الاستفتاح به وبعد ما كانوا يخبرون الناس من قبل مبعثه أنه نبي مبعوث مرتدين على اعقابهم حين بعثه الله نبياً بغضب من الله استحقوه منه بكفرهم به وجحدهم بنبوته وانكارهم اياه.

وقال السدي: الغضب الأول حين عبدوا العجل، والثاني حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله. وقال عطا وغيره: الغضب الأول حين كفروا التوراة قبل مبعث محمد صلى الله عليه وآله، والغضب الثاني حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله. وقال عكرمة والحسن: الأول حين كفروا

(١) النساء: ٤٤-٥٤.

(٢) تهذيب اللغة: مادة «بغى» ج ٨ ص ٢١١.

(٣) لم نعرف قائله.

بعيسى عليه السلام، والثاني حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله^(١).
وقد بينا إنَّ الغضب من الله هو إرادة العقاب بهم .

وقوله: «وللكافرين عذاب مهين» معناه للجاحدين بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله عذاب مهين من الله: إما في الدنيا، وإما في الآخرة. و«مهين» هو المذل لصاحبه المخزي لللبسه هواناً وذلة. وقيل: «المهين» هو الذي لا ينتقل منه الى اعتزاز وإكرام^(٢)، وقد يكون غير مهين اذا كان تمحيصاً وتكفيراً ينتقل بعده الى اعتزاز وتعظيم؛ فعلى هذا من ينتقل من عذاب النار الى الجنة لا يكون عذابه مهيناً .

قال المؤرج: «فباءوا» استوجبوا اللعنة بلغة جُرْهُم، ولا يقال: باءٌ مفردة حتى يقول بكذا وكذا: اما بخير واما بشر^(٣). قال ابو عبيدة: «فباءوا بغضب» احتملوه واقروا به^(٤). وأصل البواء التقرير والاستقرار، قال الشاعر:

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبل يسترها قبولها^(٥)



(١) أنظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٣٠-٣٣١، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٥٨.

(٢) حكاة الطبري في التفسير: ج ١ ص ٣٣١.

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٥٠، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٣٠.

(٤) مجاز القرآن: ج ١ ص ٤٢ و ١٦١.

(٥) ديوان الأعشى: ص ١٣٥.

قوله تعالى:

وَإِذْ أَيْدِي لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمُنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا
وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ، وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ
أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

قوله: «بما أنزل الله» يعني القرآن، «قالوا نؤمن بما أنزل علينا» يعنون
التوراة «ويكفرون بما وراءه» يعني بما بعده، قال الشاعر:
تمني الاماني ليس شيء وراءها كموعد عرقوب أخاه بيثرب^(١)
وقال الفراء: معنى «وراءه» هاهنا سواء، كما يقال للرجل يتكلم
بالحسن: ما وراء هذا الكلام شيء يراد به، ليس عند المتكلم شيء سوى
ذلك الكلام^(٢).

ومعنى قوله: «ويكفرون بما وراءه وهو الحق» وبما سوى التوراة وبما بعده
من كتب الله عز وجل التي أنزلها الله الى رسله .

قوله: «هو الحق مصدقاً» يعني القرآن مصدقاً لما معهم، ونصب على
الحال ويسميه الكوفيون عليّ القطع .

وقوله: «من قبل» ضمّ على الغاية، وكذلك اخواتها نحو: بعد وتحت
وفوق، اذا جعلت غاية ضمت. وفي ذلك خبر من الله - تعالى ذكره - انهم من
التكذيب في التوراة على مثل الذي هم عليه من التكذيب بالانجيل والقرآن

(١) كتاب سيبويه: ج ١ ص ١٧٢، ولم يذكر صدر البيت، و«مواعيد» بدل «كموعد»، وفي الجمهرة

نسب البيت الى علقمة: مادة «عرقب» ج ٣ ص ٣٠٨.

(٢) معاني القرآن: ج ١ ص ٦٠.

عناداً وخلافاً لأمره وبغياً على رسله .

وقوله: «فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين» يعني قل يا محمد ليهود بني اسرائيل اذا قلت لهم آمنوا قالوا لك نؤمن بما انزل علينا: لم تقتلون ان كنتم مؤمنين بما أنزل الله عليكم انبياءه وقد حرم عليكم في الكتاب الذي انزل عليكم قتلهم بل أمركم فيه باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم، وفي ذلك تكذيب لهم في قولهم نؤمن بما أنزل علينا وتعير عليهم .

وقوله: «فلم تقتلون» وان كان بلفظ الاستقبال المراد به الماضي، بدلالة قوله: من قبل، وذلك لما مضى كما قال: «واتبعوا ما تتلو الشياطين»^(١) أي ما تلت، قال الشاعر:

ولقد أمر على اللئيم يسبني فضيت عنه وقلت لا يعنيني^(٢)
وفي رواية أخرى «ثمت قلت»، يريد بقوله: ولقد أمر بدلالة قوله: فضيت ولم يقل: فأمضى، وقال آخر:

واني لآتيكم تشكر ما مضى من الأمور واستيجاب ما كان في غد^(٣)
يعني بذلك ما يكون في غد، قال الخطيئة:

شهد الخطيئة حين يلقي ربه ان الوليد أحق بالعدر^(٤)
يعني يشهد، وقال آخر:

(١) البقرة: ١٠٢ .

(٢) ذكره الأخفش في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٢٣ مع اختلاف .

(٣) قائله الطرماح بن حكيم الطائي، ديوانه: ص ١٤٦ واللسان: مادة «كون» ج ١٢ ص ١٩٥ .

(٤) ديوانه: ١٨٠ .

فأُضحى ولا أمسيت إلا إراني منكم في كوفان^(١)
 فقال: اضحى، ثم قال: ولا أمسيت. ومثله «يحسب أن ماله
 اخلده»^(٢) أي يستخلده. وقال بعض الكوفيين: إنما قال: «فلم تقتلون
 انبياء الله من قبل» وأراد به الماضي كما يقول القائل موبخاً لغيره ومكذباً
 له: لم تكذب ولم تبغض نفسك الى الناس، قال الشاعر:

إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ولم تجدي من ان تقري به بدا
 فالجزء المستقبل، والولادة كلها قد مضت وجاز ذلك لأنه
 معروف^(٣). وقال قوم: معناه فلم ترضون بقتل انبياء الله إن كنتم
 مؤمنين^(٤). وقالت فرقة ثانية: فلم تقاتلون انبياء الله، فعبر عن القتال بالقتل
 لأنه يؤول اليه.

قوله تعالى:

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ
 وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ آية بلا خلاف.

المعنى:

«ولقد جاءكم موسى» يعني جاء اليهود موسى «بالبينات» الدالة على
 صدقه وصحة نبوته، كقلب العصا حية وانبجاس الماء من الحجر واليد
 البيضاء وفلق البحر والجراد والقمل والضفادع، وغيرها من الآيات،

(١) ذكره الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٣٣.

(٢) الهزمة: ٣.

(٣) القائل الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٦١، والشعرلزانة بن صعدة الفقعسي.

(٤) كقول الزجاج في معاني القرآن: ج ١ ص ١٧٥.

وسماها بينات لظهورها وتبينها للناظرين اليها انها معجزة لا يقدر على أن يأتي بمثلها بشر، وانما هي جمع بينة مثل طيبة وطيبات .

وقوله: «ثم اتخذتم العجل من بعده» يعني بعد «موسى» لما فارقهم ومضى الى ميقات ربه. ويجوز ان تكون الهاء كناية عن المجيء، فيكون التقدير: ثم اتخذتم العجل من بعد مجيء موسى بالبينات وانتم ظالمون، كما يقول القائل: جئني فكرهتك اي كرهت مجيئك . وليس المراد بثم هاهنا النسق، وانما المراد بها التوبيخ والتعجب والاستعظام لكفرهم مع ما رأوا من الآيات .

وقوله: «وانتم ظالمون» يعني انكم. فعلتم ما فعلتم من عبادة العجل، وليس ذلك لكم، وعبدتم غير الله وكان ينبغي لكم أن تعبدوا الله؛ لان العبادة لا تكون لغير الله، فانتم بفعل ذلك ظالمون انفسكم .

قوله تعالى:

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَايَا مُرُّكُمْ بِهِ إِيْمَنُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

تقديره: واذكروا إذ أخذنا ميثاقكم وعهودكم بأن تأخذوا ما آتيناكم من التوراة التي انزلها الله على موسى بجد واجتهاد، ومعناه اقبلوا ما سمعتم، كما قيل: سمع الله لمن حمده أي قبل الله حمده، قال الراجز:

بالحمد والطاعة والتسليم خير واعفى لفتى تميم^(١)
فصار تقدير الآية: «واذ اخذنا ميثاقكم» بأن «خذوا ما آتيناكم
بقوة» واعملوا بما سمعتم واطيعوا الله «ورفعنا فوقكم الطور» من أجل
ذلك .

وقوله: «قالوا سمعنا وعصينا» كأن الكلام خرج مخرج الخبر عن
الغائب بعد أن كان الابتداء بالخطاب، لما تقدّم ذكره من ابتداء الكلام
إذا كان حكاية، والعرب تخاطب ثم تعود بعد ذلك الى الخبر عن الغائب ثم
تخاطب؛ لان قوله: «واذ اخذنا ميثاقكم» بمعنى قلنا لكم فأجبتُمونا،
وقوله: «سمعنا» إخبار من الله تعالى عن اليهود الذين أخذنا ميثاقهم ان
يعملوا بما في التوراة، وان يطيعوا الله بما يسمعون منها انهم قالوا حين قيل لهم
ذلك: سمعنا قولك وعصينا أمرك، ويحتمل أن يكون ما قالوه لكن فعلوا ما
يدلّ على ذلك، فقام الفعل مقام القول، كما قال الشاعر:

امتلاً الخوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني^(٢)
وقوله: «واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم» فيه وجوه:

أحدهما: ما قال قتادة وأبو العالية: واشربوا في قلوبهم حبّ العجل^(٣).
يقال: أشرب قلبه حبّ كذا وكذا، قال زهير:
فصحوتُ عنها بعد حبّ داخل والحبّ يشربه فؤادك داء^(٤)

(١) ذكره الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٦٠، والبيت لرجل من حنية من بني ضار يدعى حير
بن الضحاك وروايته «السمع» بدل «بالحمد» و«لبنى تميم» بدل «لغنى تميم».

(٢) اصلاح المنطق لابن السكيت: ص ٥٧، وروايته «سلاً» بدلا «مهلاً».

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٣٥.

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٦٠.

وقالت اعرابية:

باهلي من عادى ونفسي فداؤه به هام قلبي منذ حين ولا يدري
هوى اشربته النفس ايام جهلها ولح عليه القلب في سالف الدهر^(١)
وقال السدي: لما رجع موسى الى قومه أخذ العجل الذي وجدهم
عاكفين عليه، فذبحه ثم حرقه بالمبرد، ثم ذراه في اليم فلم يبق بحر يجري
يومئذ إلا وقع فيه شيء منه، ثم قال: اشربوا، فشربوا، فن كان يحبه خرج
على شاربه الذهب^(٢).

والأول عليه أكثر محضلي المفسرين وهو الصحيح؛ لأن الماء لا يقال
فيه: أشرب منه فلان في قلبه، وإنما يقال ذلك: في حب الشيء على ما
بيّناه، ولكن يترك ذكر الحب اكتفاء بفهم السامع لمعنى الكلام؛ اذ كان
معلوماً أن العجل لا يشربه القلب وإن الذي اشرب منه حبه، كما قال:
«واسأل القرية»^(٣) وإنما أراد أهلها، كما قال الشاعر:

حسبت بغام راحلتي عناقاً وما هي ويب غيرك بالعناق^(٤)
يريد بذلك حسبت بغام راحلتي بغام عناق، وقال طرفة بن العبد:
ألا إنني سقيت أسود حالكا لا بجلي من الشراب الأجل^(٥)
يريد بذلك سقيت سما اسود، فاكتفى بذكر اسود عن ذكر السم لمعرفة

(١) لم نعثر عليه في المصادر المتوفرة لدينا.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٣٥.

(٣) يوسف: ٨٢.

(٤) معاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ٦٢ البيت من ابيات لذي الخرق الطهوي يخاطب ذنباً تبعه في طريقه.

(٥) ديوانه بشرح الشنتمري: ص ٩٣، و«شربت» بدل «سقيت».

السامع بمعنى ما أراد بقوله سقيت اسود، وقال آخر:
وكيف تواصل من أصبحت خلالته كأبي مرحب^(١)
أي كخاللة أبي مرحب، وقال آخر:
وشر المنايا مية وسط اهله^(٢).

اي مية ميت. وقد يقول العرب: اذا سرك أن تنظر السخاء فانظر الى
هرم أو الى حاتم، فيجتزون بذكر الاسم عن ذكر فعله للعلم به .
وقوله: «بئسما يأمركم به ايمانكم إن كنتم مؤمنين» معناه قل يا محمد
ليهود بني اسرائيل: بئس الشيء يأمركم به ايمانكم إن كان يأمركم بقتل
انبياء الله ورسله والتكذيب بكتبه وجحد ما جاء من عنده. وقال
الازهري: معنى «ان كنتم» اي ما كنتم مؤمنين نفياً^(٣) والأول اجود.
ومعنى ايمانهم: تصديقهم الذي زعموا انهم مصدقون من كتاب الله اذا قيل
لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا: نؤمن بما أنزل علينا .

وقوله: «ان كنتم مؤمنين» أي ان كنتم مصدقين كما زعمتم، فأخبر ان
تصديقهم بالتوراة، ان كان يأمرهم بذلك، فبئس الامر يأمرهم به. وانما
ذلك نفي عن التوراة ان يكون يأمر بشيء بما يكرهه الله من افعالهم واعلاماً
منه ان الذي تأمرهم به اهوأوهم، وتحمل عليه عداوتهم. وهذا كما يقول
الرجل: بئس الرجل انا إن رضيت بفعلك أو ساعدتك عليه .

والمعنى «وأشربوا في قلوبهم حب العجل بكفرهم» أي لإلفهم الكفر

(١) كتاب سيبويه: ج ١ ص ٢١٥، وأمالى المرتضى: ج ١ ص ٢٠٢، وقائله النابغة الجعدي.

(٢) ديوان الخطيئة: في تحكلة الديوان ص ٢٦١، و«هالك» بدل «ميتة»، وعجز البيت: كهلك

الفتاة أيقظ الحي حاضره، وفي كتاب سيبويه: ج ١ ص ٢١٥.

(٣) انظر تهذيب اللغة: مادة «إن» ج ١٥ ص ٥٦٨.

وثبوتهم فيه، والكفر يدعو بعضه الى بعض ويحسن بعضه بعضاً. وليس المعنى في قوله: «واشربوا» ان غيرهم فعل ذلك بهم بل هم الفاعلون له، كما يقول القائل: أنسيت ذلك من النسيان ليس يريد إلا انك فعلت. وقولهم: لقد أوتي فلان علماً جماً، وان كان هو المكتسب له، وان الجنس الذين قالوا: سمعنا وعصينا غير الذين رفع عليهم الطور بأعيانهم، لكنهم كانوا على منهاجهم وسبيلهم، فأما أولئك باعيانهم فانهم آمنوا إما طوعاً وإما كرهاً. والمعنى في (الباء) المتصلة بالكفر أنهم كفروا بالله بما اشربوا من حبة العجل، وليس المعنى انهم في ذلك اشربوا حب العجل جزاءً على كفرهم؛ لأن حبة العجل كفر قبيح، والله لا يفعل الكفر في العبد لا ابتداء ولا مجازاة.

قوله تعالى:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ دَارُ الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ آية واحدة بلا خلاف.

المعنى:

هذه الآية مما احتج الله بتأويلها لنبيه صلى الله عليه وآله على اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجرة وفصح بها ابحارهم وعلماؤهم؛ لانه دعاهم الى قضية عادلة بينه وبينهم كما كان من الخلف الواقع بينهم، فقال لفريق من اليهود: ان كنتم صادقين ان الجنة خالصة لكم دون الناس كلهم أو دون محمد واصحابه الذين آمنوا به فتمنوا الموت؛ لأن من اعتقد انه من أهل الجنة قطعاً كان الموت أحب اليه من حياة الدنيا التي فيها النقص وانواع الآلام والمشاق، ومفارقتها الى نعيم خالص يتخلص به من اذى الدنيا.

وقوله: «فتمنوا الموت» وان كان صورته صورة الامر المراد به التوبيخ والزمام الحجة .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: لو ان اليهود تمنوا الموت لما تواروا ولرأوا مقاعدهم من النار^(١) فقال الله تعالى لهم: «ولن يتمنونه ابداً بما قدمت ايديهم» تحقيقاً لكذبهم، ففقط على انهم لا يظهرون التمني، وفي ذلك اعظم الدلالة على صدقه؛ لانه أخبر بشيء قبل كونه فكان كما أخبر، لأنه لا خلاف انهم لم يتمنوا .

وقيل: انهم ما تمنوا لأنهم علموا انهم لو تمنوا الموت لما تواروا - كما قاله - فلذلك لم يتمنوه. وهذا قول ابن عباس^(٢). وقال غيره: إن الله صرفهم عن اظهار التمني ليجعل ذلك آية لنبيه صلى الله عليه وآله^(٣).

أما التمني فهو قول لما كان: ليته لم يكن، ولما لم يكن: ليته كان. وقال قوم^(٤): هو معنى في القلب غير أنه لا خلاف انه ليس من قبل الشهوة. فمن قال من المفسرين^(٥): انه أراد فتشهو فقد أخطأ. وقد روي عن ابن عباس انه قال: فاسألوا الموت^(٦) وهذا بعيد، لان التمني بمعنى السؤال لا يعرف في اللغة .

فان قيل: من أين انهم ما تمنوه بقلوبهم عند من قال: انه معنى في

(١) مسند احمد بن حنبل: ج ١ ص ٢٤٨ نقلاً عن ابن عباس، وأحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٤٠.

(٢) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٦١، وأحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٤٠.

(٣) معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٦٢، والظاهر ذلك مستفاد من قول الرسول صلى الله عليه وآله والله لا يقوله أحد إلا غص بريقه. فلاحظ، وحكاة في تفسير القرطبي: ج ٢ ص ٣٣.

(٤) حكاة الجصاص في أحكام القرآن: ج ١ ص ٤١.

(٥) كالطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٣٨.

(٦) أخرجه الطبري في التفسير: ج ١ ص ٣٣٨.

القلب؟

قلنا: لو تمنوه بقلوبهم لأظهروه بالسنتهم حرصاً منهم على تكذيبه في إخباره، وجهداً في اطفاء امره. وهذه القصة شبيهة بقصة المباحلة، وإن النبي صلى الله عليه وآله لما دعا النصارى الى المباحلة امتنعوا لقلّة ثقتهم بما هم عليه، وخوفهم من صدق النبي صلى الله عليه وآله.

ومعنى «خالصة» صافية، يقال: خلّص لي هذا الامر أي صار لي وحدي، وصفاً لي يخلص خلوصاً وخالصة، والخالصة مصدر كالعاقبة، يقال للرجل: هذا خلصاني أي خالصتي من دون أصحابي.

قوله تعالى:

وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٦٠﴾ آية
بلا خلاف.

المعنى:

أخبر الله تعالى عن هؤلاء الذين قيل لهم: «تمنوا الموت إن كنتم صادقين» بأنهم لا يتمنون ذلك أبداً. وقد بينّا إن في ذلك دلالة على صدق النبي صلى الله عليه وآله من حيث تضمنت أنهم لا يتمنون ذلك في المستقبل، وكان كما قال.
وقوله: «أبداً» نصب على الظرف أي لم يتمنوه أبداً طول عمرهم، كقول القائل: لا أكلمك أبداً، وإنما يريد ما عشت.

وقوله: «بما قدمت أيديهم» معناه بالذي قدمت أيديهم، ويحتمل أن يكون المراد بتقدمة أيديهم فتكون (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر.

وقوله: «والله عليم بالظالمين» إنما خصّ الظالمين بذلك وإن كان عالماً بغيرهم؛ لأن الغرض بذلك الزجر، كأنه قال: عليم بمجازاة الظالمين، كما

يقول القائل لغيره مهدياً له: انا عالم بك بصير بما تعمله. وقيل: انه عليم بانهم لا يتمنون ابدأ حرصاً على الحياة؛ لأن كثيراً منهم يعلم انه مبطل، وهم المعاندون منهم الذين يكتمون الحق وهم يعلمون^(١).

قوله تعالى:

وَلَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ
لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٦﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

قال ابن عباس^(٢) وابو العالية ومجاهد والربيع^(٣): ان المعنى بقوله: احرص الناس على حياة اليهود، وحرص من الذين اشركوا وهم المجوس وهم الذين يود أحدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه لانه اذا دعا بعضهم لبعض يقول له: هزار سال بده: أي عشرة الاف سنة واليهود احرص على الحياة منهم .

«وما هو بمزحزحه» أي بمباعدة من العذاب ان يعمر؛ لانه لو عمر ما تمنى لما دفعه طول العمر من عذاب الله تعالى على معاصيه. وانما وصف الله اليهود بانهم احرص الناس على حياة لعلمهم بما قد أعد الله لهم في الآخرة على كفرهم مما لا يقربه أهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث ويعلمون ما هناك من العذاب، وان المشركين لا يصدقون ببعث ولا عقاب، واليهود

(١) قريب منه في تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٣٩، وحكاه ابن عطية في المحرر الوجيز: ج ١ ص ٣٥٧.

(٢) اخرج قول ابن عباس الحاكم في مستدركه: ج ٢ ص ٢٦٣.

(٣) أنظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٣٩.

أحرص منهم على الحياة وأكره للموت .

وقوله: «وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر» يعني وما التعمير وطول البقاء بمزحزحه من عذاب الله، وهو عماد لطلب (ما) الاسم أكثر من طلبها الفعل، كما قال الشاعر:

* وهل هو مرفوع بما هاهنا راس ^(١) *

وأما في قوله: «أن يعمر» رفع بمزحزحه وحسنت الباء في قوله: «بمزحزحه» كما تقول: ما عبد الله بـ (و) زيد (و) هي التي مع (ما) ذكره عماد للفعل، لاستقباح العرب النكرة قبل المعرفة. وقال قوم: ان (هو) التي مع (ما) كناية عن ذكر العمر وجعل (ان يعمر) مترجماً عن هو يريد ما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر: أي وان عمر ^(٢)، قال الزجاج: وما هو كناية عن أحدهم، كأنه قال: وما أحدهم بمزحزحه من العذاب، كأنه قال: يود أحدهم أن يعمر ألف سنة وما ذلك العمر بمزحزحه من العذاب ^(٣).

وقوله: «بمزحزحه» أي بمبعده، قال الخطيئة:

فقالوا تزحزح لا بنا فضل حاجة اليك ولا منا لو هيك رافع ^(٤)
يعني تباعد، يقال منه: زحزحه يزحزحه زحزحة وزحزاحاً، فتأويل الآية: وما طول العمر بمبعده من عذاب الله ولا منجيه منه، لأنه لا بدّ للعمر من الفناء فيصير إلى الله تعالى، وقال الفراء: «أحرص الناس على حياة

(١) معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٥٢، وصدرة: بثوب ودينار وشاة ودرهم.

(٢) مشكل اعراب القرآن: ص ١٠٥، وفي اعراب القرآن للزجاج: ج ٢ ص ٥٥٥.

(٣) معاني القرآن: ج ١ ص ١٧٨.

(٤) الاغانى: ج ١٣ ص ٩، ونسبه إلى قيس بن الحداية، وفيه اختلاف.

ومن الذين اشركوا» أيضاً والله أعلم كقولك: هو أسخى الناس من حاتم ومن هرم، لأنّ تأويل قولك: أسخى الناس انما هو اسخى من الناس^(١).

وقوله: «والله بصير بما يعملون» - قرىء بالتاء والياء معاً - أي لا يخفى عليه شيء من اعمالهم، بل هو بجميعها محيط ولها حافظ حتى يذيقهم بها العذاب. ومعنى بصير مبصر عند أهل اللغة وسميع بمعنى مسمع، لكنّه صرف الى فعيل في بصير وسميع، ومثله «عذاب أليم»^(٢) بمعنى مؤلم. و«بديع السموات»^(٣) بمعنى مبدع. وعند المتكلمين المبصر: هو المدرك للمبصرات، والبصير: هو الحلي الذي لا آفة به؛ لأنه يجب ان يبصر المبصرات اذا وجدت وليس احدهما هو الآخر وكذلك سميع ومسمع.

وقوله: «يودّ» تقول: وددت الرجل أود وداً ووداً ووداداً وودادة ومودة، وأود لا يكون ماضيه إلّا وددت، وقال بعض المفسرين: إنّ تأويل قوله: «لتجدنهم أحرص الناس على حياة» أي من الناس أجمع، ثم قال: وأحرص من الذين اشركوا على وجه التخصيص؛ لأن من لا يؤمن بالبعث والنشور يكون حرصه على البقاء في الدنيا أكثر ممن يعتقد الثواب والعقاب^(٤).

فان قيل: أليس نجد كثيراً من المسلمين يحرصون على الحياة، ويكرهون الموت؟ فكيف تدل هذه الآية على ان اليهود لم يكونوا على ثقة مما كانوا يدعون من أنهم أولى به من المسلمين مع ان المسلمين يشاركونهم في الحرص

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٦٢.

(٢) البقرة: ١٧٨.

(٣) البقرة: ١١٧.

(٤) ذكره السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ١٣٩.

على الحياة وهم على يقين من الآخرة وما فيها من الثواب والعقاب ؟
 قيل : إنّ المسلمين لا يدعون أنّ الدار الآخرة لهم خالصة ولا أنهم أحباء
 الله ولا أنهم من أهل الجنة قطعاً كما كانت اليهود تدعي ذلك ، بل هم
 مشفقون من ذنوبهم التي يخافون أن يعذبوا عليها في النار، فلهذا يشفقون من الموت
 ويحبّون الحياة ليتوبوا من ذنوبهم ويصلحوا اعمالهم . ومن كان على يقين مما
 يصير اليه لم يؤثر الحياة على الموت، كما روي عن علي عليه السلام انه قال :
 لا ابالي سقط الموت عليّ أو سقطتُ على الموت^(١) ، وقال : اللهم سئمتهم
 وسئمتوني فابدلني بهم خيراً منهم ، وابدلهم بي شراً مني^(٢) . وقوله : اللهم
 عجل اليّ الراحة وعجل لهم الشقوة^(٣) . وكما روي عن عمار (ره) انه قال
 يوم صفين: اليوم القى الأحبة محمداً وصحبه^(٤)، وكما قال حذيفة عند الموت:
 حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم^(٥) .

قوله تعالى:

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا
 لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ آية واحدة بلا خلاف .

القراءة:

قرأ ابن كثير «جبريل» بفتح الجيم وكسر الراء وبعدها ياء ساكنة من

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٥٥ ص ٩١ وقوله عليه السلام، ما ابالي دخلت الى الموت أو خرج الموت
 إليّ .

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٥ ص ٦٧ .

(٣) لم نعرّ عليه .

(٥) لم نعرّ عليه .

(٤) وقعة صفين: ص ٣٤١ .

غير همزة مكسورة. وقرأ حمزة والكسائي وخلف وابوبكر إلا يحیی بفتح الجيم والراء بعدها همزة مكسورة بعدها ياء ساكنة على وزن «جبرعیل»^(١).

وروی یحیی كذلك إلا انه حذف بعد الهمزة فيصير «جبرئیل»^(٢).
الباقون بكسر الجيم والراء وبعدها ياء ساكنة من غير همز^(٣). وقرأ أهل البصرة «میکال» بغير همز ولا ياء. وقرأ أهل المدينة بهمزة مكسورة بعد الالف، مثل «میکاعل» الباقون باثبات ياء ساكنة بعد الهمزة على وزن «میکاعیل»^(٤).

قال ابو الحسن الأخفش: في «جبریل» ست لغات: جبرائیل وجبرئیل وجبرال وجبریل وجبرال وجبریل^(٥). وحكى الزجاج بالنون ايضاً بدل اللام^(٦)، وهي لغة بني أسد، وبتشديد اللام.

المعنى:

اجمع أهل التأويل^(٧) على أنّ هذه الآية نزلت جواباً لليهود حين زعموا

(١) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٦٦، وكتاب الحجة لابي علي الفارسي:

ج ٢ ص ١٢٩.

(٢) حجة القراءات لابن زنجلة: ص ١٠٧.

(٣) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٦٦، وكتاب الحجة لابي علي الفارسي:

ج ٢ ص ١٣٠.

(٤) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٦٦، وكتاب الحجة لابي علي الفارسي:

ج ٢ ص ١٢٩.

(٥) معاني القرآن للاخفش: ج ١ ص ٣٢٥، وفيه هكذا «جبرائیل وجبرئیل وجبرئیل وجبرئیل وجبرئیل».

(٦) معاني القرآن: ج ١ ص ١٧٩.

(٧) أنظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٤١، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٦٣.

أن جبريل عدو لهم، وإن ميكال وليّ لهم لما أخبروا أن جبريل هو الذي نزل على محمد صلى الله عليه وآله قالوا: جبريل عدولنا يأتي بالحرب والجذب، وميكائيل يأتي بالسلام والخصب، فقال الله تعالى: «قل من كان عدواً لجبريل» إذ كان هو المنزل الكتاب عليه فإنه إنما أنزله على قلبه بإذن الله لا من تلقاء نفسه، وإنما أنزل لما هو مصدق بين يديه من الكتب التي في أيديهم لا مكذباً لها، وأنه وإن كان فيما أنزل الأمر في الحرب والشدة على الكافرين فإنه هدى وبشرى للمؤمنين .

وقوله: «على قلبك» ولم يقل: على قلبي، كقولك الذي تخاطبه: لا تقل للقوم إن الخبر عندك ، ويجوز أن تقول: لا تقل إن الخبر عندي، وكما تقول: قال القوم: جبرائيل عدونا، ويجوز أن تقول: قالوا جبرائيل عدوهم . ولا ينبغي أن يستنكر أحد أنّ اليهود يقولون: إن جبرائيل عدونا، لأنّ الجهل في هؤلاء أكثر من أن يحصى .

وهم الذين أخبر الله عنهم بعد مشاهدة فلق البحر والمعجزات الباهرة «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة»^(١) وقالوا: «ارنا الله جهرة»^(٢) ومثل ذلك طائفة من النصارى تعادي سليمان فلا تذكره ولا تعظمه ولا تقرّ نبوته .

الاعراب :

وجبرائيل وميكائيل اسمان اعجميان أعربا، وقيل^(٣): إن جبر عبد، وإيل الله مثل عبد الله، وضعف ذلك أبو علي الفارسي من وجهين:

(١) الاعراف: ١٣٨.

(٢) النساء: ١٥٣.

(٣) صحيح البخاري: ج ٦ ص ٢٣ نقلاً عن عكرمة، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٦٣.

أحدهما: ان ايل لا يعرف في اسماء الله في لغة العرب .
والثاني: انه لو كان كذلك لأعرب آخر الكلمة، كما فعل ذلك في
سائر الاسماء المضافة والأمر بخلافه^(١).

سبب النزول :

وكان سبب نزول هذه الآية ماروي أن سوريا وجماعة من يهود أهل
فدك ، لما قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة سألوه، فقالوا: يا محمد كيف
نومك فقد أخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان؟ فقال: تنام
عيناي وقلبي يقظان، فقالوا: صدقت يا محمد، فأخبرنا عن الولد يكون من
الرجل أو من المرأة؟ فقال: اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل، واما
اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة، قالوا: صدقت يا محمد، فما بال الولد
يشبه أعمامه، ليس فيه من شبه أخواله شيء، أو يشبه أخواله ليس فيه من
شبه أعمامه شيء؟ فقال: أيهما علا ماؤه كان الشبه له، قالوا: صدقت
يا محمد، فأخبرنا عن ربك ما هو؟ فأنزل الله تعالى: «قل هو الله أحد الله
الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»، فقال ابن سوريا: خصلة
واحدة إن قلتها آمنت بك واتبعتك أي ملك يأتيك بما ينزل الله لك؟ قال:
جبريل. قالوا: ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة والحرب وميكائيل ينزل
باليسر والرخاء، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آمناً بك، فأنزل الله
عز وجل هذه الآية^(٢).

(١) كتاب الحجة في علل القراءات: ج ٢ ص ١٣٤.

(٢) التفسير المنسوب الى الامام العسكري عليه السلام: ص ٤٥٣، وقريب منه في تفسير النووي:

ج ١ ص ٢٥، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٦٢.

وقوله: «مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين» يعني القرآن .
ونصب مصدقاً على الحال. والهاء في قوله: «نزله على قلبك» يا محمد
«مصدقاً لما بين يديه» يعني القرآن، ويعني مصدقاً لما سلف من كتب الله
امامه التي انزلها على رسله وتصديقاً لها، موافقةً لمعانها في الأمر باتباع النبي
صلّى الله عليه وآله، وما جاء به من عند الله. وانما اضاف «هدى وبشرى
للمؤمنين» من حيث كانوا المهتدين به، والعالمين العاملين به على ما بيناه
فيما مضى^(١).

قوله تعالى:

مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ
عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٨١﴾ آية .

المعنى:

وقد بينا اختلاف القراء في جبريل وميكائيل - وان كانا من جملة
الملائكة - فانما افردا بالذكر، لاجل أمرين:

أحدهما: ذكرنا لفضلها ومنزلتها، كما قال: «فيها فاكهة ونخل
ورمان»^(٢) ولما تقدم من فضلها، وأن الآية نزلت فيها وفيما جرى من
ذكرهما .

والثاني: ان اليهود لما قالت: جبريل عدونا وميكايل ولينا خصاً
بالذكر، لئلا يزعم اليهود أن جبريل وميكايل مخصوصان من جملة الملائكة،

(١) ج ١ ص ٣٦٦.

(٢) الرحمن: ٦٨.

وغير داخلين في جملتهم، فنصّ الله تعالى عليهما لابطال ما يتأولونه من التخصيص، ثم قال: «فإن الله عدو للكافرين» ولم يقل لهما، فكّرر اسم الله لثلا يظنّ أنّ الكناية راجعة الى جبرائيل أو ميكائيل. ولم يقل: (لهم) لأنه يجوز أن ينتقلوا عن العداوة بالايان .

وفي هذه الآية دلالة على خطأ من قال من المجبّرة: إن الأمر ليس بمحدث احتجاجاً بقوله: «ألا له الخلق والأمر»^(١) قالوا: فلما أفرّد الأمر بالذكر بعد ذكره الخلق دلّ على أنّ الأمر ليس بمخلوق، ولو كان الأمر على ما قالوه لوجب أن لا يكون جبريل وميكائيل من الملائكة. ونظير ذلك أيضاً قوله: «واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح»^(٢) .

قوله تعالى:

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿١١١﴾ آية

بلا خلاف .

المعنى:

معنى الآيات يحتمل أمرين:

أحدهما: ذكره البلخي وجماعة من أهل العلم، يعني سائر الآيات المعجزات التي أعطاها الله النبي صلى الله عليه وآله من الآيات: القرآن وما فيه، وغير ذلك من الدلالات^(٣). [ثانيها]: وقال بعضهم: هو الإخبار عما غمض مما في كتب الله السالفة من التوراة والانجيل وغيرهما^(٤). وقال ابن

(٣) لم نعث عليه.

(١) الاعراف: ٥٤.

(٤) كالطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٤٩.

(٢) الاحزاب: ٧.

عباس: ان ابن صوريا القطراني قال لرسول الله صَلَّى الله عليه وآله: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل عليك من آية بينة فنتبعك لها، فأنزل الله في ذلك «ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون»^(١) فان قال بعض اليهود: انتم مقرون بآياتنا ونحن نجحد بآياتكم، فحججتنا لازمة لكم لأنها مردودة الى ما تعرفونه. قيل لهم: فيجب على هذا ألا يكون لكم حجة على الدهرية والبراهمة والثنوية لأنهم لا يعترفون بآياتكم، وانما قال: «وما يكفر بها إلا الفاسقون» ولم يقل: الكافرون، وان كان الكفر أعظم من الفسق، لاحد أمرين:

[الأول]: أنه عنى الخارجين عن أديانهم وإن اظهروا انهم يتمسكون بها، لأن اليهود قد خرجت بالكفر بالنبي عليهم السلام من شريعة موسى، والفسق هو الخروج عن أمر الله الى ما يعظم من معصيته.

والثاني: انه أراد الفاسقين المتمردين في كفرهم؛ لأن الفسق لا يكون إلا أعظم الكبائر، فان كان في الكفر فهو أعظم الكفر، وان كان فيما دون الكفر فهو أعظم المعاصي. هذا يجيء على مذهب الحسن لأنه ذكر إن الفاسقين عنى به جميع من كفر بها^(٢).

و«قد» يدخل في هذا الكلام أحد أمرين: أحدهما لقوم يتوقعون الخبر أو لقرب الماضي من الحال، تقول: قد ركب الأمير وجاء زيد، وقد عزم على الخروج، أي عازماً عليه، وهي هاهنا مع لام القسم على هذا تقديره قوم يتوقعون الخبر، لأن الكلام اذا أخرج ذلك المخرج كان أوكد وأبلغ.

(١) أسباب النزول للواحي: ص ١٩.

(٢) حكاة الزمخشري في الكشاف: ج ١ ص ١٧١.

والآية هي العلامة التي فيها عبرة، وقيل (١): العلامة هي الحجة. والبيّنة الدلالة الفاصلة بين القضية الصادقة والكاذبة مأخوذة من ابانة أحد الشيثين عن الآخر فيزول التباسه به.

قوله تعالى:

أَوْ كَلَّمَآ عَهْدًا وَعَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ آية واحدة.

الإعراب:

الواو في قوله: «أو كلمّا» عند سيبويه (٢) وأكثر النحويين (٣) واو العطف، إلّا أنّ الف الاستفهام دخلت عليها لأن لها صدر الكلام، وهي أو الاستفهام بدلالة ان الواو يدخل على هل؛ لأن الألف أقوى منها. قال الزجاج وغيره: تقول: وهل زيد عاقل، ولا يجوز: وأزيد عاقل (٤). وقال بعضهم: يحتمل أن تكون زائدة كزيادة الفاء في قولك: أفالله لتصنعن (٥).

والأول أصحّ لأنّه لا يحكم بالزيادة مع وجود معنى من غير ضرورة، والعطف على قوله: «خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا» (٦) «أو كلمّا عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم» وانما اتصل ذكر

(١) لم نعر عليه.

(٢) كتاب سيبويه: ج ٣ ص ١٨٧.

(٣) كالقراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٩٨ ذيل آية ١٧٠ سورة البقرة.

(٤) معاني القرآن: ج ١ ص ١٨١.

(٥) معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٣٢٦.

(٦) البقرة: ٩٣.

العهد بما قبله لأحد أمرين: أحدهما: بقوله: «وإذا أخذنا ميثاقكم»، والثاني: أنهم كفروا بنقض العهد كما كفروا بالآيات .

المعنى واللغة:

والمراد بالعهد هاهنا الميثاق الذي أخذه الله ليؤمننّ بالنبي الأمي على قول ابن عباس^(١)، وقال أبو علي^(٢): المعني به العهد التي كانت اليهود أعطوها من أنفسهم في أيام انبيائهم، وفي أيام نبينا محمد صلى الله عليه وآله؛ لأنهم كانوا عاهدوه أنهم لا يعينوا عليه أحداً فنقضوا ذلك وأعانوا عليه قرشاً يوم الخندق .

وقوله: «نبذه» النبذ والطرح والالقاء نظائر. قال صاحب العين^(٣): والنبذ طرحك الشيء عن يدك امامك أو خلفك . والمنابذة انتباز الفريقين للحرب، تقول: نبذنا إليهم على سواء أي نابذناهم الحرب، والمنبذون هم الأولاد الذين يطرحون والنبذ معروف، والفعل نبذت لي ولغيري وأنبذت خاصة لنفسني، والمنابذة في البيع منهي عنها وهي كالرمي؛ كأنه إذا رمى إليه وجب له، وسمي النبيذ نبذاً لأن التمر كان يلقي في الجرة وغيرها، وهي فعل بمعنى مفعول، وأصاب الأرض نبذة من المطر أي قليل . قال قتادة: معنى نبذه في الآية نقضه^(٤) . وقيل: تركه^(٥) . وقيل:

(١) تفسير ابن عباس: ص ١٥، قريب منه.

(٢) لا توجد لدينا تأليفاته.

(٣) العين للفراهيدي: مادة «نبذ» ج ٨ ص ١٩١.

(٤) حكاة الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٥١.

(٥) كأبي عبيدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٤٨.

ألقاه^(١)، والمعنى متقارب، قال أبو الاسود الدؤلي:

نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلأ اخلقت من نعالكا^(٢)
وقوله: «بل أكثرهم» الهاء والميم عائدتان على المعاهدين، ولا يصلح
على الفريق اذ كانوا كلهم غير مؤمنين. وأما المعاهدون: فهم من آمن
كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما. وانما دخلت «بل» على قوله:
«أكثرهم لا يؤمنون» لأمرين:

أحدهما: أنه لما قال: «نبذه فريق منهم» دلّ على انه كفر ذلك الفريق
بالنقض، وحسن هذا التفصيل لأن منهم من نقض عناداً ومنهم من نقض
جهلاً.

والوجه الثاني: كفر فريق منهم بالنقض وكفر أكثرهم بالجدد للحق،
وهو أمر النبي صلى الله عليه وآله وما يلزم من اتباعه والتصديق به.
وقيل^(٣): بل يعني أنّ الفريق وان كانوا هم المعاندون والجميع كافرون،
كما تقول: زيد كريم بل قومه جميع كرام.

وقوله: «أو كلما» نصب على الظرف، والعامل فيه نبذ، ولا يجوز ان
يعمل فيه عاهدوا لأنه متمم لما إما صلة وإما صفة.

* * *

(١) صاحب مقاييس اللغة: مادة «نبذ» ج ٥ ص ٣٨.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج ١ ص ٤٨.

(٣) حكاه ابن عطية في المحرر الوجيز: ج ١ ص ٣٦٦.

قوله تعالى:

وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذُوا فِرَقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١١﴾ آية .

المعنى:

قال السدي وأكثر المفسرين: المعنى بالرسول محمد صلى الله عليه وآله (١). وقال بعضهم: يجوز أن يعني به هاهنا الرسالة (٢)، كما قال كثير: فقد كذب الواشون ما بحت عندهم بليلى ولا ارسلتهم برسول (٣) وهذا ضعيف، لأنه خلاف الظاهر قليل الاستعمال. والكتاب يحتمل ان يراد به التوراة، ويحتمل ان يراد به القرآن. قال السدي: نبذوا التوراة واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت (٤). يعني أنهم تركوا ما تدل عليه التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وآله . وقال قتادة وجاعة من أهل العلم: إن ذلك الفريق كانوا معاندين (٥). وقال ابو علي: لا يجوز على جماعتهم أن يكتموا ما علموا مع كثرة عدوهم، واختلاف همهم؛ لأنه خلاف العادة، ولكن يجوز على الجمع الكثير ان يتواطوا على الكتمان، ولذلك قال: «فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٥٢ ، وتفسير النووي: ج ١ ص ٢٦.

(٢) حكاه أبو حيان في البحر المحیط: ج ١ ص ٣٢٤، وقال به أبو عبيدة في مجاز القرآن: ج ٢

ص ٨٤.

(٣) ديوانه: ص ١٧٨.

(٤) تفسير النووي: ج ١ ص ٢٦، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٣٥٢.

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٥٢.

الله»^(١) .

وقوله: «مصدق لما معهم» يحتمل أمرين: أحدهما: مصدق لما معهم لأنه جاء على الصفة التي تقدمت بها البشارة. والثاني: انه مصدق بالتوراة انها حق من عند الله، والأول أحسن لأن فيه حجة عليهم وعبرة لهم .

وقال الحسن: «مصدق لما معهم» من التوراة والانجيل^(٢) وقال غيره: يصدق بالتوراة لان الأخبار هاهنا عن اليهود دون النصارى^(٣) .

وانما قال: «نبذ فريق منهم من الذين أوتوا الكتاب» ولم يقل منهم اذ تقدم ذكرهم لأحد أمرين:

أحدهما: انه لما أريد علماء أهل الكتاب أعيد ذكرهم لاختلاف المعنى على قول البلخي^(٤) .

والثاني: انه للبيان. وكان يجوز النصب في مصدق، لان كتاباً قد وصف، لانه من عند الله، على ما قاله الزجاج^(٥) .

وقوله: «كأنهم لا يعلمون» فعناه انهم يعلمون وكأنهم لكفرهم وكتمانهم لا يعلمون .

* * *

(١) و(٢) لم نعر على قولها.

(٣) كالنوي في تفسيره: ج ١ ص ٢٦، والطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٥٢.

(٤) لا توجد لدينا مؤلفاته.

(٥) معاني القرآن: ج ١ ص ١٨٢.

قوله تعالى:

وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرُوا سُلَيْمَنَ وَلَٰكِنَ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ ۚ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَٰكِنَّ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ آية بلا

خلاف .

القراءة:

قرأ ابن عامر وحمة والكسائي وخلف «ولكن الشياطين» «ولكن الله قتلهم» «ولكن الله رمى» بتخفيف النون من (لكن) وكسرهما في الوصل ورفع الاسم بعدها، الباقون بالتشديد^(١). وروي ثنية «الملكين» بكسر اللام هاهنا حسب^(٢).

المعنى:

واختلفوا في المعنى بقوله: «واتبعوا» على ثلاثة أقوال: فقال ابن جريج وابن اسحاق: المراد به اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وآله^(٣). وقال الجبائي: المراد به اليهود الذين كانوا في زمن سليمان^(٤).

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ج ١ ص ٢٥٦.

(٢) أمالي المرتضى: ج ١ ص ٤٢٢ نقلاً عن ابن عباس.

(٣) أحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٥٥، وفي الخطبة والحجربة أبو اسحاق والصحيح ما أثبتناه.

(٤) ذكره القاضي عبد الجبار في متشابه القرآن: ج ١ ص ١٠٠.

وقال قوم: المراد به الجميع، وهو قول المتأخرين، قال: لأن متبعي السحر من اليهود لم يزالوا منذ عهد سليمان إلى أن بعث محمد صلى الله عليه وآله (١).
وروي عن الربيع: أن اليهود سألو محمداً صلى الله عليه وآله زماناً عن أمور من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سألو عنه فيخبرهم فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما انزل علينا منا وأنهم سألوه عن السحر وخاصموه به، فأنزل الله عز وجل «واتبعوا ما تنزل الشياطين على ملك سليمان» (٢).

ومعنى «تتلو» قال ابن عباس: تتبع (٣) لأن التالي تابع. وقال بعضهم: يُدعى (٤)، وليس بمعروف. وقال قتادة (٥)، وعطا (٦): معناه تقرأ من تلوت كتاب الله أي قرأته. وقال تعالى: «هنالك تتلو كل نفس ما أسلفت» (٧) أي تتبع، وقال حسان بن ثابت:
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد (٨)
والذي تتلوه هو السحر على قول ابن اسحاق وغيره من أهل العلم (٩).

(١) الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٥٤.

(٢) حكاية الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٥٣.

(٣) ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة: مادة «تلو» ج ١٤ ص ٣١٩.

(٤) أمالي المرتضى: ج ١ ص ٤٢٣.

(٥) حكاية الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٥٥.

(٦) ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة: مادة «تلو» ج ١٤ ص ٣١٩.

(٧) يونس: ٣٠.

(٨) ديوانه: ص ٥٣، مع تفاوت يسير.

(٩) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٥٩.

وقال بعضهم: الكذب (١).

ومعنى قوله: «على ملك سليمان» على عهد سليمان. قال ابن اسحاق وابن جريج: في ملك سليمان حين كان حياً، وهو قول المبرد (٢). وقال قوم: إنما قال: «تتلو على ملك» لأنهم كذبوا عليه بعد وفاته، كما قال: «ويقولون على الله الكذب» وقال: «أتقولون على الله ما لا تعلمون» (٣) وقال الشاعر:

عرضت نصيحة مني ليحيى فقال غششتني والنصح مرّ
وما بي ان اكون اعيب يحيى ويحيى طاهر الاخلاق برّ
ولكن قد اتاني ان يحيى يقال عليه في نفعاء شرّ (٤)
فاذا صدق قيل: تلا عنه، واذا كذب قيل: تلا عليه، واذا أبهم جاز فيه الأمران.

وقوله: «الشياطين» قال قوم: هم شياطين الجن، لأن ذلك هو المستفاد من اطلاق هذه اللفظة (٥). وقال بعضهم: المراد به شياطين الانس المتمردة في الظلالة (٦)، كما قال جرير:

أيام يدعونني الشيطان من غزلي وكن يهويني اذ كنت شيطانا (٧)

(١) ذكره القاضي عبد الجبار في متشابه القرآن نقلاً عن أبي مسلم: ج ١ ص ١٠٢، وكذا في اعراب القرآن للزجاج: ج ٢ ص ٦٩٦.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٥٦.

(٣) ذكره الجصاص في أحكام القرآن: ج ١ ص ٥٥، والآيتان من آل عمران: ٧٥، والأعراف:

(٤) لم نعرف قائله.

(٥) و(٦) أحكام القرآن: ج ١ ص ٥٦.

(٧) ديوانه: ص ٤٩٣، وفيه «أزمان» بدل «أيام».

وقوله: «وما كفر سليمان» وإن لم يجر لذلك ذكر يكون هذا تكذيباً له، فعناه أنّ اليهود اضافوا الى سليمان السحر وزعموا ان ملكه كان به، فبرأه الله مما قالوا، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة^(١).

وقال ابن اسحاق: قال بعض أحبار اليهود: ألا تعجبون من محمد صلى الله عليه وآله يزعم أن سليمان كان نبياً والله ما كان إلا ساحراً، فأنزل الله تعالى «وما كفر سليمان»^(٢).

وقيل: تقدير الكلام واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر، فتضيفه الى سليمان «وما كفر سليمان» لأن السحر لما كان كفراً نفى الله تعالى عنه ذلك على المعنى وإن كانوا لم يضيفوا اليه كفراً، والسبب الذي لاجله اضافت اليهود الى سليمان السحر، أنّ سليمان جمع كتب السحر تحت كرسيه موقيل: في خزائنه - لئلا يعمل به فلما مات وظهر عليه قالت الشياطين: بهذا كان يتم ملكه، وشاع في اليهود وقبلوه، لعداوتهم لسليمان. وقيل: انهم وضعوا كتاب السحر بعد سليمان و اضافوه اليه وقالوا: بهذا كان يتم له مكان فيه، فكذبهم الله تعالى في ذلك، ونفى عنه ذلك^(٣).

اللغة:

والسحر والكهانة والحيلة نظائر، يقال: سحره يسحره سحراً، واسحرنا اسحاراً، وسحره تسحيراً. قال صاحب العين^(٤): السحر عمل يقرب الى

(١) و(٢) أنظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٥٦-٣٥٨، وأحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٥٥.

(٣) حكاه الجصاص في أحكام القرآن: ج ١ ص ٥٥ و٥٦، وفي أسباب النزول للواحدي: ص ١٩ نقلاً

عن الكلبي.

(٤) العين للفراهيدي: مادة «سحر» ج ٣ ص ١٣٥.

الشیطان. كل ذلك يكتبونه السحر. ومن السحر الاخذة التي تأخذ العين حتى يظن إن الأمر كما ترى - وليس الأمر كما ترى - والجمع الأخذ. والسحر البيان من اللفظ كما قال النبي صلى الله عليه وآله: إن من البيان لسحراً^(١)، والسحر فعل السحر في شيء يلعب به الصبيان اذا مد خرج على لون، فاذا مد من جانب آخر خرج على لون آخر يسمى السحارة، والسحر العدو، قال امرؤ القيس:

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب^(٢)
وقال ليبد:

فان تسألينا مم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر^(٣)
وقوله: «انما انت من المسحرين»^(٤) يعني من المخلوقين. وفي تمييز العربية هو المخلوق الذي يطعم ويسقى، والسحر آخر الليل بالتنوين، قال الطرماع:

بان الخليط بسحرة فتبددوا والدار تشعب بالخليط وتبعد^(٥)
وتسخرنا اكلنا سحوراً، واسحرنا كقولك: اصبحنا. والسحر الرثة مخفف، وما يتعلق بالخلقوم، ويقال للجبان اذا جبن: انتفخ مسحره، واستحر الطائر اذا غلبه بسحر.

واصل الباب الخفاء. والسحر قيل^(٦): الخفاء سببه توهم قلب الشيء

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ١ ص ٣٩٧ وج ٤ ص ٢٦٣، وأحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٤٢.

(٢) ديوانه: ص ٧٢، والعين: مادة «سحر» ج ٣ ص ١٣٥.

(٣) ديوانه: ص ٧١.

(٤) الشعراء: ١٥٣ و ١٨٥.

(٥) تهذيب اللغة: مادة «خلط» ج ٧ ص ٢٣٥، وأساس البلاغة: ص ١١٨.

(٦) قريب منه في أحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٤٢.

عن حقيقته كفعّل السحرة في وقت موسى لما أوهوا أنّ العصا والحبال صارت حيواناً، فقال: «يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى»^(١).

التفسير:

وقوله: «لكن الشياطين كفروا» قيل فيه ثلاثة أقوال^(٢):

أحدها: أنهم كفروا بما نسبوه الى سليمان من السحر.

والثاني: أنهم كفروا بما استخرجوه من السحر.

والثالث: معناه ولكن الشياطين سحروا، فعبر عن السحر بالكفر.

وقوله: «يعلمون الناس السحر» قيل فيه قولان^(٣):

أحدهما: أنهم القوا السحر اليهم فتعلّموه.

[والثاني: أنهم دلّوه على استخراجهم من تحت الكرسي فتعلّموه]^(٤).

وقوله: «وما أنزل على الملكين» قال ابن عباس وقتادة وابن زيد

والسدي: أنّ (ما) بمعنى الذي^(٥). وقال الربيع في إحدى الروايتين عن ابن

عباس: أنها بمعنى الجحد^(٦). وروي عن القاسم بن محمد: أنها تحتل

الامرئين^(٧).

(١) طه: ٦٦.

(٢) أنظر تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٣٥٦، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٦٤.

(٣) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٦٥.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخ وأثبتناه من مجمع البيان.

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٥٩.

(٦) أمالي المرتضى: ج ١ ص ٤٢١.

(٧) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٦١.

وموضع (ما) نصب عطفًا على السحر، وقيل^(١): أنها عطف على (ما) في قوله: «ما تتلو الشياطين». وقال بعضهم: موضعها جر، عطف على «ملك سليمان» وعلى «ما أنزل»^(٢).

ومن قرأ بكسر اللام في الملكين قال: هما من ملوك بابل وعلوجها وهو قول أبي الأسود الدؤلي^(٣) والربيع^(٤) والضحاك^(٥)، وبه قرأ الحسن البصري^(٦)، ورواها عن ابن عباس^(٧)، واختلف من قال بهذا، فقال قوم: كانا مؤمنين، ولذلك نها عن الكفر. وقال قوم: أنها كانا نبيين من أنبياء الله^(٨). ومن قرأ بالفتح قال قوم منهم: كانا ملكين. وقال آخرون: كانا شيطانين. وقال قوم: هما جبريل وميكائيل خاصة^(٩).

واختلفوا في بابل فقال قوم: هي بابل العراق لأنها تبلبل بها الألسن، وروي ذلك عن عائشة وابن مسعود. وقيل: بابل دماند، ذكره السدي^(١٠). وقال قتادة: هي من نصيبين إلى رأس العين^(١١). وقال الحسن:

(١) الفريدي في اعراب القرآن: ج ١ ص ٣٤٩.

(٢) اعراب القرآن للزجاج: ج ٢ ص ٦٩٦، والنووي في تفسيره: ج ١ ص ٢٧.

(٣) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٦٥.

(٤) لم نثر على قوله في المصادر المتوفرة.

(٥) أحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٥٦.

(٦) تنزيه القرآن عن المطاعن: ص ٢٨.

(٧) أمالي المرتضى: ج ١ ص ٤٢٢، وفي شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٦.

(٨) حكا القولين النووي في تفسيره: ج ١ ص ٢٧.

(٩) اعراب القرآن للزجاج: ج ٢ ص ٦٩٥، وأمالي المرتضى: ج ١ ص ٤٢٢.

(١٠) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٦٥.

(١١) المحرر الوجيز: ج ١ ص ٣٦٩، وتفسير القرطبي: ج ٢ ص ٥٣.

ان المملكين ببابل الكوفة الى يوم القيامة، وان من اتاهما سمع كلامهما ولا يراهما^(١)، وبابل بلد لا ينصرف .

وقيل في معنى السحر اربعة اقوال:

أحدها: انه خدع ومخارق وتمويهات لا حقيقة لها يخيل الى المسحور أن لها حقيقة..

والثاني: أنه أخذ بالعين على وجه الحيلة .

والثالث: انه قلب الحيوان من صورة الى صورة وانشاء الاجسام على وجه الاختراع فيمكن الساحر أن يقلب الانسان حمراً وينشئ اجساماً .

والرابع: انه ضرب من خدمة الجن كالذي يسك له التجدل فيصرع، وأقرب الأقوال الأول؛ لأن كل شيء خرج عن العادة الخارقة فانه لا يجوز أن يتأتى من الساحر. ومن جواز للساحر شيئاً من هذا فقد كفر، لانه لا يمكنه مع ذلك العلم بصحة المعجزات الدالة على النبوات لأنه أجاز مثله من جهة الحيلة والسحر.

وقوله: «وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر» يتصل

قوله: «فلا تكفر» بأحد ثلاثة أشياء: أحدها: فلا تكفر بالعمل بالسحر.

والثاني: فلا تكفر بتعلم السحر ويكون مما امتحن الله عز وجل به كما امتحن بالنهر في قوله: «فمن شرب منه فليس مني»^(٢). وثالثها: فلا تكفر بواحد منها للتعلم للسحر والعمل به .

فان قيل: كيف يجوز ان يعمل الملكان السحر؟

(١) لم نعثر عليه في المصادر المتوفرة.

(٢) البقرة: ٢٤٩.

قيل : يعلمان ما السحر وكيف الاحتيال به ليجتنب ، ولئلا يتموه على الناس انه من جنس المعجزات التي تظهر على يد الانبياء فيبطل الاستدلال بها .

وقال جماعة من المفسرين منهم ابو علي وغيره : انزلها الله من السماء وجعلها بهيئة الانس حتى بينا للناس بطلان السحر^(١) . وقال الحسن وقتادة : اخذ عليها ألا يعلماه «حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر»^(٢) .
وقوله : «وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر» على قول من جعل «ما» جحداً .

وقوله : «وما انزل على الملكين» يحتمل ان يكون ذلك من قول هاروت وماروت وليس ملكين ، كما يقول الغاوي الخليع : أنا في ضلال فلا ترد ما أنا فيه فيقر بالذنب وهو يأتبه ، والتقدير على هذا : «ولكن الشياطين كفروا» هاروت وماروت . فمن قرأ الملكين - بفتح اللام - وهو قراءة الجمهور ، اختلفوا فمنهم من قال : إن سحرة اليهود زعموا أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل الى سليمان فأكذبهم الله بذلك ، وفي الكلام تقديم وتأخير ، فتقديره : وما كفر سليمان وما أنزل على ملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمان الناس السحر ببابل هاروت وماروت وهما رجلان ببابل غير الملكين ، اسم احدهما هاروت والآخر ماروت ، ويكون هاروت وماروت بياناً عن الناس .

وقال قوم : ان هاروت وماروت ملكان من الملائكة^(٣) ، واختلفوا في

(١) اعراب القرآن للزجاج : ج ٢ ص ٦٩٥ .

(٢) تفسير الطبري : ج ١ ص ٣٦٧ .

(٣) أحكام القرآن : ج ١ ص ٥٦ ، وتفسير النووي : ج ١ ص ٢٧ .

سبب هبوطهما على قولين:

فقال قوم: ان الله اهبطهما ليأمرنا بالدين وينها عن السحر؛ لأن السحر كان كثيراً في ذلك الوقت^(١)، ثم اختلفوا فقال قوم: كانا يعلمان الناس كيفية السحر وينهيانهم عن فعله، ليكون النهي بعد العلم به، لأن من لا يعرف الشيء فلا يمكنه اجتنابه^(٢). وقال قوم آخرون: لم يكن للملكين تعليم السحر ولا إظهاره لما في تعليمه من الاغراء بفعله^(٣). والثالث: هبطا لمجرد النهي اذ كان السحر فاشياً.

وقال قوم: كان سبب هبوطهما ان الملائكة تعجبت من معاصي بني آدم مع كثرة نعم الله عليهم، فقال لهم: اما لو كنتم مكانهم لعلتم مثل اعمالهم، فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا، فأمرهم ان يختاروا ملكين ليهبطا الى الارض فاختاروا هاروت وماروت، فأهبطا الى الارض، وركب فيها شهوة الطعام والشراب والنكاح، واحلّ لهما كل شيء بشرط الا يشركا بالله ولا يشربا الخمر ولا يزنيا ولا يقتلا النفس التي حرم الله، فعرضت لهما امرأة للحكومة فالا اليها، فقالت لهما: لا اجيبكما حتى تعبدا صنماً وتشربا الخمر وتقتلا النفس، فعبدا الصنم وواقعاها وقتلا سائلاً مَرَّبَها خوفاً أن يشهر أمرهما في حديث طويل لا فائدة في ذكره، قال كعب: فوالله ما أمسيا من يومهما الذي أهبطا فيه حتى استكملا جميع ما نها عنهُ، فتعجبت الملائكة من ذلك ثم لم يقدر هاروت وماروت على الصعود الى السماء وكانا يعلمان الناس السحر. ومن قال بعصمة الملائكة لم يجز هذا الوجه. وقال قوم من

(١) اعراب القرآن للزجاج: ج ٢ ص ٦٩٥.

(٢) معاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ١٨٣.

(٣) اعراب القرآن للزجاج: ج ٢ ص ٦٩٦.

أهل التأويل: ان ذلك على عهد ادريس^(١).

اللغة:

أما قوله: «انما نحن فتنة».

فالامتحان والفتنة والاختبار نظائر، يقال: فتنه فتنة وافتتن افتتاناً، وقال ابو العباس: فتن الرجل وأفتن بمعنى اختبر^(٢). وتقول: فتننت الرجل وأفنتته. ولغة قریش: فتنته، قال الله تعالى: «وفتناك فتوناً»^(٣) وقال: «ولقد فتنا سليمان»^(٤)، وقال أعشى همدان:

لئن فتننتني فهي بالأمس افتنتت سعيداً فأمسى قد قلا كلّ مسلم^(٥)
فجاء باللغتين، وقوله تعالى: «وظنّ داود أنما فتناه»^(٦) اي اختبرناه.
ويقال: فتننت الذهب في النار اذا اختبرته فيها لتعلم أخالص هو أم مشوب، ف قيل لكل ما أحيت في النار: فتنته، وتقول: فتننت الخبزة في النار اذا أنضجتها، ومثله يقال في اللحم. وقوله: «والفتنة أشدّ من القتل»^(٧)
أي الكفر أشدّ من القتل. والفتن في الدين والحروب. وقولهم: فتنه السوط أشدّ من فتنه السيف ومعناه اختبار السوط أشدّ لأن فيه تعذيباً مطاولاً.

(١) انظر شعب الايمان: ج ١ ص ١٨٠-١٨١ ح ١٦٢ و١٦٣، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٦٦، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٣٦٣-٣٦٤.

(٢) نسبة في تهذيب اللغة الى ابن الانباري: مادة «فتن» ج ١٤ ص ٢٩٩.

(٣) طه: ٤٠.

(٤) ص: ٣٤.

(٥) العين: مادة «فتن» ج ٨ ص ١٢٨، بتفاوت يسير.

(٦) ص: ٢٤.

(٧) البقرة: ١٩١.

وقوله: «يوم هم على النار يفتنون»^(١) أي يشؤون من قولك: فتننت الخبز، والمعنى الصحيح انهم يعذبون بكفرهم، يقال: فتن الكافر العذاب وأفتنته أي جزاه بفتنته، كقولك: كذب واكذبت، وكل من صبأ فقد فتن، وقوله: «بأيكم المفتون»^(٢) قال الأخفش: معناه الفتنة فهو مصدر كقولك: رجل ليس له معقول، وخذ ميسوره ودع معسوره^(٣)، وأبى ذلك سيبويه وقال: خذ ميسوره أي ما تيسر له، وليس له مرفوع أي ما يرفع^(٤).

قال صاحب العين: فتن فلان فتوناً فهو فاتن أي مفتن، وقوله: «وما انتم عليه بفاتنين» أي مضلين عن الحسن ومجاهد^(٥)، وأصل الباب الاختبار.

ومعناه في الآية: انما نحن اختبار وبلوى وامتحان فلا تكفر، وقال قتادة: «انما نحن فتنة» أي بلاء^(٦). ويحتمل أن يكون معناه انها كانا كافرين فيكون معنى قولهما: «انما نحن فتنة» أي شيء عجيب مستطرف، كما يقال للمرأة الحسناء، إنها فتنة من الفتن، ويكون قوله: «فلا تكفر» على هذا الوجه يعني بما جئناك به، بل صدق به واعمل عليه.

وقوله: «حتى يقولوا» يحتمل أمرين:
أحدهما: انّ حتى بمعنى إلّا، وتقديره: وما يعلمان من أحد إلّا أن يقولوا

(١) الذاريات: ١٣.

(٢) القلم: ٦.

(٣) تهذيب اللغة: مادة «فتن» ج ١٤ ص ٢٩٩، ومعاني القرآن للفراء: ج ٣ ص ١٧٣.

(٤) الكتاب لسيبويه: ج ٤ ص ٩٧.

(٥) العين: مادة «فتن» ج ٨ ص ١٢٧.

(٦) احكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٥٧.

انما نحن فتنه فلا تكفر، ويكون ذلك زيادة في الابتلاء من الله في التكليف .
والثاني: انه نفي لتعليمها الناس السحر، وتقديره: ولا يعلمان أحداً
السحر فيقولان انما نحن فتنه فلا تكفر، فعلى هذا يكون تعليم السحر من
الشياطين والنهي عنه من الملكين .

وقوله: «فيتعلمون» قال قوم: معنى تعلم واعلم واحد^(١)، كما جاء
علمت واعلمت وفهمت وافهمت، كما قال كعب بن زهير:
تعلم رسول الله إنك مدركي وان وعيداً منك كالأخذ باليد^(٢)
وقال القطامي:

تعلم ان بعد الغي رشداً وان لهذه الغبر انقشاعا^(٣)
ومنه من قال: تعلم بمنزلة تسبب الى ما به تعلم من النظر في الأدلة
وليس في اعلم ذلك ، لأنه قد ينبئهم على ما يعلمه بالتأمل له، كقوله: اعلم
أنّ الفعل يدل على الفاعل وما لم يسبق المحدث فهو محدث، والأول كقوله:
تعلم النحو والفقه .

فان قيل: كيف يفرق بين المرء وزوجه؟

فلنا فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: انه اذا تعلم السحر كفر فحرمت عليه امرأته .

والثاني: ان يمشي بينها بالتميمة حتى يفسد بينهما، فيفضي الى الطلاق
والبينونة .

(١) تهذيب اللغة: مادة «علم» ج ٢ ص ٤١٧، وأما في المرتضى: ج ١ ص ٤١٨ .

(٢) أمالي المرتضى: ج ١ ص ٤١٨ .

(٣) أمالي المرتضى: ج ١ ص ٤١٨، وفيه: «وان لتانك» بدل «وانّ لهذه» .

والثالث: قال قتادة وغيره: يُوجد كل واحد منها على صاحبه ويبغضه اليه^(١).

وقيل: انه كان من شرع سليمان إن من تعلم السحربانت منه زوجته^(٢).

وقوله: «منها» الضمير قيل: انه راجع الى الملكين^(٣). وقيل: بل الى الكفر والسحر^(٤)، لانه تقدم الدليل عليهما في قوله: «ولكن الشياطين كفروا» كما جاء «سيدكر من يخشى * ويتجنبها الأشقي»^(٥) أي يتجنب الذكري. ومن قال: الملائكة معصومون، يقول: الكناية ترجع الى الكفر والسحر لا غير دون الملكين، فكأنه قيل: «فيتعلمون» مكان ما علماهم ما يفرقون به بين المرء وزوجه، كقول القائل: ليت لنا من كذا وكذا كذا أي بدله، قال الشاعر:

جمعت من الخيرات وطباً وعلبة وصرأ لأخلاف المزممة البزل
ومن كل اخلاق الكرام نميمة وسعياً على الجار المجاور بالتجل^(٦)
يريد جمعت مكان خيرات الدنيا هذه الخيرات الرديئة، والافعال الدنيئة.

وقوله: «يفرقون به بين المرء وزوجه» فالمرء تأنيثه المرأة. قال صاحب

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٦٩.

(٢) حكاة السيد المرتضى في أماليه: ج ١ ص ٤٢٤.

(٣) معاني القرآن للقرءاء: ج ١ ص ٦٤، واعراب القرآن للزجاج: ج ٢ ص ٥٦٨.

(٤) أمالي المرتضى: ج ١ ص ٤٢٠، واعراب القرآن للزجاج: ج ٢ ص ٥٦٨.

(٥) الأعلى: ١٠-١١.

(٦) أمالي المرتضى: ج ١ ص ٤٢١، وفيه «بالحل» بدل «بالنجل».

العين: امرأة تأنيث المرء، ويقال: مَرَّةً بلا ألف^(١). والمرأة مصدر الشيء المريء الذي يستمرأ، يقال: ما كان مريئاً ولقد مرؤ واستمرأته وهو المريء للطعام، وأصل الباب المريء، فقولهم امرأة كقولهم جارية أي جرت في النور والشباب. فأما امرأ الطعام فانه يجري وينفذ في مجاريه ولا يقف. وكذلك المرأة تجري في السن الى حد، وقُرئ في الشواذ بين المرء - بضم الميم - وهي لغة هذيل.

اللغة:

وقوله: «وما هم بضارين به من أحد».

فالضرر والألم والأذى نظائر، والضرر نقيض النفع، يقال: ضره يضره ضراً، واضربه إضراراً، واستضر استضراراً، واضطر اضطراراً، وضاره مضارة وضاراً. قال صاحب العين^(٢): الضَّرُّ والضَّرُّ لغتان، فإذا جمعت الضر والنفع فتحت الضاد. والضرر نقصان يدخل في الشيء، يقال: دخل عليه ضرر في ماله. والضرورة اسم لمصدر الاضطرار. والضرير المذهب البصر من الناس، تقول: رجل ضرير بين الضرارة، والضراء من الضر وقوم أضرأ.

والضرر مصدر أضره مضارة، وفي الحديث: «لا ضرر ولا ضرار»^(٣) وإذا ضرَّ به المرض قيل: ضرير، وامرأة ضريرة. والضرير اسم للمضارة وأكثر ما

(١) العين: مادة «مرء» ج ٨ ص ٢٩٩.

(٢) العين: مادة «ضر» ج ٧ ص ٦.

(٣) الكافي: كتاب المعيشة، باب الضرارح ٢، ٦، ٨ ج ٥ ص ٢٩٢، وفي مسند أحمد بن حنبل:

يستعمل في الغيرة، تقول: ما أشدَّ ضريره عليها، قال الشاعر يصف حمراً وحشياً:

* حتى إذا مالان من ضريره ^(١) *

والضربتان امرأتان للرجل والجمع الضرائر. والضربتان الالية من جانبي عظمها، وهما الشحمتان اللتان تهدلان من جانبيها، وضرة الابهام لحمه تحتها، وضرة الضرع لحمه تحتها، والضر الهزال، وضرير الوادي جانباه وكل شيء دنا منك حتى يزحك فقد أضربك. وأصل الباب الانتقاص.

وقوله: «من أحد إلّا بإذن الله» يحتمل أمرين:
أحدهما: بتخليفة الله.

والثاني: الا يعلم الله من قوله: «فاذنوا بحرب من الله» ^(٢) معناه اعلّموا بلا خلاف، ويقال: أذنت آذن اذنًا، قال الخطيب:

ألا ياهند إن جددت وصلاً والا فاذنني بانصرامي ^(٣)
وقال الحارث بن حلزة:

* آذنتنا بينها اساء ^(٤) *

معناه أعلمتنا. والإذن في اللغة على ثلاثة أقسام:
أحدها: بمعنى العلم وذكرنا شاهده.

والثاني: الإباحة والاطلاق، كقوله: «فانكحوهن باذن أهلهن» ^(٥)،

(١) العين: مادة «ضر» ج ٧ ص ٧، والبيت لرؤبة.

(٢) البقرة: ٢٧٩.

(٣) لم نعر عليه في ديوانه، وانشده الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٦٩.

(٤) شرح المعلقات السبع للزوزني: ص ٢١٦، وعجز البيت هكذا:

ربّ ثاوِملّ منه التواء.

(٥) النساء: ٢٥.

وقوله: «يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم» (١).
والثالث: بمعنى الأمر، كقوله: «نزل على قلبك بإذن الله» (٢) وقد
أجمعت الأمة على أنه لم يأمر بالكفر، ولم يتجه نفي القسم الثالث. ولا يجوز
أن يكون المراد «إلا بأذنه» إلا بارادته ومشئته لأن الإرادة لا تسمى إذناً.
ألا ترى أن من أراد الشيء من غيره أن يفعله لا يقال أذن له فيه فبطل ما
قالوه.

وقد روي عن سفيان إلا بقضاء الله (٣). وقال بعض من لا معرفة له:
الاذن بمعنى العلم بفتح الهمزة والذال دون الاذن بكسر الهمزة وسكون
الذال (٤) وهذا خطأ؛ لأن الإذن مصدر يقال فيه: أذن وإذن مثل حذر
وحذر، وقال تعالى: «خذوا حذركم» (٥) ويجوز فيه لغتان مثل: شبه وشبه
ومثل ومثل، وقال هذا القائل: من شاء الله يمنعه فلم يضره السحر، ومن
شاء خلى بينه وبينه يضره (٦).

وقوله: «لا ينفعهم».

فالنفع نقيض الضر، والنفع والمنفعة واللذة نظائر، يقال: نفع ينفع نفعاً
فهو نافع، وانتفع فلان بكذا وكذا، ورجل نفاع ينفع الناس، وأصل النفع
ضد الضر.

(١) النور: ٥٨.

(٢) البقرة: ٩٧.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٦٩.

(٤) حكاه السيد المرتضى في أماليه: ج ١ ص ٣٩.

(٥) النساء: ١٠٢ و ٧١.

(٦) حكاه الجصاص في أحكام القرآن: ج ١ ص ٥٨، نقلاً عن الحسن.

وحدة النفع هو كل فعل يكون الحيوان به ملتذاً، إما لأنه لذّة أو يؤدي الى اللذة، والمضرة كل معنى يكون الحيوان به ألماً، إما لأنه ألم أو يؤدي الى الألم.

والهاء في قوله: «لمن اشتراه» عائدة الى السحر.

المعنى:

والمعنى لقد علمت اليهود أن من استبدل السحر بدين الله ما له في الآخرة من خلاق، وهو قول ابن زيد وقتادة^(١) وقال قوم من المفسرين كأبي علي وغيره: كانوا يعطون عليه الأجرة فذلك اشتراؤهم له^(٢). والخلاق النصيب من الخير، وهو قول مجاهد وسفيان^(٣). وقال قوم: ما له من حجة^(٤). وقال الحسن: ما له من دين^(٥). قال أمية بن أبي الصلت: يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم إلا سراويل من قطر وأغلال^(٦) يعني لا نصيب لهم في الآخرة من الخير، ومعنى «شروا به أنفسهم» باعوا به أنفسهم، في قول السدي وغيره^(٧).

فان قيل: كيف قال: «لو كانوا يعلمون» وقد قال قبله: «ولقد علموا»

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٧٠، وأحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٥٨.

(٢) لم نثر عليه.

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٧٠ و٣٧١، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٦٨.

(٤) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٧١ نقلاً عن قتادة، وفي المطبوعة «جهة» بدل «حجة» والصحيح ما أثبتناه.

(٥) تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ١١١.

(٦) ديوانه: ص ٤٧.

(٧) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٧١، وحكاية الجصاص في أحكام القرآن: ج ١ ص ٥٨.

لمن اشتراه؟

قلنا: عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: إنهما فريقان: فريق علموا وعاندوا، وفريق علموا وضيعوا.

والثاني: انهم فريق واحد إلا أنهم دُفِّموا في أحد الكلامين بنفي العلم؛ لأنه بمنزلة المنتفي، وأخبر عن حالهم في الآخرة، وتقديره: أنهم علموا قدر السحر ولم يعلموا أنَّ هلاكهم بتصديقهم واستعماله، أو لم يعلموا كنه ما أعدَّ الله من العذاب على ذلك، وإن علموه على وجه الجملة.

و[الثالث]: قال قوم: هو مقدم ومؤخر، وتقديره: وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولبس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق^(١).

وقال بعضهم: هما جميعاً خبر عن فريق واحد وأراد بقوله: «ولبس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون» أي لو كانوا يعلمون بما علموه فعبّر عن المعلوم بالعلم^(٢)، كما قال كعب بن زهير المزني يصف ذنباً وغراباً تبعاه لينالا من طعامه وزاده:

إذا حضراتي قلت لو تعلمانه ألم تعلماني من الزاد مرملة^(٣)
فأخبر انه قال لها: لو تعلمانه ففني عنها العلم ثم استخبرهما فقال: ألم تعلمنا، وكذلك الآية. وقال قوم: إن الذين علموا الشياطين والذين لم يعلموا

(١) حكاه الطبري في التفسير: ج ١ ص ٣٧١.

(٢) حكاه السيد المرتضى في أماليه: ج ١ ص ٤٢٤.

(٣) ديوانه: ص ٥١، وأما المرتضى: ج ١ ص ٤٢٤.

الناس دون الشياطين^(١).

الاعراب :

فان قيل : ما معنى «لمن اشتراه» وأين جوابها إن كانت شرطاً؟
قلنا : عنه جوابان: أحدهما: أنها بمعنى الجزاء. والآخر: بمعنى الذي في
قول الزجاج^(٢)، وجوابها مكتفى منه جواب القسم، كما قال: «لئن أُخرجوا
لا يخرجون معهم»^(٣) ولذلك رفع قالوا، ولا يجوز الجزم إلا في ضرورة
الشعر، كما قال الشاعر:

لئن كان ما حدثته اليوم صادقاً أصمّ في نهار القيظ للشمس بادياً^(٤)
والوجه لأصومن ولا يجوز لأصوم إلا في ضرورة الشعر، كما قال:
لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم ليعلم ربي إنّ بيتي واسع^(٥)
قالوا: وإن جزمت الأول جاز جزم الثاني، كقولك: لئت تقم لا نقم
إليك .

وقوله: «فيتعلمون» يجوز أن يكون عطفاً على فيأتون فيتعلمون، وقد دل
أول الكلام على يأتون. وقيل: فيعلمون الناس السحرفيتعلمون وكلاهما
ذكره الكسائي والفراء^(٦) وانكر الزجاج القول الأخير، لأجل قوله: «منها»

(١) حكاه السيد المرتضى في أماليه: ج ١ ص ٤٢٤.

(٢) معاني القرآن: ج ١ ص ١٨٧.

(٣) الحشر: ١٢.

(٤) معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٦٧.

(٥) معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٦٦.

(٦) معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٦٤، والاملاء للعكبري: ج ١ ص ٥٥.

أي من الملكين وأجاز القول الأول واختار قولاً ثالثاً وهو يعلمان فيتعلمون^(١).

والذي أنكره يجوز إذا كان «منها» راجعاً الى السحر والكفر، ولا يجوز ان يكون «فيتعلمون» جواباً لقوله: «فلا تكفر» فينصب لأن تقديره: لا يكن كفر فتعلم، كما تقول: لا تدن من الأسد فيأكلك أي لا يكن دنوفاً كل، فهذا نهي عن دنو يقع بعده أكل. وإنما النهي في الأول عن الكفر بتعلم السحر للعمل. وليس يصلح للجواب على هذا المعنى، ولا يجوز أن يكون جواباً للنفي في قوله: «وما يعلمان»، لأن لفظه على النفي ومعناه الإيجاب، كأنه قيل: يعلمان اذا قالنا نحن فتنة فلا تكفر.

فان قيل: ما اللام الأولى في قوله: «ولقد علموا» وما الثانية في قوله: «لمن اشتراه» ومثله قوله: «ولئن جئتهم بآية ليقولن»^(٢).

قيل: الثانية لام القسم بالاجماع، قال الزجاج: لأنك إنما تحلف على فعلك لا على فعل غيرك في قولك: والله لئن جئتني لا كرمتك.

فأما الأولى فزعم بعض النحويين أنها لما دخلت في أول الكلام أشبهت لام القسم، فأجيب بجوابه، قال الزجاج: هذا خطأ، لأن جواب القسم لا يشبه القسم، ولكن اللام الأولى دخلت إعلماً أن الجملة بكاملها معقودة بالقسم؛ لأن الجزاء وان كان القسم عليه فقد صار للشرط فيه حظ، ولذلك دخلت اللام^(٣) قال الرماني: هذا الذي ذكره لا يبطل شبهها

(١) معاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ١٨٥.

(٢) الروم: ٥٨.

(٣) معاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ١٨٧.

بالقسم لأنها للتوكيد كما انه للتوكيد، فكأنه قال: والله إن اتيتني لا كرمتك .

بحث فقهي :

والظاهر في روايات اصحابنا ان الساحر يجب قتله^(١) . وفيه خلاف، ذكرناه في الخلاف^(٢) .

وقال أبو علي: من قال: انه يقلب الاجسام وينشئها يجب قتله ان لم يتب؛ لانه مرتد كافر بالأنبياء، لأنه لا يجد بين ما ادعى وبين آياتهم فضلاً، وأما من قال: إنه يمويه ويمخرق فأنه يؤدب فلا يقتل^(٣) . وأما الروايات التي في ان الملكين أخطأ وركبا الفواحش، فانها أخبار آحاد، من اعتقد عصمة الملائكة يقطع على كذبها، ومن لم يقطع على ذلك جوز أن تكون صحيحة ولا يقطع على بطلانها .

والذي نقوله ان كان الملكان رسولين فلا يجوز عليهما ذلك ، وان لم يكونا رسولين جاز ذلك وان لم نقطع به وقد بينا الكلام عليه فيما مضى . فأما ما روي^(٤) من أن النبي صلى الله عليه وآله سحر وكان يرى انه فعل [به] ما لم يفعله وانه لم يفعل ما فعله، فأخبار آحاد لا يلتفت اليها، حاشا النبي

(١) الكافي: كتاب الحدود باب حد الساحر ج ٧ ص ٢٦٠، وفي التهذيب: كتاب الحدود ب ١٠

من الزيادات ح ١٤، ١٥، ١٦، ١٧ ج ١٠ ص ١٤٧ .

(٢) الخلاف: كتاب كفارة القتل م ١٥ ج ٣ ص ١٦٢ .

(٣) لم نعر عليه .

(٤) أنظر مسند أحمد بن حنبل: ج ٤ ص ٣٦٧، ج ٦ ص ٥٧، ٦٣، وذكره في الخلاف أيضاً:

كتاب كفارة القتل ذيل م ١٤ ج ٣ ص ١٦٢ .

صلى الله عليه وآله من كل صفة نقص اذ تنفر من قبول قوله، لأنه حجة الله على خلقه، وصفيه من عباده واختاره الله على علم منه، فكيف يجوز ذلك مع ما جتبه الله من الفظاظ والغلظة وغير ذلك من الأخلاق الدنيئة والخلق المشينة، ولا يجوز ذلك على الأنبياء إلا من لم يعرف مقدارهم ولا يعرفهم حقيقة معرفتهم، وقد قال الله تعالى: «والله يعصمك من الناس»^(١) وقد أكذب الله من قال: ان يتبعوا إلا رجلاً مسحوراً، فقال: «وقال الظالمون ان تتبعون إلا رجلاً مسحوراً»^(٢) فنعوذ بالله من الخذلان، ونحمده على التوفيق لما يرضاه.

و«لكن» مشددة ومخففة معناهما واحد، قال الكسائي: والذي اختارته العرب اذا كانت (ولكن) بالواو مشددة، واذا كانت بلا واو اختاروا التخفيف، وكل صواب^(٣)، وقرئ بغير ما اختاروه اتباعاً للأخبار في القراءة.

قوله تعالى:

وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

﴿١١٣﴾ آية بلا خلاف.

الإعراب:

الضمير في قوله: «ولو انهم آمنوا» عائذ على الذين يتعلمون السحر. قال

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) الفرقان: ٨.

(٣) لم نثر على قول الكسائي ولكن وجدناه في معاني القرآن للفراء ذيل آية ٤٤ من سورة يونس: ج ١

ص ٤٦٥، كما ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة: مادة «لكن» ج ١٠ ص ٢٤٨.

الحسن: تعلموا ان ثواب الله خير لهم من السحر^(١). وأما جواب (لو) فللنحوين فيه قولان: فالبصريون يذهبون الى ان جوابه محذوف، وتقديره: ولأُثْبِوا، وأوقع لمثوبة من عند الله موقعه لدلالته عليه^(٢). وقال بعضهم: التقدير: ولو انهم آمنوا واتقوا لأُثْبِوا، ثم قال: «ولمُثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون» أي لو كانوا يستعملون ما يعلمون، وليس انهم كانوا يجهلون ذلك، كما يقول الانسان لصاحبه وهو يعظه: ما أدعوك اليه خير لك لو كنت تعقل أو تنظر في العواقب والفكر فيها.

وقال الفراء: الجواب في «لمُثوبة»، لأن «لو» أشبهت «لئن» من حيث كان لكل^(٣) واحد منهما جزء، فلما اشبهتها أُجيبَت بجوابها، فالمعنى لئن آمنوا لمُثوبة^(٤)، فعلى القول الأول لا يجوز: لو أتاني زيد لعمر وخير منه. وعلى الثاني يجوز. ولو قلت: لو أتاني زيد لاكرامي خير له اجاز على الوجهين. واللام التي في (لمُثوبة) لام الابتداء؛ لأنها دخلت على الاسم كما دخلت في (علمت لزيد خير منك). ولو جازها هنا لام القسم لنصبت الاسم في علمت.

المعنى:

فان قيل: ما معنى قول الله تعالى: «لمُثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون» وهو خير علموا أو لم يعلموا؟

(١) معاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ١٨٧، ولم ينسبه لأحد.

(٢) معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٣٢٩.

(٣) في النسخة الخطية والحجرية والمطبوعة «كل»، والصحيح ظاهر ما أثبتناه.

(٤) لم نثر عليه للفراء الكوفي، وقد نسب الطبري الى بعض البصريين في تفسيره: ج ١ ص ٣٧٣.

قيل : لو كانوا يعلمون لظهر لهم بالعلم ذلك ، أي لعلموا أن ثواب الله خيرٌ من السحر. وقال أبو علي: المعنى في ذلك الدلالة على جهلهم والترغيب لهم في أن يعلموا ذلك ، وأن يطلبوا ما هو خير لهم من السحر وهو ثواب الله الذي ينال بطاعته واتباع مرضاته . وفيه دلالة على بطلان قول أصحاب المعارف لأنهم لو كانوا عارفين على ما يقولونه لما قال : «لو كانوا يعلمون» .

والمثوبة الثواب، في قول قتادة والسدي والربيع^(١) والثواب هو الجزاء على العمل بالإحسان وهو منافع مستحقة يقارنها تعظيم وتبجيل .

اللغة :

والمثوبة والثواب والأجر نظائر، ونقيض المثوبة العقوبة، يقال: ثاب يثوب ثوباً وإثابة، وأثابه إثابةً وثوباً ومثوبة واستثابة، وثوب تثويماً .

والتواب في الأصل معناه ما رجع اليك من شيء، تقول: اعترت الرجل غشية ثم ثابت اليه نفسه، ولذلك صار حق الثواب الجزاء؛ لأنه العائد على صاحبه مكافأة لما فعل. ومنه التثويب في الأذان وغيره وهو ترجيع الصوت، ولا يقال ذلك للصوت مرة واحدة، ويقال: ثوب الداعي اذا كرر دعاءه الى الحرب أو غيرها، ويقال: انهزم القوم ثم ثابوا أي رجعوا، والثوب مشتق من هذا لأنه ثاب لباساً بعد أن كان قطعاً أو غزلاً، والثيب التي قد تزوجت بوجه ما كان، ولا يوصف به الرجل إلا أن تقول: ولد الثيبين وولد البكرين. والمثابة الموضع الذي يثوب اليه الناس، قال الله

تعالى: «وإذ جعلنا البيت مثابة للناس»^(١) أي مجتمعاً بعد التفرق وإن لم يكن تفرقوا من هناك فقد كانوا متفرقين ثم ثابوا إليه، ويقال: ثاب الحوض ثوباً إذا امتلأ أو كاد يمتلئ. وأصل الباب الثوب الرجوع.

القراءة:

قرأ قتادة «المشوبة» بسكون الثاء وفتح الواو وهي لغة جازت على الأصل، كما قالوا: مشورة ومشورة - بفتح الواو وسكون الشين وضّم الشين وسكون الواو^(٢) - والفراء على خلافه. والعرب مجمعون على إلقاء الألف من قولهم: هذا خير منك وشر منك، إلا بعض بني عامر يقولون: ما أريد خيراً أخير من ذا، وقال بعضهم أيضاً: هذا أشمر من ذا^(٣) والوجه طرح الألف.

قوله تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنْظُرْنَا وَاسْمَعُوا
وَاللَّكَفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ آية بلا خلاف.

اللغة:

المراعاة التفقد للشيء في نفسه أو أحواله. والمراعاة والتحفظ والمحافظة والمراقبة نظائر، ونقيض المراعاة الإغفال، يقال: رعى يرعى رعيّاً، والرعي ما تأكله الماشية من نبات الأرض، ورعى الله فلاناً إذا حفظه، ورعيت له

(١) البقرة: ١٢٥.

(٢) مختصر في شواذ القرآن: ص ١٦.

(٣) حكاة الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «خير» ج ٧ ص ٥٥٣.

عهده وحقه بعده أو في من خلف، وأرعيته سمعي اذا أصغيت اليه، وراعيته نفسي اذا لاحظته، وجمع الراعي رعاء ورعاة ورعيان، والرعاية فعل الراعي يرعاها رعاية اذا ساقها وسرحها وأراحها فقد رعاها، وكل من ولي قوماً فهو راعيهم وهم رعيته، والمرعي من الناس المسوس، والراعي السائس ويقال: فلان يراعي كذا معناه ينظر الى ما يصير اليه أمره، ورعيت النجوم أي رقيبتها، واسترعاه الله خلقه أي ولاه أمرهم ليرعاهم. والارعاء الابقاء على أخيك .

وتقول: أراعيني سمعك أي اسمع يا فلان، وكان المسلمون يقولون: يا رسول الله راعنا أي استمع منا، فحرّفت اليهود فقالوا: يا محمد راعنا وهم يلحدون الى الرعونة يريدون به النقيصة والوقية، فلما عوتبوا قالوا: نقول كما يقول المسلمون، فهي الله عن ذلك فقال: «يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا» .

ورجل ترعية الذي لم تزل صنعته وصنعة آبائه الرعاية، قال الشاعر:
يسوسها ترعية حاف فضل إن رعت صلاً وإلاً لم يصل^(١)
وأصل الباب الرعي الحفظ .

المعنى :

وأما الآية فللمفسرين فيها ثلاثة أقوال :
قال ابن عباس^(٢) ومجاهد^(٣): «لا تقولوا راعنا» أي لا تقولوا: اسمع

(١) ذكر صدره في العين: مادة «رعى» ج ٢ ص ٢٤١ .

(٢) و(٣) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٦٩ .

مَتَا وَنَسْمَعُ مِنْكَ . وَقَالَ عَطَاءُ : «لَا تَقُولُوا رَاعِنَا» أَي لَا تَقُولُوا خِلَافاً^(١) .
وَرَوَى ذَلِكَ أَيْضاً عَنْ مُجَاهِدٍ^(٢) . وَهَذَا لَا وَجْهَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَرَادَ (رَاعِنَا)
بِالتَّنْوِينِ . وَقِيلَ : مَعْنَاهُ أَرْقَبْنَا^(٣) قَالَ الْأَعَشَى :

يُرْعِي إِلَى قَوْلِ سَادَاتِ الرِّجَالِ إِذَا ابْدَأُوا لَهُ الْحَزْمَ أَوْ مَا شَاءَ ابْتَدَعَا^(٤)
يَعْنِي يَصْغِي ، وَقَالَ الْأَعَشَى أَيْضاً :

فَضَلَلْتُ أَرْعَاهَا وَظَلَّ يَحُوطُهَا حَتَّى دَنَوْتُ إِذَا الظَّلَامُ دَنَا لَهَا^(٥)
وَالسَّبَبُ الَّذِي لِأَجْلِهِ وَقَعَ النِّهْيُ عَنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ قِيلَ فِيهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ :
أَحَدُهَا : مَا قَالَهُ قَتَادَةُ وَعَطِيَّةُ : إِنَّهَا كَلِمَةٌ كَانَتْ تَقُولُهَا الْيَهُودُ عَلَى وَجْهِ
الاسْتَهْزَاءِ^(٦) .

[الثاني] : وَقَالَ عَطَاءُ : هِيَ كَلِمَةٌ كَانَتْ الْأَنْصَارُ تَقُولُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ،
فَنُهِوا عَنْهَا فِي الْإِسْلَامِ^(٧) .

[الثالث] : وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : إِنَّ مُشْرِكِي الْعَرَبِ كَانُوا إِذَا حَدَّثَ
بَعْضُهُمْ بَعْضاً يَقُولُ أَحَدُهُمْ لِصَاحِبِهِ : ارْعِنَا سَمْعاً ، فَنُهِوا عَنْ ذَلِكَ^(٨) .

[الرابع] : وَقَالَ السَّيِّدِي : كَانَ ذَلِكَ كَلَامَ يَهُودِيٍّ بَعِيْنُهُ يُقَالُ لَهُ :
رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ يَرِيدُ بِذَلِكَ الرِّعُونَةَ ، فَنُهِى الْمُسْلِمُونَ عَنْ ذَلِكَ^(٩) .

(١) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٦٩ .

(٢) تفسير مجاهد: ص ٢١٠ .

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٧٥ .

(٤) ديوانه: ص ١٠٩ .

(٥) ديوانه: ص ١٥٠ .

(٦) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٧٤، وحكاها الجصاص في أحكام القرآن: ج ١ ص ٥٨ .

(٧) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٦٩ .

(٨) و (٩) حكاهما الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٧٤ .

[الخامس]: وقال ابو علي: قد بين الله عز وجل؛ إنها كلمة كانت اليهود تلوي بها ألسنتهم في قوله: «من الذين هادوا يحرقون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً في الدين»^(١)، وهو قول ابن عباس وقتادة^(٢).

وقيل: «لا تقولوا راعنا» من المراعاة والمكافأة، فأمرُوا أن يخاطبوا النبي صلى الله عليه وآله بالتوقير والتعظيم، أي لا تقولوا: راعنا سمعك حتى نفهمك وتفهم عنا^(٣).

وقال ابو جعفر عليه السلام: هذه الكلمة سبّ بالعبرانية اليه كانوا يذهبون^(٤). قال الحسين بن علي المغربي: فبحشتهم عن ذلك فوجدتهم يقولون: راع رن، قال: على معنى الفساد والبلاء، ويقولون: (انا) بتفخيم النون واشمامها بمعنى لأن مجموع اللفظين واللفظتين فاسد، لأن لما عوتبوا على ذلك قالوا إنا نقول كما يقول المسلمون فنهى المسلمون عن ذلك.

ولما كان معنى (راعنا) يراد به النظر قال: قولوا عوضها: أنظرنا، أي انظر إلينا، «واسمعوا» ما يقوله لكم الرسول.

وروي عن الحسن انه كان يقرأ «راعناً» بالتنوين بمعنى لا تقولوا قولاً راعناً، يعني من الرعونة وهي الحق والجهل^(٥). وهذا شاذ لا يؤخذ به، وفي

(١) النساء: ٤٦.

(٢) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٦٩.

(٣) معاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ١٨٨.

(٤) لم نعر عليه في المراجع الحديثة، وقريب منه في تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٤٧٨

منسوباً الى الامام موسى بن جعفر (ع).

(٥) شواذ القرآن: ص ١٦، ومعاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ١٨٨.

قراءة ابن مسعود (راعونا) خطاب من جماعة لجماعة بمبراعاتهم^(١). وهذا أيضاً شاذ.

ومعنى «أنظرونا» يحتمل أمرين:

أحدهما: انتظرونا نفهم ونتبين ما تعلمنا، يقال منه: نظرت الرجل انظره نظرة بمعنى انتظرته وارتقبته، ومنه قوله: «انظرونا نقتبس»^(٢) أي انتظرونا. والثاني: قال مجاهد: معناه فقهنا وبيّن لنا يا محمد^(٣). وقيل: معناه أقبل علينا.

وقوله: «واسمعوا» يحتمل أمرين:

أحدهما: قال الحسن والسدي: إن معناه اسمعوا ما يأتيكم به الرسول^(٤).

والثاني: ما قال أبو علي: معناه اقبلوا ما يأمركم به الرسول، من قوله: سمع الله لمن حمده، وسمع الله دعاك [أي] قبله. وقال علقمة والحسن والضحاك: كل شيء من القرآن: «يا أيها الذين آمنوا» فانه نزل بالمدينة^(٥).

* * *

(١) شواذ القرآن: ص ١٦، ومعاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٦٩، وفي المطبوعة «راعنا» وهو خطأ والصحيح ما أثبتناه.

(٢) الحديد: ١٢.

(٣) تفسير مجاهد: ص ٢١٠.

(٤) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٧٧.

(٥) المستدرک «للحاكم النيسابوري»: كتاب الهجرة ج ٣ ص ١٨ أخرجه عن علقمة عن عبد الله بن مسعود، وأنظر علوم القرآن «للزركشي»: ج ١ ص ١٨٧.

قوله تعالى:

مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ آية واحدة بلا خلاف .

الإعراب:

معنى «ما يود» ليس يحب، يقال منه: وده يوده وداً ووداداً، والمودة المحبة .

«ولا المشركين» في موضع جر بالعطف على أهل الكتاب، وتقديره: ولا من المشركين .

وقوله: «أن ينزل» في موضع نصب بقوله: «يود» .

وانما ذموا على ذلك وان كان ذلك ميل الطباع، لأن ذلك في دلالة على أنهم فعلوا كراهية لذلك وتعرضوا بذلك لعداوة المؤمنين، وكان الذم عليهم لذلك، ولورفع «المشركين» عطفاً على «الذين كفروا» كان جائزاً ولكن لم يقرأ به أحد .

ومثله في احتماله الأمرين قوله: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء» (١) - بخفض الراء وفتحها - وقرئ بهما .

و«من» في قوله: «(من خير)» زائدة مؤكدة، كقولك: ما جاءني من أحد، وموضعها رفع، قال أبو ذؤيب:

جزيتك ضعيف الود لما استبتته وما إن جزاك الضعف من أحد قبلي^(١)
وأما «من» في قوله: «من ربكم» فلا بداء الغاية، والتي في قوله:
«من أهل الكتاب» فالتنوين، مثل التي في قوله: «فاجتنبوا الرجس من
الأوثان»^(٢).

المعنى واللغة:

قوله: «يختص برحمته من يشاء» روي عن علي عليه السلام وإبي
جعفر الباقر عليه السلام انه أراد النبوة، وبه قال الحسن وأبو علي والرماني
والبلخي وغيرهم من المفسرين^(٣)، وقال يختص بها من يشاء من عباده،
وروي عن ابن عباس انه أراد دين الاسلام^(٤)، وهذا بعيد؛ لأنه تعالى
وصف ذلك بالانزال وذلك لا يليق إلا بالنبوة.

والاختصاص بالشيء هو الانفراد به والاختصاص له مثله، وضد
الاختصاص الاشتراك، ويقال: خصّ خصوصاً وتخصّص تخصّصاً
وخصمه تخصيماً، وكلمة خاصة من ذلك، وكلمة عامة ووسائط من
ذلك، ويقال: خصّه بالشيء يخصّه خصاً اذا وصله به، وخصان الرجل
من يختصه من إخوانه، والخصائص الفرج، والخصاصة الحاجة، والخص
شبه كوة تكون في قبة أو نحوها اذا كان واسعاً قدر الوجه، وقال الرازي:

(١) مجاز القرآن: ج ١ ص ٤٩، مع تفاوت يسير.

(٢) الحج: ٣٠.

(٣) انظر تفسير أبي حيان: ج ١ ص ٣٤١، وتفسير القرطبي: ج ٢ ص ٦١، وتفسير الطبري: ج ١

ص ٣٧٨.

(٤) تفسير ابن عباس: ص ١٦.

وان خصاص ليلهنّ استدا ركن في ضلعمائه ما اشتدا^(١)
شبه القمر بالخصاص، وكل خلل أو خروق تكون في السحاب أو
النخل تسمى الخصاصة، والخصائص فُرج بين الأثافي .

وأصل الباب الانفراد بالشيء، فنه الخصائص الفرّج لأنه انفراد كل
واحد عن الآخر من غير جمع بينهما، ويقال: اختصصته بالفائدة واختصصت
بها انا، كقولك: أفردته بها وانفردت بها .

وتقدير الآية: ما يحب الكافرون من أهل الكتاب ولا المشركين بالله
من عبدة الأوثان أن ينزل عليكم شيئاً من الخير الذي عنده والخير الذي
تمنوه ألا ينزله الله عليهم ما أوحى الى نبيه، وأنزله عليه من الشرائع والقرآن
بغياً منهم وحسداً .

«والله ذو الفضل العظيم» خير منه تعالى ان كلّ خير ناله عباده في
دينهم ودنياهم فإنّه من عنده ابتداء وتفضلاً منه عليهم من غير استحقاق
منهم ذلك عليه .

قوله تعالى:

مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ آية بلا خلاف .

القراءة:

قرأ ابن عامر إلّا الداجوني عن هشام «ما ننسخ» بضمّ النون وكسر
السين، الباقون بفتحها. وقرأ ابن كثير وابو عمرو «ننساها» بفتح النون

والسين واثبات الهمزة الساكنة بعد السين، الباقون بضم النون وخفض السين بلا همزة^(١).

اللغة :

النسخ والبدل والحلف نظائر، يقال: نسخ نسخاً، وانتسخ انتساختاً، واستنسخ استنسخاً، وتناسخوا تناسخاً، وناسخ ناسخة. قال ابن دريد: كل شيء خلف شيئاً فقد انتسخه، ونسخت الشمس الظل، وانتسخ الشيب الشباب^(٢).

وقال صاحب العين: النسخ ان تزيل أمراً كان من قبل يعمل به ثم تنسخه بحادث غيره، كالأية نزل فيها أمر ثم يخفف الله عن العباد بنسخها بآية أخرى، فالآية الأولى منسوخة والثانية ناسخة، وتناسخ الورثة أن تموت ورثة بعد ورثة. وأصل الميراث قائم لم يقسم؛ وكذلك تناسخ الأزمنة من القرون الماضية^(٣).

وأصل الباب الابدال من الشيء غيره.

بحث في النسخ:

وقال الرماني: النسخ الرفع لشيء قد كان يلزمه العمل به الى بدل، وذلك كنسخ الشمس بالظل لأنه يصير بدلاً منها في مكانها^(٤) وهذا ليس

(١) كتاب السبعة في القراءات: ص ١٦٨، والحجة: ج ٢ ص ١٤١-١٤٦.

(٢) جهرة اللغة: مادة «حسن» ج ٢ ص ٢٢٢.

(٣) العين: مادة «نسخ» ج ٤ ص ٢٠١.

(٤) لم نعر عليه.

بصحيح لأنه ينتقض بمن تلزمه الصلاة قائماً ثم يعجز عن القيام، فانه يسقط عنه القيام لعجزه، ولا يسمى العجز ناسخاً ولا القيام منسوخاً. وينتقض بمن يستتبع بحكم العقل عند من قال بالاباحة، فاذا ورد الشرع يحظره، لا يقال: الشرع نسخ حكم العقل، ولا حكم العقل يوصف بأنه منسوخ، فاذا الأولى في ذلك ما ذكرناه في أول الكتاب^(١): وهو أنّ حقيقة كل دليل شرعي دلّ على ان مثل الحكم الثابت بالنص الأول غير ثابت فيما بعد على وجه لولاه لكان ثابتاً بالنص الأول مع تراخيه عنه، فاذا ثبت ذلك فالنسخ في الشرع على ثلاثة أقسام: نسخ الحكم دون اللفظ، ونسخ اللفظ دون الحكم، ونسخها معاً.

فالأول: كقوله: «يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين» الى قوله: «الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين»^(٢)، فكان الفرض الأول وجوب ثبات الواحد للعشرة، فنسخ بشبوت الواحد للثنين، وغير ذلك من الآي المنسوخ حكمها، وتلاوتها ثابتة كآية العدة وآية حبس من يأتي بالفاحشة، وغير ذلك.

والثاني: كآية الرجم^(٣). قيل: انها كانت منزلة فرفع لفظها وبقي حكمها^(٤).

(١) راجع الجزء الأول: ص ٢٨٤.

(٢) الأنفال: ٦٥-٦٦.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج ٥ ص ١٣٢ و ١٨٣، والموطأ: كتاب الحدود ج ١٠ ص ٢٨٤.

(٤) قاله أبو علي الفارسي في كتاب الحجّة: ج ٢ ص ١٤٢.

والثالث: هو مجوّز وان لم يقطع بأنه كان، وقد روي عن أبي بكر انه كان يقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر (١).
واختلفوا في كيفية النسخ على أربعة أوجه:
قال قوم: يجوز نسخ الحكم والتلاوة من غير افراد واحد منها عن الآخر.

وقال آخرون: يجوز نسخ الحكم دون التلاوة.
وقال آخرون: يجوز نسخ القرآن من اللوح المحفوظ، كما ينسخ الكتاب من كتاب قبله.
وقالت فرقة رابعة: يجوز نسخ التلاوة وحدها، والحكم وحده، ونسخهما معاً، وهو الصحيح.

وقد دللنا على ذلك وأفسدنا سائر الاقسام في العدة في أصول الفقه (٢).
وذلك ان سبيل النسخ سبيل سائر ما تعبد الله تعالى به وشرّعه على حسب ما يعلم من المصلحة فيه، فاذا زال الوقت الذي تكون المصلحة مقرونة به زال بزواله، وذلك مشروط بما في المعلوم من المصلحة به. وهذا القدر كافٍ في ابطال قول من أبى النسخ جملةً، واستيفائه في الموضع الذي ذكرناه.
وقد انكر قوم جواز نسخ القرآن (٣)، وفيما ذكرناه دليل على بطلان قولهم، وقد جاءت أخبار متظافرة بأنه كانت أشياء في القرآن نسخت تلاوتها، فمنها ما روي عن أبي موسى: (انهم كانوا يقرأون لو ان لابن آدم

(١) الحجّة: ج ٢ ص ١٤١.

(٢) عدة الأصول: ص ١٩٧.

(٣) حكاها الجصاص في احكام القرآن: ج ١ ص ٥٩.

وإدبين من مال لا يستغى اليها ثالثاً، لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب^(١)، ثم رفع .

وروي عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك أن السبعين من الأنصار الذين قتلوا ببئر معونة، قرأنا فيهم كتاباً: (بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) ثم إن ذلك رفع^(٢) .

ومنها الشيخ والشيخة^(٣) وهي مشهورة. ومنها ما روي عن أبي بكر أنه قال: كنا نقرأ: لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر^(٤). ومنها ما حكى: إن سورة الأحزاب كانت تعادل سورة البقرة في الطول^(٥)، وغير ذلك من الأخبار المشهورة بين أهل النقل^(٦) .

والخبر على ضربين:

أحدهما: يتضمن معنى الأمر بالمعروف، فما هذا حكمه يجوز دخول النسخ فيه .

والآخر: يتضمن الأخبار عن صفة الأمر لا يجوز تغييره في نفسه ولا يجوز أن يتغير من حسن إلى قبح أو قبح إلى حسن؛ فإن ذلك لا يجوز دخول النسخ فيه، وقد بينا شرح ذلك في العدة^(٧) .

(١) انظر صحيح مسلم: كتاب الزكاة ب ٣٩ ح ١١٩ ج ٢ ص ٧٢٦.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج ٣ ص ٢٥٥.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج ٥ ص ١٣٢، ١٨٣، وفي الموطأ: كتاب الحدود ح ١٠ ج ٢ ص ٨٢٤.

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ١٤١.

(٥) مسند أحمد بن حنبل: ج ٥ ص ١٣٢.

(٦) مسند أحمد بن حنبل: ج ٥ ص ١٣٢، وصحيح مسلم: كتاب الرضاع ب ٦ ج ٢ ص ١٠٧٥.

(٧) عُدة الأصول: ص ١٩١.

والأفعال على ثلاثة أقسام: أحدها: لا يكون إلّا حسناً. وثانيها: لا يكون إلّا قبيحاً. وثالثها: يحتمل الحسن والقبح بحسب ما يقع عليه من الوجه.

فالأول: كإرادة الأفعال الواجبة أو المندوبة التي لا يجوز تغييرها، كشكر المنعم وردّ الوديعة والاحسان الخالص، وغير ذلك .

والثاني: كإرادة القبيح وفعل الجهل .

والثالث: كسائر الأفعال التي تقع على وجه فتكون حسنة، وعلى آخر فتصير قبيحة .

فالأول والثاني لا يجوز فيه النسخ، والثالث يجوز فيه النسخ .

ومن قرأ نسخ - بفتح النون - فن نسخ الكتاب فأنا ناسخ، والكتاب منسوخ. ومن قرأ - بضم النون وكسر السين - فانه يحتمل فيه أمرين:

أحدهما: قال أبو عبيدة: ما ننسخك يا محمد، يقال: نسخت الكتاب، وانسخه غيري^(١) .

والآخر: نسخته جعلته ذا نسخ، كما قال قوم للحجاج وقد قتل رجلاً: أقبرنا فلاناً^(٢) أي جعله ذا قبر، يقال: قبرت زيداً اذا دفنته، وأقبره الله جعله ذا قبر، كما قال: «ثم أماته فأقبره»^(٣) .

وقوله: «أو ننسأها» فالنساء التأخير ونقيضه التقديم، يقال: انسأت الابل عن الحوض أنسأها نسأ اذا اخرتها عنه، وانتسأت عن الشيء اذا

(١) الحجة لابي علي الفارسي: ج ٢ ص ١٤٥ نقلاً عنه.

(٢) تهذيب اللغة: مادة «قبر» ج ٩ ص ١٣٨.

(٣) عبس: ٢١.

تباعدت عنه انتساءً، ونسأتُ الابلَ في ظمئها فأنا أنسوها نساً اذا زدتها في ظمئها يوماً أو يومين أو أكثر من ذلك، وظمؤها منعها الماء، ونسأت الماشية تنساً نساً اذا سمئت، وكل سمين ناسئ، وتأويلها: ان جلودها نسأت أي تأخرت عن عظامها، قاله الزجاج^(١)، وقال غيره: انما قيل ذلك لأنها تأخرت في المرعى حتى سمئت، ونسأت المرأة تنسئ نساً اذا تأخر حيضها عن وقته ورجي حملها، ويقال: أنسأت فلاناً البيع ونسأ الله في أجل فلان، وأنسأ الله أجله اذا أخر أجله. والنسيء تأخر الشيء ودفعه عن وقته، ومنه قوله تعالى: «انما النسيء زيادة في الكفر»^(٢) وهو ما كانت العرب تؤخر من الشهر الحرام في الجاهلية، ونسأت اللبن أنسوهُ نساً اذا أخذت حليباً وصببت عليه الماء، واسم ذلك: النسيء، والنسيء هذا سمي بذلك لأنه اذا خالطه الماء أخر بعض أجزاء اللبن عن بعض، قال الشاعر:

سقوني النسء ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور^(٣)

ويقال للعصاة: النسأة لأنها ينسأ بها أي يؤخر بها ما يساق عن مكانه، ويدفع بها الانسان عن نفسه، ونسأت ناقتي اذا رفعها في السير. وأصل الباب التأخير.

المعنى:

وقال الحسن في قوله: «ما ننسخ من آية أو ننسها»: إن نبيكم صلى الله عليه وآله أقرىء قرآنًا ثم نسيه فلم يكن شيئاً، ومن القرآن ما قد نسخ وأنتم

(١) لم نعر عليه في المصادر المتوفرة.

(٢) التوبة: ٣٧.

(٣) مقاييس اللغة: مادة «نسى» ج ٥ ص ٤٢٣، والبيت لعروة بن الورد.

تقرأونه^(١). وقال ابن عباس: «ما ننسخ من آية» أي ما نبدل من آية^(٢). ومن قرأ نساها بالهمز، فإن معناه تؤخرها من قولك: نساأت هذا الأمر أنسوهُ نساءً إذا أخرته، وبعته بنساءً أي بتأخير، وهو قول عطا وابن أبي نجيح ومجاهد وعطية وعبيد بن عمير^(٣). وعلى هذا يحتمل تؤخرها أمرين: أحدهما: فلا ننزلها، وننزل بدلاً منها ما يقوم مقامها في المصلحة، أو ما يكون أصلح للعباد منها. وهذا ضعيف؛ لأنه لا فائدة في تأخير ما لا يعرفه العباد ولا علموه ولا سمعوه.

والثاني: تؤخرها الى وقت ثانٍ فنأتي بدلاً منها في الوقت المقدم بما يقوم مقامها. فأما من حمل ذلك على معنى يرجع الى النسخ فليس يحسن، لأنه يصير تقديرها: ما ننسخ من آية أو ننسخها، وهذا لا يجوز. ومعنى قوله: «نأت بخير منها أو مثلها» قيل فيه قولان:

أحدهما: قال ابن عباس: نأت بخيرٍ منها لكم في التسهيل والتيسير^(٤)، كالأمر بالقتال الذي سهل على المسلمين بدلالة قوله: «الآن خفف الله عنكم»^(٥) أو مثلها كالعبادة بالتوجه الى الكعبة بعد ما كان الى بيت المقدس.

والوجه الثاني: بخير منها في الوقت الثاني، أي هي لكم خير من الأولى

(١) تفسيره: ج ١ ص ١١١.

(٢) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٧٠، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٣٧٨.

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ١٤٦، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٧١، والعين: مادة

«نساء» ج ٧ ص ٣٠٦.

(٤) احكام القرآن: ج ١ ص ٥٩.

(٥) الأنفال: ٦٦.

في باب المصلحة، أو مثلها في ذلك، وهو قول الحسن ^(١) وهذا الوجه اقوى، وتقديره كأن الآية الأولى في الوقت الثاني في الدعاء الى الطاعة والزجر عن المعصية مثل الآية الأولى في وقتها، فيكون اللطف بالثانية كاللطف بالأولى إلا أنه في الوقت الثاني يسهل بها دون الأولى .

وقال ابو عبيدة: معنى «ننساها» اي نغضيها فلا ننسخها ^(٢)، قال
طرفة:

أمون كألواح الأرانِ نسأتها على لاحبٍ كأنه ظهر بُرجِدٍ ^(٣)
يعني امضيته. ومن قرأ «نُسيها» بضم النون وكسر السين يحتمل
أمرين:

أحدهما: أن يكون مأخوذاً من النسيان إلا أنه لا يجوز أن يكون ذلك
من النبي صلى الله عليه وآله لأنه لا يجوز ذلك من حيث ينفر عنه، ويجوز
ذلك على الأمة بأن يؤمروا بترك قراءتها وينسونها على طول الأيام، ويجوز أن
ينسيهم الله تعالى ذلك وان كانوا جمعاً كثيراً، ويكون ذلك معجزاً بمعنى
الترك من قوله: «نسوا الله فنسيهم» ^(٤) والأول عن قتادة، والثاني عن ابن
عباس، وقال: معناه نتركها لا نبدها ^(٥).

وقال الزجاج: ننسها بمعنى نتركها خطأ، انما يقال: نسيت بمعنى تركت،

(١) أحكام القرآن: ج ١ ص ٥٩.

(٢) مجاز القرآن: ج ١ ص ٤٩.

(٣) ديوانه «شرح الشنتمري»: ص ١٢، وفي الخطبة «وعنس» بدل «أمون» وأمون الناقصة التي
يؤمن عثارها.

(٤) التوبة: ٦٧.

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٧٩، وتفسير ابن عباس: ص ١٦.

ولا يقال: انسييت بمعنى تركت، وانما معنى ننساها نتركها أي ان نأمرهم بتركها^(١).

قال الرماني: انما فسر المفسرون على ما يؤول اليه المعنى لأنه اذا امر بتركها فقد تركها.

فان قيل: اذا كان نسخ الآية رفعها وتركها فاما معنى ذلك إلا أن يترك، ولم جمع بينهما؟

قيل: ليس معنى تركها إلا أن يترك وقد غلط الزجاج في توهمه ذلك وانما معناه اقرارها فلا ترفع، كما قال ابن عباس: نتركها ولا نبدلها وانما قال: «ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير» تنبيهاً على انه يقدر على آيات وسور مثل القرآن ينسخ بها أمره لنا فيه بما أمرنا فيقوم في النفع مقام المنسوخ أو أكثر.

وقال بعضهم: معنى «أو» في الآية الواو، كأن قال: ما ننسخ من آية وننساها نأت بخير منها، فعلى هذا زالت الشبهة.

فان قيل: أي تعلق بين هذه الآية وبين التي قبلها؟

قلنا: لما قال في الآية الأولى: «ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم» دل في هذه الآية على انه جل وعز لا يخليهم من إنزال خير اليهم، خلاف ما يود اعداؤه لهم.

فان قيل: هل يجوز نسخ القرآن بالسنة أم لا؟

قلنا: فيه خلاف بين الفقهاء، ذكرناه في أصول الفقه^(٢)، وبين

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ١٩٠.

(٢) عدة الأصول: ص ٢٠٩.

أصحابنا أيضاً فيه خلاف إلا أن يقوى في النفس جواز ذلك . وقد ذكرنا أدلة الفريقين والشبه فيها في أصول الفقه لا يحتمل ذكرها هذا المكان . وإنما أجزنا ذلك ؛ لأن تلاوة القرآن والعمل بما فيه تابع للمصلحة ، ولا يمتنع ان تغيير المصلحة تارة في التلاوة فتتسخ وتارة في الحكم فينسخ وتارة فيهما فينسخان ، وكذلك لا يمتنع أن تكون المصلحة في أن تتسخ تارة بقرآن وتارة بالسنة المقطوع بها ، فذلك موقوف على الأدلة .

وقوله : «نأت بخير منها» لا يدل على أن السنة خير من القرآن ؛ لأن المراد بذلك نأت بخير منها في باب المصلحة ، على أن قوله : «نأت بخير منها» فن أين ان ذلك الخبر يكون ناسخاً فلا متعلق في الآية يمنع من ذلك ، والأولى جوازه . على أن هذا وان كان جائزاً فعندنا انه لم يقع لأنه لا شيء من ظواهر القرآن يمكن ان يدعى انه منسوخ بالسنة اجماعاً ، ولا بدليل يوجب العلم ، وأعيان المسائل فيها خلاف نذكر ما عندنا فيه اذا مررنا بتأويل ذلك .

وأما ما روي عن سعيد بن المسيب من أنه كان يقرأ «أو تنسها» بالتاء المعجمة من فوق وفتح السين^(١) فشاذ لا نلتفت اليه ، لأننا قد بينا إن النبي صلى الله عليه وآله لا يجوز عليه أن ينسى شيئاً من وحي الله . وكذلك ما روي عن أبي رجاء العطاردي «نُتْسها» بضم النون الأولى ، وفتح الأخرى وتشديد السين وكسرهما شاذة^(٢)

وفي الآية دليل على أن القرآن غير الله ، وأن الله هو المحدث له والقادر عليه ؛ لأن ما كان بعضه خيراً من بعض أو شراً من بعض فهو غير الله

لا محالة: وفيها دليل على أَنَّ الله قادر عليه، وما كان داخلًا تحت القدرة فهو فعل، والفعل لا يكون إلاّ محدثًا، ولأنه لو كان قديمًا لما صحَّ وجود النسخ فيه؛ لانه اذا كان الجميع حاصلًا فيما لم يزل، فليس بعضه بأن يكون ناسخًا والآخر منسوخًا بأولى من العكس .

فان قيل : لم قال : «ألم تعلم ان الله» أو ما كان النبي صَلَّى الله عليه وآله عالماً بأن الله على كل شيء قدير؟

قلنا عنه جوابان:

أحدهما: إن معنى قوله: «الم تعلم» أما علمت .

والثاني: انه خرج ذلك مخرج التقدير، كما قال: «أأنت قلت للناس»^(١) وفيه جواب ثالث: انه خطاب للنبي صَلَّى الله عليه وآله والمراد أتمته بدلالة قوله بعد ذلك : «وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير» .
قوله تعالى:

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ آية .

المعنى :

«الولي» في الآية هو القيم بالأمر من وليه الشيء، ومنه ولي عهد المسلمين .

ومعنى قوله: «من دون الله» سوى الله، قال أمية بن أبي الصلت:

يانفس مالك دون الله من واق وما على حدثان الدهر من باق^(٢)

(١) المائة: ١١٦ .

(٢) ديوانه: ص ٤٣ .

وفي قوله: «مالكم من دون الله من ولي ولا نصير» ثلاثة أوجه:
أحدها: التحذير من سخط الله وعقابه اذ لا أحد يمنع منه .
والثاني: التسكين لنفوسهم إن الله ناصرهم دون غيره، اذ لا يعتد
بنصر أحد مع نصره .

والثالث: التفريق بين حالهم وحال عبّاد الأوثان مدحاً وذمّاً لأولئك .
وهذا قال أبو علي الجبائي، وإنما قال للنبي صلى الله عليه وآله: «الم تعلم أنّ
الله له ملك السماوات والأرض» وان كان النبي صلى الله عليه وآله عالماً
بأن له الملك كلّه لأمرين:

أحدهما: التقرير والتنبيه الذي يؤول الى معنى الايجاب، كما قال
جرير:

ألستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح^(١)
وانكر الطبري ان يدخل حرف الاستفهام على حرف الجحد بمعنى
الاثبات^(٢)، والبيت الذي أنشدناه يفسد ما قاله، وايضاً قوله: «أليس ذلك
بقادر على ان يحيى الموتى»^(٣) وقوله: «أليس الله بكاف عبده»^(٤) وغير
ذلك يفسد ما قاله .

والوجه الثاني : انه خطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به أمته كما
قال: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء»^(٥)، وقال جميل بن معمر:

(١) ديوانه: ص ٧٧ .

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٨٣ .

(٣) القيامة: ٤٠ .

(٤) الزمر: ٣٦ .

(٥) الطلاق: ١ .

ألا انّ جيرانى العشية رائح دعتم دواع من هوى ومنادح^(١)
وانما يحسن ذلك لأنّ غرضه الخبر عن واحد فلذلك قال (رائح)، وقال
أيضاً:

خليلى فيما عشتا هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلى^(٢)
يريد قاتلته، فكنتى بالمدح عن المؤنث، قال الكميّ:

الى السراج المنير أحمد لا يعدلني رغبة ولا رهب
عنه الى غيره ولورفع الند اس الى العيون وارتقبوا
وقيل افرطت بل قصدت ولو عنفني القائلون أو ثلبوا
لجّ بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك الضجّاج واللجب
انت المصنّى المحض المذهب في الند سبة إن نص قومك النسب^(٣)

قالوا: انما خرج كلامه على وجه الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله
وأراد به أهل بيته بدلالة قوله: ولو أكثر فيك الضجّاج واللجب، لأنه
لا أحد يوصف من المسلمين بتعنيف مادح النبي صلى الله عليه وآله
ولا باكثار الضجّاج واللجب في إطناب القول فيه، وانما قال: «له ملك
السموات» ولم يقل ملك، لأنه أراد ملك السلطان والملكة دون المملك،
يقال من ذلك: ملك فلان على هذا الشيء يملكه ملكاً ومَلِكاً ومَلِكاً.
والنصير فعيل من قولك: نصرتك أنصرك فأنا ناصرك ونصيرك، وهو المؤيد
والمقوي.

(١) لم نجده في ديوانه، وذكره أبو زيد في النوادر في اللغة: ص ١٥٧، ونسبه الى حيّان بن حُلّية
المحاري.

(٢) ديوان جميل بن معمر: ص ٧٣.

(٣) القصائد الهاشميات للكميّ: ص ٥٢، والحيوان للجاحظ: ج ٥ ص ١٧٠.

قوله تعالى:

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِدْ أَلْكُفْرَاءَ لَا يَمْنَنَّ فَعَدَّ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ آية بلا خلاف .

سبب النزول:

اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية، فروي عن ابن عباس أنه قال: قال رافع بن خزيمة ووهب بن زيد لرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إئتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرأه وفجر لنا انهاراً نتبعك ونصدقك، فأنزل الله في ذلك من قولهما: «أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ»^(١).

وقال الحسن: عني بذلك المشركين من العرب لما سألوه فقالوا: «أَو تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا»، وقالوا: «أَوْ نَرَى رَبَّنَا»^(٢).

وقال السدي: سألت العرب محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِاللَّهِ فَيَرَوْهُ جَهْرَةً^(٣).

وقال مجاهد: سألت قريش محمداً أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصِّفَا ذُهَبًا، فقال: نعم هولكم كالماندة لبني إسرائيل، فأبوا ورجعوا^(٤).

وقال أبو علي: روي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَأَلَهُ قَوْمُهُ أَنْ يَجْعَلَ

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٨٥.

(٢) تفسير ابن عطية: ج ١ ص ٣٨٧، والشاهد الأول من سورة الاسراء: ٩٢ والثاني من سورة الفرقان: ٢١.

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٨٥.

(٤) تفسيره: ص ٢١١.

لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها التمر وغيره من المأكولات، كما سألوا موسى «اجعل لنا إلهاً كما لهم الهة» (١).

اللغة:

ومعنى «أم» في قوله: «أم تريدون» التوبيخ وإن كان لفظها لفظ الاستفهام، كقوله تعالى: «كيف تكفرون بالله» (٢).

و(أم) على ضربين: متصلة ومنفصلة، فالمتصلة عذيلة الألف وهي مفرقة لما جمعته «أي»، كما أن «أو» مفرقة لما جمعته «أحد» تقول: اضرب أيهم شئت أزيداً أم عمراً أم بكرةً. والمنفصلة غير المعادلة لألف الاستفهام قبلها لا تكون إلا بعد كلام، لأنها بمعنى بل. والالف كقول العرب: إنها لا بل أم شاة كأنه قال: بل شاة هي، ومنه قوله: «الم» تنزيل الكتاب لا رب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه» (٣) كأنه قال: بل يقولون افتراه، وكذلك «أم تريدون» كأنه قيل: بل تريدون، وقال الأخطل.

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالاً (٤) وقال الفراء: إن شئت قلت قبله استفهام فترده عليه، وهو قوله: «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير» (٥). وقال الرماني في هذا: بعد أن تكون

(١) حكاة الفخر الرازي في تفسيره: ج ٣ ص ٢٣٥، وكذا أبو حيان في البحر المحيط: ج ١ ص ٣٤٦.

(٢) البقرة: ٢٨.

(٣) السجدة: ١ و ٢ و ٣.

(٤) ديوانه: ص ٢٤٦.

(٥) معاني القرآن: ج ١ ص ٧١.

على المعادلة ولا بد ان يقدر له: أم تعلمون خلاف ذلك فتسألون رسولكم كما سئل موسى من قبل، والمعنى^(١) أنهم يتخيرون الآيات ويسألون المحالات كما سئل موسى، فقالوا: «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة»^(٢) وقالوا: «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة»^(٣) وهذا الوجه اختاره البلخي والمغربي.

وحكي عن بعضهم أن ذلك عطف على قوله: «أفتؤمنون ببعض الكتاب»^(٤) وقيل أيضاً لما قيل لهم قولوا: «انظرونا واسمعوا»^(٥) كأن تقدير الكلام فهل تعقلون هذا أم تريدون أن تسألوا رسولكم .
وقوله: «سواء السبيل» معناه قصد الطريق، على قول الحسن .

(وسواء) - بالمدّ - تكون على ثلاثة أوجه: بمعنى قصد وعدل وبمعنى وسط، كقوله: «خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم»^(٦) وقوله: «فاطلع فرآه في سواء الجحيم»^(٧) أي وسطها، قال حسان:

يا ويح أنصار النبي ونسله بعد المغيب في سواء الملحد^(٨)
وتكون بمعنى غير، كقولك للرجل: اتيت سواك أي غيرك .

(١) في الحجرية والخطية هكذا: «والمعنى عنهم بأنهم».

(٢) الأعراف: ١٣٨ .

(٣) البقرة: ٥٥ .

(٤) البقرة: ٨٥ .

(٥) البقرة: ١٠٤ .

(٦) الدخان: ٤٧ .

(٧) الصافات: ٥٥ .

(٨) ديوانه: ص ٥٨، وفيه «ورھطه» بدل «ونسله».

ومعنى «ضل» هاهنا الذهاب عن الاستقامة، قال الاخطل: كنت القذى في موج اكدرمزبد قذف الأتْيُ به فضلٌ ضلالاً^(١) أي ذهبت يميناً وشمالاً. والسبيل والطريق والمذهب نظائر، ويقال: اسبل اسبالاً وسبله تسبيلاً، والسبيل يذكروثن والجمع السبل، والسابلة المختلفة في الطرقات في حوائجهم والجمع السوابل، وسبل سابل كقولهم: شعر شاعر، والسبلة ما على الشفة العليا من الشعر يجمع الشارين وما بينهما. والسبل المطر المسبل، والمسبولة هي سنبلة الذرة والارز ونحوه اذا مالت، ويقال للزرع اذا سنبل: سنبلة، ويقال: اسبلت اسبالا اذا ارخيته، واسبل الرجل ازاره اذا ارخاه من الخلاء، قال الشاعر:

• واسبل اليوم من برديك اسبالاً^(٢) •

وأصل الباب الاسبال وهو الحذ. والسؤال هو الطلب ممن يعلم معنى الطلب أمراً من الأمور.

المعنى:

ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها والتعلق بينهما انه لما دل الله بما تقدم من الآيات على تدبير الله لهم فيما يأتي به من الآيات وما ينسخه فكأنه قال: ام لا ترضون بذلك فتخيروا الآيات وتساءلوا المحالات «كما سئل موسى» لأن الله تعالى انما يأتي بالآيات على ما يعلم فيها من المصلحة، فاذا أتى بآية

(١) ديوانه: ص ٢٥٢.

(٢) جمهرة اللغة: مادة «بَسَلَ» ج ١ ص ٢٨٩، والشاعراًمية بن أبي الصلت وفيه «في» بدل «من» وصدر البيت:

واشرب هنيئاً فقد شالت نعماتهم

تقوم بها الحجة فليس لأحد الاعتراض عليها ولا له اقتراح غيرها؛ لأنه تعنت إذ قد صح البرهان بها .

وقوله: «ومن يتبدل الكفر بالإيمان» معناه من يستبدل الكفر يعني الجحود بالله وبآياته بالتصديق بالله وبآياته وبالإقرار به . وقال بعضهم: عبر بالكفر هاهنا عن الشدة وبالإيمان عن الرخاء^(١)، وهذا غير معروف في اللغة ولا العرف إلا أن يراد بذلك الثواب والعقاب اللذان يستحقان عليهما فيكون له وجه في التنزيل .

قوله تعالى:

وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ
كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا
وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٩﴾ آية واحدة .

المعنى والاعراب:

المعنى بقوله: «ود كثير من أهل الكتاب» - عن الحسن - النصارى واليهود . وقال الزهري وقتادة: كعب بن الاشرف . وعن ابن عباس: حي بن اخطب وابوياسر بن اخطب^(٢) .

و«حسدًا» نصب على أحد أمرين:

أحدهما: على الجملة التي قبله بدلاً من الفعل، كأنه قال: حسدوكم حسدًا، كأنه قال: نحسدك حسدًا .

(١) حكاه الطبري في تفسيره عن أبي العالية: ج ١ ص ٣٨٧ .

(٢) أسباب النزول للواحدى: ص ٢٢، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٣٨٨ .

والآخر: ان يكون مفعولاً، كأنه قال: يردونكم لأجل الحسد، كما تقول: جئته خوفاً منه، تقول: حسدت أحسد حسداً .

اللغة:

وحسدتك على الشيء وحسدتك الشيء بمعنى واحد، قال الشاعر:
فقللت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما^(١)
ورجل حاسد وحسود وحساد، والحسد هو الأسف بالخير على من له
خير، وأشد الحسد التعرض للاغتمام بكون الخير لأحد، وقد يكون الحاسد
متمنياً لزوال النعمة عن المحسود وان لم يكن يطمع في تحوّل تلك النعمة .

والصفح هو التجاوز عن الذنب، والصفح والعفو والتجاوز بمعنى واحد،
يقال: صفح صفحاً وتصفح تصفحة، وتصفحوا تصافحاً، والصفحة ما كان
من ظاهر الشيء، يقال لظاهر جلد الانسان: صفحة، وكذلك هو من كل
شيء، ومن هذا صافحته أي لقيت صفحة كفه صفحة كفي، وفي الحديث
«النشيج للرجال والتصفح للنساء»^(٢) أي التصفيق، فانما هو لأنها تضرب
بصفحة كفت على صفحة الأخرى، وأنشد الاصمعي:

كأن مصفحات في ذراه وأنواحاً عليهنّ المآلي^(٣)
المآلي جمع مثلاة وهي خرقة تمسكها النايحة تقلص بها دمعها،
والصفاح من السيوف العراض واحدها صفحة وصفح، وقال:
ضربناهم حتى اذا ارفضّ جمعهم علوناهم بالمرهفات الصفائح^(٤)

(١) جهرة اللغة: مادة «حَ دَسَ» ج ٢ ص ١٢٢، والبيت لشعر بن الحارث الضبي .

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج ٢ ص ٢٤١، والرواية هكذا فيه: التسيح للرجال والتصفح للنساء .

(٣) ديوان لبيد بن ربيعة: ص ١٠٩ . (٤) لم تعرف قائله .

وصفحت عنه قيل فيه قولان:

أحدهما: اني لم أواخذه بذنبه وأبديت مني صفحة جميلة .

[الثاني]: وقيل: بل لم يرمني ما يقبض صفحته^(١) .

وتقول: صفحت الورقة أي تجاوزتها الى غيرها، ومنه تصفحت الكتاب وقد تصفح الكتاب وقد يتصفح الكتاب من لا يحسن ان يقرأ، وسمي الصفح من المصحف وغيره من الدفاتر من الصفحة، ومنه «فاصفح الصفح الجميل»^(٢) وقوله: «فاعفوا واصفحوا» قال الحارث بن هشام:

وصفحت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم سرمد^(٣)
أي لم أحارهم لا قبض صفاحهم أو ارهم ذلك في نفسي، ويقال: نظر اليهم صفحاً بقدر ما أبدى صفحته لم يتجاوز، والصفاح موضع سمي بذلك لأنه صخور مستوية تبدو صفائحها. وأصل الباب صفحة الشيء وهي ظاهره .

وقوله: «من عند أنفسهم» قال الزجاج: متعلق بـ «وَدَّ كثير» لا بقوله: «حسداً» لأن حسد الانسان لا يكون من غير نفسه^(٤). وقد يجوز ان يتصل بقوله: «حسداً» على التوكيد، كما قال تعالى: «ولا طائريطير بجناحيه»^(٥) .

ويحتمل وجهاً آخر: وهو إن اليهود كانوا يضيفون الكفر والمعاصي الى

(١) تهذيب اللغة: مادة «صفح» ج ٤ ص ٢٥٧، ذكر القول الأول دون الثاني.

(٢) الحجر: ٨٥.

(٣) الكتاب لسبويه: ج ١ ص ٣٦٩، وفيه «مفسد» بدل «سرمد».

(٤) معاني القرآن: ج ١ ص ١٩٣.

(٥) الأنعام: ٣٨.

الله تعالى فقال الله: «من عند انفسهم» تكذيباً لهم أنها من عند الله .
وقوله: «من بعد ما تبين لهم الحق» قال قتادة: من بعد ما تبين لهم ان
محمدأ رسول الله صلى الله عليه وآله والاسلام دين الله، وهو قول الربيع
والسدي وابن زيد، وروي عن ابن عباس مثله (١) .

وقال ابن عباس: إن قوله: «فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره»
منسوخة بقوله: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» (٢) . وقال قتادة:
نسخت بقوله: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر...» الآية، وبه
قال الربيع والسدي (٣) .

وروي عن أبي جعفر محمد بن علي عليها السلام انه قال: لم يؤمر
رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل ولا أذن له فيه حتى نزل جبرائيل
عليه السلام بهذه الآية «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا» وقلده سيفاً (٤) .
وقوله: «حتى يأتي الله بأمره» قال ابو علي: «بأمره» لكم بعقابهم أو
يعاقبهم هو على ذلك ، ثم أتى بأمره فقال: «قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله» (٥) .

وقوله: «ان الله على كل شيء قدير» قيل فيه ثلاثة اقوال:
قال ابو علي: انه قدير على عقابهم اذ هو «على كل شيء قدير» .

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٨٩، وتفسير ابن عباس: ص ١٦ .

(٢) أحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٦٠ .

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس: ص ٢٦، ونقل الجصاص في أحكام القرآن: ج ١ ص ٦٠ ان قتادة
قال: نسخها «اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» .

(٤) لم نعثر عليه في مجاميعنا الحديثية وذكره أيضاً الفخر الرازي في تفسيره: ج ١ ص ٢٤٥ .

(٥) التوبة: ٢٩ .

وقال الزجاج: قدير على ان يدعوا الى دينه بما احب مما هو الأليق بانجائكم اي فيأمر بالصفح تارة وبالعقاب أخرى على حسب المصلحة^(١).
والثالث: انه لما أمر بالامهال والتأخير في قوله: «فاعفوا واصفحوا» كأن فيه تعلق النفس بالعافية في ذلك، فقال: امهلهم فانهم لا يعجزون الله ولا يفوتونه، اذ هو «على كل شيء قدير».

وانما أمرهم بالصفح والعفو وان كانوا مضطهدين مقهورين مقموعين، من حيث ان كثيراً من المسلمين كانوا عزيزين في عشائهم وأقوامهم يقدرّون على الانتصار والانتقام من الكفار، فأمرهم الله تعالى بأن يعفوا وإن قدرّوا حتى يأتي الله بأمره.

قوله تعالى:

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ آية واحدة بلا خلاف.

المعنى:

إن قيل: ما المقتضي لذكر الصلاة والزكاة هاهنا؟

قلنا: انه تعالى لما أخبرهم بشدة عداوة اليهود لهم وأمرهم بالصفح عنهم قال: «اقموا الصلاة وآتوا الزكاة» فإن في ذلك معونة على الصبر مع ما تجزون بها من الثواب والأجر، كما قال في موضع آخر: «واستعينوا بالصبر والصلاة»^(٢).

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ١٩٣.

(٢) البقرة: ٤٥.

وقوله: «وما تقدّموا» معنى (ما) الجزاء، وجوابه «تجدوه»، ومثله «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها»^(١)، والخير المذكور في الآية هو العمل الصالح الذي يرضاه الله.

ومعنى «تجدوه» أي تجدوا ثوابه، وكذا قال الربيع، كما قال ابن نجبا: *وسبحت المدينة لا تلمها^(٢) *

أي سبّح أهل المدينة .

وقوله: «ان الله بما تعملون بصير» معناه انه لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، جازاكم على الاحسان بما تستحقونه من الثواب، وعلى الاساءة بما تستحقونه من العقاب، فاعملوا عمل من يدري أنه يجازيه من لا يخفى عليه شيء من عمله، ففي ذلك دلالة على الوعد والوعيد والأمر والزجر وان كان خبراً عن غير ذلك في اللفظ .

قوله تعالى:

وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ
قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣١﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

قوله: «هوداً» يريد يهوداً فحذف الياء الزائدة ووحد كان، لأن لفظة (من) قد تكون للواحد وتكون للجماعة، والعرب تقول: من كان صاحبك . ولا يجوز الوقف على قوله: «وقالوا» بل يجب صلته بقوله: «لن

(١) فاطر: ٢.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٩١، وعجز البيت: رأيت قرأ بسوقهم نهارا.

يدخل الجنة» الآية .

فان قيل : كيف جمع بين اليهود والنصارى في الحكاية مع افتراق مقالتهما في المعنى وكيف يحكي عنهما ما ليس بقول لهما؟

قلنا : فعل ذلك للإيجاز والاختصار وتقديره : قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ، فادرج الخبر عنها للإيجاز من غير اخلال ، اذ شهرة حالهما تغني عن البيان ، ومثله في الادراج والجمع من غير تفصيل قوله : «قلنا اهبطوا»^(١) وانما كانت الصورة إهبط لابليس ثم قيل : اهبط لادم وحواء فحكاها على المعنى . وتقدير الكلام : وقال بعض أهل الكتاب لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً .

وقال بعضهم : لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ، والبعض الثاني غير الأول إلا أنه لما كان اللفظ واحداً أُجمع مع الأول ، قال حسان بن ثابت :

أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء^(٢)
تقديره : ومن يمدحه وينصره ، غير انه اخبار عن جملة واحدة ، وانما حقيقة عن بعضين متفرقين ، ومثله «هو الذي خلقكم من نفس واحدة» يعني آدم ، ثم قال : «وجعل منها زوجها»^(٣) اي من النفس بمعنى الجنس ، فهو في اللفظ على مخرج الراجع الى النفس الأولى ، وفي تحقيق المعنى لغيرها ،

(١) البقرة : ٣٦ .

(٢) ديوانه : ص ٢٨ .

(٣) الأعراف : ١٨٩ .

وهذا قول أكثر المفسرين السدي وغيره^(١).

وفي معنى (هود) ثلاثة أقوال:

أحدها: انه جمع هائد وهود كحائل وحول، وعائد وعود، وعائط وعوط، وهو جمع المذكر والمؤنث على لفظ الواحد، والهائد التائب الراجع الى الحق.

والوجه الثاني: أن يكون مصدراً يصلح للواحد والجمع، كما يقال: رجل فطر، وقوم فطر، ونسوة فطر، ورجل صوم، وقوم صوم.

والثالث: ان يكون معناه إلّا من كان يهودياً إلّا أنّ الياء الزائدة حذفت، ورجع الى معنى الأصل من اليهود.

ومعنى «أمانهم» قال المورج: أباطيلهم - بلغة قريش - . وقال قتادة: أمانى يتمنونها على الله كاذبة، وبه قال الربيع^(٢). وقيل أيضاً: معناه تلك أقاويلهم وتلاوتهم، كما قال: «لا يعلمون الكتاب إلّا أمانى»^(٣) أي تلاوة.

ومعنى «هاتوا» احضروا، وهو وإن كان على لفظ الأمر المراد به الإنكار والتعير، وتقديره: ان آتيتم ببرهان صحت مقالتيكم ولن يأتوا به، لأنّ كل مذهب باطل فلا برهان عليه.

والبرهان والحجة والدلالة والبيان بمعنى واحد، وهو ما أمكن الاستدلال به على ما هو دلالة عليه مع قصد فاعله الى ذلك، وفرق الرماني بين الدلالة والبرهان بأن قال: الدلالة قد تنبئ عن معنى فقط لا يشهد بمعنى آخر، وقد تنبئ عن معنى يشهد بمعنى آخر، والبرهان ليس كذلك

(١) كالزجاج في معاني القرآن: ج ١ ص ١٩٤.

(٢) ذكر قولها الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٩٢.

(٣) البقرة: ٧٨.

لأنه بيان عن معنى ينبيء عن معنى آخر .
وهذا الذي ذكره لا يسلم له لأنه محض الدعوى، وبه قال الحسن ومجاهد والربيع والسدي^(١) .
«هاتوا برهانكم» أي حجتكم، وفي الآية دلالة على فساد التقليد، لأنه لو جاز التقليد، لما ألزم القوم أن يأتوا فيما قالوه ببرهان، وقد يجوز في العربية أمانهم بالتخفيف على ما ذكره الزجاج^(٢)، والتثقيل أجود .
قوله تعالى :

بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣١﴾ آية بلا خلاف .

اللغة والمعنى:

فان قيل : أليس (بلى) انما تكون في جواب الاستفهام مثل قوله : «أأستبرأكم قالوا بلى»^(٣) فكيف دخلت هاهنا؟
قلنا : إنما جاز ذلك لأنه يصلح أن يكون تقديره : أما يدخل الجنة أحد فقيل : «بلى من أسلم وجهه لله» لأن ما تقدم يقتضي هذا السؤال، ويصلح أن يكون جواباً للجدد على التكذيب، كقولك : ما قام زيد، فيقول : بلى قد قام، ويكون التقدير هاهنا ليس الأمر كما قال الزاعمون : «لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى» ولكن «من أسلم وجهه لله وهو محسن» فهو الذي يدخلها وينعم فيها، أو بلى من أخلص نفسه لطاعة الله .

(١) تفسير الطبري : ج ١ ص ٣٩٢ .

(٢) معاني القرآن : ج ١ ص ١٩٤ .

(٣) الأعراف : ١٧٢ .

ومعنى «أسلم» يحتمل أمرين:

أحدهما: أسلم الى كذا بمعنى صرفه اليه، كقولك: أسلمت الثوب اليه .
والثاني: أسلم له بمعنى أخلص له من قولك: قد سلم الشيء لفلان اذا أخلص له، ومنه قوله: «ورجلاً مسلماً لرجل»^(١) أي خالصاً، وقال زيد بن عمرو بن نفيل:

وأسلمت نفسي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا^(٢)
وانما جاز أسلم وجهه لله على معنى أسلم نفسه لله على مجرى كلام العرب في استعمال وجه الشيء وهم يريدون نفس الشيء إلا أنهم ذكروه باللفظ الاشرف الأثبه ودلوا عليه به، كما قال عز وجل: «كل شيء هالك إلا وجهه»^(٣) أي إلا هو، وقال: «كل من عليها فان ويبقى وجه ربك»^(٤)
وقال الأعشى:

أَوَّلُ الحِكم على وجهه ليس قضائي بالهوى الجائر^(٥)

يعني على ما هو من صحته وصوابه، وقال ذو الرمة:

فطاوَعْتُ هَمِّي وانجلى وجهُ بازل من الأمر لم يترك خِلاجاً بُزولها^(٦)
يريد انجلى البازل من الأمر. وقال ابن عباس: أسلم وجهه لله اخلص عمله لله. وقال الربيع: اخلص لله. وقال الحسن: يعني بوجهه وجهه في

(١) الزمر: ٢٩.

(٢) الأغاني: ج ٣ ص ١٢٨، وفيه «وجهي» بدل «نفسى».

(٣) القصص: ٨٨.

(٤) الرحمن: ٢٦ و ٢٧.

(٥) ديوانه: ص ٩٤.

(٦) ديوانه: ص ٣٢٧.

الدين. وقيل: معناه استسلم لأمر الله^(١).

ومن الوجه يقال: توجه توجّهاً، وواجه واجهةً، وتواجهوا تواجهاً. والجهة النحو، تقول: كذا على وجه كذا، والوجهة القبلة شبتها في كل جهة أي كل وجه استقبلته، وأخذت فيه، وتقول: توجهوا اليك ووجهوا اليك كلّ يقال غير أن قولك: توجهوا اليك على معنى ولّوا اليك وجوههم. والتوجه الفعل اللازم، والوجه والتجاه لغتان: وهما استقبل شيء شيئاً، تقول: دار فلان تجاه دار فلان، والمواجهة استقبالك بكلام أو بوجه.

وأصل الباب الوجه مستقبل كل شيء، ووجه الانسان محبّاه، ونقيض الوجه القفاء، ويقال: وجه الكلام تشبيهاً بوجه الانسان لأنه أول ما يبدو منه ويعرف به.

وقد يقال في الجواب: هذا وجهٌ وذلك خلف تشبيهاً أيضاً من جهة الحسن لأنّ الغالب في الوجه أنه أحسن، ويقال: هذا وجه الرأي الذي يبدو منه ويعرف به، والوجه من كل شيء أول ما يبدو فيظهر بظهور ما بعده.

وقوله: «وهو محسن» في موضع نصب، لأنّه في موضع الحال، وانما قال: «فله أجره» على التوحيد، ثم قال: «ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» على الجمع لأنّ (من) لفظها لفظ الواحد ومعناها الجمع، فرة تحمل على اللفظ وأخرى على المعنى، كما قال: «ومنهم من يستمع اليك»^(٢) وفي موضع آخر: «ومنهم من يستمعون اليك»^(٣) وقال الفرزدق:

(١) راجع تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٩٣، وتفسير ابن عباس: ص ١٦.

(٢) الانعام: ٢٥، ومحمّد: ١٦.

(٣) يونس: ٤٢.

تعال فان عاهدتني لا تخونني تكن مثل من ياذنب يصطحبان^(١)
فثنى واللفظ واحد لأجل المعنى .

فان قيل: اذا كان قد ذكر «فلهم أجرهم عند ربهم» فلم قال:
«ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»؟
قيل عن ذلك جوابان:

أحدهما: الدلالة على انهم على يقين لا على رجاء يخاف معه ألا يكون
الموعود به .

والثاني: الفرق بين حالهم وبين حال أهل العقاب الذي يخافون
ويحزنون .

قوله تعالى:

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ
عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ
فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ آية بلا خلاف.

النزول:

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية، فقال ابن عباس: انه لما قدم أهل
نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وآله اتهم أحبار يهود
فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال رافع بن خويلد: ما انتم على
شيء وكفر بعيسى وبالانجيل، فقال رجل من أهل نجران من النصارى:

(١) شرح ديوان الفرزدق: ج ٢ ص ٥٩٠، والبيت فيه هكذا:

تعمش فان واثقتني لا تخونني

تكن مثل من ياذنب يصطحبان

ما أنتم على شيء وجحد بنبوة موسى وكفر بالتوراة، فأنزل الله في ذلك الآية الى قوله: «فما كانوا فيه يختلفون»^(١).

وقال الربيع: هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله^(٢).

المعنى:

ومعنى الآية أحد شيئين: أحدهما: حلّ الشبهة بأنه ليس في تلاوة الكتاب معتبر في الإنكار، لما لم يؤت على إنكاره ببرهان، فلا ينبغي ان تدخل الشبهة بانكار أهل الكتاب لملة أهل الاسلام، اذ كل فريق من أهل الكتاب قد انكر ما عليه الآخر، ثم يبين أن سبيلهم كسبيل من لا يعلم الكتاب في الإنكار لدين الاسلام من مشركي العرب وغيرهم ممن الكتاب له فيهم، وجحدهم لذلك سواء اذ لا حجة معهم يلزم بها تصديقهم، لا من جهة سمع ولا عقل.

والوجه الآخر: الذم لمن أنكر ذلك من أهل الكتاب على جهة العناد، اذ قد ساوى المعاند منهم للحق الجاهل به في الدفع له فلم ينفعه علمه، بل حصل على مضرة الجهل كما حصل عليه من لا علم له به.

فان قيل: اذا كانت اليهود انما قالت: ليست النصرارى على شيء في تدينها في التوراة فكيف قال: «كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم» وأهل الحق ايضاً يقولون مثل قولهم؟

(١) أسباب النزول للواحي: ص ٢٢.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٩٤.

قيل: إن المعنى «كذلك قال الذين لا يعلمون الكتاب» أي فقد ساووا في ذلك من لا كتاب له، وكما لا حجة في جحد هؤلاء كذلك لا حجة في جحدهم، ولم يساووا أهل الحق فيه، لأنهم قالوه عن علم. والمعنى بقوله: «كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم» - في قول السدي- هم العرب الذين قالوا: ليس محمد صلى الله عليه وآله على شيء. وقال الربيع: قالت النصارى مثل قول اليهود قبلهم، ووجه هذا القول أي فقد ساووكم يامعشر اليهود في الإنكار «وهم لا يعلمون». وقال عطاء: هؤلاء الذين لا يعلمون أمم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل التوراة والانجيل^(١).

و«القيامة» مصدر إلا أنه صار كالعلم على وقت بعينه، وهو الوقت الذي بعث الله عز وجل فيه الخلق فيقومون من قبورهم إلى محشرهم، تقول: قام يقوم قياماً وقياماً، مثل عاد يعود عياداً وعيادة، وصانه صيانة، وعاده عيادة.

وقوله: «فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» يحتمل أمرين:

أحدهما: قال الحسن: حكمه فيهم أن يكذبهم جميعاً ويدخلهم النار. وقال أبو علي: حكمه الانصاف من الظالم المكذب بغير حجة ولا برهان للمظلوم المكذب.

وقال الزجاج: حكمه أن يرهم من يدخل الجنة عياناً، وهذا هو حكم الفصل في الآخرة، فاما حكم العقل في الدنيا فالحجة التي دل الله بها على

الحق من الباطل في الديانة^(١) .

قوله تعالى:

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ، وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا
أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴿٣٧٤﴾ آية واحدة .

المعنى واللغة:

اختلف المفسرون في المعنى بهذه الآية، فقال ابن عباس ومجاهد واختاره الفراء: انهم الروم، لأنهم كانوا غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه حتى كانت أيام عمر فأظهر الله عليهم المسلمين وصاروا لا يدخلونه إلا خائفين^(٢) .

وقال الحسن وقتادة والسدي: هوبخت نصر خرب بيت المقدس . قال قتادة: وأعاناه عليه النصارى^(٣) .

وقال قوم: عني به سائر المشركين، لانهم يريدون صدّ المسلمين عن المساجد، ومحبونه^(٤) .

وقال ابن زيد والبلخي والجبائي والرماني: المراد به مشركي العرب^(٥) .

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ١٩٥ .

(٢) أسباب النزول للواحيدي: ص ١٧، ومعاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٧٤، وتفسير مجاهد: ص ٢١٢ .

(٣) أسباب النزول للواحيدي: ص ٢٣، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٣٩٧ .

(٤) حكاية الواحيدي عن ابن عباس، انظر أسباب النزول: ص ٢٣، ومعاني القرآن للزجاج : ج ١ ص ١٩٦ .

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٩٧، وتفسير المارودي: ج ١ ص ١٧٤ .

وضعف هذا الوجه الطبري من بين المفسرين بأن قال: إن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام، وهذا ليس بشيء لأن عمارة المساجد بالصلاة فيها وخرابها بالمنع من الصلاة فيها، وقد روي أنهم هدموا مساجد كان أصحاب النبي يصلون فيها بمكة لما هاجر النبي وأصحابه، وقال: وهو أيضاً لا يتعلق بما قبله من ذم أهل الكتاب كما يتعلق إذا عني به النصارى وبيت المقدس فيصير الكلام منقطعاً^(١).

فيقال له: قد جرى ذكر لغير أهل الكتاب من المشركين في قوله: «كذلك قال الذين لا يعلمون» وهذا أقرب من اليهود والنصارى، ولأن ذلك كله ذم فرة يوجه الى اليهود ومرة الى النصارى ومرة الى عباد الاوثان وغيرهم من أهل الشرك .

فان قيل: كيف قال: «مساجد الله» بالجمع وهو أراد المسجد الحرام، أو بيت المقدس؟

قيل عنه جوابان:

أحدهما: إن كل موضع منه مسجد، كما يقال لكل موضع من المجلس العظيم مجلس، فيكون اسماً يصلح ان يقع على جملة وعلى كل موضع سجود فيه .

[والثاني]: وقال الجبائي: لانه يدخل فيه المساجد التي بناها المسلمون للصلاة بالمدينة .

وقوله: «من منع» والمنع والصد والحيلولة نظائر، وضد المنع الاطلاق يقال: منع منعاً، وامتنع امتناعاً، وتمنع تمنعاً، وتمانع تمناعاً، وممانعه ممانعة .

وقال صاحب العين: المنع ان يحول بين الرجل وبين الشيء يريد،
وتقول: منعه فامتنع، ورجل منيع لا يخلص اليه وهو في عز ومنعة - يخفف
ويثقل - وامرأة منيعة ممتنعة لا توثاق على فاحشة وقد تمتعت مناعةً وكذلك
الحصن وغيره تقول: منع مناعا اذا لم يرم، ومناع أي امنع قال الشاعر:

مناعها من ابلٍ مناعها ألا ترى الموت لدى أوباعها^(١)
ومساجد الله قد بيتنا انّ منهم من [قال]: أراد المسجد الأقصى، ومنهم
من [قال]: أراد المسجد الحرام، ومنهم من قال: أراد جميع المساجد.

وروي عن زيد بن علي عن أبيه عليهما السلام انه أراد جميع الأرض،
لقوله عليه السلام: جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً^(٢)

وقوله: «وسعى في خرابها» والسعي والعدو والركض نظائر، وضد
السعي الوقف تقول: سعى سعيًا، واستسعى استسعاءً، وتساعوا تساعياً.
قال صاحب العين^(٣): السعي عدو دون الشديد، وكل عمل من خير أو شر
فهو السعي يقال: فلان يسعى على عياله أي يكسب لهم، يقولون: انّ
السعي الكسب والعمل، قال الشاعر:

سعى عقلاً فلم يترك لنا سبداً فكيف لو قد سعى عمرو عقالين^(٤)
غقال صدقة عام. والساعية ان تسعى بصاحبك الى وال من فوقه،
والسعاية ما يستسعى به العبد من ثمن رقبتة اذا اعتق بعضه وهو أن يكلف

(١) العين: مادة «منع» ج ٢ ص ١٦٣، والكتاب «لسيويه»: ج ٣ ص ٢٧٠.

(٢) رواه الشيخ الصدوق في من لا يحضره الفقيه: ج ٧٢٤ ص ١، وأخرجه البخاري في
صحيحه أيضاً: باب التيمم ج ١ ص ٩١ مع تفاوت يسير.

(٣) العين: مادة «سعي» ج ٢ ص ٢٠٢.

(٤) الأغاني: ج ٢٠ ص ١٦٢، والعين: مادة «عقل» ج ١ ص ١٥٩، والشاعر هو عمرو بن العداء الكلبي.

من العمل ما يؤدي عن نفسه مابقي^(١)، ويقال: سعى للسلطان اذا ولي الصدقة وساعى الرجل الأمة اذا فجر بها، ولا تكون المساعدة إلا في الاماء. وأصل الباب السعي العدو.

وقوله: «في خرابها» فالخرب والهدم والنقض نظائر، ونقيض الخراب العمارة يقال: خرب خرابا، واخر به إخرابا، وتخرب تخربا، وخر به تخرباً، والخرب الذكر من الحبارى والجمع الخربان، قال الشاعر:

ما رأينا خربا ينفر عنه البيض صقر لا يكون المهرجحشاً لا يكون الجحش مهر والخربة سعة خرق الاذن، قال ذو الرمة:

كأنه حبشي يبتغي أثراً أو من معاشر في آذانها الخرب^(٢)
والخربة عروة المزايدة، وكذلك كل بيت مستدير، والخارب اللص، وما رأينا من فلان خربة أي فساداً في دينه أو شيئاً، والخارب من شذائد الدهر، قال الشاعر:

إن بها اكتل أو رزاما خويربان ينقفان الهاما^(٣)
والرزام الهزال والخروبة شجرة الينبوت، والخربة سرقة الابل، قال الأصمعي: لا يكادون يسمون الخارب إلا سارق الابل^(٤) وأصل الباب الخراب ضد العمران .

(١) العين: مادة «سعي» ج ٢ ص ٢٠٢.

(٢) ديوانه: ص ٥٠.

(٣) العين: مادة «خرب» ج ٤ ص ٢٥٦، وتهذيب اللغة: مادة «خرب» ج ٧ ص ٣٦١، في الخطبة «خروبيان» والصحيح ما اثبتناه لانه تصغير «خارب»، كما في العين والتهذيب.

(٤) جهرة اللغة: مادة «ب خ ر» ج ١ ص ٢٣٣.

الإعراب:

وقوله: «وَمَنْ أَظْلَمُ» رفع لانه خبر الابتداء، وتقديره: أيّ أحدٍ أظلم .
 وقوله: «أَنْ يَذْكَرَ» يحتمل وجوهاً من النصب، قال الاخفش: يجوز ان يكون على حذف (من)، وتقديره من ان يذكر، ويجوز أن يكون على البذل من «مساجد الله»^(١)، وقال الزجاج: يجوز على معنى كراهية أن يذكر^(٢).
 وعلى الوجوه كلها العامل فيه (منع) .

المعنى:

ومعنى قوله: «أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ» فيها خلاف، قال قتادة: هم اليوم كذلك لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلاّ انهم ضربوا، وابلغ اليه في العقوبة، وبه قال السدي. وقال ابن زيد: نادى رسول الله صلى الله عليه وآله ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان^(٣).

وقال الجبائي: بين الله انه ليس لهؤلاء المشركين دخول المسجد الحرام ولا دخول المساجد، فإن دخل منهم داخل الى بعض المساجد كان على المسلمين اخراجه منه إلاّ أن يدخل الى بعض الحكام بخصوصة بينه وبين غيره الى بعض القضاة، فيكون دخوله خائفاً من الاخراج على وجه الطرد بعد انفصال خصومته، ولا يقعد مطمئناً كما كان يقعد المسلم .

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٣٣٢.

(٢) لم نثر عليه في كتب «الزجاج» ووجدناه في مشكل اعراب القرآن: ص ١٠٩.

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٩٨.

وهو الذي يليق بمذهبنا ويمكن الاستدلال به على أنَّ الكفار لا يجوز أن يمكنوا من دخول المساجد على كل حال. فأما المسجد الحرام خاصة فإنَّ المشركين يمنعون من دخوله ولا يتركون ليدخلوه لحكومة ولا غيرها؛ لأنَّ الله تعالى قد أمر بمنعهم من دخوله بقوله: «ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر»^(١) يعني المسجد الحرام.

وقال الزجاج: أعلم الله أنَّ أمر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن دخول مخالف إلى مساجدهم إلَّا خائفاً، وهو كقوله: «ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» كأنه قيل: أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلَّا خائفين لا عزاز الله الدين واطهاره المسلمين^(٢).

قوله تعالى:

لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ آية.

المعنى:

قال قتادة: معناه انهم «يعطون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون». وقال السدي: خزهم في الدنيا انهم اذا قام المهدي وفتحت قسطنطينية قتلهم، فذلك خزهم في الدنيا ان يقتلوا إن كانوا حرباً، ويؤدون الجزية ان كانوا ذمة^(٣).

وقال الجبائي: الخزي لهؤلاء الكفار الذين أمرنا بمنعهم من دخول المساجد على سبيل ما يدخلها المؤمنون.

(١) التوبة: ١٧.

(٢) معاني القرآن: ج ١ ص ١٩٦.

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٩٩، مع تفاوت يسير.

وقوله: «ولهم في الآخرة عذاب عظيم» قال الفراء: يقول فيما وعد الله المسلمين من فتح الروم وان لم يكن بعد^(١) والناس على خلافه في ان معنى الآخرة يوم القيامة، كأنه قيل: لهم في الآخرة عذاب جهنم .
قوله تعالى:

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلَيْهِ
﴿١١٥﴾ آية بلا خلاف .

اللغة والمعنى:

المشرق والمغرب اسمان لمطلع الشمس، والمغرب والغرب اسمان لغربها، يقال: شرق شروقاً، وأشرق إشراقاً، وتشرق تشريقاً. والمشرقان والمغربان: مشرقا الشتاء والصيف ومغرباهما، والمشارق مطالع الشمس في كل يوم حتى تعود الى المشرق الأول في الحول، وشرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت، وتقول: لا افعل ذلك ما ذر شارق أي ما طلع قرن الشمس، وشرق يشرق شرقاً اذا اغتصص، وقال عدي بن زيد:

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري^(٢)
والمشرقة حيث يقعد المشرق في وجه الشمس، قال الشاعر:

تحبين الطلاق وأنت عندي بعيش مثل مشرقة الشتاء^(٣)
وشرق الثوب بالصبغ اذا احمر واشتدت حرته، ولطمه فشرق الدم في عينه اذا احمرت، وتقول: اشروقت عينه واغروقت، وناقاة شرقاء اذا

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٧٤.

(٢) تهذيب اللغة: مادة «غص» ج ٢ ص ١٥، والمخصص لابن سيده: ج ٢ السفر التاسع ص ٩٦.

(٣) جهرة اللغة: مادة «شرق» ج ٢ ص ٣٤٦.

شقت أذنهما بنصفين طولاً وكذلك الشاة، وأيام التشريق أيام مشرق اللحم في الظلّ.

وقال صاحب العين^(١): كانوا يشرقون اللحم تلك الأيام في الشمس، وقوله: «فاخذتهم الصيحة مشرقين»^(٢) أي حيث طلعت عليهم الشمس؛ والشرق طائر من الطيور الصوائد مثل الصقر والشاهين، وقال الشاعر:

قد اغتدي والصبح ذو بسيق بملاحم أكلب سودنيق
أجدل أو شرق من الشروق^(٣)

وكل شيء طلع من الشمس يقال: شرق يشرق، وفي الحديث: (لا تشريق إلا في مصر ومسجد جامع)^(٤)، أي لا صلاة عيد لأنها وقت طلوع الشمس. وأصل الباب الطلوع.

والمغرب والمغيب نظائر، تقول: غرب يغرب غروباً، واغترب اغتراباً، واستغرب استغرباً، وغرب تغريباً، وسمي الغراب غراباً لبعده ونفوره وأنه أشد الطيور خوفاً. وأصل الباب الحد والتباعد حتى بلغ النهاية.

ومن هذا مغرب الشمس، والرجل الغريب المتباعد، وشطت غربة النوى أي بعد المتنائي وهو أبعد البعد، وغرب السيف والسهم حذّه سمي بذلك لأنه يمضي فلا يرد، فهو مأخوذ من الأبعاد، ويقال لموضع الرداء: غارب، وقولهم للدابة: مغرب إذا ابيضت حدقتها وأهدابه، شبهه بابيضاض الشمس عند الغروب، وقولك للرجل: اغرب معناه أبعد، وثوب غربي إذا لم

(٢) الحجر: ٧٣.

(١) العين: مادة «شرق» ج ٥ ص ٣٨.

(٣) البيت لرؤبة ذكر آخره صاحب العين: مادة «شرق» ج ٥ ص ٣٩.

(٤) رواه الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «شرق» ج ٨ ص ٣١٨ نقلاً عن علي عليه السلام، والعين:

مادة «شرق» ج ٥ ص ٣٩.

تستحكم حمرة مأخوذ من الدابة الغرب، وتقول: أصابه حجر غرب اذا أتاه من حيث لا يدري، وأتاه حجر غرب اذا رمى غيره فأصابه، ويقال: إقطع غرب لسان فلان عني أي اقطع حدة لسانه، وناقة ذات غرب أي حدة الغرب، والغرب الدمع الحار الفاسد، وقال الكمي:

أبى غرب عينيك إلا انهما لا(١)

وجعه غروب، والغرب دلوضخم يتخذ من جلد تام، والغرب ما قطر من الماء من الدلاء من الحوض والبئر ويقال: أغرب الحوض اذا سال من جوانبه وفاض، والغرب جنس من الشجر خارج عن حد ما يجمل بجمل أو طيب ريح أو صلابة، وغاية مغربة أي بعيدة، والغرب الفضة، وقيل: انه جام من فضة، وقيل: انه الذهب، قال الشاعر:

دعدع ساقى الأعاجم الغربا(٢) كما

والغارب أعلى الموج، والغارب ما بين يدي السنام، وعنقاء مغرب موضوع على طائر لا يعرف حذّه، والغريب الأسود الشديد السواد، وأصل الباب الغرب الحد .

واللام في قوله: «ولله المشرق» لام الملك وأصلها لام الاضافة وهي على ثمانية أوجه: الملك والفعل والعلة والولادة والاختصاص والاستغاثة ولام كي - وهي لام الغرض - ولام العاقبة .

فلام الملك كقولك: له مال، والفعل: له كلام، والعلة: هو أسود لما فيه السواد، ولام الولادة: أب له ولد له أخ، والاختصاص: له علم وله ارادة،

(١) تهذيب اللغة: مادة «غرب» ج ٨ ص ١١٣.

(٢) البيت للبيد، أنظر ديوانه: ص ٢٣، وصدر البيت: فدعدع سرة الركاء كما.

والاستغاثة: يالبكر، ولام كي: «وليرضوه وليقتربوا ما هم مقتربون»^(١)، ولام العاقبة: «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً»^(٢) فهذه وجوه لام الاضافة .

وانما قيل: «ولله المشرق والمغرب» بالتوحيد وله جميع المشرق والمغرب لأحد امرين:

أحدهما: انه اخرج ذلك مخرج الجنس، فدل على الجمع كما قيل: أهلك الناس الدينار والدرهم .

والآخر: انه على الحذف، كأنه قيل: المشرق الذي تشرق منه الشمس كل يوم والمغرب الذي تغرب فيه كل يوم .
وانما خصّ الله تعالى ذكر ذلك هاهنا لأحد أمور:

أحدها: قال ابن عباس واختاره الجبائي: انه رد على اليهود لما انكروا تحويل القبلة الى الكعبة، وقال: ليس هو في جهة دون جهة كما تقول المشبهة^(٣) .

والثاني: قال ابن زيد وقتادة: كان للمسلمين التوجه بوجوههم الى الصلاة حيث شاءوا ثم نسخ ذلك بقوله: «فولّ وجهك شطر المسجد الحرام» وانما كان النبي صلى الله عليه وآله أولاً اختار التوجه الى بيت المقدس، وقد كان له التوجه الى حيث شاء^(٤) .

وقال آخرون: كان ابن عمر يصلي حيث توجهت به راحلته في السفر

(١) الانعام: ١١٣ .

(٢) القصص: ٨ .

(٣) اسباب النزول للواحدي: ص ٢٤ نقلاً عن ابن عباس .

(٤) أحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٦٢ نقلاً عن قتادة .

تطوعاً، وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يفعل ذلك ويتأول عليه الآية (١).

وقيل: نزلت في قوم صلوا في ظلمة وقد خفيت عليهم جهة القبلة، فلما أصبحوا إذا هم صلوا الى غير القبلة، فأنزل الله هذه الآية. وهذا قول عبد الله بن عامر عن ابيه والنخعي (٢) والأول أقوى الوجوه.

وقوله: «فثَمَّ وجه الله» المراد بالوجه فيه اختلاف؛ قال الحسن ومجاهد: المراد به ثَمَّ جهة القبلة وهي الكعبة لأنه يمكن التوجه اليها من كل مكان (٣)، قال ابن بيض:

أي الوجوه انتجعت قلت لها لأي وجهٍ إلّا الى الحكم متى يقل صاحباً يرادفه هذا ابن بيض بالباب يبتسم (٤)

وقيل: معناه فثم وجه الله فادعوه كيف توجهتم. وقال آخرون واختاره الرماني والجبائي: فثم رضوان الله، كما يقال: هذا وجه العمل وهذا وجه الصواب، وكأنه قال: الوجه الذي يؤدي الى رضوان الله (٥).

وتقدير الآية واتصالها بما قبلها، كأنه قال: لا يمنعكم تخريب من خرب المساجد ان تذكروه حيث كنتم من أي وجه، وله المشرق والمغرب والجهات كلها.

(١) المستدرك : كتاب التفسير ج ٢ ص ٢٦٦.

(٢) اسباب النزول: ص ٢٣، وأحكام القرآن: ج ١ ص ٦٢، والسنن الكبرى للبيهقي: ج ٢ ص ١١، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٤٠١.

(٣) أخرجه البيهقي عن مجاهد في السنن الكبرى: ج ٢ ص ١٣.

(٤) أمالي المرتضى: ج ١ ص ٥٩١ وفيه «لهم» بدل «لها» و«سراقة» بدل «يرادفه».

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٠٢.

وقوله: «والله واسع عليم» قال قوم: معناه غني، فكأنه قيل: واسع المقدور. وقال الزجاج: يدل على التوسعة للناس فيما رخص لهم في الشريعة، وكأنه قيل: واسع الرحمة وكذلك رخص في الشريعة^(١). ومعنى القول الأول انه غني عن طاعتكم وانما يريدنا لمنفعتكم. وقال الجبائي: معناه واسع الرحمة.

والسعة والفسحة والمباعدة نظائر، وضد السعة الضيق، يقال: وسع يسع سعة، وأوسع إيساعاً، وتوسّع توسعاً، واتسع اتساعاً، ووسّع توسعة، والوسع جدة الرجل وقدرة ذات يده، فرحة الله وسعت كل شيء، وانه ليسعني ما وسعك، وتقول: وسع الوعاء فاتسع فعل لازم، وكذلك استوسع، ووسع الفرس سعة ووساعة، فهو وساع، وأوسع الرجل اذا كان ذا سعة في المال فهو موسع وموسع عليه. وتقول: سير وسيع ووساع، وفي القرآن «لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها»^(٢) أي طاقتها. وأصل الباب السعة نقيض الضيق.

ومعنى «عليم» أنه عالم بوجه الحكمة فبادروا الى ما أمركم به من الطاعة، وقيل: واسع الرحمة عليم أين يضعها على وجوه الحكمة. ومعنى «ثم» هناك، تقول لما قرب من المكان: (هنا) وما تراخي (ثم وهناك).

وانما بني لأن فيه معنى الاشارة الى المكان لاهامها وبني على الحركة لالتقاء الساكنين وفتح لحقة الفتحة في المضاعف.

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ١٩٨.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

وقوله: «فأينما تولوا» جزم بأينما والجواب فثم وجه الله، و«ثُمَّ» موضعه التصب لكنه بني على الفتح، وقوله: «أينما» تكتب موصولة في أربعة مواضع ليس في القرآن غيرها هذه واحدة وفي النحل «أينما يوجهه»^(١) وفي الأحزاب «ملعونين أينما ثقفوا»^(٢) وفي الشعراء «أينما كنتم تعبدون»^(٣) ومن الناس من يجعل معها التي في النساء «أينما تكونوا يدرككم الموت»^(٤) وكلها على القياس إلا التي في الشعراء فإن قياسيها ان تكتب مفصولة؛ لأن (ما) اسم موصول بما بعده بمعنى الذي .

قوله تعالى:

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ ﴿١٣٦﴾ آية واحدة بلا خلاف .

القراءة:

قرأ ابن عامر وحده «قالوا» بلا واو^(٥) .

المعنى:

والمعنى بهذه الآية النصارى، وقال قوم: النصارى ومشركو العرب معاً، من حيث قالوا: الملائكة بنات الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله،

(١) النحل: ٧٦.

(٢) الأحزاب: ٦١.

(٣) الشعراء: ٩٢.

(٤) النساء: ٧٨.

(٥) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٦٨، والحجة لابن علي الفارسي: ج ٢ ص ١٥٨.

هذا قول الزجاج (١).

وفي هذه الآية دلالة على انه لا يجوز الولد على وجه من الوجوه؛ لأنه اذا كان جميع ما في السماوات والأرض ملكاً له فالمسيح عبد مربوب وكذلك الملائكة المقربون، لان الولد لا يكون إلا من جنس الوالد، ولا يكون المفعول إلا من جنس الفاعل، وكل جسم فعل لله فلا مثل له ولا نظير على وجه من الوجوه تعالى الله عن صفات المخلوقين .

وقوله: «وكلُّ له قانتون» الأصل في القنوت الدوام، وينقسم أربعة أقسام: الطاعة، كقوله: «كل له قانتون» أي مطيعون، والقنوت الصلاة كقوله: «يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي» (٢)، والقنوت طول القيام. وروي عن جابر بن عبد الله قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله أي الصلاة أفضل؟ فقال: طول القنوت (٣).

ويكون القنوت السكوت، كما قال زيد بن ارقم: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت «وقوموا لله قانتين» فامسكنا عن الكلام (٤).

وقيل في «قانتون» هاهنا ثلاثة أقوال:

[الاول] قال مجاهد: معناه مطيعون، وطاعة الكافر في سجود ظله.

وقال ابن عباس: مطيعون (٥).

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ١٩٨.

(٢) آل عمران: ٤٣.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج ٣ ص ٣٠٢ و ٣١٤.

(٤) السنن الكبرى: باب ما لا يجوز من الكلام في الصلاة ج ٢ ص ٢٤٨، وأحكام القرآن

للشافعي: ج ١ ص ٧٩.

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٠٣، وتفسير مجاهد: ص ٢١٢.

الثاني: قال السدي: كلُّ له مطيعون يوم القيامة. وقال الربيع: كل له قائم يوم القيامة^(١).

الثالث: قال الحسن: كل قائم له بالشهادة عبده^(٢).
وقالت فرقة رابعة (وهو الأقوى): كل دائم على حالة واحدة بالشهادة بما فيه من آثار الصنعة والدلالة على الربوبية^(٣). وزعم الفراء: انها خاصة لأهل الطاعة بدلالة انا نجد كثيراً من الخلق غير طائعين^(٤). وعلى ما اخترناه لا يحتاج الى التخصيص.

اللغة :

وأما القنوت في اللغة فقد يكون بمعنى الطاعة، تقول: قنت يقنت قنوتاً فهو قانت اذا اطاع، وقال صاحب العين^(٥): القنوت في الصلاة دعاء بعد القراءة في آخر الوتر، يدعوا قائماً، ومنه قوله: «أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً»^(٦) والقنوت والدعاء قيام في هذا الموضع.
وقيل في قوله: «وقوموا لله قانتين»^(٧) أي خاشعين.

وقال ابن دريد: القنوت الطاعة. وقال أبو عبيدة: القانتات الطائعات، والقنوت في الصلاة طول القيام - على ما قاله المفسرون - في قوله:

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٠٣، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٧٨.

(٢) تفسير القرطبي: ج ٢ ص ٨٦.

(٣) كقول الزجاج في معاني القرآن: ج ١ ص ١٩٨.

(٤) معاني القرآن: ج ١ ص ٧٤.

(٥) العين: مادة «قنت» ج ٥ ص ١٢٩.

(٦) الزمر: ٩.

(٧) البقرة: ٢٣٨.

«وقوموا لله قانتين»^(١). واصل الباب المداومة على الشيء .

قوله تعالى:

بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

آية بلا خلاف.

القراءة:

قرأ ابن عامر «فيكون» نصباً، الباقر بالرفع^(٢) .

اللغة والمعنى:

بديع بمعنى مبدع مثل أليم بمعنى مؤلم، وسميع بمعنى مسمع، وبينهما فرق لأنَّ في بديع مبالغة ليس في مبدع، ويستحق الوصف في غير حال الفعل على الحقيقة، بمعنى أنَّ من شأنه الانشاء لأنَّه قادر عليه فيه معنى مبدع .

وقال السدي: تقول ابتدعها فخلقها ولم يخلق قبلها شيئاً تتمثل به^(٣) .

والإبداع والاختراع والانشاء نظائر، وضدَّ الابتداع الاحتذاء على مثال، يقال: أبدع إبداعاً، وابتدع ابتداءً، وبدع تبديعاً، وقال ابن دريد: بدعت الشيء إذا انشأته والله «بديع السماوات والارض» أي منشئهما، وبدعت الركي إذا استنبطتها، وركي بديع أي جديد الحضر، ولست ببديع في كذا أي لست بأول من أصابه هذا، ومنه قوله: «ما كنت بدعاً من

(١) جهرة اللغة: مادة «ت ق ن» ج ٢ ص ٢٦.

(٢) كتاب السبعة في القراءات: ص ١٦٨، والحجة: ج ٢ ص ١٥٩.

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٠٤.

الرسل»، وكل من احدث شيئاً فقد أبدعه، والاسم البدعة، وأبدع بالرجل اذا كلت راحلته وانقطع به^(١)، وقوله: «ما كنت بدعاً من الرسل»^(٢) أي ما كنت بأول مرسل .

والبدعة ما ابتدع من الدين وغيره وجمعها بدع، وفي الحديث: (كل بدعة ضلالة)^(٣) وتقول: جئت بأمر بديع أي مبتدع عجيب، وأبدعت الابل اذا تركت في الطريق من الهزل. وأصل الباب الانشاء .

وقوله: «اذا قضى أمراً» يحتمل أمرين:

أحدهما: اذا خلق أمراً، كما قال: «فقضاهن سبع سماوات في يومين»^(٤) أي خلقهن، وهو اختيار البلخي والرماني والجبائي .

والثاني: حتم بأن يفعل أمراً وحكم. وقيل: احكم أمراً^(٥) كما قال ابو

ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع^(٦)
قضاهما أحكهما، والقضاء والحكم نظائر، يقال: قضى يقضي قضاء،
واقضى اقتضاء، وتقاضيا تقاضياً، واستقضى استقضاء، وتقض تقضياً،
وقض تقضية، وقاضاه مقاضاة، وانقضى انقضاء .

قال صاحب العين^(٧): قضى يقضي قضاء وقضية يعني حكم، وتقول:

(١) جهرة اللغة: مادة «ب د ع» ج ١ ص ٢٤٥.

(٢) الأحقاف: ٩.

(٣) الكافي: كتاب فضل العلم باب البدع والرأي والمقاييس ح ٨ و ١٢ ج ١ ص ٥٦-٥٧.

(٤) فصلت: ١٢.

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٠٤.

(٦) ديوانه: ١٩، وفي تهذيب اللغة: مادة «قضى» ج ٩ ص ٢١٢.

(٧) العين: مادة «قضى» ج ٥ ص ١٨٥.

قضى اليه عهداً معناه أوصى اليه، ومنه قوله: «وقضينا الى بني اسرائيل»^(١)، و«قضى عليها الموت»^(٢) أي أتى عليه، والانقضاء فناء الشيء وزهابه، وكذلك التقضي. وأصل الباب القضاء.

والفصل والقضاء ينصرف على وجوه: منها: الأمر كقوله تعالى: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه»^(٣) أي أمر، ومنه: الخلق كقوله: «فقضاهن سبع سماوات»^(٤) أي خلقهن، ومنه: الاخبار والاعلام كقوله: «وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب»^(٥) أي اخبرناهم، ومنه: الفصل، قضى القاضي بين الخصمين أي فصل الأمر بينهما.

ومعنى قوله: «فانما يقول له كن فيكون» قيل فيه قولان:

أحدهما: انه بمنزلة المثل ومعناه ان منزلة الفعل له في السهولة وانتفاء التعذر كمنزلة ما يقال له كن فيكون، كما يقال: قال، فلان برأسه كذا وقال بيده، اذا حرك رأسه وأوماً بيده، ولم يقل شيئاً في الحقيقة، وقال أبو النجم:

اذ قالت الانساع للبطن الحق قدماً فأضت كالفنيق المحنق^(٦)

وقال عمرو بن حمزة الدوسي:

فاصبحت مثل النسر طارت فراخه اذا رام تطياراً يقال له قع^(٧)

(١) الاسراء: ٤.

(٢) الزمر: ٤٢.

(٣) الاسراء: ٢٣.

(٤) فصلت: ١٢.

(٥) الاسراء: ٤.

(٦) تهذيب اللغة: مادة «حنق» ج ٤ ص ٦٧، وفيه: قد قالت الانساع للبطن الحق.

(٧) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٠٥.

وقال آخر:

امتلاً الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني^(١)

وقال آخر:

فقات له العينان سمعاً وطاعة وحذرتا كالدر لما يشقب^(٢)

وقال العجاج يصف ثوراً:

وفيه كالأعواض للعكور فكرّم قال في التفكير

* ان الحياة اليوم في الكرور^(٣) *

والوجه الآخر: أنه علامة جعلها الله للملائكة اذا سمعوها علموا انه

احدث امراً. وكلاهما حسن والأول أحسن وأشبه في كلام العرب في عادة

الفصحاء، ونظيره قوله تعالى: «فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا

اتينا طائعين»^(٤) وهو الذي اختاره البلخي والرماني واكثر المفسرين.

وقد قيل في ذلك اقوال فاسدة لا يجوز المعول عليها:

منها: أنّ الأمر خاص في الموجودين الذين قيل لهم: «كونوا قردة

خاسئين»^(٥) ومن جرى مجراهم؛ لأنه لا يؤمر المعدوم عندهم .

ومنها: انه أمر للمعدوم من حيث هو لله معلوم فصَحَّ أن يؤمر فيكون .

ومنها: ان الآية خاصة في الموجودات من اماتة الاحياء واحياء الموتي

(١) تهذيب اللغة: مادة «قط» ج ٨ ص ٢٦٤، وفيه «ملاً» بدل «مهلاً»، ومادة «قطن» ج ١٦

ص ٢٧٠، وفيه «سلاً» بدل «مهلاً»، أنشد البيت ابن السكيت.

(٢) الخصائص لابن جني: ج ١ ص ٢٢، وفيه «وأبدت كمثل الدر» بدل «وحذرتا كالدر».

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ١٥٩.

(٤) فصلت: ١١.

(٥) البقرة: ٦٥.

وما جرى مجرى ذلك من الأمور.

وانما قلنا بفساد هذه الاقوال؛ لأنه لا يحسن أن يؤمر إلا من كان عاقلاً مميزاً يقدر على ما أمر به ويتمكن من فعله، وجميع ما ذكره بخلافه، لأن المعدم ليس بحكي ولا عاقل ولا يصح أمره. ومن كان موجوداً لا يجوز أن يؤمر أن يكون قردة؛ لأنّ المعاني التي تكون بها كذلك ليس في مقدوره، كذلك القول في الاماتة والاحياء. وتأويل قوله: «كونوا قردة خاسئين» قد بيناه فيما مضى .

فقال بعضهم: إنه أمر للموجود في حال كونه لا قبله ولا بعده وانه مثل قوله: «ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا انتم تخرجون»^(١) وان دعاء الله إياهم لا يتقدم خروج القوم من قبورهم، ولا يتأخر عنه^(٢).

وهذا فاسد لأن من شرط حسن الامر أن يتقدم المأمور به، وكذلك القول في الدعاء فلا يسلم ما قالوه. وتأويل ما استشهدوا به على ما بيناه في الآية سواء في انه اخبار عن تسهيل الفعل وسرعة وقوعه وارادته، لا أن يكون هناك دعاء على الحقيقة، ثم يلزم على جميع ما ذكره أن تكون الاشياء مطيعة لله تعالى لان الطاعة هي مانعة الأمر من الاشياء التي قالها: «كوني» بأن فعلت نفسها، ويلزم ان يكون لها عقل وتمييز، وكل ذلك فاسد .

فاما من استدل بهذه الآية ونظائرها على انّ كلام الله قديم من حيث انه لو كان محدثاً لاقتضى ألا يحصل إلا بـ (كن)، والكلام في (كن)

(١) الروم: ٢٥.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٠٦.

كالكلام فيه الى أن ينتهي الى (كن) قديمة، وهو كلام الله القديم .
فهذا باطل لأننا قد بينا معنى الآية فلا يصح ما قالوه، على أن الآية
تقتضي حدوث كلامه من حيث أخبر أن المكوّنات تكون عقيب (كن)
لأنّ الفاء توجب التعقيب، فإذا كانت الأشياء محدثة فما يتقدمها بوقت
واحد لا يكون إلّا محدثاً فبطل ما قالوه .

وايضاً فانه قال: «إذا قضى أمراً» ومعناه خلق فحين انه يخلق الأمر
وقوله: «كن» أمر يوجب أن يكون محدثاً .

ودلت الآية على نفي الولد عن الله من وجهين: .
أحدهما: إنّ الذي ابتدع السماوات والأرض من غير مثال هو الذي
ابتدع المسيح من غير والد .

والآخر: أنّ من هذه صفته لا يجوز عليه اتخاذ الولد كما لا يجوز صفات
النقص عليه تعالى عن ذلك . وإذا حملنا الآية على وجود المثال فوجود الخلق
هو كقوله: «كن» إلّا أنه خرج على تقدير فعلين، كما يقال: اذا تكلم
فلان بشيء فأنما كلامه مباح، وإذا أمر بشيء فأنما هو حتم، وكما قال:
تاب فاهتدى فتوبته هي اهتداؤه، فلا يتعذر أن يقال: كن قبله أو معه .

ومتى حملنا ذلك على أنه علامة للملائكة فانه يحتمل ان يكون معه
ويحتمل ان يكون قبله، كما تقول: اذا قدم زيد قدم عمرو، فانه يحتمل أن
يكون وقتاً للأمرين معاً إلّا أنه اشبه الشرط، كقولك: ان جئتني اعطيتك .
ولذلك دخلت الفاء في الجواب كما تحجيء في الشرط، كقوله: «ان يسرق
فقد سرق أخ له من قبل»^(١) وكذلك تحتمل الآية الأمرين .

الاعراب :

ورفع قوله: «فيكون» يحتمل أمرين: أحدهما: ان يكون عطفاً على يقول. والآخر: على الاستئناف أي فهو يكون. ونصبه على جواب الامر فلا يجوز، لانه انما يجب الجواب بوجود الشرط، فما كان على فعلين في الحقيقة كقولك: إئتني فأكرمك، فالأتيان غير الاكرام، فأما «كن فيكون» فالكون الحاصل هو الكون المأمور به، ومثله: انما اقول له إئتني فيأتيني .

وقال ابو علي الفارسي: يجوز ذلك على وجه: وهو على ان لفظه لما كان لفظ الامر نصب كما نصب في جواب الامر، فان كان الامر بخلافه كما قال أبو الحسن في نحو قوله تعالى: «قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة» ويجوز ذلك في الآي على انه اجري مجرى جواب الامر وان لم يكن جواباً له في الحقيقة. وقد يكون اللفظ على شيء والمعنى على غيره نحو قولهم: ما أنت وزيد، والمعنى لم تؤذيه وليس ذلك في اللفظ، ومثله «فلا تكفر فيتعلمون» ليس فيتعلمون جواباً لقوله: «فلا تكفر» ولكن معناه يعلمون أو يعلمان فيتعلمون منها، غير أن قوله: «فلا تكفر» نهي على الحقيقة. وليس قوله: «كن» أمراً على الحقيقة، فن هاهنا ضعفت هذه القراءة^(١).



(١) الحجة: ج ٢ ص ١٦١ مع اختلاف في العبارة.

قوله تعالى:

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنْزِيلًا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

المعنى بهذه الآية في قول مجاهد: النصارى^(١)، وقول ابن عباس: اليهود^(٢)، وفي قول الحسن وقتادة: مشركو العرب^(٣) .

وكل ذلك محتمل، غير انه لمشركي العرب أليق، لأنه يشاكل ما طلبوا حين قالوا: «لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا» الى قوله: «هل كنت إلا بشراً رسولا»^(٤) ويقوّي ذلك قوله: «وقال الذين لا يعلمون» الكتاب فبين أنهم ليسوا أهل كتاب. ومن اختار ان المراد بها النصارى قال: لأنه قال قبلها: «وقالوا اتخذ الله ولداً» وهذا لا دلالة فيه، ولا يمتنع ان يذكر قوماً ويخبر عنهم ثم يستأنف قوماً آخرين فيخبر عنه، على ان مشركي العرب قد اضافوا الى الله البنات فدخلوا في جملة من قال: «اتخذ الله ولداً» .

ومعنى قوله: «لولا» هلاً، كما قال الأشهب بن رميلة:

(١) تفسيره: ص ٢١٢، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٨٠.

(٢) تفسيره: ص ١٧، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٨٠.

(٣) تفسير الطبري نقلاً عن قتادة: ج ١ ص ٤٠٧.

(٤) الاسراء: ٩٠-٩٣.

تعدّون عقر النيب أفضل مجدكم بني ضوْطرى لولا الكمي المقنعا^(١)
أي هلاًّ تعقرون الكمي المقنعا .

وانما قال: «أو تأتينا آية» وقد جاءتهم الآيات، لانهم طلبوا آية كما إنّ آية الرسل توافق دعوتهم ويكلّمهم الله كما كلّمهم الله .

والمعنى بقوله: «كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم» اليهود على قول مجاهد^(٢)، وعلى قول قتادة والسدي والربيع: اليهود والنصارى^(٣) .
والضمير في قوله: «تشابهت قلوبهم» يعني كناية عن قلوب اليهود والنصارى على قول مجاهد، وعلى قول الربيع وقاتادة: عن العرب واليهود والنصارى وغيرهم^(٤) .

فقوله: «تشابهت قلوبهم» يعني في الكفر بالاعتراض على انبياء الله بالجهل، لأن اليهود قالت لموسى: «أرنا الله جهرة»^(٥)، وقالت النصارى للمسيح: «أنزل علينا مائدة من السماء»^(٦)، وقالت العرب لمحمد صلّى الله عليه وآله: حول لنا الصفا ذهباً، وغير ذلك، وكذلك قال الله تعالى: «أتواصوا به»^(٧) .

(١) البيت المذكور في ديوان جرير يهجو به الفرزدق: ص ٢٦٥، وفيه بدل «أفضل مجدكم» و«لولا» كذا «أفضل سعيكم» و«هلاًّ» .

(٢) تفسيره: ص ٢١٢ .

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٠٨، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٨٠ .

(٤) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٨٠ .

(٥) النساء: ١٥٣ .

(٦) المائدة: ١١٤ .

(٧) الذاريات: ٥٣ .

وروي عن ابن إسحاق انه قرأ «تشابهت» بتشديد الشين خطأ، لأن ذلك انما يجوز في المضارع بمعنى تتشابه فتدغم احدى الشاءين في الشين، هكذا قال الفراء^(١) وغيره من أهل العلم .

وقوله: «قد بينا الآيات لقوم يوقنون» معناه أيقن بها قوم من حيث دلهم على الحق، فالواجب على كل هؤلاء أن يستدلوا بها ليصلوا الى اليقين كما وصل غيرهم إليه بها .

اللغة:

واليقين والعلم والمعرفة نظائر في اللغة، ونقيضه الشك والجهل، تقول: أيقن ايقاناً، وتيقن تيقناً، واستيقن استيقاناً. وقال صاحب العين^(٢): اليقين اليقين، قال الشاعر:

وما بالذي أبصرته العيون من قطع يأس ولا من يقن^(٣)
واليقين علم يثلج به الصدر، ولذا يقولون: أجد برد اليقين، ولا يقولون: وجد برد العلم .

فان قيل: لم لم يؤتوا الآيات التي طلبوها لتكون الحجة آكد؟ قلنا: اظهار الآيات يعتبر فيه المصالح وليس بموقوف على اقتراح العباد، ولوعلم الله أن ما اقترحوا من الآيات فيه مصلحة لأظهرها، فلما لم يظهرها علمنا انه لم يكن فيها مصلحة لنا أصلاً .

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٧٥.

(٢) العين: مادة «يقن» ج ٥ ص ٢٢٠.

(٣) الشاعر هو الاعشى، أنظر ديوانه: ص ٢١٠.

قوله تعالى:

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

آية بلا خلاف .

القراءة:

قرأ نافع «لا تسأل» بفتح التاء وجزم اللام على النهي^(١)، وروي ذلك عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام وابن عباس، ذكر ذلك الفراء^(٢) والبلخي، الباقر على لفظ الخبر على ما لم يسم فاعله^(٣).

المعنى والاعراب واللغة:

معنى قوله: «ولا تسأل عن أصحاب الجحيم» تسلية للنبي صلى الله عليه وآله ف قيل له: «انما انت بشير ونذير» ولست «تسأل عن أصحاب الجحيم»، ومثله قوله: «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات»^(٤) وقوله: «ليس عليك هداهم»^(٥) وقوله: «عليه ما حمل وعليكم ما حملتم»^(٦).

وموضع «تسأل» يحتمل أمرين:

أحدهما: ان يكون استثنافاً ولا موضع له .

(١) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٦٩، والكشف عن وجوه القراءات السبع:

ج ١ ص ٢٦٢، والحجة لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ١٦٣.

(٢) معاني القرآن: ج ١ ص ٧٥.

(٣) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ١٦٩ والحجة لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ١٦٣.

(٤) فاطر: ٨.

(٥) البقرة: ٢٧٢.

(٦) التور: ٥٤.

والآخر: أن يكون حالاً فيكون موضعه نصباً، ذكر ذلك الزجاج، لانه قال: «أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً» غير مسؤول عن أصحاب الجحيم^(١). ومن فتح التاء على الخبر تقديره غير سائل.

وانكر قوم الحال واعتلوا أنّ في قراءة أبي «وما تسأل» وفي قراءة عبد الله «ولن تسأل». وهذا غير صحيح لأنّ ليس قياس (لا) قياس (لن) و(ما)، لانه يجوز أرسلناك لا سائلاً ولا يجوز ما سائلاً، ولذلك احتمل مع (لا) الحال، ولن يحتمل مع (ما) و(لن)، لأنّ لـ (لا) تصرفاً ليس لهما فيجوز ان يعمل ما قبلها في ما بعدها ولا يجوز ذلك فيهما، تقول: جئت بلا خبر، ولا يجوز بما خبر.

. والجحيم النار بعينها اذا شَبَّت وقودها، قال أُمّية بن أبي الصلت: اذا شَبَّت جهنم ثم زادت واعرض عن قوابسها الجحيم^(٢) فصار كالعلم على جهنم. وقال صاحب العين^(٣): الجحيم النار الشديدة التأجج والالتهاب كما أجبوا نار ابراهيم، وهي تحجم جحوما يعني توقّدت جمرتها، وجاحم الحرب شدة القتال في معركتها، وقال سعيد بن مالك بن ضبيعة:

والحرب لا يبقى لها حمها التخيل والمراح
إلا الفتى الصبار في الد جدات والفرس الوقاح^(٤)
والجحمة العين بلغة حير، قال الشاعر:

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٢٠٠.

(٢) ديوانه: ص ٥٣، وفيه «فارت» بدل «زادت».

(٣) العين: مادة «جحم» ج ٣ ص ٨٧.

(٤) تهذيب اللغة: مادة «جحم» ج ٤ ص ١٦٩، ولا يوجد فيه البيت الثاني.

أيا جحمتي بكّي على أم واهب اكيلة قلوب باحدى المذانب^(١)
 وجحمتا الاسد عيناه، وتقول: جحمت النار جحماً اذا اضطربت،
 وجر جاحم اذا اشتدّ اشتعاله، ومنه اشتقاق الجحيم. واصل الباب
 الالتهاب. ومنه الاجحم الشديد حمرة العين شبه بالنار في حمرتها، والحرب
 تشبه بالتهاب النار.

وفي الآية دلالة على انه لا يؤخذ أحد بذنب غيره قريباً كان منه أو
 بعيداً، كما بين الله أنه لا يطالب أحد بذلك غيره، وان كان قد فرض على
 النبي صلى الله عليه وآله ان يدعو الى الحق ويزجر عن الباطل، وليس عليه
 أن يقبل المدعو. ومن قرأ بلفظ النهي قال الزجاج: يحتمل أمرين:
 أحدهما: أن يكون أمره بترك المسألة.

والآخر: ما قاله الأخفش: ان يكون المعنى على تفخيم ما أعد لهم من
 العقاب، كما يقال: لا تسأل عن فلان أي قد صار الى امر عظيم^(٢).
 وقال قوم^(٣): لو كان على النهي يقال: فلا (بالفاء) لانه يصير بمنزلة
 الجواب كأنه يدل على: لا ما ارسلناك إلّا بالحق فلا تسأل عن أصحاب
 الجحيم، ولا يحتاج في الرفع الى الفاء. واذا كان على الرفع فظاهر الكلام
 الأول يقتضيه اقتضاء الاحوال أو اقتضاء البيان الذي يجري مجرى الحجاج
 على من اعترض فان فعل الداعي الى الايمان لا يحل موقعه إلّا بان يقبل
 المدعو اليه.

(١) جهرة اللغة: مادة «ج ح م» ج ٢ ص ٥٩، وتهذيب اللغة: مادة «ج ح م» ج ٤ ص ١٧٠، مع
 اختلاف وتفاوت.

(٢) معاني القرآن: ج ١ ص ٢٠٠.

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٠٩، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ج ١ ص ٢٦٢.

واما ايصاله بما تقدم على الجزم فانما هو على معنى التغليظ لشأن الجحيم،
ليزجر بذلك عن ترك اتباعه صلى الله عليه وآله والتصديق بما اتى به من
البشارة .

قال أبو علي الفارسي : إنما تلزم الفاء اذا كان الكلام الأول علة فيما
بعد ذلك ، كقولك : اعطيك فرساً فلا تسأل شيئاً آخر ، والآية بخلاف
ذلك ^(١) .

وفي الناس من قال : القراءة بالجزم مردودة ، لانه لم يتوجه له اتصال
الكلام ، ولا كيف جاء بالواو دون الفاء ^(٢) .

وقد بينا الاتصال ، فاما المجيء بالواو فلأنه لم يرد الدلالة على معنى
الجواب ، ولكن عطف جملة على جملة تتعلق بها وتقتضي على ما انطوى عليه
معناها .

ومعنى الحق في قوله : «انا ارسلناك بالحق» الاسلام ، بشيراً من اتبعك
عليه بالثواب ، نذيراً من خالفك فيه بالعقاب . وقيل : «إنا ارسلناك
بالحق» يعني على الحق ، كما قال : «خلق الله السماوات والارض
بالحق» ^(٣) كأنه قال : على انها حق لا باطل .

* * *

(١) الحجة : ج ٢ ص ١٦٨ .

(٢) تفسير الطبري : ج ١ ص ٤٠٩ .

(٣) العنكبوت : ٤٤ .

قوله تعالى:

وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَلَئِنْ تَصْبِرْ ﴿١٢٠﴾ آية.

المعنى واللغة:

قيل في معنى هذه الآية قولان:

أحدهما: ان النبي صلى الله عليه وآله كان مجتهداً في طلب ما يرضيهم ليقبلوا الى الاسلام ويتركوا القتال، ف قيل له: دع ما يرضيهم الى ما أمر الله به من مجاهدتهم .

والآخر: قال الزجاج: كانوا يسألونه عليه السلام الهدنة والمسالمة ويرونه انه ان أمهلهم اسلموا، فأعلمه الله انهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم^(١).

وهذه الآية تدل أنه لا يصح ارضاء اليهود ولا النصارى على حال، لأنه تعالى علّقه بأن اليهود لا يرضون عنه حتى يكون صلى الله عليه وآله يهودياً، والنصارى لا يرضون عنه حتى يكون نصرانياً، فاستحال أن يكون يهودياً نصرانياً في حال واستحال إرضاءهم بذلك .

والرضا والمحبة والمودة نظائر، وضد الرضا الغضب، ويقال: رضى يرضى رضاء، وارضاه إرضاء، وارتضاه ارتضاء، واسترضاه استرضاء، وترضاه ترضياء، وتراضوا تراضياء، والرضي والمرضي بمعنى واحد. والرضا

مقصود من بنات الواو بدلالة الرضوان، تقول: رجل رضاء ورجال رضاء وامرأة ونساء رضاء. وأصل الباب الرضا نقيض الغضب.

وقوله: «حتى تتبع ملتهم» فالملة والنحلة والديانة نظائر، وتقول: وجد فلان ملة وملا، وهو عدوى الحمى، ومللت الشيء أمله ملالة وملا إذا سئمته، ومللت الخبزة أملها ملاً إذا دفنتها في الجمر، والجمر بعينه الملة. وقال صاحب العين: الملة الرماد والجمر وكل شيء تمّله في الجمر فهو مملول^(١)، قال الشاعر في وصف الحرباء:

كأنّ ضاحيه بالنار مملول^(٢) *

والمملول الممتل من الملة، وطريق ممل مليل قد سلك حتى صار معلماً، وملة رسول الله صلى الله عليه وآله الأمر الذي أوضحه، وامتّل الرجل إذا أخذ في ملة الاسلام أي قصدها ما أمل منه، والأمل املاال الكتاب ليكتب، والمليلة من الحمى.

وقوله: «قل إن هدى الله هو الهدى» معناه هو الذي يهدي الى الجنة، لا اليهودية ولا النصرانية. وقيل^(٣): ان معناه الدعاء الى هدى الله الذي يكذب قوهم: «لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى»^(٤) وهي الادلة الواضحة على ان المطيع لله هو الذي يفوز بثوابه في الجنة لا من ذكره من العصاة له.

وهذه الآية تدل على ان من علم الله منه انه لا يعصي يتناوله الوعيد

(١) العين: مادة «مل» ج ٨ ص ٣٢٤.

(٢) البيت من قصيدة لكعب بن زهير ذكره في لسان العرب: مادة «ملل» ج ١٣ ص ١٨٧.

(٣) كالطبري في تفسيره: ج ١ ص ٤١٠.

(٤) البقرة: ١١١.

والزجر ؛ لأنه تعالى علم أنّ النبي عليه السلام لا يعصيه ولا يتبع أهواءهم، وفيها دلالة على أنّ كل من اتبع الكفار على كفرهم ما له من الله من ولي ولا نصير، لانه اذا وجب ذلك في متبع واحد، وجب ذلك في الجميع .

الاعراب :

«حتى تتبع» نصب بـ(حتى)، وحكى الزجاج عن الخليل وسيبويه وجميع البصريين: أن الناصب للفعل (أن) بعد حتى، لان حتى تحفّض الاسم في قوله: «حتى مطلع الفجر» ولا يعرف في العربية حرف يعمل في اسم وفعل، ولا ما يكون خافضاً لاسم يكون ناصباً لفعل، فصار ذلك مثل قولك : جاء زيد ليضربك ، فانها تنصب الفعل باضمار (ان) لكونها جارة للاسم ^(١).

قوله تعالى:

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ آية بلا خلاف .

المعنى واللغة :

المعنى بهذه الآية - في قول قتادة واختيار الجبائي - اصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين آمنوا بالقرآن وصدقوا به ^(٢). وقال ابن زيد: هو من آمن

(١) معاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ٢٠١.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ص ٢٥، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٨٢.

بالنبي صلى الله عليه وآله من بني اسرائيل^(١)، والكتاب - على قوله - التوراة .
ومعنى قوله: «يتلونه حق تلاوته» قال ابن عباس: يتبعونه حق اتباعه
ولا يحرفونه، ثم يعملون بحلاله ويقفون عند حرامه^(٢)، ومثله قوله: «والقمر
إذا تلاها»^(٣) أي تبعها، وبه قال ابن مسعود ومجاهد وقتادة وعطاء^(٤) .
وروي عن أبي عبد الله عليه السلام حق التلاوة الوقوف عند ذكر
الجنة والنار يسأل في الأولى ويستجير من الأخرى^(٥) . وقال قوم: «يتلونه
حق تلاوته» يقرأونه حق قراءته^(٦) .

والتلاوة في اللغة على وجهين: أحدهما: القراءة. والثاني: الاتباع.
والأول أقوى وعليه أكثر المفسرين، ولا يجوز أن يقال: يتلونه حق التلاوة
على مذهب الكوفيين، كما لا يجوز يتلونه أي التلاوة، لأن أياً إذا كانت
مدحاً وقع على النكرة، ولم يقع على المعرفة، فلا يجوز مررت بالرجل حق
الرجل، كما لا يجوز مررت بالرجل أي الرجل، وكما لا يجوز مررت بأبي
عبد الله أي زيد، وإنما جاز «تلاوته» كما يجوز ربّ رجل وأخيه .

وقال بعض البصريين: يجوز مررت بالرجل حقّ الرجل ولا يجوز مع
أي؛ لأن أياً تدل على التبعية وليس كذلك حقّ، فاما مررت بالرجل

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤١١، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٨٢ .

(٢) تفسير ابن عباس: ص ١٧، وحكاة الازهري أيضاً في تهذيب اللغة: مادة «تلا» ج ١٤
ص ٣١٩ .

(٣) الشمس: ٢ .

(٤) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤١١-٤١٢، وتفسير مجاهد: ص ٢١٣، وتفسير الماوردي: ج ١
ص ١٨٢ .

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٥٧ .

(٦) حكاة الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٤١٢ .

كلّ الرجل فجائز عند الجميع لأنّ أصله التوكيد فترك على حاله .
والمعنى بقوله: «ومن يكفر به» اليهود -على قول ابن زيد- والأولى ان
يكون ذلك محمولاً على عمومهم في جميع الكفار، وبه قال الجبائي وأكثر
المفسرين .

قوله تعالى:

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ
﴿١٢٢﴾ آية واحدة .

اللغة والمعنى:

هذا خطاب من الله لبني اسرائيل الذين كانوا في عهد رسول الله صلى
الله عليه وآله أمرهم الله ان يذكروا نعمته التي انعم بها عليهم .
والنعمة النفع الذي يستحق به الشكر. والانعام والاحسان والافضال
نظائر، ونقيض النعمة النقمة، وهو الضرر المستحق .

ومعنى قوله: «واني فضلتكم على العالمين» يعني عالمي زمانهم، وتفضيله
اياهم بأن جعل فيهم النبوة والحكم، وهذه الآية قد تقدم ذكر مثلها في
رأس نيف واربعين^(١)، وقيل في سبب تكريرها ثلاثة أقوال:

أحدها: ان نعم الله لما كانت الأصل الذي به يجب شكره وعبادته
ذكرهم بها ليقبلوا إلى طاعته واتباع امره، وليكون مبالغة في استدعائهم الى ما
يلزمهم لرههم التظاهر بالنعم عليهم .

والثاني: انه لما ذكر الكتاب وعنى به التوراة وكان فيه الدلالة على شأن

عيسى ومحمد صلى الله عليهما في النبوة والبشارة المتقدمة ذكرهم عز وجل بما انعم عليهم من ذلك وفضلهم، كما جاء «فبأي آلاء ربكما تكذبان»^(١) بعد نعم ذكرهم بها، ثم عدّد نعماً آخر، وقال فيها: «فبأي آلاء ربكما تكذبان» اي فبأي هذه تكذبان، وكل تقرير جاء فانما هو موصول بتذكير نعمه غير الأول والثالث غير الثاني، وهكذا الى آخر السورة. وكذلك الوعيد- في سورة المرسلات- بقوله: «ويل يومئذ للمكذبين» انما هو بعد الدلالة على اعمال يعظم التكذيب بما تدعو اليه الأدلة .

الثالث: انه مقدمة لما بعده؛ لانه تعالى اراد وعظهم ذكرهم قبل ذلك بالنعم عليهم، لأنه استدعاء الى قبول الوعظ لهم، وقيل: فيه وجه رابع وهو انه لما تباعد بين الكلامين حسن التنبيه والتذكير. وموضع «التي» نصب بالعطف على نعمتي . قوله تعالى:

وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا
شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ آية بلا خلاف .

ومثل هذه الآية ايضاً تقدّم^(٢) وبيّنا ما فيها فلا معنى للتكرار، وبيّنا ان العدل هو الفدية، وقيل: هو المثل^(٣). ويقال: هذا عدله أي مثله، والعدل هو الحمل .

وبيّنا قول من يقول: إن الشفاعة لا تكون إلا لمرتكبي الكبائر اذا ماتوا مصّرّين .

(١) الرحمن: ١٣ .

(٢) راجع تفسير آية «٤٨» من سورة البقرة.

(٣) ذكره الفراء في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٢٠، ذيل آية «٩٥» من سورة المائدة.

فإن قلنا: ظاهر الآية متروك بالاجماع؛ لانه لا خلاف أن هاهنا شفاعته نافعة والآية تقتضي نفيا، وإن خصّوا بأنها لا تنفع المصرّين، وإنما ينفع التائبين .

قلنا: لنا أن نخصّها بالكافرين دون فساق المسلمين .
 وأما قوله: «لا يشفعون إلّا لمن ارتضى» فنتكلّم عليه إذا انتهينا إليه.
 ومن قال: إنه ليس يعني انه يشفع لها شافع فلا تنفع شفاعته لكنه يريد لا تأتي بمن يشفع لها، كما قال الشاعر:
 على لاحب لا يهتدى بمناره^(١)

وإنما أراد به لا منار هناك فيهتدى به لا يضربنا لانا لا نقول: إن هناك شفاعته تحصل ولا تنفع، بل نقول: إن الشفاعته إذا حصلت من النبي وغيره فانها تنفع لا محالة، وكذلك عند المخالف وإن قلنا: انها تنفع في اسقاط المضارّ، وقالوا: هم في زيادة المنافع، غير أنّا اتفقنا على انها تحصل لا محالة ولسنا ممن ينفي حصول الشفاعته أصلاً .
 قوله تعالى:

وَإِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْهِ رُوحُ رَبِّهِ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ آية بلا خلاف .

القراءة:

اسكن الباء من «عهدي» حمزة وحفص إلّا ابن ساهي^(٢)، وكتب في بعض المصاحف «ابراهيم» بغير ياء وفي اكثرها بالياء. قال بعض

(١) صدر بيت لامرئ القيس، أنظر ديوانه: ص ٩٥، وعجزه: إذا سافه العود الثبّاطي جرجرا.

(٢) التيسير في القراءات السبع: ص ٦٦-٦٧.

الجرهيين: نحن ورثنا على عهد «ابراهيم». وقرأ ابن عامر «ابراهيم» في خمسة وثلاثين موضعاً في القرآن كله، في البقرة خمسة عشرة موضعاً، وهو جميع ما فيها^(١).

المعنى واللغة:

تقدير الآية: واذكروا إذ ابتلى ابراهيم ربّه بكلمات. والابتلاء هو الاختبار وهو مجاز هاهنا؛ لأن حقيقة الأمر من الله تعالى بخصال الايمان فسمي ذلك اختباراً، لان ما يستعمل بالامر منافي مثل ذلك على جهة الاختبار والامتحان فجرى تشبيهاً بما يستعمله أهل اللغة عليه.

وقال ابن الاخشاذ: إنما ذلك على أنه جلّ ثناؤه يعامل العبد معاملة المختبر الذي لا يعلم لأنه لو جازاهم بعلمه فيهم كان ظالماً لهم.

والكلمات التي ابتلى الله ابراهيم بها فيها خلاف، فيروى في بعض الروايات عن ابن عباس وبه قال قتادة وابو الخلد: انه أمره اياه بعشرة سنن، خمس في الرأس وخمس في الجسد، فأما التي في الرأس فالمضمضة والاستنشاق والفرق وقص الشارب والسواك، وأما التي في الجسد فالحتان وحلق العانة وتقليم الاظفار ونتف الابطين والاستنجاء^(٢).

وفي احدى الروايتين عن ابن عباس أنه ابتلاه من شرائع الاسلام بثلاثين شيئاً عشرة منها في براءة: «التائبون العابدون الحامدون... الى اخرها» وعشرة في الاحزاب: «ان المسلمين والمسلمات... الى اخرها»

(١) كتاب السبعة في القراءات: ص ١٦٩، والحجة للفارسي: ج ٢ ص ١٧٥.

(٢) المستدرك «للحاكم»: ج ٢ ص ٢٦٦، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٤١٥، وأحكام القرآن للجصاص:

وعشرة في سورة المؤمنين الى قوله: «والذين هم على صلواتهم يحافظون» وعشرة في سأل سائل الى قوله: «والذين هم على صلاتهم يحافظون» فجعلها اربعين سهماً^(١).

وفي رواية ثالثة عن ابن عباس انه أمره بمناسك الحج: الوقوف بعرفة والطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والافاضة^(٢).

قال الحسن: ابتلاه الله بالكوكب والقمر وبالشمس وبالحلتان وبذبح ابنه، وبالنار وبالهجرة فكلهن وفي الله فيهن^(٣).

وقال مجاهد: ابتلاه الله بالآيات التي بعدها وهي «اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين»^(٤).

وقال الجبائي: أراد بذلك كلما كلفه من طاعاته العقلية والشرعية.

وقوله: «فأتمهن» معناه وفى بهن على قول الحسن. وقال قتادة والربيع: عمل بهن فأتمهن^(٥). وقال البلخي: الضمير في «أتمهن» راجع الى الله، وهو اختيار الحسين بن علي المغربي.

قال البلخي: الكلمات هي الامامة على ما قال مجاهد، قال: لأن الكلام متصل، ولم يفصل بين قوله: «اني جاعلك للناس اماماً» وبين ما تقدمه بواو، فأتمهن الله بان أوجب بها الامامة له بطاعته واضطلاعه، ومنع ان ينال العهد الظالمين من ذريته، وأخبره بأن منهم ظالماً فرضي به

(١) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٨٢.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤١٦، وأحكام القرآن: ج ١ ص ٦٦.

(٣) أحكام القرآن: ج ١ ص ٦٦، وتفسير الحسن البصري: ج ١ ص ١١٣.

(٤) تفسير مجاهد: ص ٢١٣، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٤١٥.

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤١٧.

وأطاعه، وكل ذلك ابتلاء واختبار.

والتام والكمال والوفاء نظائر، وضد التام النقصان، يقال: تم تماماً، وأتم إتماماً، واستتم استتماماً، وتمم تنمياً وتتمة، وتتمة كل شيء ما يكون تمامه بغايته، كقولك: هذه الدراهم تمام هذه المائة، وتتمة هذه المائة، التم الشيء التام، تقول: جعلته لك تماماً أي بتمامه، والقيمة قلادة من سيور وربما جعلت فيه العوذ تعلق على الصبيان. والليلة التام أطول ليلة في السنة، ويقال: بل ليل التام لثلاث عشرة لأنه يستبان فيها نقصانها من زيادتها، ويقال: بل ليلة أربع عشرة لأنه يتم فيها القمر فيصير بدرأ، ويقال: حملته لتام - بفتح التاء وكسرهما - والتام في لغة تميم هو التام.

وقال ابن دريد: امرأة حبلى متم، وولد الغلام أتم وتام، وبدر تمام، وليل تمام بالكسرفين وما بعد هذا فهو تمام بالفتح^(١) وأصل الباب التام وهو الكمال.

وقوله: «من ذريتي» معناه واجعل من ذريتي من يؤتم به ويقتدى به، على قول الربيع وأكثر المفسرين^(٢).

وقال بعضهم: معناه انه سأل لعقبه ان يكونوا على عهده وورثته، كما قال: «واجنبي وبني أن نعبد الأصنام» فأخبره الله ان في عقبه الظالم المخالف له، وذريته بقوله: «لا ينال عهدي الظالمين»^(٣). والأول اظهر.

وقال الجبائي: قوله: «ومن ذريتي» سؤال منه لله أن يعرقه هل في

(١) جهرة اللغة: مادة «ت م م» ج ١ ص ٤٢.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤١٨.

(٣) حكاة الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٤١٨.

ذريته من يبعثه نبياً كما بعثه هو وجعله إماماً^(١). وهذا الذي قاله ليس في الكلام ما يدل عليه بل الظاهر خلافه، ولو احتمل ذلك لم يمتنع ان يضيف الى ذلك مسألة منه الله ان يفعل ذلك بذريته مع سؤاله تعريفه ذلك .

والذرية والنسل والولد نظائر، وأراد ابراهيم عليه السلام هذا، وقال بعضهم: عبّر بالذرية عن الآباء، وقال تعالى: «وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون» أي آباءهم^(٢). وهذا ليس بواضح .

وبعض العرب ذرية - بكسر الذال - وبها قرأ زيد بن ثابت^(٣) .

قال صاحب العين^(٤): الذر صغار التل واحده ذرة، والذر اخذك الشيء بأطراف اصابعك، تقول: ذرت الدواء اذره ذراً، وكذلك الملح وغيره. واسم الدواء - الذي يتخذ للعين - ذرور، والذرية ذات قصب الطيب، وهو قصب يجاء به من الهند كأنه قصب النشاء، والذرة ما تنثر من الشيء الذي تذره. والذرية فعلية من ذرت، لأن الله تعالى ذرهم في الأرض فنشرهم فيها، كما ان السريرة من سررت، والجمع الذراري والسراري وما أشبهه وإن خففت جاز، والذرور ذروة الشمس، فهو يذر ذروراً وذلك أول طلوعها وسقوطها الى الأرض أو الشجر، وتقول: ذرقن الشمس اي طلع. وأصل الباب الذر وهو التفرقة .

وقوله: «لا ينال عهدي» والنيل واللاحاق والإدراك نظائر، والنيل والنوال ما نلته من معروف انسان، وإناله معروفه ونوله أعطاه نوالاً، قال

(١) جوزه الجصاص في أحكام القرآن: ج ١ ص ٦٩.

(٢) تهذيب اللغة: مادة «ذرأ» ج ١٥ ص ٤.

(٣) شواذ القرآن لابن خالويه: ص ١٧.

(٤) العين: مادة «ذر» ج ٨ ص ١٧٥.

طرفة:

إن تنوله فقد تمنعه وتره النجم يجري بالظهر^(١)
وقولهم: نولك ان تفعل ذلك ومعناه حقك ان تفعل. والنول خشبة
الحائك الذي ينسج الوسائد عليه ونحوها، واذانه المنصوبة ايضاً تسمى
النوال. وأصل الباب النيل وهو اللحق.

والمراد بالعهد هاهنا فيه خلاف، قال السدي واختاره الجبائي: إنه اراد
النوبة. وقال مجاهد: هو الامامة^(٢)، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله
عليهما السلام قالوا: لا يكون الظالم إماماً^(٣).

وقال ابو حذيفة: لا اتخذ إماماً ضالاً في الدنيا^(٤). وقيل: معناه الأمر
بالوفاء له فيما عقده من ظلمه. وقال ابن عباس: فاذا عقد عليك في ظلم،
فانقضه. وقال الحسن: ليس لهم عند الله عهد يعطيهم عليه خيراً في الآخرة،
فأما في الدنيا فقد يعاهدون فيوفى لهم^(٥)، وكأنه على هذا التأويل طاعة
يحتسب بها في الآخرة.

وقوله: «لا ينال عهدي الظالمين» يدل على انه يجوز ان يعطي ذلك
بعض ولده اذا لم يكن ظالماً، لأنه لو لم يرد أن يجعل أحداً منهم إماماً للناس
كان يجب أن يقول في الجواب: لا ولا ينال عهدي ذريتك، وكان يجوز أن

(١) ديوانه: ص ٥٦.

(٢) أحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٦٨، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٤١٨، وتفسير الماوردي: ج ١

ص ١٨٥.

(٣) تفسير العياشي: ج ٨٩ ص ٥٨، والكافي: كتاب الحجة ح ١ و ٢ ج ١ ص ١٧٥.

(٤) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤١٨.

(٥) أحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٦٩، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٨٥.

يقول في العربية: لا ينال عهدي الظالمون، لان ما نالك فقد نلت، وروي ذلك في قراءة ابن مسعود^(١) إلا أنه في المصحف (بالياء)، تقول: نالني خيرك ونلت خيرك .

واستدل أصحابنا بهذه الآية على ان الامام لا يكون إلا معصوماً من القبائح؛ لأن الله تعالى نفى ان ينال عهده الذي هو الامامة ظالم، ومن ليس بمعصوم فهو ظالم إما لنفسه أو لغيره .

فان قيل : انما نفى ان يناله ظالم في حال كونه كذلك فاما اذا تاب وأناب فلا يسمى ظالماً فلا يمتنع أن ينال .

قلنا : اذا تاب لا يخرج من أن تكون الآية تناولته في حال كونه ظالماً فاذا نفى أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها، ولم يفد أنه لا ينالها في هذه الحال دون غيرها، فيجب ان تحمل الآية على عموم الأوقات في ذلك ولا ينالها وإن تاب فيما بعد .

واستدلوا بها ايضاً على أن منزلة الامامة منفصلة من النبوة؛ لأن الله خاطب ابراهيم عليه السلام وهونبي، فقال له : انه سيجعله إماماً جزاءً له على اتمامه ما ابتلاه الله به من الكلمات، ولو كان إماماً في الحال، لما كان للكلام معنى، فدل ذلك على أن منزلة الامامة منفصلة من النبوة وانما أراد الله أن يجعلها لابراهيم عليه السلام. وقد أملينا رسالة مقررة في الفرق بين النبي والامام، وان النبي قد لا يكون إماماً على بعض الوجوه، فأما الامام فلا شك انه يكون غير نبي وأوضحنا القول في ذلك، من أراده وقف عليه من هناك .

(١) ذكره الفراء في معاني القرآن؛ ج ١ ص ٧٦، والأخفش في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٣٤.

وابراهيم وابراهيم لغتان، وأصله ابراهام فحذفت الألف استخفافاً، قال الشاعر:

* عذت بما عاذ به إبراهيم *

وقال أُمّية:

* مع ابراهيم التقي وموسى * (١)

قوله تعالى:

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَهِيمَ مُصَلًّى
وَعَهْدًا نَّآئِلًا إِلَىٰ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرَابَيْتِي لِلطَّآئِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ آية واحدة .

القراءة:

قرأ نافع وابن عامر «واتخذوا» على لفظ الخبر، الباقون بلفظ الأمر (٢) .

المعنى واللغة :

قوله: «واذ جعلنا» عطف على قوله: «واذ ابتلى ابراهيم ربه» وذلك معطوف على قوله: «يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم» واذكروا «إذ ابتلى ابراهيم ربه» «واذ جعلنا البيت مثابة»، والبيت الذي جعله مثابة هو البيت الحرام .

والبيت في اللغة والمنزل والمأوى نظائر، يقال: بات يبيت بيتوته، وبيته

(١) الحجة لابي علي الفارسي: ج ٢ ص ١٧٥ .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ج ١ ص ٢٦٣، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد:

ص ١٦٩، والحجة لابي علي الفارسي: ج ٢ ص ١٧١ .

مباينة، وتبيت تبيتاً، وتبايتوا تبايتاً، والبيت من أبيات الشعر ومن بيوت الناس، والبيت من بيوتات العرب احيائها، وبيت فلان أبياتاً تبيتاً اذا بناها، والبيتوتة الدخول في الليل، تقول: بت افعل كذا، وبالنهار ظلمت، وباتوا بيتوتة حسنة، وأباتهم الله إباته، وأباتهم الامر يباتاً، كل ذلك دخول الليل، وليس من النوم في شيء وما عنده بيت ليلة، ولا بيعة ليلة - بكسر الباء - يعني القوت، والله يكتب ما يبيتون عمل الليل، وبيت القوم اذا أوقعت فيهم ليلاً، والمصدر البيت والاسم البيات، ومنه قوله: «بأسنا بياتاً»^(١) ويسمى البيت من الشعر بيتاً لضمه الحروف والكلام كما يضم البيت أهله، وامرأة الرجل بيته، قال الراجز:

مالي اذا اخذتها صأيت أكبر قد غالي أم بيت^(٢)
وماء بيوت اذا بات ليلة في إنائه. وأصل الباب البيت المنزل .

وقوله: «مثابة» في معناه خلاف، قال الحسن: يثبون اليه كل عام أي ليس هو مرة في الزمان فقط^(٣). وقال ابن عباس: معناه أنه لا ينصرف عنه أحد وهو يرى انه قد قضى منه وطراً فهم يعودون اليه^(٤).

وقال ابو جعفر: يرجعون اليه لا يقضون منه وطراً، وبه قال مجاهد^(٥). وحكى الحارثي ان معناه يحجون اليه فيثابون عليه^(٦). وقال الجبائي: يثبون اليه يصيرون اليه .

(١) الاعراف: ٩٧.

(٢) أمالي المرتضى: ج ١ ص ٣٧٨، مع اختلاف.

(٣) أحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٧٢.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤١٩، وتفسير مجاهد: ص ٢١٤.

(٦) أحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٧٢.

والفرق بين مثابة ومشاب: إن الاخفش قال: مثابة للمبالغة لما كثر من يثوب اليه، كما قيل: علامة ونسابة وسيارة^(١). وقال الفراء والزجاج: معناهما واحد، كالمقامة والمقام بمعنى واحد^(٢). ووزن مثابة مفعلة، وأصلها مثوبة من ثاب يثوب مثابة ومثابا وثوبا إذا رجع، فنقلت حركة الواو الى الياء ثم قلبت على ما قبلها، قال ورقة بن نوفل في صفة الحرم: مشاب لأفناء القبائل كلها تختب اليه اليعملات الطلائع^(٣) ومنه ثاب اليه عقله أي رجع اليه بعد عزوبه، وقوله: «وأمننا» فالامن مصدر قولك: أمن يأمن أمنا، وانما جعله أمنا بأن حكم ان من عاذ به والتجأ لا يخاف على نفسه ما دام فيه بما جعله في نفوس العرب من تعظيمه، فكان من فيه آمنا على ماله ودمه ويتخطف الناس من حوله، كما قال: «أولم يروا انا جعلنا حرما آمناً ويتخطف الناس من حولهم»^(٤) ولعظم حرمة ان من جنى جناية والتجأ اليه لا يقام عليه الحد حتى يخرج لكن يضيق عليه في المطعم والمشرب والبيع والشراء حتى يخرج منه فيقام عليه الحد، فان احدث فيه ما يوجب الحد أقيم عليه فيه لأنه هتك حرمة الحرم، ولأن الله تعالى جعل الأشهر الحرم لا يحل فيها القتال والقتل، وكل ذلك بسبب البيت الحرام، فهو آمن بهذه الوجوه.

وقوله: «واتخذوا من مقام ابراهيم» أكثر القراء على لفظ الأمر إلا ابن

(١) معاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٣٣٥.

(٢) معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٧٦، ومعاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ٢٠٥.

(٣) أحكام القرآن للشافعي: ج ١ ص ١١٩.

(٤) العنكبوت: ٦٧.

عامر ونافع فأنهما قرأاً على لفظ الخبر من فعل ماضٍ^(١) .
 ويحتمل ان يكون اللفظ معطوفاً على قوله: «واذكروا» كأنه قال: يا بني
 اسرائيل اذكروا نعمتي واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى .
 وقال الربيع بن انس: من الكلمات التي ابتلى ابراهيم ربه قوله:
 «واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى»^(٢)، وكأنه قال: «اني جاعلك للناس
 إماماً» وقال: «اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى» .
 وقيل: انه معطوف على «واذ جعلنا البيت» لأن معناه واذكروا اذ
 جعلنا البيت واتخذوا^(٣) .
 وقيل: انه معطوف على معنى «جعلنا البيت مثابة للناس» لأن فيه
 معنى ثوبوا اليه واتخذوا^(٤) .
 وظاهر قوله: واتخذوا، انه عام لجميع المكلفين إلا من خصه الدليل
 وعليه أكثر المفسرين .
 وقال ابو علي الفارسي: وجه قراءة من قرأ على الخبر انه عطف على ما
 أضيف اليه (اذ)، كأنه قال: واذ اتخذوا، قال: وتقوية قوله إن ما بعده خبر
 وهو قوله: «وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل»^(٥) .
 المعنى بقوله: «من مقام» قيل فيه أربعة أقوال: أحدها: قال ابن

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٦٩، والحجة لابي علي الفارسي: ج ٢ ص ١٧١،

والكشف عن وجوه القراءات السبع: ج ١ ص ٢٦٣ .

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٢١ .

(٣) الاخفش في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٣٥، والزجاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٠٧ .

(٤) تفسير القرطبي: ج ٢ ص ١١١ .

(٥) الحجة: ج ٢ ص ١٧١ .

عباس: الحج كله مقام ابراهيم^(١).

وقال عطا: مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجمار. وقال مجاهد: الحرم كله مقام ابراهيم. وقال السدي: مقام ابراهيم هو الحجر الذي كانت زوجة اسماعيل وضعت تحت قدم ابراهيم حين غسلت رأسه، فوضع ابراهيم رجله عليه وهو راكب فغسلت شقه ثم رفعت من تحته وقد غابت رجله في الحجر، فوضعت تحت الشق الآخر فغسلته فغابت ايضاً رجله فيه، فجعلها الله من شعائره، فقال: «واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى»، وبه قال الحسن وقتادة والربيع واختاره الجبائي والرماني^(٢) وهو الظاهر في أخبارنا^(٣).

وهو الأقوى لأن مقام ابراهيم اذا اطلق لا يفهم منه إلا المقام المعروف الذي هو في المسجد الحرام، وفي المقام دلالة على نبوة ابراهيم عليه السلام، لأن الله تعالى جعل الصخرة تحت قدمه كالطين حتى دخلت قدمه فيها وكان ذلك معجزة له.

وقيل في معنى قوله: «مصلى» ثلاثة أقوال: قال مجاهد: مدعى مأخوذ من صليت بمعنى دعوت. وقال الحسن والجبائي: قبله. وقال قتادة والسدي: أمروا أن يصلوا عنده^(٤)، وهو المروي في أخبارنا^(٥). وبذلك استدلو على أن صلاة الطواف فريضة مثله؛ لأن الله تعالى أمر بذلك، والأمر يقتضي

(١) تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٨٧.

(٢) حكى أقوالهم الجصاص في أحكام القرآن: ج ١ ص ٧٥، والطبري في تفسيره: ج ١ ص ٤٢٢، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٨٧.

(٣) تفسير العياشي: ج ٩٣ ص ٥٩، وعلل الشرائع ب ١٦٠ ج ١ ص ٢٤٣.

(٤) أحكام القرآن: ج ١ ص ٧٥، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٤٢٣، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٨٧.

(٥) تفسير العياشي: ج ٩١ و ٩٢ ج ١ ص ٥٨.

الوجوب، وليس هاهنا صلاة يجب اداؤها عنده غير هذه بلا خلاف .
وقوله: «عهدنا الى ابراهيم واسماعيل» أي أمرنا ان طهرا، قال
الجبائي: أمراً أن يطهره من فرث ودم كان يطرحه عنده المشركون قبل ان
يصير في يد ابراهيم .

ويجوز أن يريد طهره من الاصنام والأوثان التي كانت عليه للمشركين
قبل أن يصير في يد ابراهيم، وبه قال قتادة ومجاهد. وقال السدي: طهره
ببنائكما له على الطهارة، كما قال: «أقن أسس بنيانه على تقوى من الله
ورضوان خير»^(١) .

والطائف والدائر والجائل نظائر، طاف يطوف طوافاً اذا دار حول
الشيء، وأطاف به اطافة اذا ألم به، وطوف تطويفاً، والطوف خشب أو
قصب يجمع بعضه الى بعض يركب عليه في البحر، والظوفان مصدر طاف
يطوف طوفاً، فاما طاف بالبيت فهو طواف، وأطاف به اذا احاط به .
والطائف العاص [بالليل]، والطوافون المماليك كقوله: «طوافون
عليكم»^(٢)، والطائف طائف الجن والشيطان، وكل شيء يغشى القلب
من وسواسه فهو طيفه، والطائفة من كل شيء قطعة، تقول: طائفة من
الناس وطائفة من الليل، قال الله تعالى: «طائفة من الذين معك»^(٣)
وأصل الباب الطوف الدور .

ومعنى «الطائفين» هاهنا قيل فيه قولان:
أحدهما: ما قال سعيد بن جبير: «الطائفين» من أتاه من غربة .

(١) أحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ٧٥، وفي تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٢٣ .

(٢) النور: ٥٨ .

(٣) المزمل: ٢٠ .

والثاني: قال عطا واختاره الجبائي وغيرهم: الطائفون بالبيت^(١). وهو الأصح.

وقوله: «والعاكفين» هاهنا قيل فيه أربعة أقوال:

الأول: قال عطا واختاره الجبائي: انهم المقيمون بمحضرتة.

والثاني: قال مجاهد وعكرمة: انهم المجاورون.

والثالث: قال سعيد بن جبير وقتادة: انهم أهل البلد الحرام.

والرابع: قال ابن عباس: هم المصلّون^(٢).

والأول أقوى، لأنه المفهوم من اطلاق هذه اللفظة، قال النابغة:

عكوف على أبياتهم يشمدونها رمى الله في تلك الاكف الكوانع^(٣)

والعكف واللزوم والدوام على الشيء نظائر، تقول: عكف يعكف

عكفاً وعكوفاً اذا لزم الشيء وأقام عليه فهو عاكف، وعكف الطير

بالقتيل، والعاكف المعتكف في المسجد، قلما يقولون: عكف - وان قيل كان

صواباً - وانما يقولون: اعتكف، ويقال للنظم اذا نظم فيه الجواهر: عكف

تعكيفاً، والمعكوف المحبوس، وأصل الباب العكف وهو اللزوم.

والمعني بقوله: «والركع السجود» قال قتادة وعطا: هم الذين يصلّون

عند الكعبة يركعون عندها ويسجدون^(٤). وقال الحسن: «الركع

السجود» جميع المؤمنين، وبه قال الفراء^(٥). وهو الاقوى لأنه العموم.

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٢٤، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٨٨.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٢٤، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٨٨.

(٣) ديوانه: ص ١٢٩، وفيه «قعوداً لدى» و «الأنوف» بدل «عكوف على» و «الاكف».

(٤) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٢٥.

(٥) معاني القرآن: ج ١ ص ٧٧، وفيه: أهل الاسلام.

فان قيل : كيف أمر الله تعالى ان يطهر بيته ولم يكن هناك بيت بعد؟
 قيل : معناه ابنيا لي بيتاً مطهراً في قول السدي، وقال عطاء: معناه طهرا
 مكان البيت الذي تبنيه فيما بعد^(١). وفي الآية دلالة على ان الصلاة [في]
 جوف البيت جائزة .

قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ أَمِنَ مِنْهُمْ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَتَبَسَّ
 أَلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ آية .

المعنى واللغة:

التقدير: واذكروا إذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً .
 فان قيل : هل كان الحرم آمناً قبل دعوة ابراهيم عليه السلام؟
 قيل : فيه خلاف، قال مجاهد عن ابن عباس وابو شريح الخزازي:
 كان آمناً لقول النبي عليه السلام حين فتح مكة: هذه حرم حرماً
 الله يوم خلق السماوات والأرض^(٢)، وهو الظاهر في رواياتنا^(٣) .
 وقال قوم: كانت قبل دعوة ابراهيم كسائر البلاد، وانما صارت حراماً
 بعد دعوته عليه السلام كما صارت المدينة، لما روي ان النبي صلى الله عليه
 وآله قال: ان ابراهيم عليه السلام حرم مكة واني حرمت المدينة^(٤) .

(١) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٢٣ .

(٢) شعب الايمان للبيهقي: ج ٤٠٧ ص ٣٤١ نقلاً عن ابن عباس، والسنن الكبرى للبيهقي:
 ج ٨ ص ٥٢ نقلاً عن أبي شريح الخزازي .

(٣) الكافي: ج ٣ ص ٤٠٤، ومن لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٤٥ .

(٤) أحكام القرآن للجصاص: ج ١ ص ١٧٩ وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٩٠ .

وقال بعضهم: كانت حراماً بوجه غير الوجه الذي صارت به حراماً بعد الدعوة [الوجه] الأول يمنع الله إياها من الاصطلام والانتقام كما لحق غيرها من البلاد، وبما جعل في النفوس من تعظيمها والهيبة لها. والوجه الثاني بالأمر على السنة الرسل، فأجابه الله الى ما سأل، وانما سأل أن يجعلها آمناً من الجذب والقحط، لانه أسكن أهله بواد غير ذي زرع ولا ضرع، ولم يسأله أمنه من انتقال وخسف، لأنه كان آمناً من ذلك ^(١). وقال قوم: سأله الامرين على ان يديمها له وان كان أحدهما مستأنفاً والآخر كان قبل ^(٢).

ومعنى قوله: «بلداً آمناً» أي يأمنون فيه، كما يقال: ليل نائم أي النوم فيه.

والبلد والمصر والمدينة نظائر، ورجل بليد اذا كان بعيد الفطنة وكذلك يقال للدابة التي تقصر عن نظائرها. وأصل البلادة التأثير، ومن ذلك قولهم لكركرة البعير: بلدة، لأنه اذا برك أثرت، والبلد الأثر في الجلد وغيره وجمعه أبلاد، وانما سُميت البلاد من قولك بلد أو بلدة، لأنها مواضع مواطن الناس وتأثيرهم، والبلد المقبرة، ويقال: هونفس القبر، قال خفاف:

كل امرئ نازل أحبته ومنسلب وجهه الى البلد ^(٣)
«ولا أقسم بهذا البلد» يعني بمكة، والتبلد نقيض التجلد وهو استكانة وخضوع، وتبلد الرجل اذا نكس وضعف في العمر وغيره حتى في السجود. والبلدة منزل من منازل القمر. وأصل الباب البلد وهو الأثر في الجلد

(١) أحكام القرآن: ج ١ ص ٨٠، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٨٩.

(٢) ذكر الفخر الرازي في تفسيره: ج ٤ ص ٥٤.

(٣) لم نعر عليه.

وغيره .

وقوله: «فأمتعته قليلاً» يعني بالرزق الذي أرزقه الى وقت مماته . وقيل: فأمتعته بالبقاء في الدنيا . وقال الحسن: فأمتعته بالأمن والرزق الى خروج محمد عليه السلام فيقتله إن أقام على كفره أو يجليه عنها (١) .

وقد قرئ في الشواذ فأمتعته على وجه الدعاء بصورة الامر ثم اضطره بمثل ذلك على ان يكون ذلك سؤالاً من ابراهيم ان يتمتع الكافر قليلاً ثم يضطره بعد ذلك الى عذاب النار (٢) .

والأول أجود لأنه قراءة الجماعة (٣)، هذا مروي عن ابن عباس (٤) .
والراء مفتوحة في هذه القراءة، وكان يجب ان تكسر، كما يقال: مد ومد ولم يقرأ به أحد، وقرأ ابن عامر وحده «فأمتعته قليلاً» من المتعة على الخبر [و] الباقون بالتشديد بدلالة قوله: «متعنأهم الى حين» (٥) .

والفرق بين متعت وامتعت: أن التشديد يدل على تكثير الفعل وليس كذلك التخفيف . وفعلت وافعلت يجيء على خمسة أقسام:
أحدها: ان يكونا بمعنى واحد، كقولهم: سميت واسميت . و[الثاني]: يجيء على التكثير والتقليل . و[الثالث]: يجيء على النقص، كقولك: فرطت قصرت، وافرطت جاوزت .

(١) أحكام القرآن: ج ١ ص ٨٠، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٤٢٨ .

(٢) معاني القرآن للزجاج: ج ١ ص ٢٠٨ .

(٣) كتاب السبعة في القراءات: ص ١٧٠ .

(٤) معاني القرآن للقرءاء: ج ١ ص ٧٨ .

(٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ج ١ ص ٢٦٥، والحجة: ج ٢ ص ١٧١ .

والرابع: تولّيت الفعل وتركته حتى يقع كقوله: «يخربون بيوتهم»^(١)
أي يهدمون، فاما أخرجت فمعناه تركت المنزل وهربت منه حتى خرب .
والخامس: ان ينفرد أحدهما عن الآخر، كقولك: كلمت، لا يقال فيه
افعلت واجلست، ولا يقال منه فعلت .

ومعنى «ثم اضطرّه» ادفعه الى عذاب النار وأسوقه اليه، والاضطرار هو
الفعل في الغير على وجه لا يمكنه الانفكاك منه اذا كان من جنس
مقدوره، ولهذا لا يقال: فلان مضطر الى كونه - وان كان لا يمكنه دفعه عن
نفسه - لما لم يكن الكون من جنس مقدوره. ويقال: هو مضطر الى حركة
الفالج وحركة العروق لما كانت الحركة من جنس مقدوره .
وقوله: «وبئس المصير» هو الحال التي يؤدي اليها أولها .

وصار وحال وآل نظائر، يقال: صار يصير مصيراً، قياسه رجع يرجع
مرجعاً وصيره تصييراً. قال صاحب العين: صير كلّ امر مصيرة، والصورورة
مصدر صار يصير صورورة. وقال بعضهم: صور الامر اخره^(٢) قال الكيت
يمدح هشام بن عبد الملك :

ملك لم يصنع الله منه بدء أمر ولم يضع صيورا^(٣)
وصارة الجبل رأسه، والصير الشق، وفي الحديث: (من نظر في صير باب
ففقت عينه فهي هدر)^(٤). وصير البقر موضع يتخذة للحظيرة، واذا كان
للغنم فهو زريبة، وأصل الباب المصير وهو المآل .

(١) الحشر: ٢.

(٢) العين: مادة «صير» ج ٧ ص ١٤٨.

(٣) لم نعتز عليه.

(٤) سنن النسائي: ج ٨ ص ٦١، وسنن الدارقطني: ج ٣ ص ١٩٩، قريب منه.

ومعنى الآية: سأل سؤال عارف بالله مطيع له، وهو أن يرزق من الثمرات من آمن بالله واليوم الآخر، فأجاب الله ذلك، ثم أعلمه انه يمتنع من كفره لأجل الدنيا ولا يمنعه من ذلك كما يتفضل به على المؤمن، ثم يضطره في الآخرة الى عذاب النار وبئس المصير، وهي كما قال: نعوذ بالله منها .
وقوله في الآية: «قليلاً» يحتمل أن يكون صفة للمصدر، كما قال: متاعاً حسناً فوصف به المصدر، وليس لأحد أن يقول: كيف يوصف به المصدر وهو فعل يدل على التكثر؟ وكيف يستقيم وصف الكثير بالقليل في قوله: «فامتعه» وهلا كانت قراءة ابن عامر أرجح على هذا؟ وذلك ايضاً إنما وصفه بانه قليل من كان آخره الى نفاذ ونقص وفناء، كما قال: «متاع الدنيا قليل»^(١).

ومجوز ايضاً ان يكون صفة للزمان، كما قال: «عما قليل ليصبحن نادمين»^(٢) يعني بعد زمان قليل. وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «وارزقهم من الثمرات» اي تحمل اليهم من الآفاق^(٣).

(١) النساء: ٧٧.

(٢) المؤمنون: ٤٠.

(٣) عوالي اللثالي: ح ٢٥٨ ج ٢ ص ٩٦.

100

101

102

103

104

105

106

107

108

109

110

111

112

113

114

115

116

117

118

119

120

فهارس الكتاب

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس أسماء المعصومين عليه السلام

فهرس الأعلام

فهرس الأشعار

فهرس الأرجاز

فهرس أعلام المترجمين في التعليق

فهرس المواضيع

فهرس الآيات

البقرة (٢)

٣٧	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ	٦
٣٧	وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّٰهِ	٨
٤٦٣	كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ	٢٨
٤٧٢	قَلْنَا اهْبِطُوا	٣٦
٣٢٢	اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ	٤٠
٤٧٠	وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ	٤٥
٢٣١	وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ ...	٥٠
٤٦٤	لَنُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ ...	٥٥
٤٣	فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ	٥٥
٤٣	ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ...	٥٦
٢٦١	فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا ...	٥٩
١٩٠	ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ...	٦١
٤٩٨	كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ	٦٥

٣٢٢	واذ قال موسى لقومه إن الله	٦٧
٤٧٣	لا يعلمون الكتاب إلا أمانى	٧٨
٢٩٦	واذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل ...	٨٣
٤٦٤	أفتؤمنون ببعض الكتاب	٨٥
٣٤	واشربوا في قلوبهم العجل	٩٣
٤١١	خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ...	٩٣
٤٣٢	نزله على قلبك يا ذن الله	٩٧
٣٩٢	واتبعوا ما تتلوا الشياطين	١٠٢
٢٠٨	لا تقولوا راعنا وقولوا	١٠٤
٤٦٤	انظرونا واسمعوا	١٠٤
٧٩	ألم تعلم أن الله على كل شيء ...	١٠٦
١٤	هاتوا برهانكم	١١١
٥١٠	لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ...	١١١
٤٠٣	بديع السموات	١١٧
١٨٨	لا يقبل منها عدل	١٢٣
١١٦	لا ينال عهدي الظالمين	١٢٤
٤٤١	واذ جعلنا البيت مثابة للناس	١٢٥
١٣٨	يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ...	١٤٦
١٦٧	وبشر الصابرين	١٥٥
٢٢٦	فمن عفى له من أخيه شيء	١٧٨
٤٠٣	عذاب أليم	١٧٨
٤٢٦	والفتنة أشد من القتل	١٩١
٢٥٣	هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله ...	٢١٠
١٥٧	حافظوا على الصلوات والصلاة ...	٢٣٨

٢٤٣	ألم تر الى الذين خرجوا من ...	٤٣
٢٤٩	فمن شرب منه فليس مني	٤٢٣
٢٥٧	الله ولي الذين آمنوا يخرجهم ...	٣١
٢٧٢	ليس عليك هدام	٥٠٥
٢٧٣	تعرفهم بسيماهم	١٩٦
٢٧٩	فأذنوا بحرب من الله	٤٣١
٢٨٠	فنظرة الى ميسرة	٢٠٨
٢٨٦	لا يكلف الله نفساً إلا وسعها	٤٩١

آل عمران (٣)

٢١	فبشرهم بعذاب أليم	١٨
٢١	ويقتلون النبيين بغير حق	١٤٧
٤٠	وقد بلغني الكبر	١١٥
٤٣	يا مريم اقنتي لربك واسجدي	٤٩٣
٨١	وإذا أخذ ميثاق النبيين لما ...	٢٩٦، ٣٧
٩١	مل الأرض ذهباً	٢٧٣
١١٠	كنتم خير أمة أخرجت ...	١٧٩
١٣١	واتقوا النار التي أعدت ...	٥
١٥٩	فبما رحمة من الله	٢٧
١٦٠	إن ينصركم الله فلا غالب لكم	١٩٠
١٨٥	كل نفس ذائقة الموت	١٧٥
١٨٧	وإذا أخذ الله ميثاق الذين	١٣٨
٢٠٠	اصبروا وصابروا	١٦٧

(٤) النساء

٢٥	فانكحوهنَّ بإذن أهلهنَّ	٤٣١
٣٥	فابعثوا حكماً من أهله ...	٧٤
٥٤-٥٤	الم تر الى الذين، وآتيناهم ملكاً عظيماً	٣٨٩
٤٦	من الذين هادوا يحرّفون الكلم	٤٤٤
٥٧	وندخلهم ظلاً ظليلاً	٢٥٢
٧١	خذوا جذركم	٤٣٢
٧٧	متاع الدنيا قليل	٥٣٣
٧٨	ايها تكونوا يدرككم الموت	٤٩٢
٩٢	وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً ...	٣٤٦
١٠٢	خذوا جذركم	٤٣٢
١٠٣	فأقيموا الصلاة إن الصلاة ...	١٥٧
١٥٣	أرنا الله جهرةً	٥٠٣، ٤٠٦
١٥٧	ما لهم به من علم إلا اتباع الظن	٣٤٦، ٨٧
١٦٥	لئلا يكون للناس على الله حجة	١٨٩

(٥) المائدة

٩	وعد الله الذين آمنوا وعملوا ...	٢١٤
١٨	قل فلم يعذبكم بذنوبكم	١٨٢
٢٠	واذ قال موسى لقومه اذكروا ...	١٣٧
٢٤	اذهب أنت وربك فقاتلا ...	٢٥٦، ٢٤٤
٢٩	أريد أن تبوء بإثمي وإثمك	٢٨٤
٣٨	والسارق والسارقة فاقطعوا	١٤٠
٥٧	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا ...	٤٤٦

٤٣٨	والله يعصمك من الناس	٦٧
٢٩٥	والذين كفروا وكذبوا بآياتنا	٨٦
٢٧٣، ١٨٧	عدل ذلك صيماً	٩٥
٣٧٧	يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي ...	١١٠
٥٠٣	أنزل علينا مائدة من السماء	١١٤
٩٤	واذ قال الله يا عيسى بن مريم	١١٦
٤٥٩	أأنت قلت للناس	١١٦

الأنعام (٦)

١٨٨	بربهم يعدلون	١
١٥٠، ١٤٨	وللبسنا عليهم ما يلبسون	٩
٤٧٦	ومنهم من يستمع اليك	٢٥
١٧٤	ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ...	٣٠
٤٦٨	ولا طائر يطير بجناحيه	٣٨
٢٣	فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا ...	٤٤
٩١	مبلسون	٤٤
١١٠	فيسبوا الله عدواً بغير علم	١٠٨
٣٦٣	ولا تسبوا الذين يدعون من ...	١٠٨
٣٨	واقسموا بالله جهد أيمانهم ...	١٠٩
١٨٣	وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً	١١١
٤٨٩	وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون	١١٣
١٨٨	بربهم يعدلون	١٥٠

الأعراف (٧)

٩٣، ٨٧	ما منعك ألا تسجد إذ ...	١٢
--------	-------------------------	----

٢٠	مانها كما ربكما عن هذه الشجرة ...	١٠٩
٢١	وقاسمها أني لكما لمن الناصحين	١٠٩
٢٣	ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم ...	١١٨
٣١	يا بني آدم خذوا زينتكم ...	١٣٥
٥٠	ونادى أصحاب النار أصحاب ...	٩٤
٥٤	ألا له الخلق والأمر	٤٠٩
٥٩	لقد ارسلنا نوحاً الى قومه	١٩١
٧٣	والى ثمود اخاهم صالحاً	١٩١
٨٩	ربنا افتح بيننا وبين قومنا ...	٣٤١
٩٥	حتى عفوا	٢٢٦
٩٧	بأسنا يياتاً	٥٢٣
١٢٩	أوذينا من قبل أن تأتينا ...	٢١١
١٢٩	قال عسى ربكم أن يهلك ...	٢١١
١٣٨	اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة	٤٠٦، ٤٦٤
١٤٣	وخرّ موسى صعقاً	٢٤٣
١٦٠	فانبجست	٢٧٤
١٦٤	وإذا قالت أمة منهم لم تعظون	٢٦٣
١٧٢	وإذا أخذ ربك من بني آدم ...	٣٨
١٧٢	ألست بربكم قالوا بلى	٤٧٤
١٧٧	ساء مثلاً القوم الذين ...	٣٨٧
١٨٩	وجعل منها زوجها	٤٧٢

الانفال (٨)

٧	واذا يعدكم الله احدى الطائفتين	٢١٤
---	--------------------------------	-----

١٧	وليبي المؤمنين منه بلاءً حسناً	١٩٩
٤١	يوم الفرقان يوم التقى الجمعان	٢٠٣، ٢٣٠
٤٥	إذا لقيتم فئةً فاثبتوا	١١٣
٥٨	وإما تخافن من قوم خيانة ...	١٣٠
٦٠	وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ...	٣٠٢
٦٥	يا أيها النبي حرض المؤمنين على ...	٤٥٠
٦٦	الآن خفف الله عنكم ...	٤٥٠، ٤٥٥

التوبة (٩)

١٧	ما كان للمشركين أن يعمرُوا ...	٤٨٥
٢٩	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله	٤٦٩
٣٠	قاتلهم الله	٢٣٤
٣٢	ويأبى الله إلا أن يتم نوره	٨٤
٣٧	انما النسبيء زيادة في الكفر	٤٥٤
٤٩	وإن جهنم لمحيطة بالكافرين	١٧
٦٢	والله ورسوله أحق أن يرضوه	١٢٣، ١٦٨
٦٧	نسوا الله فنسيهم	١٦١، ٤٥٦
٧٥	لئن آتانا من فضله لنصدّقن	٢٩٩
٧٦	فلما آتاهم من فضله بخلوا به ...	٢٩٩
٧٧	فاعقبهم نفقاً في قلوبهم الى ...	١٧٤
٧٧	أخلفوا الله ما وعدوه	٢١٤
١٠٣	إن صلاتك سكن لهم	٩٥
١١٢	التائبون العابدون	١١٩
١١٨	وظنّوا أن لا ملجأ من الله ...	١٧٢

يونس (١٠)

١٤	ثم جعلناكم خلائف في الأرض ...	٥٥
٢٢	حتى إذا كنتم في الفلك وجرين ...	٣٦٩
٢٦	للذين أحسنوا الحسنى	٣٦٨، ٣٦١
٣٠	هنالك تتلو كل نفس ما اسلفت	٤١٧
٣١	قل من يرزقكم من السماء والأرض ...	١١
٣٦	إنّ الظنّ لا يغني من الحق	١٧٣
٣٨	فأتوا بسورة مثله	١٣، ١٢
٤٢	ومنهم من يستمعون اليك	٤٧٦
٤٣	ومنهم من ينظر اليك أفأنت ...	٢٩٣
٥٩	الله أذن لكم	٣٥٣
٩٢	فاليوم ننجيّك بيدك	١٩٣

هود (١١)

١٣	فأتوا بعشر سور مثله ...	١٢
١٨	ألا لعنة الله على الظالمين	١٠١
٤٣	لا عاصم اليوم من أمر الله إلّا ...	٣٤٦، ٨٨
٩٥	بُعِثت ثمود	٢٢١

يوسف (١٢)

٢	إنا أنزلناه	١٦٨
٢٠	وشروه بثمن نجس	١٤٦
٢٩	يوسف أعرض عن هذا	٣٦٧
٣١	فلما رأيته أكبره	٨٤
٦٤	خير حافظاً	٢٧٣

٥٠٠	٧٧	أن يسرق فقد سرق أخ له من ...
٨٦	١٠٠	وخرّوا له سجدا

الرعد (١٣)

٣٣١	١١	ويحفظونه من أمر الله
٢٤٣	١٣	ويرسل الصواعق
٣٣٣	٣١	ولو أن قرآنا سيرت به الجبال

إبراهيم (١٤)

٣٥، ٣١	٢٧	ويضل الله الظالمين ...
١٣٦	٣٤	وإن تعدّوا نعمة الله ...

الحجر (١٥)

٦٤	٣٠	فسجد الملائكة كلهم أجمعون
٤٦٨	٨٥	فاصفح الصفح الجميل

النحل (١٦)

١٣٦	١٨	وإن تعدّوا نعمة الله ...
٢٩	٢٤	ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير ...
٢٩	٣٠	ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا
١٢٧	٤٧	أو يأخذهم على تخوّف
٥٧	٥٠	ويفعلون ما يؤمرون
٤٩٢	٧٦	أينما يوجهه ...
٣٠	٩٣	يضل من يشاء ويهدي من يشاء
٣٦٣	١٢٥	ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة ...
١٦٦	١٢٧	واصبر وما صبرك إلا بالله ...

الإسراء (١٧)

٤٩٧	وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب	٤
٤٩٧	فقضاهن سبع سموات	٤
٤٩٧	وقضى ربك ألا تعبدوا إلا ...	٢٣
٣٣٤	وإن من شيء إلا يسبح بحمده	٤٤
٨٦	قال أرايتك هذا الذي كرمت ...	٦٢
١٥	قل لئن اجتمعت الانس والجن ...	٨٨
٣٦٨	ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً	٨٨
٥٠٣	لن نؤمن لك هل كنت إلا ...	٩٣
٢٠٤	وقرآنأ فرقناه	١٠٦

الكهف (١٨)

١٢٥	ولا تقولن لشيء اني فاعلٌ ...	٢٣
١٠٠	ككلتا الجنتين أتت أكلهما ولم ...	٣٣
٨٨ و ٣٥	إلا ابليس كان من الجن ففسق	٥٠
٨٩	أفتتخذونه وذريته أولياء من ...	٥٠
٣٨٧	بئس للظالمين بدلاً	٥٠
١٧٣	ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم	٥٣
٢٦١	وتلك القرى أهلكتناهم لما ظلموا ...	٥٩
١٥٥	أقتلت نفساً زكية بغير نفس	٧٤
٢١٩	لو شئت لا اتخذت عليه أجراً	٧٧
٣٣٤	جداراً يريد أن ينقض	٧٧
٩٥	أما السفينة فكانت لمساكين ...	٧٩

مريم (١٩)

١١٥	وقد بلغت من الكبر عتياً	٨
١٦٠	وكنت نسياً منسياً	٢٣
٥٥	فخلف من بعدهم خلف أضاعوا ...	٥٩
١١٣	يلقون غيا	٥٩
٢٧٣	خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ مرداً	٧٦
٢١٩	واتخذوا من دون الله آلهةً	٨١

طه (٢٠)

١٩٧	بيضاء من غير سوء	٢٢
٦	فقلوا له قولاً لنا لعله يتذكر ...	٤٤
١٤١	... أخي	٣٠
١٤١	أشدد ...	٣١
٤٢٦	وفتاك فتونا	٤٠
٤٢١	يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى	٦٦
٢٠٥	فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً	٧٧
٩٦	هل أدلك على شجرة الخلد	١٢٠
١٠٣ و ١٩٦	فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما	١٢١

الأنبياء (٢١)

٣٤٩	ولكم الويل مما تصفون	١٨
١٩٩	ونبلوكم بالشرّ والخير	٣٥
٢٢٠	خلق الانسان من عجل	٣٧
٢٢٩	ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ...	٤٨

١٤٨	وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ لُبُوسٍ لَّكُمْ	٨٠
١٠١	إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ	٨٧
١٧	إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ...	٩٨
١٢٩	لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ	١٠٣
٢٨٦	رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ	١١٢

الحجّ (٢٢)

١٢٨	إِنْ زُلْزِلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ شديد	٢-١
٣٣٤	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي ...	١٨
٤٤٧، ١٣	فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ	٣٠
٣٤٥	إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي ...	٥٢
١٣٢	وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ...	٥٧
١٩٠	ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصَرِّهَ اللَّهُ	٦٠
١١٣	لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا	٦٢
٩٠، ٥٥	يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا	٧٥

المؤمنون (٢٣)

١٥٧	قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ	١
١٥٧	الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ	٢
٥٣٣	عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحَ نَادِمِينَ	٤٠
٢١٩	وَاتَّخَذُوهُمْ سَخَرِيَا	١١٠
٢٨٦، ١٤٧	وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا	١١٧

النور (٢٤)

١٤٠	الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلَدُوا كُلَّ	٢
-----	--	---

٣٢٣	ويدرأوا عنها العذاب	٨
١١٦	تلقونه بألسنتكم	١٥
٣	أيـه المؤمنون	٣١
٣٢٧	ولا يبيدين زينتهنّ إلّا لبعولتهن	٣١
٦٧	والله خلق كلّ دابة من ماء ...	٤٥
٥٠٥	عليه ما حمل وعليكم ما حملتم	٥٤
٤٣٢	يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم	٥٨
٥٢٧	طوافون عليكم	٥٨

الفرقان (٢٥)

٤٣٨	وقال الظالمون أن تتبعون إلّا ...	٨
٢١٩	ياليتني أتخذت مع الرسول سبيلا	٢٧
٢٥١، ٢١٠	ألم تر الى ربك كيف مّد الظلّ	٤٥
٣٦٨	وكان الكافر على ربه ظهيراً	٥٥

الشعراء (٢٦)

٢١١	إن أسر بعبادي إنكم ...	٥٢
٢١١	إنّ هؤلاء لشرذمة ...	٥٤
٢١١	وانّهم لنا لغائطون	٥٥
٢١١	وإنّا لجميع حاذرون	٥٦
٢٠٣	فكان كل فرق كالطود ...	٦٣
٢٠٥	فأوحينا الى موسى ...	٦٣
٣٢٥، ٢١١	ان اضرب بعصاك البحر فانقلب	٦٣
٤٩٢	ايّنا كنتم تعبدون	٩٢
٤٢٠	انما انت من المسحرين	١٥٣

١٨٥	انما أنت من المسحرين	٤٢٠
١٨٩	عذاب يوم الظلة	٢٥١

النمل (٢٧)

٣٧	فلنأتينهم بجنود لا ...	١٨٣
٩٠	هل تجزون إلا ما كنتم	١٨١

القصص (٢٨)

٨	فالتقطه آل فرعون ليكون لهم ...	٤٨٩
١٤	ولما بلغ أشده واستوى	٤٦
١٦	ظلمت نفسي	١٠١
٣٩	وظنوا انهم لنا لا يرجعون	١٧٣
٤٨	سحران تظاهرا	٣٦٨
٨٨	كل شيء هانك إلا وجهه	٤٧٥ ، ٩٦

العنكبوت (٢٩)

٤٤	خلق الله السموات والأرض ...	٥٠٨
٦٧	أولم يروا أنا جعلنا حرما ...	٥٢٤

الروم (٣٠)

٤	لله الأمر من قبل ومن بعد	٢٢١
٢٥	ثم اذا دعاكم دعوة من ...	٤٩٩
٢٨	ضرب لكم مثلاً من أنفسكم	٢٦
٥٨	ولئن جثتهم بآية ليقولن	٤٣٦

لقمان (٣١)

١٧	واصبر على ما أصابك ...	١٦٧
----	------------------------	-----

١٢٥ ولئن سألتهم من خلق ... ١١

السجدة (٣٢)

١٠ أإذا ضللنا في الأرض ٣٣
 ٢٨ ويقولون متى هذا الفتح ٢٨
 ٢٩ قل يوم الفتح ... ٣٤٠

الأحزاب (٣٣)

٧ وإذا أخذنا من النبيين ٤٠٩، ٢٩٦، ٢٩٥
 ٣٥ والخاصين والخاصات ١٧١
 ٣٧ وتخشى الناس والله أحق ... ٢٥
 ٤٤ تحيتهم يوم يلقونه سلام ١١٣
 ٦١ ملعونين أينما ثقفوا ٤٩٢

سبا (٣٤)

١٩ باعد بين أسفارنا ٢٢١
 ٢٤ قل الله وإنا أو إياكم لعلى ... ٣٢٨

فاطر (٣٥)

٢ ما يفتح الله للناس من رحمة ... ٤٧١
 ٨ فلا تذهب نفسك عليهم ... ٥٠٥
 ٤١ ان الله يمسك السموات والأرض ٤٧
 ٤٢ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن ... ٣٨

يس (٣٦)

٢٣٨	ياليت قومي يعلمون	٢٦
٨٨	فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون	٤٣
٨٨	إلا رحمة منا	٤٤
٣٥٠	عملت أيدينا	٧١

الصفات (٣٧)

٤٦٤	فاطلع فرآه في سوء الجحيم	٥٥
١٩٧	وفديناه بذبح عظيم	١٠٧
٦١	فلولا انه كان من المسبحين	١٤٣
٩٩	وانبتنا عليه شجرة من يقطين	١٤٦
٣٢٧	وارسلناه الى مائة الف أو يزيدون	١٤٧
٩٠	وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا	١٥٨

ص (٣٨)

٤٢٦	وظنَّ داود أنما فتناه	٢٤
٤٢٦	ولقد فتنا سليمان	٣٤
٣٥٠	خلقت بيدي	٧٥

الزمر (٣٩)

٤٩٤	أمن هو قانت آناء الليل ...	٩
١٤١	... فبشر عبادي	١٧
١٤١	الذين يستمعون ...	١٨

٢٩	ورجلاً مسلماً لرجل	٤٧٥
٣٦	أليس الله بكاف عبده	٤٦٠
٣٨	ولئن سألتهم من خلق السموات ...	١١
٤٢	قضى عليها الموت	٤٩٧
٥٣	يا عبادي الذين اسرفوا	١٤١
٥٨	بلى قد جاءك آياتي فكذبت ...	٣٥٤
٦٤	أفغير الله تأمروني أعبد	٣٥٧
٦٨	فصعق من في السموات ومن ...	٢٤٣
٧٣	حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها	٨٥

غافر (٤٠)

١١	امتنا إثنين واحييتنا إثنين	٤١
١٧	اليوم تجزي كل نفس ما كسبت	١٨٢
٤٧	واذ يتحاجون في النار	٩٤
٦٤	جعل لكم الأرض قراراً	١١١

فصلت (٤١)

٥	قالوا قلوبنا في اكنة مما ...	٣٨١، ٣٧٩
٩	أإنكم لتكفرون بالذي خلق ...	٥٠
١٠	وجعل فيها رواسي من فوقها ...	٥٠
١١	فقال لها وللأرض ائتيا ...	٤٩٨، ١٢٦
١١	إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا ...	٣٠٣
١٢	فقضاهن سبع سموات في ...	٤٩٧، ٤٩٦
١٣	فان اعرضوا فقل انذرتمكم	٢٤٣

٤٠ اعملوا ما شئتم ١١٠

الزخرف (٤٣)

١٣ لتستووا على ظهوره ٤٦
 ٤٤ وإنه لذكر لك ولقومك ١٣٦
 ٤٩ يا أيه الساحر ٣
 ٨٧ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن ... ١١

الدخان (٤٤)

٣ إنا أنزلناه ١٦٨
 ٤ فيها يفرق كل أمر ... ٢٠٤
 ٣٢ ولقد اخترناهم على علم ... ٥٥
 ٤٧ خذوه فاعتلوه الى سواء ... ٤٦٤

الجبثية (٤٥)

٢٤ أن هم إلا يظنون ١٧٣

الاحقاف (٤٦)

٩ ما كنت بدعاً من الرسل ٤٩٦

محمّد (٤٧)

١ الذين كفروا وصدّوا عن سبيل ... ٢٩٥
 ٤ فاذا لقيتم الذين كفروا ... ١١٣

٤٧٦	ومنهم من يستمع اليك	١٦
	والذين اهتدوا زادهم هدى ... ٣١	١٧
٣٨٠	افلا يتدبرون القرآن	٢٤

الفتح (٤٨)

١٧٣	وظننتم ظنّ السوء	١٢
١٩٦	سيأهم في وجوههم	٢٩

الذاريات (٥١)

٤٢٧	يوم هم على النار يفتنون	١٣
٣٠٨	فأخطبكم أيها المرسلون	٣١
٣٠٨	قالوا أنا أرسلنا	٣٢
٥٠٣	أتوا صوابه	٥٣

النجم (٥٣)

٣٢٩	فكان قاب قوسين أو أدنى ...	٩
-----	----------------------------	---

القمر (٥٤)

٧٤	حكمة بالغه	٥
٣١٤	كأنهم اعجاز نخل منقعر	٢٠
١٧٥	انا مرسلو الناقة	٢٧

الرحمن (٥٥)

٥١٤	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٣
٢٠٥	مرج البحرين يلتقيان	١٩
٤٧٥	كل من عليها فان	٢٦
٤٧٥	ويبقى وجه ربك	٢٧
٣	أيه الثقلان	٣١
١٩٦	يعرف المجرمون بسيماهم	٤١
٤٠٨، ٢٩٥	فيها فاكهة ونخل ورمان	٦٨
٢٣٨	فيهنّ خيرات حسان	٧٠

الواقعة (٥٦)

٢٥١	فظلمت تفكّهون	٦٥
٣٧٨	حقّ اليقين	٩٥

الحديد (٥٧)

٤٤٥، ٢٠٨	انظرونا نقتبس ...	١٣
----------	-------------------	----

المجادلة (٥٨)

٢١٩	اتخذوا أيمانهم جنة	١٦
-----	--------------------	----

الحشر (٥٩)

٥٣٢	يخربون بيوتهم	٢
١٥٧	وما آتاكم الرسول فخذوه ...	٧

١٢	لئن أخرجوا لا يخرجون ...	٤٣٥
٢١	لو أنزلنا هذا القرآن على ...	٣٣٣

المتحنة (٦٠)

١	لا تتخذوا عدوِّي وعدوكم ...	٢١٩
٤	انا برآء منكم	٢٣٢

الجمعة (٦٢)

١١	واذا رأوا تجارة أو لهواً	١٦٩، ١٢٣
----	--------------------------	----------

المنافقون (٦٣)

٤	قاتلهم الله ...	٢٣٥، ٢٣٤
---	-----------------	----------

التغابن (٦٤)

١١	ومن يؤمن بالله يهد ...	٣١
----	------------------------	----

الطلاق (٦٥)

١	يا أيها النبي إذا طلقتم ...	٤٦٠، ٢٢٧
---	-----------------------------	----------

التحريم (٦٦)

٤	والملائكة بعد ذلك ظهير	٣٦٨
٦	لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ...	٨٨
٦	يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم ...	٨٩

الملك (٦٧)

٣٣٦	ألم يأتكم نذير	٨
٣٣٦	قالوا بلى	٩
٣٥٤	أم أمنت من في السماء	١٧

القلم (٦٨)

٤٢٧	بأيكم المفتون	٦
-----	---------------	---

الحاقة (٦٩)

٣١٤	كأنهم أعجاز نخل خاوية	٧
١٧٢	ظننتُ أني ملاقٍ حساييه	٢٠

نوح (٧١)

٢٩٨	إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه	١
٣٨	انبتكم من الأرض نباتا	١٧

الجن (٧٢)

٨٣	وإن المساجد لله	١٨
----	-----------------	----

المزمل (٧٣)

٦١	إن لك في النهار سبحاً ...	٧
٤٨	السماء منفطر به	١٨
٥٢٧	طائفة من الذين معك	٢٠

الانسان (٧٦)

١٢٩	إما شاكراً وإما كفوراً	٣
-----	------------------------	---

١١٣	ولقاهم نضرةً وسروراً	١١
٢٨٣	قواريرا	١٥

النازعات (٧٩)

٤٩	انتم أشد خلقاً أم السماء ...	٢٧
٤٩	رفع سمكها فسواها	٢٨
٤٩	والأرض بعد ذلك دحاها	٣٠

عبس (٨٠)

٤٥٣	ثم أماته فأقبره	٢١
-----	-----------------	----

التكوير (٨١)

٤١	فأين تذهبون	٢٦
----	-------------	----

الأعلى (٨٧)

٤٢٩	سيذكر من يخشى	١٠
٤٢٩	ويتجنبها الأشقى	١١

الفجر (٨٩)

١٨٤	والشفع والوتر	٣
-----	---------------	---

التين (٩٥)

٢٥٤	أجر غير ممنون	٦
-----	---------------	---

القدر (٩٧)

١٦٨

١ إنا أنزلناه

القيامة (٧٥)

٢٠٨

٢٣ الى ربها ناظرة

٤٦٠

٤٠ أليس ذلك بقادر على ...

الهمزة (١٠٤)

٣٩٣

٣ يحسب أن ماله أخلده

فهرس الأحاديث

	آدم ﷺ
١١٨	اللَّهُمَّ لا إِلَهَ إِلاَّ ... النبي ﷺ
٢٨٧	اختلف بنو إسرائيل بعد موسى
١٨٥	ادخرت شفاعتي لأهل ...
١٦٧	اقتلوا القاتل واصبروا الصابر
٤٨٤	ألا يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوف ...
٤٠٧	اما العظام والعصب والعروق ...
٥٢٩	إنّ إبراهيم ﷺ حرّم مكّة وأني حرّمت المدينة
٣٣٢	إنّ حجراً كان يسلم عليّ في الجاهلية ...
٣٤٣	إنّا أمة أُميون لا نكتب ولا نحسب
١٨٩	انصر أخاك ظالماً ومظلوماً
٣٦٤	انما المؤمنون في تعاطفهم وتراحمهم ...
٤٢٠	إنّ من البيان لسحرا
٢٢١	انه لعن المصوّرين

- ٣١٠ انهم أمروا بأدنى بقرة
 ٤٠٧ أيهما علا ماؤه كان الشبه له
 ٣٦٩ البر ما أطمأنت إليه نفسك والاثم ...
 ٤٠٧ تنام عيناى وقلبي يقظان
 ٤٠٧ جبريل
 ٤٨٢ جعلت لي الأرض مسجداً...
 ٦٣ خلق الله آدم من ...
 ٥٦ دحيت الأرض من مكة...
 ٤٦٢ سأله قومه أن يجعل لهم ذات أنواط
 ٤٩٣ طول القنوت
 ٤٩٦ كل بدعة ضلالة
 ٢٥٤ الكأمة من المنّ وماؤها..
 ٦٥ لا تنبز بإسمي
 ٤٨٧ لا تشريق إلا في مصر ومسجد جامع
 ٤٣٠ لا ضرر ولا ضرار
 ٢٤٠ لا يترأى أحدكم في الماء
 ٢٧٨ لست بنبي الله ولكني نبي الله
 ٣٩٩ لو أن اليهود تمّنوا الموت ...
 ١٤٥ من سنّ سنّة حسنة فله أجرها...
 ٥٣٢ من نظر في صير باب ..
 ٤٦٧ النشيج للرجال والتصفّح للنساء
 ٣٨٦ نعم ما المال للرجل الصالح
 ٤٦٢ نعم هو لكم كالمائدة لبني إسرائيل...
 ٣٤٠ يا أخوة القردة والخنازير

ينقل هذا العلم من ... ٥٥

الامام علي بن أبي طالب عليه السلام
 أنه أراد النبوة ٤٤٧
 شجرة الكافور ١٠٠
 لا أبالي سقط الموت عليّ... ٤٠٤
 اللهم ستمهم وستموني... ٤٠٤
 اللهم عجل اليّ الراحة وعجل... ٤٠٤

الامام علي بن الحسين عليه السلام
 أنه أراد جميع الأرض ٤٨٢

الامام الباقر عليه السلام
 أن أحبار اليهود كانت غيرت... ٣٥١
 أنه الحنطة ٢٨٠
 أنه أراد النبوة ٤٤٧
 تحمل إليهم من الآفاق ٥٣٣
 رب إني ظلمت نفسي... ١١٩، ١١٨
 كان قوم من اليهود ليسوا... ٣٤١
 كان ليحيى بن أخطب وكعب... ١٤٦
 لا يكون الظالم إماماً ٥٢٠
 لم يؤمر رسول الله ﷺ بقتل... ٤٦٩
 وقولوا للناس حسناً للناس كلّهم ٣٦١
 هذه الكلمة سبّ بالعبرانية... ٤٤٤

الامام الصادق عليه السلام

- ٦٣ أن الملائكة سألت الله...
٢٤ إنما ضرب الله بالبعوضة..
٥١٢ حقّ التلاوة الوقوف عند ذكر...
٦٣ فلما أُجيبوا بما ذكر...
٥٢٠ لا يكون الظالم إماماً
٢٥٧ المنّ كان ينزل على بني إسرائيل..

فهرس أسماء المعصومين

- آدم عليه السلام: ٤٢، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٦، ٨٩، ٩٣، ٩٥، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢٤، ١٧٩، ٢٢٠، ٢٩٧، ٣١٠، ٤٢٥، ٤٧٢.
- ابراهيم عليه السلام: ٥١٦، ٥١٩، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣١.
- إدريس عليه السلام: ٤٢٦.
- إسماعيل عليه السلام: ٥٢٦.
- الباقر (أبو جعفر) عليه السلام: ١١٩، ١٤٦، ٢٨٠، ٣٠٥، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٥١، ٣٦١، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٦٩، ٥٠٥، ٥٢، ٥٣٣.
- حواء عليها السلام: ١٠١، ١١٠، ٤٧٢.
- سليمان عليه السلام: ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٤.
- شعيب عليه السلام: ٥٦.
- الصادق (أبو عبدالله) عليه السلام: ٢٤، ٦٣، ٨٧، ٢٥٧، ٥١٢، ٥٢٠.
- صالح عليه السلام: ٥٦.
- الإمام علي عليه السلام: ١٠٠، ٤٠٤، ٤٤٧.
- عيسى عليه السلام: ١٣٠، ١٤٢، ٢٨٧، ٢٩٠، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٩٠، ٤٧٧، ٥١٤.
- محمد ﷺ رسول الله النبي: ١٢، ١٣، ١٥، ١٧، ٣٧، ٤٤، ٥٥، ٥٦، ٦٣، ٦٥، ٧٥.

١١٤، ١١٩، ١٢٢، ١٣٥، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧،
 ١٥٩، ١٦٥، ١٦٧، ١٧٩، ١٨٥، ١٨٨، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٥٤، ٢٦٥، ٢٧٥،
 ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣١٥، ٣١، ٣٣٢،
 ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٦، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٢،
 ٣٨١، ٣٨، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠،
 ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٣٧،
 ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦، ٤٦٢، ٤٦٩، ٤٧٧، ٤٧٨،
 ٤٧٩، ٤٨١، ٤٨٤، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٣، ٥٠٣، ٥٠٥، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢،
 ٥١٣، ٥١٤، ٥٢٩، ٥٣١.

الإمام المهدي (عج): ٤٨٥.

موسى عليه السلام: ٦، ٤٣، ١٢٧، ١٤٢، ١٥٠، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥،
 ٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٦١، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٥،
 ٢٧٩، ٢٨٧، ٢٩٧، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٨، ٣٢٥، ٣٣١، ٣٣٧، ٣٤٧، ٣٦٤،
 ٣٧٦، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤١٠، ٤٦٤، ٥٠٣.

نوح عليه السلام: ٥٦، ٦٧، ٢٩١.

هارون عليه السلام: ٦، ٢١٦، ٢٢٢.

هود عليه السلام: ٥٦.

يعقوب عليه السلام: ٨٦.

يوشع عليه السلام: ٢١١.

فهرس الأعلام

آصف : ٤١٤.

إيليس : ٦٢، ٨٠، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٦، ١٠٢، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١٢.

٤١٨.

ابن أبي إسحاق : ١٣٠.

ابن أبي نجيح : ٢٩١، ٤٥٥.

ابن الأخشاد (أبو بكر أحمد بن علي): ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٨٦، ٩٦، ١٢٢، ١٢٨.

٢٢٤، ٤٥١، ٤٥٢، ٥١٦.

ابن أذينة الثقفي : ٢٧٤.

ابن أحمر: ١٦٩.

ابن اسحاق (محمد): ١٠٢، ١٩٥، ٣٣٧، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٥٠٤.

ابن بيض : ٤٩٠.

ابن جدعان : ١٠٠.

ابن جريج : ١٣، ١٤، ٢١، ٨٧، ١٠٠، ١٤٤، ١٧٢، ٢٣٦، ٢٥٦، ٢٨٨، ٢٩٠.

٢٩٧، ٣١٥، ٣١٦، ٣٥٥، ٣٦٢، ٤١٦، ٤١٨.

ابن حمزة : ٣٣٥.

ابن الحنفية : ٣٦١.

ابن دريد : ١١٠، ١٣١، ١٥٩، ١٦٤، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٦، ٢٢١، ٢٣٤، ٢٥٥، ٢٦٠، ٤٩٤، ٤٩٥، ٥١٨.

ابن ريع الهذلي : ٥١.

ابن زيد : ٢١، ٦٧، ٨٧، ١١٨، ١٥٠، ٢٣٠، ٢٥٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩١، ٣٢٤، ٣٧٧، ٣٧٨، ٤٢١، ٤٣٣، ٤٦٩، ٤٨٠، ٤٨٤، ٤٨٩، ٥١١، ٥١٣.

ابن سابط : ٥٦.

ابن ساهي : ٥١٥.

ابن سيرين : ٣٢٣، ٣٢٧.

ابن سوريا : ٤٠٧، ٤١٠.

ابن عامر : ٧٢، ٣٠٧، ٤١٦، ٤٤٨، ٤٩٠، ٤٩٢، ٤٩٥، ٥١٦، ٥٢٢، ٥٢٥، ٥٣١، ٥٣٣.

ابن عباس : ٥، ١٠، ١٣، ١٤، ١٦، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٦، ٦٧، ٧٤، ٧٥، ٨٧، ٩١، ١٠٠، ١١٩، ١٣٥، ١٣٨، ١٥٠، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، ١٨٨، ٢١٢، ٢٢٢، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٨٠، ٢٩٠، ٢٩٤، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٦، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٧٠، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٣، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٩، ٤١٢، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٦٩، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٨٠، ٤٨٩، ٤٩٣، ٥٠٢، ٥٠٥، ٥١٢، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٠، ٥٢٣، ٥٢٥، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣١.

ابن عمر : ٤٨٩.

ابن كثير : ٧٣، ١١٣، ١٤١، ١٧٩، ٢١٣، ٣٢٥، ٣٥٧، ٣٧٥، ٤٠٤، ٤٤٨.

ابن مجاهد : ٢٣١، ٢٨٠.

ابن محيص : ٣٧٩.

ابن مسعود : ١٠، ١٦، ٢٠، ٢٣، ٤١، ٥٦، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٧١، ٨٧، ١٠٠، ١١٦، ٢٨٠، ٢٨٢، ٣١٤، ٤٢٢، ٤٤٥، ٥١٢، ٥٢١.

ابن المسيب : ٨٧.

ابن نجا : ٤٧١.

ابن نجران : ٢٩٨.

أبو الأحوص : ٤١.

أبو الأسود الدؤلي : ٣٢٨، ٤١٣، ٤٢٢.

أبو بكر : ٤٠٥.

أبو جعفر المدني : ٧٣، ٨٢، ٢١٣، ٣٤٣، ٥٢٣.

أبو حاتم : ٩٥.

أبو الحسن الأخفش : ٢١، ٢٩، ٤٧، ٦٩، ٨٩، ١٣٥، ١٤٣، ١٥١، ١٥٩، ١٨٠،

١٨٢، ٢٠٠، ٢١٥، ٢١٦، ٢٥٥، ٣٦١، ٤٠٥، ٤٢٧، ٤٨٤، ٥٠١، ٥٠٧، ٥٢٤.

أبو حذيفة : ٥٢٠.

أبو الخلد : ٥١٦.

أبو داود : ١٧٢.

أبو ذؤيب : ١٣٠، ٤٤٦، ٤٩٦.

أبو رجاء الطاردي : ٤٥٨.

أبو رعاية السلمي : ٢٨٨.

أبو زيد : ٨، ٧٧، ١٥٥، ٢١٩، ٢٢١، ٢٧٠، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٩٠، ٢٩١.

أبو سعيد الخدري : ٣٥٠.

أبو شريح الخزاعي : ٥٢٩.

أبو صالح : ٤٢.

أبو طاهر : ٢٣١.

أبو العالية : ١٤٤، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٩، ١٨٨، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٣٠، ٢٧٠، ٢٨٢،
٢٨٤، ٢٩٨، ٣٠١، ٣١٣، ٣٢٤، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٩٥، ٤٠١،
٤٤٣.

أبو عبدالله السلمي : ٣٢٠.
أبو عبيدة : ١٩، ٢٠، ٥١، ٥٣، ٥٨، ٨٥، ٩٥، ١١٤، ١١٦، ١٣١، ١٩١، ١٩٤،
٢٧٠، ٢٨٨، ٣٠٢، ٣١٠، ٣٢٢، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٩٠، ٤٥٣، ٤٥٦،
٤٩٤.

أبو عبيدة السلماني : ٣٢٣.
أبو عثمان : ٢٧٧.
أبو علي الفارسي : ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٩١، ٣٨٠، ٤٠٦، ٥٠١، ٥٠٨، ٥٢٥.
أبو عمرو بن العلاء : ٧٢، ٢٣١، ٢٣٨، ٣٠٧، ٣٧٠، ٤٤٨.
أبو مسلم (محمد بن بحر) : ٢٨٢، ٣٤٦.
أبو مسلم (محمد بن يحيى) : ١٠٢، ١٦٢، ١٩١، ٢٣٠.
أبو موسى الأشعري : ٤٥١.
أبو مهيدي : ١١٤.
أبو النجم : ٢٣٤، ٤٩٧.
أبو نخيلة السعدي : ٤٢.
أبو وايل : ٣٥٥.
أبو هاشم : ٧١، ١٢٢.
أبو هريرة : ١١٤، ٢٨٧.
أبو ياسر بن أخطب : ٤٦٦.
أبي بن كعب : ٧١.
أحمد بن صالح : ٧٢، ٧٣.

- أحيحة بن الجلاح : ٢٨٠ .
الأحنف : ٢٠٠ .
الأحوص : ١٨٧ .
أخشاذ : ١٩٤ .
الأخطل : ١٤٨ ، ١٧٦ ، ١٩١ ، ٣١١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ .
الأزهري : ٢٨٠ ، ٢٨١ .
إسحاق : ٢٣٥ .
إسماعيل : ٢٣١ .
الأسود بن يعفر : ٥١ ، ٥٢ .
الأشجعي : ٢١ .
أشهب بن رميلة : ٥٠٢ .
الأصمعي : ٩٧ ، ١٥٦ ، ٣١٩ ، ٣٤٩ ، ٣٨٩ ، ٤٧٦ ، ٤٨٣ .
الأعرج : ١٢٩ .
أعشى بني ثعلبة : ٤٨ ، ٥٠ ، ٩٠ ، ١٩٨ ، ٢١٤ ، ٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٣١٢ ، ٣١٩ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣ ، ٤٤٣ ، ٤٧٥ .
أعشى همدان : ٤٢٦ .
الأعمش : ٧٢ ، ٢٧٢ ، ٣١٤ .
إلياس : ١٣٥ .
امرؤ القيس : ٩٨ ، ١١٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٦٣ ، ٣٧٦ ، ٤٢٠ .
أمّ عامر : ٥٨ .
أميّة بن أبي الصلت : ٥٤ ، ٢٣٢ ، ٢٥٤ ، ٢٨٠ ، ٤٣٣ ، ٤٥٩ ، ٥٠٦ ، ٥٢٢ .
أميّة الصغير : ٢٠٤ .
أنس بن مالك : ٤٥٢ .

أويس : ٧٣ .

أوس بن حجر : ١٧٢ .

البرجمي : ٢١٣ ، ١٦٨ .

بشر بن معرور : ٣٨٣ .

البلخي (أبو القاسم) : ١١ ، ١٦ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٩١ ،

٣٣٧ ، ٤٠٩ ، ٤١٥ ، ٤٤٧ ، ٤٦٤ ، ٤٨٠ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨ ، ٥٠٥ ، ٥١٧ .

تبع : ١٩٤ ، ٣٤٤ .

تغلب : ٢٢٩ .

توبة بن الحمير : ٣٢٧ .

ثعلب : ٢٩ .

جابر بن عبدالله : ٤٩٣ .

الجبائي (أبو علي) : ١١ ، ٢٢ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٦ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،

١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٦٥ ، ١٨٠ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٨٠ ، ٢٩٩ ،

٣٠٥ ، ٣١٠ ، ٣٣١ ، ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤٢٤ ، ٤٣٣ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ،

٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٩ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٦ ،

٥١١ ، ٥١٣ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ .

المحدري : ١٣٠ .

الجرمي : ٢٣١ .

جرير : ٩ ، ٤٠ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٧٤ ، ١٩١ ، ٢٤١ ، ٢٨٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٤١٨ ، ٤٦٠ .

جعفر بن زهير : ١٠٠ .

جميل بن معمر : ٢٠٩ ، ٢٦٥ ، ٤٦٠ .

الحارث بن حلزة : ٤٣١ .

الحارث بن حوط : ١٤٩ .

الحارث بن كلدة : ٩٧ .

الحارث بن هشام : ٤٦٨ .

الحارثي : ٥٢٣ .

الحجاج : ٤٥٣ .

حذيفة : ٤٠٤ .

حسان بن ثابت : ٩ ، ٢٧ ، ٤١٧ ، ٤٦٤ ، ٤٧٢ .

الحسن البصري : ٤ ، ٢١ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٦ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٨ ،

١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٣٩ ، ١٥٠ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٩٠ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٦٢ ، ٢٨٢ ،

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢ ، ٣٤٢ ، ٣٨٩ ، ٤١٠ ، ٤١٥ ، ٤٢٢ ،

٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٣٣ ، ٤٣٩ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٧٤ ،

٤٧٥ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٤٩٤ ، ٥٠٢ ، ٥١٧ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٣١ .

الحسين بن علي المغربي : ٥٣ ، ٢٨٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٤٥ ، ٤٤٤ ، ٤٦٤ ، ٥١٧ .

الخطيئة : ١٨٦ ، ٣٩٢ ، ٤٠٢ ، ٤٣١ .

حفص : ٢١٣ ، ٥١٥ .

حمزة : ١٠٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٧ ، ٤٠٥ ، ٤١٦ ، ٥١٥ .

حي بن أخطب : ٤٦٦ .

خاقان : ١٩٤ .

خفاف بن ندبة : ٣٦٩ ، ٥٣٠ .

خلف : ٤٠٥ ، ٤١٦ .

الخليل : ١٩ ، ١٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٦٧ ، ٢٩١ ، ٣٦٥ .

الخنساء : ١٩٤ .

الداجوني : ٧٧ ، ٤٤٨ .

دريد بن الصمت : ١٧١ .

الراعي : ١٦٣ .

رافع بن خزيمة : ٤٦٢ .

رافع بن خويلد : ٤٧٧ .

الربيع بن أنس : ٢٣، ٦٧، ١٧١، ٢١٦، ٢٥٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٩٨، ٣١٦، ٣٣٧،

٣٦١، ٣٧٧، ٣٧٨، ٤٠١، ٤١٧، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٤٠، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥،

٤٧٨، ٤٧٩، ٤٩٤، ٥٠٣، ٥١٧، ٥١٨، ٥٢٥، ٥٢٦ .

الربيع بن غيثم : ٣٥٥ .

رفاعة بن زيد : ٤٤٣ .

الرماني : ٢٠، ٢٥، ٤٧، ٥٣، ٥٥، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٧٨، ٨٠، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩١، ٩٢،

٩٦، ١٠٢، ١٤٤، ١٥٠، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٣، ١٨٠، ٢١٦، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٩،

٢٣٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٣١٠، ٤٣٦، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٧، ٤٦٣، ٤٧٣،

٤٨٠، ٤٩٠، ٤٩٦، ٤٩٨، ٥٢٦ .

رؤية : ٢٨، ٩٢، ٢٧٤، ٣١٠، ٣٢٣، ٣٧٨ .

الزجاج : ٨، ١٦، ٢٧، ٢٨، ٤١، ٥٣، ٥٨، ٦٤، ٩١، ١١٠، ١٤٤، ١٧٦، ١٨٠،

٢٠٠، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٩٠، ٣٠٢، ٣١١، ٣١٦، ٣٢٧، ٣٤٨،

٤٠٢، ٤٠٥، ٤١١، ٤١٥، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٧٤، ٤٧٩،

٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩١، ٤٩٣، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥٢٤ .

الزهري : ٥٣، ٤٦٦ .

زهير : ١٤٥، ١٩٩، ٢٢٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٥٨، ٣٩٥ .

زيد الخيل : ٣٣٤ .

زيد بن أرقم : ٤٩٣ .

زيد بن ثابت : ٥١٩ .

زيد بن علي : ٤٨٢ .

زيد بن عمرو بن نفيل : ٤٧٥ .

الزيني : ٧٧ .

السامري : ٢٢٢ .

سحارة : ٢٣١ .

السدي : ١٠٠، ١٨٢، ٢٤٦، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٨،

٣٠٥، ٣٢٤، ٣٣٧، ٣٤، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٩، ٣٩٦، ٤١٤، ٤٢١، ٤٢٢،

٤٣٣، ٤٤٠، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٦٢، ٤٦٩، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩٤،

٤٩٥، ٥٠٣، ٥٢٠، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٩ .

سعيد بن المسيب : ١٠٧، ٤٥٨ .

سعيد بن جبير : ٦٦، ٢٣٥، ٣١٣، ٣٣٩، ٣٥٢، ٤١٩، ٥٢٧، ٥٢٨ .

سعيد بن مالك بن ضبيعة : ٥٠٦ .

سفيان الثوري : ٣٦٢، ٤٣٢، ٤٣٣ .

سلامة بن الجندل : ٩٤ .

سلمان الفارسي رضي الله عنه : ٢٩٤ .

سيبويه : ٦، ٢٨، ٢٩، ٦٠، ٧٩، ٨٨، ١١٦، ١١٧، ١٣٩، ١٥١، ١٨٠، ٢٣٨، ٢٧٧،

٢٨٩، ٢٩١، ٤١١، ٤٢٧ .

شقيق بن سلمة : ٣ .

الشماع بن ضرار : ٣٨١ .

صوريا : ٤٠٧ .

الضحاك : ٢١، ٥٩، ١٧٠، ٢٩٧، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٥٢، ٣٧٧، ٤٢٢، ٤٤٥ .

ضرار : ٢٦٥ .

الطبري : ٣٧، ٦٦، ٨٠، ٨٧، ٩١، ١٦٥، ٢١٦، ٤٦٠، ٤٨١ .

طرفة : ١٦٠، ٣٧٩، ٣٩٦، ٤٥٦، ٥٢٠ .

- الطرماس : ٤٢٠ .
 الطرماس بن اسماعيل : ٢٠٨ .
 عائشة : ٤٢٢ ، ٢٦٥ .
 عاصم : ٣٦٧ .
 عاميل : ٣٢٥ .
 عبادة بن الصامت : ٢٨٥ .
 العباس بن مرداس : ٢٧٦ .
 عبد الله : ٤١ ، ٥٠٦ .
 عبد الرحمن : ٣١٨ .
 عبد الله بن سلام : ٤١٣ .
 عبد الملك بن هشام : ٣٤٥ .
 عبد بني الحسحاس : ٥٤ .
 عبد مناة بن يربع : ٥١ ، ٥٢ .
 عبيد بن عمير : ٤٥٥ .
 العجاج : ٩١ ، ١٥٠ ، ٢٩٧ ، ٣٧٦ ، ٤٩٨ .
 عدي بن زيد : ٥٤ ، ٢٣٠ ، ٢٨٣ ، ٣٠٦ ، ٤٨٦ .
 العطار : ٧٧ .
 عطاء : ٣٦١ ، ٣٨٩ ، ٤١٧ ، ٤٤٣ ، ٤٥٥ ، ٤٧٩ ، ٥١٢ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ .
 عطية : ٤٤٣ ، ٤٥٥ .
 عكرمة : ٢٦٢ ، ٣٠٥ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٥٢ ، ٣٧٠ ، ٣٨٠ ، ٣٨٩ ، ٥٢٨ .
 علقة : ٤ ، ٤٤٥ .
 عمار عليه السلام : ٤٠٤ .
 عمر بن الخطاب : ٩٧ .

عمر بن حمزة الدوسي : ٤٩٧.

عمر بن لحيان : ٣٣٠.

عمرو بن عبيد : ٩٦.

عمير بن طارق : ١٧١.

الفراء : ١٣، ٢٧، ٣٥، ٤٥، ٤٧، ١٤٣، ١٤٦، ١٦٩، ٢١٠، ٢٢٩، ٢٨٠، ٢٩٨.

٣١٠، ٣١١، ٣١٨، ٣٢٤، ٣٤٥، ٣٥٤، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩١، ٤٠٢، ٤٣٥، ٤٣٩، ٤٦٣.

٤٨٠، ٤٨٦، ٤٩٤، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٢٤، ٥٢٨.

الفرزدق : ٧، ٢٨٣، ٢٩٣، ٤٧٦.

فرعون : ١٢٧، ١٩١، ١٩٤، ٢٠١، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢٣٠.

الفضل بن سلمة : ١٩، ٢٥، ٥٣، ٦١، ١٥٦.

القاسم بن محمد : ٤٢١.

قالون : ٧٢.

قتادة : ٢١، ٢٣، ٢٤، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٦، ٨٦، ٨٧، ١١٨.

١٢٤، ١٥٩، ١٧٩، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤.

٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٦، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٤، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٥.

٣٥٢، ٣٥٥، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٧٧، ٣٩٥، ٤١٢، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٧.

٤٢٩، ٤٣٣، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٥٢، ٤٥٦، ٤٦٦، ٤٦٩، ٤٧٣، ٤٨٠، ٤٨٤.

٤٨٥، ٤٨٩، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥١١، ٥١٢، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨.

القطامي : ٢٧٦، ٤٢٨.

قطرب : ١٣٥، ٢٢٩.

قنبل : ٧٣.

قيصر : ١٩٤.

كثير عزة : ١٠٥، ٤١٤.

الكسائي: ١٩، ٧٠، ٩٧، ١٨٠، ١٩٣، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨٤، ٣٠٧، ٣٤٥، ٣٥٧.

٣٦٧، ٣٨٧، ٤٠٥، ٤١، ٤٣، ٤٣٨.

كسرى: ١٩٤.

كعب: ٤٢٥.

كعب الاحبار: ٤١٣.

كعب بن الأشرف: ١٤٦، ٤٦٦.

كعب بن زهير: ٢٧، ٣١٧، ٤٢٨، ٤٣٤.

كعب بن مالك: ٣٤٥.

الكلبي: ١٠٠، ١٩١.

الكيت: ٢٦، ٣٢، ٢١٨، ٤٦١، ٤٨٨، ٥٣٢.

كيسان: ٢٧٧.

ليد بن ربيعة: ٥٤، ١٢٤، ١٥٦، ٢٥١، ٣٥١، ٤٢٠.

ليلي' الأخيلية: ٢٨٥.

ماروت: ٤١٤، ٤٢٤، ٤٢٥.

المازني: ٤.

المالكي: ٧٧.

المبرّد (أبو العباس): ٦٣، ٩٧، ١٤٣، ١٦٣، ١٦٦، ١٧٢، ١٨٦، ٢٢٤، ٢٣٥.

٢٥٩، ٢٦٤، ٤٢٦.

مجاهد: ٥، ١٠، ١٣، ١٤، ٢٠، ٢٤، ٤١، ٦١، ٦٦، ١١٨، ١٧٢، ١٧٩، ٢٣٠، ٢٣٥.

٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦١، ٢٨٢، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣١٢، ٣٢٤، ٣٣٢.

٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥٢، ٣٥٥، ٤٠١، ٤٢٧، ٤٣٣، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٥٥.

٤٦٢، ٤٧٤، ٤٨٠، ٤٩٠، ٤٩٣، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥١٢، ٥١٧، ٥٢٠، ٥٢٧، ٥٢٦، ٥٢٧.

٥٢٩.

- محمد : ٢٧٢ .
 محمد بن كعب : ٣١٨ .
 مسروق : ١٩ .
 مصعب بن الريان : ١٩٥ .
 معاذ بن جبل : ٣٨٣ .
 المعدل : ٢٣١ .
 مفضل بن سلمة : ٩ ، ٣٤٩ .
 مهلهل : ٣٨١ .
 المؤرج : ٣١٧ ، ٣٩٠ ، ٤٧٣ .
 النابغة الذبياني : ٧ ، ٢٨ ، ٨٨ ، ١٨٧ ، ٥٢٨ .
 نافع : ٧٣ ، ٢٥٨ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٣٠٧ ، ٥٠٥ ، ٥٢٢ ، ٥٢٥ .
 النخعي : ٤٩٠ .
 نمر بن تولب : ٥٢ .
 نواس بن سميان : ٣٦٩ .
 هاروت : ٤١٤ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ .
 الهذلي (المتنخل) : ١٥٩ .
 هشام : ٧٧ ، ٤٤٨ .
 هشام بن عبد الملك : ٥٣٢ .
 واصل بن عطاء : ٩٦ .
 ورش : ٧٣ .
 ورقة بن نوفل : ٥٢٤ .
 الوليد بن مصعب : ١٩٥ .
 وهب بن زيد : ٣١٩ ، ٤٦٢ .

يحيى بن أبي كثير : ٢٠، ٤٠٥.

يحيى بن أخطب : ١٤٦.

يزيد بن مفرغ الحميري : ٣٨٨.

يعقوب : ٣٦٧.

يونس : ١٠١.

فهرس الاشعار

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
-----------	---------	--------	--------

[الألف]

أدان	وفي	أبو ذؤيب	٦٥
.....	وموسى	أمية بن أبي الصلت	٥٢٢
إذا ما	به بدا	زائدة بن صعصعة الفقعسي	٣٩٣، ٣٠٠

[الهمزة]

أتهجوه	الفداء	حسان بن ثابت	٩
وإذا نظرت	نعماء	الطريح بن اسماعيل	٢٠٩
تحمل	العفاء	زهير	٢٢٦
فاني لو	كفاء	زهير	٣٥٨
وابري	الهناء	زهير	٣٥٨
فصحت	داء	زهير	٣٩٥
آذنتنا	التواء	الحارث بن حلزة	٤٣١

٤٧٢	حسان بن ثابت	سواء	أمن
٤٨٦		الشتاء	تحبين

[الباء]

٧٢		وعيا	تجلد
٧٤	جرير	أغضبا	ابني حنيفة
٣١٥	الاعشى	لتضربا	وما ذنبه
٤٨٨	ليبد	الغربا	فدعدعا
٣٣	الكهيت	ومذنبُ	وطائفة
٤٦		مصعب	أقول
٥٤	أمية بن أبي الصلت	صعاب	وفيهما من
٩٤	سلامة بن جندل	مربوب	ليس
٥٣		يصوب	فلست
١٦٨	البرجمي	لغريب	فن يك
٢٨٥		المهرب	إني
٣٣٧	الاعشى	ومصوب	أجدوا
٤٦١	الكهيت	رهب	الى السراج
٤٦١	الكهيت	وارتقبوا	عنه الى
٤٦١	الكهيت	ثلثوا	وقيل
٤٦١	الكهيت	واللجب	لج
٤٦١	الكهيت	النسب	أنت
٤٨٣	ذو الرّمة	الحرب	كانه
٢٧٤	ابن أذنية الثقفي	الحواجب	نقيم

وأفـلت	الضراب	بشر بن أبي حازم الاسدي	١٥٥
تلك خيلي	كالزبيب	الاعشى	٣١٢
ليس بيني	الرقاب	ابن الأهمم التغلبي	٣٤٦
حلفت	بصاحب	النابعة الذبياني	٣٤٦
وقفي على	المتحصّب	امرؤ القيس	٣٧٦
تمني	بيثرب		٣٩١
وكيف	مرحب	النابعة المجعدي	٣٩٧
أرانا	وبالشراب	امرؤ القيس	٤٢٠
فقالـت	يثقب		٤٩٨
أيا جحمتي	المذانب		٥٠٧

[الناء]

واني وإن	أزلت	كثير عزة	١٠٦
وقبلـك	ولا دعوت		١٤
أري	بالترّهات	سراقة البارقي	٢٤٥
اسيني	تقلت	كثير عزة	٣٥٨
.....	أبابة		٨٤

[الجيم]

.....	فهاجا		٨
كانوا	تعتلج		١٥٥
وأراكم	للازواج		٩٧

[الحاء]

٢٢٩	عبد الله بن الزبعرى	ورحبا	ياليت
٥٠٦، ٨٨	سعيد بن مالك بن ضبيعة	والمراح	والحرب
٥٠٦، ٨٨	سعيد بن مالك بن ضبيعة	الوقاح	إلا الفتى
٣٢٩		أملح	بدت
٣١٨		باج	وقد كنت
١٩٨	أبو ذؤيب الهذلي	مذبوح	نام
١٩٨	الاعشى	وذبح	
٨٣	كثير عزة	رابح	أغرّك
٥٢٤	ورقة بن نوفل	الطلائح	مثاب
٢٠٩		بالفلاح	وجوه
١٩٢	عبيد بن الابرص	بقرواح	فن
١٨٠	جرير	بمستباح	أبحّت
٤٦٠، ٥٨	جرير	راح	ألستم
٤٦١	جميل بن معمر	ومنادح	ألا أنّ
٤٦٧		الصفائح	ضربناهم

[الدال]

٩٩	امرؤ القيس	رغد	بينما المرء
٨٥، ٥١	ابن ربيع الهذلي	الشردا	حتى اذا
١٩٥		تربدا	
٢٨٨	أبو رعاية السلمي	أسودا	صباغتها
٢٨٨	أبو رعاية السلمي	فودا	اذا نفضته

٢٨٨	أبو رعاية السلمي	هوذا	كما مال
٣٥٨	عقبة الأسيدي	الحديدا	معاوي
٣١٩		وبرود	كادت
٩٥	الراعي	له سبد	أما الفقير
٩	جرير	نديد	أتما
١٧٢		يزيد	فالا يأتكم
٢٨٨		هائد	
٤٢٠	الطرماح	وتبعد	بأن الخليط
١٧١	دريد بن الصمة	المسرّد	فقلت
٨٨	النابعة الذبياني	من أحد	وقفت
٨٨	النابعة الذبياني	المجلد	إلا
٥٢		أنكد	فاذا وذلك
٨		ولا عمد	بنى السماء
٢٨	النابعة الذبياني	فقد	قالت
٥١	الاسود بن يعفر	بفساد	واذا وذلك
١٢٥	لييد	العدد	كلّ بني
١٢٥	لييد	والفند	إن يغبطوا
١٧٥	أشهب بن رميلة	أم خالد	فانّ الذي
١٩٢		عهد	نجوت
٢٦٢	الاعشى	سجد	
٢٨٩ ، ٢٨٨	زهير	متهود	سوى
٣٥٧	طرفة بن العبد	مخلدي	ألا أيهذا
٣٦٨		واحد	تظاهرت

٣٧٧		أَيْد	إِنَّ الْقَدَاح
٣٩٢	الطَّرْمَاح بن حَكِيم الطَّافِي	فِي غَد	وَافِي
٤١٧	حَسَان بن ثَابِت	مَشْهَد	نَبِي يَرَى
٤٢٨	كَعْب بن زَهِير	بَالِيد	تَعْلَم
٤٥٦	طَرْفَة بن الْعَبْد	بُرْجَد	أَمُون
٤٦٤	حَسَان بن ثَابِت	الْمَلْحَد	يَا وَجَح
٤٦٨	الْحَارِث بن هِشَام	سَرْمَد	وَصَفَحَت
٥٣٠	حَفَاف	الْبَلَد	كُلْ أَمْرِي

[الرءاء]

١٦٠	طَرْفَة بن الْعَبْد	الْمَبْرُ	يَكْشِفُون
٣٧٩	طَرْفَة بن الْعَبْد	وَشَقَر	أَيُّهَا
٤٨٣		مَهْر	مَا رَأَيْنَا
٥٢٠	طَرْفَة بن الْعَبْد	بِالْظَهْر	إِنْ تَنَوَّلَهُ
٥١٥، ٢٨٦، ١٤٧	أَمْرُو الْقَيْسِ	جَرَجَرَا	عَلَى لَاحِبٍ
٢٦٢	الْأَعَشَى	جَوَّارَا	تَرَاوَحَ
٢٥٤	أُمِيَّة بن أَبِي الصَّلْتِ	مَعْمُورَا	وَرَأَى
٢٥٤	أُمِيَّة بن أَبِي الصَّلْتِ	وَخُورَا	فَنَسَاهَا
٢٥٤	أُمِيَّة بن أَبِي الصَّلْتِ	مَتَمُورَا	عَسَلًا
٣٣٠	عَمْر بن لُحَاء	أَنْفَجَارَا	وَلَمَّا أَنْ
٤٧١	أَبْن نَجَا	نَهَارَا	وَسَبَحَت
٥٣٢	الْكُحَيْتِ	صَيُورَا	مَلِكْ
٣٥٠	الْمُخَبَّلِ	وَالْفَخْرُ	يَا زَبْرَقَانْ

٤١٨	عرضت	مرّ	
٤١٨	وما بي	برّ	
٤١٨	ولكن	شرّ	
٣٣٥	وعرفت	القصر	ابن حمزة
٣٣٥	بكيا	صبر	ابن حمزة
٣٣٢	وأعور	فبصير	جرير
٣٠٦	لا يسخط	تنكير	عدي بن زيد
٢٩٠	ديار	كبير	أبو ذؤيب الهذلي
٢٥٥	وإنيّ	القطر	أبو صخر الهذلي
٢٤١	وكل	ولا خبر	جرير
١٤	فلما التقت	لعامر	الراعي
٢١	من تلق	الساري	
٢٩	مبتلة	فلا يجري	
٤٦	فلما علونا	وكاسر	
٥٤	أبلغ	وانتظاري	عدي بن زيد العبادي
٥٨	فلا تدفوني	أم عامر	الشنفرئ
٦٠	أقول	الفاخر	الاعشى
٣٣٥ ، ٢٦٢ ، ٨٤	بجمع	للحوافر	زيد الخيل
١٨٩	إذا خرج	عامر	الراعي
١٥٤	المال	لنناظر	
٩٠	ولو كان	الدهر	الاعشى
٩٠	براه	مصر	الاعشى
٩٠	وسخر	أجر	الاعشى

٢٠٩	جميل بن معمر	الموسر	اني اليك
١٩٤		أبي بكر	ولاتبك
٢٤٠		الكبر	
٢٦٣		أوزاري	
٢٨٥	ليلي' الأخيلية	بن عامر	فان تكن
٣١١	الاخطل	وابكار	وما بمكة
٣٢٧	جرير	على قدر	نال
٣٤٥	كعب بن مالك	المقادر	تمنى
٣٤٧		والقدر	أتيت
٣٤٩	جرير	الخضر	كسا اللؤم
٣٩٢	الحطيئة	بالقدر	شهد
٣٩٦	اعرابية	يدر	باهلي
٣٩٦	اعرابية	الدهر	هوى
٤٢٠	ليبد	المسحر	فان
٤٧٥	الاعشى	الجائر	أوول
٤٨٦	عدي بن زيد	اعتصاري	لو بغير
٣٩٧	الحطيئة	حاضره	وشر
٣١٥	الحطيئة	سامره	وان تك
٣٢٧	توبة بن الحمير	فجورها	وقد زعمت

[الزاي]

٢٧٧	المنتحل الهذلي	تهزير	قد حال
-----	----------------	-------	--------

لا درّ	مكنوزُ	المتنخل الهذلي	١٥٩
		[السين]	
تراه	شامسُ		٢٨٩
بثوب	راسُ		٤٠٢
فأدركنه	المقدس	امرو القيس	٦١
وبلدة	العيس		٨٨
إلبس	بوسها	بيس الفزاري	١٤٨

[الضاد]

شيب	فرَضُ		٣١٠
فأحييت	من بعض	أبو نخيلة السعدي	٤٢

[العين]

من أناس	المجزعُ		١٤٥
عليك مثل	مضطجعاً	الاعشى	١٥٣
الألمي	سما	أوس بن حجر	١٧٢
فلا تنكحي	بأنزعا	هدبة بن خشرم	٢٥٢
لو أطمعوا	نجماً	الاعشى	٢٥٤
.....	وارتفعاً	الاعشى	٣١٩
تعدّون	المقنعا	جرير	٣٤٦
قفي فادي	اجتماعاً		٣٧٠
تعلم	انقشاعاً	القطامي	٤٢٨
يرعي	ابتدعاً	الاعشى	٤٤٣

٥٠٣	الأشهب بن رميلة	المقتعا	تعدّون
١٥٦	ليبد	راكمُ	أخبر
١٨٧	النابعة الذبياني	شافع	أتاك
١٣٠	أبو ذؤيب	مصراع	سبقوا
٣٣٥ ، ١٧٠	جرير	الخشع	لما أتى
١٨٦		ويشفع	وقالوا
١٨٧	الاحوص	شفعوا	كأنَّ
٢٤٥		ويسمع	ألم تر
٢٦٠		لا يفزع	
٣٦٠	عمر بن معد يكرب	وجيع	وخيل
٤٠٢	الحطيئة	رافع	فقالوا
٤٣٥		واسع	لئن تك
٤٩٦	أبو ذؤيب	تبع	وعليها
٤٩٧	عمرو بن حممة الدوسي	له قع	فاصبحت
٣٨٩		المتقطع	أتجزع
١٨٦	الحطيئة	بشفيع	وذاك
١٤٣		جياع	فاذا همُ
٤٥	تميم بن أبي مقبل	الضجوع	أقول
٥٢٨	النابعة الذبياني	الكوانع	عكوف

[الفاء]

١٦٩ ، ١٢٤	قيس بن الخطيم	مختلف	نحن بما
٢٩٣		تختلفوا	الما

٣١١		ناصر	خرجن
٢٨٩، ٨٣	أبو الاخضر الحماني	تحنف	وكلتاها
٣٤٧	الفزدق	الزغايف	وما سجنوني

[القاف]

٥		موثق	وقلتم
٦		متألق	فلما كففتنا
٣١٢	الأعشى	وفتاق	بكميت
٣١٩	ذو الرمة	يبرق	لو أن
١٧٥		مخراق	هل أنت
٢٧٧		ممدوق	محض
٣٩٦	ذو المخرق الطهوي	بالعناق	حسبت
٤٥٩	أمية بن أبي الصلت	باق	يانفس

[الكاف]

٤١٣	أبو الاسود الدؤلي	نعالكا	نظرت
٣٦٩	خُفاف بن ندبة	ذلکا	أقول له
٢٧٦	العباس بن مرداس السلمي	هداكا	يا خاتم
١٦٨		محتك	أما
٢٣٤		النواسك	تقتلت

[اللام]

٢٥١	ليد	الازل	وتصك
-----	-----	-------	------

٤٤٢		لم يصل	يسوسها
٥٤	ليد	ما سأل	وغلام
٢٠٧		فابتهل	
٦١	جرير	إهلا لا	قَبَّحَ الاله
١٤٨	الأخطل	فاشتهلا	وقد لبست
١٦٤	الراعي	معقولا	حتى إذا
١٧٦	الأخطل	الأغلا لا	ابني كليب
١٩١	الاخطل	الأنفالا	ولقد سما
٢٨٣	عدي بن زيد	فصلا	وجاعل
٤٦٣	الاخطل	خيالا	كذبتك
٤٦٥	الاخطل	ضالا	كنت
٤٦٥	أمية بن أبي الصلت	اسبالا	واشرب
٤٧٥	زيد بن عمرو بن نفيل	زالالا	وأسلمت
٤٨٨	الكهيت	انهالا	
١٧٧	الاعشى	الفضل	ومستجيب
١٥٤	الحارث بن عباد	صال	لم أكن
١٥٤	النابعة الذبياني	ونائل	قآب
٢٧	كعب بن زهير	الأباطيل	كانت
١٩٩	زهير	يلو	جزئ
٢٧٦	القطامي	منسحل	لما وردن
٢٨١	أمية بن أبي الصلت	والبصل	كانت
٢٨٤	الفرزدق	المنزل	ضربت
٣١٧	كعب بن زهير	لمقتول	يسعى

٤٣٤	كعب بن زهير	مرمل	إذا حضرائي
٥١٠	كعب بن زهير	مملول	
٧	الفرزدق	مقاوله	سمونا
١٨٩ ، ٤٨		ابقاها	فلا مزنة
٤٧٥	ذو الرمة	بزوها	فطاوعت
٣٩٠	الاعشى	قبوها	أصالحكم
٢١٨	الكميت	الأليل	
١٨١	أحيحة بن الجلاح	ظليل	تروحي
١٩٠		قائل	أبوك
٢٣٤	امرؤ القيس	مقتل	وما
٢٣٤		تقتل	إنّ التي
٢٣٩	امرؤ القيس	واغل	فاليوم
٢٦٣	امرؤ القيس	من عل	مكرّ
٣٠٩	علقمة بن عوف	على رجل	لعمرى
٣٤٥		رسل	تمنى
٣٦٦		للبلع	ألست
٣٩٦	طرفة بن العبد	الأبجل	ألا إني
٤١٤	كثير عزة	برسول	فقد كذب
٤٢٩		البزل	جمعت
٤٢٩		بالنجل	ومن كلّ
٤٣٣	أمية بن أبي الصلت	وأغلال	يدعون
٤٤٧	أبو ذؤيب	قبلي	جزيتك
٤٦١	جميل بن معمر	قبلي	خليلي

كأن المآلي لبيد بن ربيعة ٤٦٧

[الميم]

٣٤٤	الأعشى	الأمم	وإن
٣٤٤		الأمم	له أمة
٥٢	نمر بن تولب	أينا	فإن المنية
١٧١	عمير بن طارق	مرجما	بان يعتزوا
٢٣٢	أمية بن أبي الصلت	دما	المخالق
٤٦٧	شمير بن الحارث الضبي	الطعاما	فقلت
١٥١		عظيم	لاتنه
١٥٣	الاعشى	وارتسم	وقابلها
٥٢٢		ابراهيم	
٢٨٠	أحيحة بن الجلاح	فوم	قد كنت
٢٨٠	أمية بن أبي الصلت	فوم	فوق
٢٨٥		بالدم	فيقتل
٩٢		البراجم	هم منعوا
٣١٥		المتهدم	مالي
٣٥٨	عنتر بن شداد	مخزم	شطت
٣٨٢	مهلهل	بدم	لو بأبانين
٤٢٦	أعشى همدان	مسلم	لئن
٤٣١	الحطيئة	بانصرامي	ألا يا هند
٤٩٠	ابن بيض	الحكم	أي الوجوه

٤٩٠	ابن بيض	يبتسم	متى يقل
٥٠٦	أُمَيَّة بن أبي الصلت	البحيم	إذا شَبَّتْ
٧	الناطقة الذبياني	القرام	سمت
٢٣٩		قَوِّم	
٢٦٥	ضرار	الكلم	خليلي
٣٥١	ليبد	طعامها	لمعْفَرٍ

[النون]

٢٦	الكميت	لا تكونا	وذلك ضرب
٢٨	حسان بن ثابت	إِيَّانا	فكفى
٢٣٠	عدي بن زيد	ومينا	وقدَّمت
٤١٨	جرير	شيطانا	أيام
٤٨٢ ، ١٦٣	عمر بن العداء الكلبي	عقالين	سعى
١٦٣	عمر بن العداء الكلبي	جمالين	لا صبح
٣٩٣		كوفان	فما أضحى
١٤٥	زهير	البدن	مَنْ لا
١٥٥		بالحزون	ولكني
١٦٦		تريان	فان تصبرا
١٧٢	أبو داود الرؤاسي	بظنون	ربِّ
٢٠٠		اليقين	فلو إنا
٢٠٤	أُمَيَّة الصغير	بخلدان	أنفق
٢٩٤	الفرزدق	يصطحبان	تعش
٣٢٣		الجنون	فنكَّب
٣٨١	الشمخ بن ضرار	اللعين	دعوت

٤٧٧	الفرزدق	يصطحبان	تعال
٥٠٤	الاعشى	من يقن	وما بالذي
٣٩٢		لا يعنيني	ولقد أمرّ
٣٤٦		الماني	ولا تقولنّ
١٦٩، ١٢٣	ابن أحرر الباهلي	رماني	رماني

[الهاء]

١٠٥		القلّة	هلا على
١٩٢	سحيم بن وثيل	الارشيه	إني اذا
٣٨٨	يزيد بن مفرغ	هامه	وشريت
١٥٦، ١٥٥	أضبط بن قريع	رفعه	لا تهين
٤٠	جرير	أقنه	إن سلطياً
٤٨	الأعشى	أزرى بها	فاما ترى
١٩٤	الخنساء	وامّا لها	سأحمل
٤٤٣	الأعشى	دنا لها	فضللت
١٣٧	طفيل الغنوي	حاديها	أما ابن

[الياء]

٥٤	عبد بني المحساس	تهاديا	ألكني
١٣٩		كما هيا	وقائلة
٣٢٨	أبو الاسود الدؤلي	والوصيا	أحب محمداً
٣٢٨	أبو الاسود الدؤلي	غيا	فان يك
٤٣٥		باديا	لئن كان
٣٨٣، ٣٤١	أسعر الجعفي	غنيّ	ألا أبلغ

فهرس الارجاز

الصفحة	الشاعر	القافية
٥٢٣		صأيت
٥٢٣		بيت
٢٧٤	العجاج	عائثُ
٢٧٤	العجاج	مباعث
٣١٩	رؤبة	فانمحي
٣١٩	رؤبة	يمصحا
٣٧٦	العجاج	آدا
٤٤٨	رؤبة	استدا
٤٤٨	رؤبة	اشتدا
٢٩٧	العجاج	فره
٢٩٧	العجاج	كسر
٤٨٣		صقر
٤٨٣		مهر

٢٨٩		أنصارا
٢٨٩		الإزارا
٢٨٩		جارا
٤٩٨	العجاج	للعكور
٤٩٨	العجاج	التفكسر
٤٩٨	العجاج	الكرور
٤٣١	رؤية	ضريره
٩٢	رؤية	الانخاس
٩٢	رؤية	وابلاس
٣٨٧	رؤية	القدوسا
٣٠٤		انخسا
٩٢	العجاج	مكرسا
٩٢	العجاج	وأبلسا
٨٨		أنيس
٨٨		العيس
٣٧٨		القادس
٣١٠		فارض
٣١٠		الحائض
٣١٠		الماخض
٣١٠		فارض
٣١٠		أبيض
٣١٠		قرض
٣١٠	رؤية	وبلق

٣١٠	رؤية	البهق
٣٦		العراق
٤٦		مهرق
٤٩٧	أبو النجم	أالحق
٤٩٧	أبو النجم	المحنق
٤٨٧	رؤية	ذو بنيق
٤٨٧	رؤية	سودنيق
٤٨٧	رؤية	الشروق
١٦٠		دونكا
١٦٠		ويفجرونكا
٢٣٤	أبو النجم	ولم تقتل
١٩٩		السربال
١٩٩		الاحوال
٢٥١	العجاج	وأظلل
٤٨٣		أورزاما
٤٨٣		الهاما
١٨١		السلام
١٨١		السنام
١٨١		الطعام
٣٩٥		والتسليم
٣٩٥		تميم
٤٩٨، ٣٩٥		قطني
٤٩٨، ٣٩٥		بطني

١٥٠	العجاج	بالتجني
١٥٠	العجاج	مني
٤٠	جرير	إنه
٤٠	جرير	أقنه
١٠٥		الزله
١٠٥		القله
٣٠٨		طيلسه
٣٠٨		له
٣٢٣	رؤية	مدره
٣٢٣	رؤية	عنجه
٣٨٦		وادلواها
٣٨٦		ولانرهاها
٤٨٢		مناعها
٤٨٢		أوباعها
٢٦٠	العجاج	قري

فهرس أعلام المترجمين في التعليق

١٦٩	ابن أحمـر
٦٦	ابن الاخشاد
١٠٢	ابن اسحاق
١٠٠	ابن جدعان
٥٦	ابن سابـط
٤١	أبو الأحوص
٩٥	أبو حاتم
١٧٢	أبو داود
١١٤	أبو عبيدة
١١٤	أبو مهدية
٤٢	أبو نخيلة السعدي
٧١	أبو هاشم
١١٤	أبو هريرة
٧١	أبي بن كعب
٧٢	أحمد بن صالح

١٧٦	الأخطل
٥١	الأسود بن يعفر
١٥٦، ٩٧	الأصمعي
١٢٩	الأعرج
٩٨	امروء القيس
١٦٨	البرجمي
١٣٠	بنو سليم
٦٦	الجبائي
٢٠٩	جميل بن معمر
٩	حسان بن ثابت
١٨٦	الحطيئة
٣٦٩	خفاف بن ندبة
٧٧	الداجوني
١٧١	دريد بن الصمة
١٦٣	الراعي
٣٣٤	زيد الخيل
٧٧	الزنبلي
٦٦	الطبري
٢٠٨	الطريح بن اسماعيل
٢٧٦	العباس بن مرداس السلمي
٥٤	عبد بني الحسحاس
٤	علقمة
٩٦	عمرو بن عبيد

٣٣٠	عمر بن الحاء
١٥٦	الفضل بن سلمة
١٠٥	كثير عزة
٢٦	الكهيت
٢٨٥	ليلي الأخيلية
٤	المازني
٧٧	المالكي (أبو عمرو)
٩٧	المبرد
١٩	مسروق
٩	مفضل بن سلمة
٣١٧	المؤرج
٥٢	نمر بن تولب
٩٦	واصل بن عطاء

فهرس الموضوعات

٣	اختلاف القراء في «أَيُّهَا»
٤	كلّ ما في القرآن «يا أَيُّهَا الذين آمنوا» نزل بالمدينة
٦	الاستدلال بأن الكفار مخاطبون بالعبادات
١١	استدلال الجبائي على سطحية الأرض والرد عليه
١٢	احتجاج الله تعالى لنبيه ﷺ على المشركين والمنافقين
١٦	قراءة «اتقوا الله»
١٧	الاستدلال على بطلان قول من حرّم النظر والحجاج العقلي
٢٠	اختلاف الآراء في قوله: «هذا الذي رزقنا من قبل»
٢٣	سبب نزول آية «إِنَّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة...»
٢٧	في اعراب «بعوضة»
٢٩	في اعراب «مثلاً»
٣٠	معنى قوله تعالى: «يضلّ من يشاء.....»
٣١	أوجه الاضلال
٣٦	معاني العهد

- ٤٤ الحياة في عالم البرزخ والقبر
- ٤٥ الاقوال الواردة في تفسير الاستواء
- ٥٠ في تفسير «وهي دخان»
- ٥٣ وجوه قراءة وتسمية «الملائكة»
- ٦٢ شبهة في أكل آدم من الشجرة ودفعها
- ٧٢ اختلاف القراء في «انبؤني»
- ٨٤ أقسام السجود
- ٨٦ اختلاف الآراء في أمر الملائكة والسجود لآدم
- ٨٧ هل كان ابليس من الملائكة أم لا ؟
- ٨٨ استدلال الرماني على أنه لم يكن من الملائكة وردّ الشيخ عليه
- ٩٥ اختلاف الآراء في الجنة التي اسكن فيها آدم
- ١٠٠ اختلاف الآراء في الشجرة التي نهى الله آدم عنها
- ١٠٢ سبب تسمية المرأة بالمرأة
- ١٠٦ وجه إخراج آدم وحواء من الجنة
- ١٠٧ أجوبة لكيفية وصول ابليس الى آدم وهو في الجنة
- ١١٠ سبب ورود «اهبطوا» بلفظ الجمع
- ١١٨ الكلمات التي تلقّاها آدم
- ١١٩ بحث في التوبة
- ١٢٤ تفسير الجباني معنى الهبوط
- ١٢٩ سبب تكرار لفظة «اهبطوا»
- ١٣٢ الفرق بين المصاحبة والمقارنة
- ١٣٤ الفرق بين اتخاذ الابن واتخاذ الخليل
- ١٣٥ في «اسرائيل» خمس لغات

- ١٤٠ الفرق بين الخوف والرهبه
- ١٤٧ الفرق بين الثمن والقيمة
- ١٤٧ الفرق بين التعمية والتغطية
- ١٤٨ الفرق بين اللبس والاختفاء والريب والاشكال
- ١٤٩ اسباب الالباس
- ١٦٢ الفرق بين التلاوة والقراءة
- ١٦٤ الفرق بين العقل والعلم
- ١٦٥ تفسير الصبر
- ١٧١ بحث في كلمة «الظن»
- ١٧٨ سبب تكرار قوله: «يا بني اسرائيل»
- ١٨٥ بحث في الشفاعة
- ١٨٧ في معنى العدل
- ١٨٨ الفرق بين العدل والعدل
- ١٩٠ الفرق بين النصرة والتقوية
- ١٩٣ الفرق بين النجاة والتخلص
- ١٩٣ الفرق بين الآل والاهل
- ١٩٥ اختلاف في اسم فرعون
- ١٩٨ في معنى «يستحيون نساءكم»
- ٢٠١ سبب ذبح فرعون الابناء واستحيائه النساء
- ٢١١ قصة موسى عليه السلام مع فرعون
- ٢١٥ لم قال: أربعين ليلة، ولم يقل: أربعين يوماً؟
- ٢٢٢ قصّة السامري
- ٢٢٥ في معنى العفو

- ٢٢٧ الفرق بين الشكر والمكافاة
- ٢٣٥ في تفسير «فاقتلوا أنفسكم»
- ٢٣٦ السبب الذي لأجله أمروا بقتل أنفسهم
- ٢٤٢ في معنى قوله: «حتى نرى الله جهرَةً»
- ٢٤٣ الصاعقة تكون على ثلاثة أوجه
- ٢٤٤ استدلال البلخي على أن الرؤية لا تجوز على الله تعالى
- ٢٤٨ بحث في الرجعة
- ٢٥٣ معنى «المنّ»
- ٢٥٥ معنى «السلوى»
- ٢٥٦ سبب نزول المنّ والسلوى
- ٢٦٧ الفرق بين أحسن إليه وأحسن في فعله
- ٢٧٥ قراءة «النبين» واشتقاقها
- ٢٨٨ لم سميت اليهود يهوداً؟
- ٢٩٠ معنى الصابئين وأقوال العلماء فيه
- ٢٩٥ استدلال المرجئة على أن العمل الصالح ليس من الايمان
- ٢٩٧ في تفسير الطور
- ٣٠٢ لم سمي السبت سبتاً؟
- ٣٠٩ - ٣١٠ معنى الفارض والبكر والعوان
- ٣١٦ معنى «لاشية»
- ٣٢٠ جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة
- ٣٢٢ أصل ومعنى «اداراتم»
- ٣٤٣ لم سمي من لا يحسن الكتابة أمياً؟
- ٣٤٨ معنى الويل

- ٣٦٠ اختلاف أهل اللغة في (حَسَنًا) و (حُسْنًا)
- ٣٧٠ الفرق بين تفدوهم وتفادوهم
- ٣٧٧ معنى 'روح القدس
- ٣٧٧ سبب تسمية جبرائيل بالروح
- ٣٧٨ معنى 'القدس
- ٣٨٥ في أصل «بشس»
- ٣٨٥ اختلاف الآراء في معنى ' (ما) من (بشما)
- ٣٩٥ وجوه معاني «وأشربوا في قلوبهم العجل»
- ٤٠٤ وجوه قراءة «جبريل»
- ٤٠٥ ست لغات في «جبريل» على قول الأخفش
- ٤٠٦ في معنى «جبريل» وقول الفارسي فيه
- ٤٠٩ تخطئة قول المجبرة بأن الأمر ليس بمحدث
- ٤١١ في تفسير «أَوَكَلَّمَا» عند التحويين
- ٤٢٢ الاقوال الواردة في مدينة بابل ووجه تسميتها
- ٤٢٣ في معاني السحر
- ٤٢٣ جواب لسؤال عن كيفية عمل الملكين السحر
- ٤٢٥ سبب هبوط الملكين هاروت وماروت
- ٤٣٧ بحث فقهي في السحر
- ٤٤٢ في تفسير قوله: «لا تقولوا راعنا»
- ٤٤٣ السبب الذي لأجله وقع النهي عن هذه الكلمة
- ٤٤٩ بحث في النسخ
- ٤٥١ اختلاف الآراء في كيفية النسخ وقول الشيخ فيه
- ٤٥٧ هل يجوز نسخ القرآن بالسنة أم لا ؟

- ٤٧٣ في معنى «هود»
- ٤٨٥ حكم تمكين الكفار من دخول المساجد
- ٤٩٠ في معنى «فتم وجه الله»
- ٥٠٠-٤٩٣ الاستدلال على أنه لا يجوز الولد لله سبحانه
- ٤٩٩ استدلال البعض على أن كلام الله قديم، والرد عليه
- ٥٠٩ النهي عن ارضاء اليهود والنصارى
- ٥١٠ تناول الوعيد والزجر لمن علم الله منه عدم المعصية
- ٥١٦ الكلمات التي ابتلى الله ابراهيم عليه السلام بها
- ٥٢١ استدلال الاصحاب على أن الامام لا يكون إلا معصوماً
- ٥٢١ الاستدلال على أن منزلة الامامة منفصلة من النبوة
- ٥٢٤ الفرق بين مثابة ومثاب
- ٥٢٦ الاستدلال على أن صلاة الطواف فريضة
- ٥٢٩ هل كان الحرم آمناً قبل دعوة ابراهيم عليه السلام ؟
- ٥٣١ الفرق بين متعت وامتعت
- ٥٣٥ الفهارس